



الدكتور محمد الجوّادى

سوريا ولبنان قبل الناصريين والبعثيين



سُبُوِيَا وَوَلِحِنَا
فَبِلَا النَّاصِرِيَّةِ وَالنَّصِيرِيَّةِ

الدكتور محمد راجوادی

سُبُوْرِيَاوَلِصِنَا
فِيْلَا النَّاصِيْرِي وَالصِّيْرِي





ω

الطبعة الأولى

م 2020 هـ - 1441

رادمك - ISBN

978-625-7810-67-8



للطباعة والنشر

هذا الكتاب

يجمع هذا الكتاب بين أسلوبين من أساليب الكتابة فهو في جوهره كتاب رأي مكتمل متبلور يعبر عن مضمونه في مواقف متعددة بنعومة وحسم، كما لو أنه مشرط الليزر الحاد الذي يقطع الأنسجة الصلبة بتكثيف الضوء المحدد في الموضوع المعين سلفاً، أما في صورته المعروضة التي يتناولها القراء بين دفتي هذا الكتاب المطبوع فهو أقرب ما يكون إلى الروح الموسوعية التي تعبر باللفظ المركز عن كثير من الحقائق مع التعويل على قدرة اللفظ الموسوعي على التعبير، من دون استطراد إلا إلى ما يتطلبه شرح السبب في الاستثناء من القاعدة ، ومن دون تفصيل إلا إلى ما يتطلبه التفريع من الأحكام، ومن دون استشهاد إلا إلى ما يتطلبه بناء الدليل على الرؤية التي لم يسبق اكتشافها من قبل .. وهو مع هذا ملتزم بكل ما يتطلبه منهج الموسوعية من ترتيب أبجدي و استعراض كرونولوجي وتجهيز للإحالات والإشارات والمصادر والمراجع.

قد يكون من التزديد أن نشير إلى مشقات الالتزام بهذين المنهجين المتوازيين معاً، وهي مشقات متعددة من كتابة وإعادة كتابة ومن مراوحة ومزاوجة بين إيجاز وتكثيف، لكننا إذا أردنا الإنصاف فلا بد لنا من أن نعترف بأن هذا الأسلوب الجامع بين منهجي كتابة الرأي والموسوعية قد كفل لنا أن نقدم في هذا الحجم المضغوط ما كان كفيلاً بأن يستغرق موسوعة كبرى بأجزاء متعددة لا تقل عن المجلدات العشرة ولا ينقص حجمها عما تستغرقه تلك المجلدات ، ولسنا بحاجة إلى القول بأن النصوص التي حذفنا من هذا الكتاب عند بلورته تبلغ أضعاف ما بقي بين دفتيه .

ومن الحق أن نعترف في الوقت ذاته بأننا اتبعنا في عرضنا لأرائنا في هذا الكتاب أسلوباً بيانياً مشرقاً وفعالاً وخطراً وإن كان كفيلاً بأن يجلب لنا النقد بأضعاف ما يجلب من التقدير، ويجلب علينا من الاعتراض أضعاف ما يضمنه من الموافقة لكنه في الوقت ذاته منهج عقلي وإن كان لا يسعد أصحاب المذاهب، ولا يشفي غليل أصحاب المصلحة ولا يتوافق مع من يعتقدون في أنفسهم أنهم ملائكة الحقيقة المطلقة، كما أنه يعرضنا في كل قراءة لسهام النقد التي قد تستند على اختلاف مبرر في واقعة واحدة محددة فتنتقل بهذا النقد الموضوعي ليكون نقداً موضوعياً قابلاً للانسحاب به على الكتاب كله بكل ما هو ممكن من تشويه أو تكذيب أو تجهيل لكننا نكتفي بأن نقول إننا لا نملك إلا أن نقول : حسبنا الله ونعم الوكيل .

يقدم هذا الكتاب تاريخ سوريا ولبنان من خلال عدسة ذكية تتجول في وقائع التاريخ السياسي من أجل استقصاء وقراءة الممارسات والأزمات والحلول والتوافقات والنتائج في أسلوب بديل عن فرض الرؤية التاريخية من خلال المصطلحات والتنظير، ونحن نثق في قدرة هذا الأسلوب على تناول هذه الحقبة البازغة من التاريخ العربي وعلى تعميق الفهم السياسي والتاريخي للتاريخ العربي المعاصر كله، فقد اجتمعت على أرض سوريا ولبنان مطامع العرب جميعاً، كما اجتمعت محاورهم

وإحباطاتهم وصراعاتهم الفكرية بل جذورهم الفكرية نفسها، فليس هناك توجه فكري عربي لم يبدأ خطواته الأولى في سوريا ولبنان، وإن كان منبر القاهرة (ومنبر بغداد إلى حد ما) كانا يتيحان فرصة أكثر نفوذاً.

و يميل هذا الكتاب إلى القول بأن سوريا ولبنان قد أوذيتا بالناصرية ثم بالنصيرية إيذاء بالغاً وذلك على الرغم من خصوصية الفكر السياسي ، و تعدد الصياغات الذكية للتجارب الحزبية الناهضة والواعدة ، و تعدد التحالفات المثمرة.

يميل هذا الكتاب إلى القول بأن الأزمة السياسية في هذين القطرين العظيمين تكاد تنحصر فيما يصحبه طغيان القوة العسكرية في دمشق من إقصاء للسياسة والتعددية والاجتهاد والوطنية، ومع أن خط الرجعة (إلى الطليعة) كان متاحاً في عصر الانقلابات العسكرية الأولى فإنه بدا صعباً بعد التجربة الوحشية التي خلفت أوضاعاً استقطابية كانت كفيلة بأن تقود إلى ما تعانيه سوريا ولبنان معها بالطبع من قسوة القبضة الواحدة الطاغية التي تمكنت من أن توقف حركة التاريخ أمام بيت يُعلي من شأن طائفة قليلة العدد لكن اقتناصها للنفوذ يُمكنها من نوع من سيطرة العصور الوسطى مُستعينة على هذا التمكن بتحالفات تخدم قوى دولية وإقليمية على حساب سوريا ولبنان.

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم . كما أدعوه جل جلاله أن يوفقني إلي تقديم ما تبقى من أعمالي ، وقد طال العهد بتجاربها المطبعية في ظل غربتي ومرضي و تشردي و استيحاشي ، والوقت لا يسعني، والجهد يتضاءل، والذكاء يخبو ، و الألمعية تنطفئ ، والقلب يئن ، والنظر يكل ، والعقل يتشتت ، والذاكرة تتبدد ، و السهل يتعقد ، والنفس يتقطع ، والأمل يتضعضع، والعمر قصير، والواجب كبير ، والمؤجل كثير ، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقوى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتعمدني برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادراً على شكر فضله. والله سبحانه وتعالى أسأل أن يذهب عني ما أشكو من ألم ووصب وقلق، وأن يحسن ختامي، وأن يجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاه. والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني. والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغني، والبر والتقوى، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل ، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين ، وشك الأطباء، وخيال المبدعين ، وتساولات الباحثين. والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته.

د. محمد الجوادي

الفصل الأول

كلمات السر الكفيلة بفهم الانقلابات العسكرية السورية الأولى

تبدأ الانقلابات العسكرية السورية بانقلاب حسني الزعيم وهو انقلاب أمريكي ١٠٠٪ حتى وإن كان بعض الذين عاشوا وذاقوا ويلاته لم يعرفوا هذا ، وظلوا هم وأنصارهم يجهلون هذه الحقيقة حتى مماتهم وحتى ما بعد مماتهم.

وعلى الرغم من قسوة هذا الانقلاب في سلوكه وتوجهاته وتصريحاته فإنه كان يلقي الترحيب السعودي والترحيب المصري لسبب واحد مشترك وهو كراهية الهاشميين في الأردن والعراق ، وهو سبب غريب لكنه كان موجودا .

الخلاف المصري الهاشمي

أما فيما يتعلق بالنظام المصري في ذلك الوقت فقد كان هناك سببان مستحدثان وإن كانا في الحقيقة تافهين جدا ، لكن أحدثهما أقوى في أثره بكثير من أقدمهما .

الإعلام المصري و حرب فلسطين

كان هناك خلاف جديد نشأ نتيجة ما يسمى الآن بالخطاب الإعلامي المصري عن حرب ١٩٤٨ وهو خطاب تقليدي مصري قديم الأدوات والحيلة كان حريصا على إلقاء التبعة على الملك عبد الله لا لأنه اتفق مع اليهود كما تروج الأدبيات الناصرية فيما بعد، وإنما لأنه قبل بالهدنة الثانية بعدما رأى ما رأى من تطورات الحرب.

وكان الملك عبد الله يمثل شماعة جاهزة ، والمصريون إذا فشلوا في شيء أي شيء فإنهم يبحثون بسرعة عن الشماعات فضلا عن انهم يحبون الشماعات على الدوام حتى وإن كانت هذه الشماعة داخلية فما بالك اذا كانت فيما بدا لهم خارجية ..

نوري السعيد

أما الخلاف القديم الموجود من قبل هذا الخلاف الجديد فيتمثل في أنه كان هناك تريبص مكتوم بين الساسة المصريين وبين نوري السعيد باشا الذي كان لأسباب متعددة يعتقد في نفسه أنه أفضل من الساسة المصريين، أو أكفأ و أقدر ، سواء فيما يتعلق بإدارة الملف البريطاني أو إدارة الملف العربي من خلال الجامعة العربية أو في التعامل مع الميراث العثماني.

القطيعة السيكلوجية مع العراق

وبهذا التريبص والتوجس الذي غدته الولايات المتحدة الأمريكية عند المصريين أصبح هناك ما يشبه القطيعة السيكلوجية مع العراق، كما أصبحت هناك ضغينة لا تصل الى حد القطيعة مع الأردن بعد أن تحدث الملك عبد الله صراحة عن ضيقه مما وصفه بأنه افتراء من الإعلام المصري وكان يسمى هذا الإعلام بالاسم القديم الذي هو ربما أصدق تعبيراً "الدعاية المصرية" ، ومن الجدير بالذكر أن صحفيين مصريين عديدين سمعوا من الملك عبدالله شكواه من دون اكثرات .

علاقة النظام السعودي بالأمريكيين

وأما فيما يتعلق بالنظام السعودي فقد كانت هناك حساسية شديدة تجاه ما وجده السعوديون واضحا من ميل سوري عميق الى التنسيق مع العراق وهو الرأي الذي كان مسيطرا بوضوح على عقليات و وجدان أكثر من ٩٠٪ من النخبة السورية التي كانت تميل وتتوق إلى التعاون والتنسيق والاتحاد مع العراق والأردن بأكثر بكثير جداً من مجرد القبول بأي دور يتمثل في محور سوري سعودي من أي نوع في ظل تباين البيئتين السياسية والثقافية، هذا فضلا بالطبع عن الاقتناع السعودي غير المعلن بالتوجهات الأمريكية الخفية من خلال العلاقات الوثيقة التي لم تكن معروفة بالقدر الكافي عن التعاون المخابراتي السعودي الأمريكي.

كيف استقبل الساسة انقلاب حسني الزعيم

وبهذا جاء حسني الزعيم مخيبا لآمال الساسة السوريين المتصلين بالعراق والأردن، بل ومعاديا لهم، حتى أنه بكل وضوح وصراحة تعامل معهم بأقصى قدر من القسوة بينما تعاون مع شخصيات تكنوقراطية مثل محسن البرازي الذي أعدم فيما بعد مع حسني الزعيم عند قيام سامي الحناوي بانقلابه الذي هو الانقلاب الثاني والذي هو انقلاب انجليزي بشر به نوري السعيد قبل وقوعه بأسبوع وتحققت بشارة نوري السعيد على نحو ما وصفها بكل دقة. وقد كان محسن البرازي كما كان حسني الزعيم نفسه مقربين ممن هم أكثر صلة بالسعوديين وذلك من قبيل شكري القوتلي الذي كان تعريفه المهموس به أنه سعودي الهوى .

ولأن العالم كله يعرف أن الأمريكيين يعرفون أنهم معروفون بأنهم لا يطيقون صبراً مهما تظاهروا بالصبر والتجاهل وإنكار الدور ، فإنهم سرعان ما قاموا بانقلاب أمريكي على الانقلاب الإنجليزي ، وهو ما يعرف بالانقلاب الثالث الذي هو انقلاب أديب الشيشكلي الأول، ولاحظ أننا نقول (الأول) لأن أديب الشيشكلي قام بانقلابين أولهما هو ثالث الانقلابات العسكرية وثانيهما هو الانقلاب الرابع.. والفارق بين الانقلابين كبير جداً في صورته و نهاياته .

كيف برر الشيشكلي انقلابه الأول

برّر العقيد أديب الشيشكلي انقلابه الأول ببيان أذاعته إذاعة دمشق في ١٩ ديسمبر ١٩٤٩ وقال فيه إنه ثبت أن رئيس الأركان الرئيس سامي الحناوي وعديله السيد أسعد طلس يتآمران على النظام الجمهوري وأنهما لم يستمعا لنصحه.

تولييه رئاسة الأركان العامة

وبهذا الانقلاب الأول تمكن اديب الشيشكلي من ان يرأس الأركان العامة وأن يخلق سلطة مزدوجة موازية لسلطة الرئيس هاشم الأتاسي، وقد كان العقيد أديب الشيشكلي رئيسا لما سُمي مجلس العقداء ثم حل هذا المجلس وكوّن المجلس العسكري الأعلى. و قبل أن يمضي عامان

على انقلاب العقيد أديب الشيشكلي الأول في ديسمبر ١٩٤٩ كان هو نفسه يقوم بانقلابه الثاني في ٢٨ نوفمبر ١٩٥١ .

تبرير انقلاب الشيشكلي الثاني

تمثل انقلاب أديب الشيشكلي الثاني في عمل انقلابي غير مسبوق في مكشوفيته ، حيث اعتقل الدكتور معروف الدواليبي رئيس الوزراء وزجّ به في السجن مع معظم الوزراء ، وهنا انتبه رئيس الجمهورية الرئيس هاشم الأتاسي إلى أنه هو المقصود بالإزاحة بهذا الانقلاب الجديد فتقدّم باستقالته في ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ و مرة أخرى لم يتقدم العقيد أديب الشيشكلي مباشرة ليحل محل الرئيس هاشم الأتاسي لكنه أحل الرئيس فوزي سلو محله. وإن كان قد أعلن نفسه متوليا رئاسة الدولة باعتباره رئيس الأركان العامة ورئيس المجلس العسكري الأعلى وذلك ليوم واحد ، وفي اليوم التالي أسندت رئاسة الجمهورية للرئيس فوزي السلو ١٩٥٥-١٩٧٢ الذي ظل يشغلها حتى رأى العقيد أديب الشيشكلي أن يتولى الرئاسة بنفسه فتولاها بعد استفتاء في ١٠ يوليو ١٩٥٢ قبل حركة الجيش في مصر بأسبوعين.

تخويف عبد الناصر برأس الذئب الطائر

انتهى عهد انقلاب الشيشكلي الثاني في ١٩٥٤ في الوقت الذي كان من الممكن للانقلاب العسكري المصري الذي بدأ في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن ينتهي هو الآخر لو أنه خالف التوجيهات الأمريكية على نحو ما خالفها أديب الشيشكلي فاستحق أن تتخلى أمريكا عنه وأن تعود الديمقراطية إلى سوريا في الوقت الذي فقدت فيه مصر مظهر التعددية الديمقراطية ولمدة طويلة ١٩٥٤-١٩٧٦ وذلك عندما قام الرئيس جمال عبد الناصر بانقلاب ابريل ١٩٥٤ الذي حسم الأمور، وانتهى ما ترتب على يوليو ١٩٥٢ ومارس ١٩٥٤ وكرّر ما حدث في فبراير ١٩٥٤ حين استولى عبد الناصر للمرة الأولى على رئاسة الوزارة والحكم وأبعد محمد نجيب .

وبهذا يمكن لنا أن نفهم الصورة الأكمل مما حدث في مصر في تدرج مراحل النمو و التطوير في الانقلابات الداخلية التي تم دمج تاريخها على الرغم من التمايز الجوهري بين المراحل:

حركة برئاسة اللواء محمد نجيب ومعه جمال عبد الناصر	يوليو ١٩٥٢
عبد الناصر يُبعد محمد نجيب في حركة انقلابية مفاجئة	فبراير ١٩٥٤
بناء على تحرك الجماهير السودانية والمصرية يعود محمد نجيب	مارس ١٩٥٤
عبد الناصر يُبعد محمد نجيب جزئياً.	أبريل ١٩٥٤
عبد الناصر يسجن محمد نجيب ويُبعده عن الصورة نهائياً	نوفمبر ١٩٥٤

أما الشيشكلي فإنه بسبب اعتداله في الطغيان إذا ما قورن بالأستاذ العميد (الذي ولد بعده بتسع سنوات) توقف به حظه عند الخطوة الثالثة فلم يتحقق بالخطوة الرابعة ولا الخطوة الخامسة.

عادت الديمقراطية الى سوريا حتى لا تعود الى مصر

عادت الديمقراطية لسوريا في ١٩٥٤ في ذلك الوقت نفسه الذي فقدتها مصر ، وربما في اليوم نفسه ، وقد عادت الديمقراطية الى سوريا لا لتستمر و إنما لتؤدي وظيفتها في تخويف الرئيس عبد الناصر وصحبه و ليس حبا في سوريا أو الاتاسي او القوتلي وصحبهم ، إذ لم يكن أمر سوريا مهما للولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة القصوى من الأهمية التي تمثلها الأوضاع المصرية ، وقد تبلور الموقف فأصبح مصير الشيشكلي متجسدا و ماثلا أمام أعين الرئيس جمال عبد الناصر يدلّه بوضوح على أن أيّ تراجع عن الطغيان ولو بخطوة واحدة سيقوده إلى فقدان كل شيء ، و سيكون أهون ما يتوقعه هو الهرب ، والهجرة ، والمطاردة، والتشويه أو ما هو أكثر (مثل من سبقوه) وأصبح هذا السيناريو الذي لم يكن سرا بمثابة الدافع الحقيقي لكل الخطوات الديكتاتورية التي ظل الرئيس عبد الناصر يمارسها باستهجان بينما هو يمارس الإخلاص لنفسه ، ومن دون أن تكون لخطوات الطغيان المتوحش مبررات ظاهرة أمام أعين المراقبين الذين يحللون النصوص وحدها من دون أن يحلّوا ما كان موجودا ومتجسدا في ذهن الرئيس عبد الناصر من إشارات المرور والتحذير.

استفادة عبد الناصر من تجربة الشيشكلي

ولعلي أكرر هنا ما كنت قد ذكرته في حديثي عن أداء العقيد الشيشكلي كان بمثابة المصباح المنير الذي استهدت به المرحلة الأولى(وما تلاها) من مسيرة الرئيس جمال عبد الناصر مع السلطة ، حتى إن الرئيس محمد نجيب نفسه شبه الوضع الذي أراد الرئيس عبد الناصر و زملاؤه الشبان تحجيمه فيه في فترة من الفترات بقوله إنهم يريدون أن يجعلوه نسخة مصرية من الرئيس محمد فوزي سلو .

تفوق الرئيس عبد الناصر

لهذا فقد ظل الرئيس عبد الناصر حريصا على ألا يستلم السلطة مباشرة وألا يكون رئيسا للجمهورية إلا بعد أن يُصقّي السياسيين ويتخلص منهم بالتدرّج والتوريث والإذلال ، وقد فعل هذا بمهارة بالغة بندر وجودها ، ومن إحقاق الحق أن نقول إن الرئيس جمال عبد الناصر تفوق على الرئيس الشيشكلي في هذه الجزئية الانقلابية، ثم تفوق عليه بعد ذلك في كل شيء سلطوي مكنه من الاستمرار ، وظل متفوقا عليه إلى أن توفي في ١٩٧٠ فجاء الرئيس حافظ الأسد فرفع الراية و تفوق على الرئيس عبد الناصر بمراحل ساحقة و ماحقة أيضا .

الفصل الثاني

المصفوفة الكفيلة بفهم تاريخ السلطة في سوريا منذ الانفصال

يكاد المثقفون المعاصرون يجمعون على أن قراءة قصة حياة سوريا الحبيبة منذ الانفصال وحتى الآن تتطلب بل تستلزم التسلح بكثير من معرفة التاريخ والأشخاص والتوجهات، وهو ما قد يكون صعباً حتى على أصحاب الذكاء المرتفع إذ أن الخيوط متشابكة والمواقف متشابهة والأحداث ملتبسة.

وقد طلب مني مفكران سياسيان جليلاً القدر أن أخص لهما و للقراء هذا التاريخ بطريقة تستعصي على التضليل المعتاد في التاريخ العربي المعاصر وتستعصي على التشويش الناشئ عن تغير المواقف و التوجهات والتحالفات، وبعد تفكير دام بلا مبالغة لأكثر من سنتين وشهور قلت لهما إننا نستطيع أن نسهل الأمر على القارئ إذا ما لجأنا إلى نموذج معرفي (ألجورزمي) هو بمثابة طريقة جبرية أو حسابية تقريبية تسهل للقارئ فهم التطورات التي تتابعت بعنف خلال عشر سنوات في سوريا، وما تركته هذه السنوات العشر من تراكمات و تراكبات ، وبالطبع فإن الطريقة العلمية المثلى لفهم مثل هذه العلاقات لا بد أن تلجأ إلى القياس على عامل مقارنة محدد (معياري) واضح و معرف، و أفضل معيار في هذه الحالة هو العلاقة بمن تم الانفصال عنه وهو الرئيس عبد الناصر و بالنظام الناصري الذي كان محور كل هذه الأزمات.

التأييد يسبق التحفظ

نعرف أنه فيما بين ١٩٥٦ و ١٩٥٨ بدأت ملامح الوحدة مع مصر تفرض نفسها، وكان هناك ضباط مؤيدون جداً لهذه الوحدة حتى إنهم جاءوا إلى مصر لحث الرئيس جمال عبد الناصر والقيادة المصرية على القبول الفوري بهذه الوحدة، كان هناك حجم كبير لهذا التأييد الذي كان بعضهم يمارسه ليبتعد بسوريا عن محور العراق أو المحور الهاشمي (العراق والأردن) الذي كان يصور على أنه محور بريطاني (بسبب رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد، والاسرتين الهاشميتين الحاكميتين)، وكانت الولايات المتحدة الامريكية تساعد المملكة العربية السعودية في هذا التوجه المعادي للهاشميين . ونعرف بالطبع أن الأجهزة الامريكية غدت الاعلام المصري في نعومة شديدة و بذكاء إجباري بكل ما كان الضباط المصريون في حاجة ماسة إليه من أي انتصار . كان هذا هو ما ضمنه لهم الأمريكيون بمساعدتهم على تصوير حرب ١٩٥٦ بمثابة نهاية للامبراطورية البريطانية وذلك من دون أية إشارة الى الحقيقة وهي الجزء الأهم في الجملة نفسها أي حلول الامريكان بقسوة وفجاجة محل البريطانيين وطردهم لهم شر طردة بهذه الطريقة الملتوية ، ولم يقف الأمر بالطبع عند هذا الحد فقد كانت معامل المخابرات الامريكية تخطط لانقلاب العراق وكان لا بد من ضمان عداء سوري للعراق ولو من باب الاحتواء المصري المؤقت لسوريا المائجة بالوطنية .

المعنى الواضح

وقد عبّر توجه العسكريين السوريين المؤيد للوحدة مع مصر عن نفسه بقدم ١٤ ضابطاً من القيادة العسكرية للقوات المسلحة السورية والتي تكونت من ٢٤ ضابطاً سورياً.. كان المعنى واضحاً بالطبع وهو أن ١٤ من أصل ٢٤ جاءوا بأنفسهم لا ليطلبوا الوحدة ولكن ليفرضوا الوحدة عاطفياً إن صح التعبير. يقتضينا هذا ونحن نقرأ التاريخ أن ندرك ما لم يذكر في حينه، أو ما تم إخفاؤه طوال السنوات الماضية وهو أنه كانت هناك قوى سياسية واجتماعية ضد فكرة الوحدة نذكر منها على سبيل المثال الشيوعيين بقيادة خالد بكداش ونذكر منها الرئيس السوري المنتخب الأول هاشم الأتاسي ١٨٧٥-١٩٦٠ وذلك في مقابل الرئيس شكري القوتلي ١٨٩١-١٩٦٧ الذي كان رئيساً لسوريا في ذلك الوقت وانحنى للموجة بل رحب بها وقبل بالوحدة والتنازل عن الرئاسة والسير في ركاب الرئيس جمال عبد الناصر..

الفارق بين الرئيس الأتاسي والرئيس القوتلي

ومن الجدير بالذكر هنا أن نذكر وبدون تأخير المفارقة الموحية في أن الرئيس جمال عبد الناصر سار بنفسه في جنازة الرئيس هاشم الأتاسي في دمشق في ١٩٦٠، بينما أصبح الرئيس شكري القوتلي على قائمة أعدى أعداء الرئيس جمال عبد الناصر حتى مات في ١٩٦٧ بحسرة هزيمة ١٩٦٧ التي اعتبر نفسه أحد المسؤولين عن مقدماتها حين قبل بديكتاتورية الرئيس عبد الناصر وسار في ركابه.

بمثل هذا الفارق بين المصير (أو التقييم) الناصري للرئيس هاشم الأتاسي والمصير (أو التقييم) الناصري للرئيس شكري القوتلي فقد سارت الأمور مع العسكريين السوريين الذين قدر لهم أن يتعاملوا مع نظام الرئيس جمال عبد الناصر، فإذا بمجريات السياسة ويعون مكثف و متكرر ومستمر من الرئيس عبد الناصر نفسه تفرض على مصر أن تشجع وتجاهل من يتحفظون على سياستها بل و من يكرهونها، وأن تعادي من يحبونها ، و كان طبيعياً أن يتصاعد هذا العداء فتسير الأمور متدرجة في التصاعد في عداء الرئيس عبد الناصر، في خمس مراحل يمكن تلخيصها بطريقة جبرية أو حسابية في خمسة سطور على النحو التالي :

- أن يحل من يكره الرئيس عبد الناصر بنسبة ٥٥٪ محل من يغلب عليه حبه
- أن يحل من يكره الرئيس عبد الناصر بنسبة ٦٥٪ محل من يكرهه بنسبة ٥٥٪
- ثم يحل من يكره الرئيس عبد الناصر بنسبة ٧٥٪ محل من يكرهه بنسبة ٦٥٪
- ثم يحل من يكره الرئيس عبد الناصر بنسبة ٨٥٪ محل من يكرهه بنسبة ٧٥٪
- ثم يحل من يكره الرئيس عبد الناصر بنسبة ٩٥٪ محل من يكرهه بنسبة ٨٥٪.

هذا باختصار هو جوهر القصة السياسية السورية ما بين ١٩٥٨ و ١٩٧٠، الذي لا يمكن فهم تاريخ الرئيس لؤي الأتاسي أو الرئيس أمين الحافظ أو الرئيس حافظ الأسد (ولا غيرهم من القادة العسكريين السوريين) إلا من خلاله وبالتفصيل .

المرحلة الأولى ما بين سبتمبر ١٩٦١ ومارس ١٩٦٣ حيث بقي الارتباط العاطفي

في هذه المرحلة ما بين سبتمبر ١٩٦١ ومارس ١٩٦٣ بقي الارتباط العاطفي بعد الانقلاب في الفترة "الملاصقة" مباشرة التي أعقبت مرحلة الوحدة (١٩٥٨ - ١٩٦١) لكن جذور الانفصال كانت بدأت تشتد وتترسخ في اثناء الوحدة إذ أن المشير عبد الحكيم عامر كان قد تكفل بأن يضحى بأَنْصار الرئيس عبد الناصر في الجيش السوري من دون ان يدرك ما يعنيه هذا من انتصار تلقائي لمصلحة المتحفظين على الرئيس عبد الناصر وعلى مصر سواء كان تحفظهم إيجابيا (بالمعارضة عند اللزوم أو عندما تكون المعارضة حاسمة) أو سلبيا (بعدم نصرته الرئيس عبد الناصر أمام أعدائه) وهكذا أصبح الجيش السوري في قيادته او على مستوى قمته يميل إلى ان تكون اموره والبت فيها في قبضة من هم كارهون للرئيس عبد الناصر بأكثر ممن هم موالون له، وكانت حكمة المشير عبد الحكيم عامر (ومعه بل و من قبله الرئيس جمال عبد الناصر والقادة العسكريون المصريون بالطبع) أن هؤلاء الحلفاء لن يطلبوا ثمن مخالفتهم فهم إذاً حلفاء مضمونون، وأن الأولى أن تذهب المزاي لمن هم ليسوا بحلفاء كي نقرّبهم، او نؤلف قلوبهم ، وهكذا تم السير خطوة بعد أخرى في درب مؤسف من تدليل الأعداء، وإبعاد الأصدقاء..

العداء أكثر فائدة من الإخلاص

ومضت الأمور في هذا الخط في تصاعد مستمر حتى أصبح السوريون الذين يتحسسون أقدامهم يعرفون أن مصلحتهم عند الرئيس عبد الناصر تكمن في عدائه لا في الإخلاص له، وهكذا ظل الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر يخسفاً الأرض بمن يحبونهم حتى لو ظل هؤلاء المحبون مخلصين، وفيما بعد فقد صار بعضهم ضحايا لهذا الحب ومن هؤلاء وزراء وقادة عاشوا بعد ذلك في مصر على هيئة مواطنين أو لاجئين سوريين ولم يقدر لهم العودة إلى وطنهم سوريا. حدثت النقطة المفصلية ، وتجلت في استدعاء عبد الحميد السراج نائب الرئيس عبد الناصر للقاهرة ، وكان هذه الخطوة كانت إفساحاً للطريق لانقلاب النحلاوي الذي انفصمت به عرى الوحدة والذي لا تزال الأدبيات المصرية تلقي عليه بالمسؤولية عن كل الكوارث التالية، ومن العجيب أن قادة انقلاب ١٩٦١ كانوا يكرهون الرئيس عبد الناصر بنسبة ٥٥٪ فقط على حين كان قادة كل الانقلابات السورية التالية يكرهون الرئيس عبد الناصر بنسب أكبر، وقد كان من الممكن حتى بعد وقوع الانقلاب، وبعد إعلان الانفصال أن يتم إصلاح الوضع وعودة الوحدة بتنازلات صادقة من الرئيس عبد الناصر لكن الرئيس جمال عبد الناصر بطابعه العنيد فضل أن يعادي مجموعة النحلاوي على الرغم من أن النحلاوي نفسه لم يتول الرئاسة ولا القيادة، وإنما قبلها سياسي صديق للناصرية أو ناصري ، بينما رفض الزعماء المرتبطون بالإخوان المسلمين أن يتعاونوا مع الانفصال على الرغم من عداء الرئيس جمال عبد الناصر لهم وصدروا في ذلك الوقت عن عقيدة وطنية صادقة حسبها لهم ولا يزال يحسبها لهم كل الودويين.

المرحلة الثانية ما بين مارس ١٩٦٣ و يوليو ١٩٦٣

طوال المرحلة الأولى كانت الأجهزة المصرية بالطبع تخطط لانقلاب على انقلاب النحلاوي وبالطبع فقد كان من الوارد لأي سوري أن ينجح في الانقلاب على انقلاب النحلاوي سواء بمساعدة الرئيس عبد الناصر أو بغير مساعدته، لكن المصريين أو الناصريين بالطبع اعتقدوا عقيدتين خاطئتين أولاهما أن نفي النفي اثبات أي أن الانقلاب على انقلاب سبتمبر ١٩٦١ لا بد أن يكون مواليا للناصرية وللوحدة، والثانية أن الانقلاب سيكون مدينا بنجاحه لهم.. وكانت هاتان الخطيئتان العقليتان أو الخطيئتان المنطقيتان هما مصدر كل ما حاق بالناصرية من هزائم وشورور بعد ذلك، فقد وقع انقلاب ٨ مارس ١٩٦٣ وتشكل بفضل هذا الانقلاب مجلس عسكري بقيادة الرئيس لؤي الاتاسي، وهلل المصريون الناصريون لهم لكنهم سرعان ما اكتشفوا أن عداء مجموعة ٨ مارس ١٩٦٣ لهم يفوق عداء مجموعة سبتمبر ١٩٦١ وبطريقتنا في تقريب الأمور بالنسب الحسابية فإن مصر ناصرت من يكرهون الناصرية بنسبة ٦٥٪ (أي لؤي الاتاسي والمجموعة التي انتخبته رئيسا ومنها أمين الحافظ) على من كانوا يكرهون الناصرية بنسبة ٥٥٪ (وهم مجموعة عبد الكريم النحلاوي).. وفيما بعد عقود فقد كان هناك كثير من السوريين الوجدانيين يلخصون الموقف بالقول بأن انقلاب سبتمبر ١٩٦١ كان يستهدف إصلاح الوحدة (أي أنه كان وحدويا) على حين أن انقلاب مارس ١٩٦٣ كان انفصاليا يستهدف القضاء على ما تبقى منها، من مشاعر ونوايا وأمنيات، أي أنه يمثل الانقلاب الانفصالي الحقيقي. وفيما بعد، وتبعاً لحقائق التاريخ، فقد ثبت أن في هذا القول كثيرا من الحقيقة. ومن الجدير بالذكر أن الرئيس أمين الحافظ لم يكن من المشاركين المباشرين في تنفيذ انقلاب ٨ مارس ١٩٦٣ لكنه عقب الانقلاب أصبح في مكانة متقدمة جدا، عضوا في المجلس الرئاسي برئاسة لؤي الاتاسي ووزيراً للداخلية.

ومن النقاط الخلفية في كتابة التاريخ بأثر رجعي ما يثور حول علاقة الناصريين بالانتقال من ٨ مارس ١٩٦٣ إلى يوليو ١٩٦٣ ذلك أن بعض الكتابات تتصور أن جاسم علوان هو الذي نجح في الإطاحة بلؤي الاتاسي وأتى بأمين الحافظ وإن لم يكن هذا هو مقصده بل كان هذا هو عكس هدفه، لكن الحقيقة تبقى في أن الذي نال الانتصار هو الرئيس أمين الحافظ وليس جاسم علوان.

ويتعلق بهذا أيضا القول بأن لؤي الاتاسي كان ناصريا حين قام بانقلاب مارس ١٩٦٣ من أجل القضاء على الانفصال وأنه ظل ناصريا حتى قاده الممارسات النصرية الى النفور من الرئيس عبد الناصر ونظامه ومع احترامنا لهذا الرأي فإن الواقع يقول بكل وضوح إن النتيجة التي حدثت بعد مارس ١٩٦٣ كانت على نحو ما صورناها في المعادلات التي ذكرناها تتمثل في الابتعاد عن الناصرية لا الاقتراب منها. وفيما عدا ذلك فإن الأحداث التاريخية لا يمكن تفسيرها بالتقارير الناصرية أو التي كانت تبتغي الرضا الناصري. أو التي تحقق الخداع الناصري للجماهير بما يخالف الحقيقة المتكرسة أو القائمة على أرض الواقع.

المرحلة الثالثة ما بين يوليو ١٩٦٣ وفبراير ١٩٦٦

تشكلت هذه المرحلة ما بين يوليو ١٩٦٣ وفبراير ١٩٦٦ في ظل الحيوية الناصرية المفعمة بالرغبة في الانتقام ، إذ كان لا بد (في تفكيرهم) من انقلاب جديد على انقلاب مارس ١٩٦٣ يصحح الوضع ليضبط البوصلة في الاتجاه الناصري، ومن الجدير بالذكر أن هذا حدث بالفعل لكنه فشل، وكان هذا الانقلاب الذي فشل على يد الضابط السوري جاسم علوان الذي قام بانقلابه الذي لم يكتمل في يوليو ١٩٦٣.. وهنا ظهر دور الرئيس أمين الحافظ الذي نجح تماما في اجهاض الانقلاب الناصري من خلال موقعه كوزير للداخلية، وبهذا فإن انقلاب يوليو ١٩٦٣ ثبت أركان انقلاب مارس ١٩٦٣ مع فارق مهم وهو أنه جاء بمن يكره الناصرية علنا و بنسبة ٧٥٪ (وهو أمين الحافظ) ليحل محل من يكرهون الناصرية سرا و بنسبة ٦٥٪ (وهم مجموعة لؤي الأتاسي) الذين كانوا قد حلوا محل من يكرهون الناصرية بنسبة ٥٥٪ وهو مجموعة عبد الكريم النحلاوي. وقد كان لقدوم الرئيس أمين الحافظ إلى السلطة طابع متميز عن طابع كل من سبقوه، على نحو ما نرى في تصويرنا له ، وقد ظل الرئيس أمين الحافظ رئيساً لسوريا منذ ٢٧ يوليو ١٩٦٣ وحتى نجح انقلاب زميله صلاح جديد عليه في ٢٣ فبراير ١٩٦٦، وفي أثناء رئاسته جمع رئاسة الوزراء لبعض الوقت كما جمع قيادة القوات المسلحة.

المرحلة الرابعة

مع كل هذا العداء الذي تكرر وتأجج بين نظامي الرئيسين عبد الناصر و امين الحافظ ، فإن الانقلاب البعثي الذي قاده صلاح جديد في فبراير ١٩٦٦ كان أكثر عداء للرئيس عبد الناصر، فإذا كان الرئيس أمين الحافظ يكره الناصرية بنسبة ٧٥٪ فقد كان صلاح جديد يكرهها بنسبة ٨٥٪، وبالطبع فإن صلاح جديد كان يكره الرئيس أمين الحافظ والمجموعات الانقلابية السابقة الأخرى. وبهذا الانقلاب فإن الرئيس أمين الحافظ نفسه ألقى القبض عليه (في بداية انقلاب صلاح جديد في ٢٣ فبراير ١٩٦٦) وسجن لكنه في ظل مؤامات سورية أطلق سراحه ونفي إلى لبنان، فلما تمكن حزب البعث في العراق من الوصول إلى السلطة في انقلاب ١٧ يوليو ١٩٦٨ كان من الطبيعي أن ينتقل الرئيس أمين الحافظ إلى العراق ليعيش مع أصدقائه البعثيين العراقيين الذين كانوا معادين للبعثيين السوريين من قبيل صلاح جديد و حافظ الأسد .

المرحلة الخامسة والاخيرة

فيما بعد سنوات معدودة ومع وفاة الرئيس عبد الناصر نفسه فقد انقلب حافظ الأسد على صلاح جديد، وكان نظام الرفيق حافظ الأسد قائد الحركة التصحيحية التي واكبت الوفاة المفاجئة للرئيس الرئيس عبد الناصر (من قبل أن يصبح رئيسا للدولة) يكره الناصرية بنسبة ٩٥٪ مقارنة بتجربة صلاح جديد التي لم تكن تكره الناصرية بأكثر من ٨٥٪ ومع هذا فقد كانت الخمسة عشرة في المائة تسمح (وقد سمحت) بالتحالف بين الرئيسين عبد الناصر وصلاح جديد من أجل تلقي أكبر وأفدح هزيمة في تاريخ العرب .

الباب الثاني : الساسة السوريون

الفصل الثالث : أحمد نامي الرئيس السوري زوج ابنة السلطان عبد الحميد

نبدأ بالإشارة إلى أن الرئيس أحمد نامي كان رئيسا للدولة السورية في عهد الانتداب الفرنسي لا في عهد الدولة العثمانية، وهو ثاني رئيس للدولة السورية في ذلك العهد فلم تكن سوريا العظيمة قد سُميت باسم الجمهورية السورية وإنما كانت تُسمى دولة منذ فرض الانتداب الفرنسي نفسه بالقوة عليها مُزيلا للمملكة السورية من الوجود (١٩١٨ - ١٩٢٠) بقوة السلاح وغطرسته.

الاختيارات الأربعة للفرنسيين

كان الرئيس أحمد نامي واحدا من الاختيارات الأربعة للفرنسيين ، أما الثلاثة الآخرون فهم الرؤساء تاج الدين الحسني وصبحي بركات وعطا الأيوبي ، وقد تولى هؤلاء الأربعة رئاسة دولة سوريا بصيغ مختلفة بعد زوال المملكة السورية وطرد الملك فيصل الأول ، وقبل أن يتولاها أول رئيس منتخب وهو الرئيس هاشم الأتاسي الملقب : أبو الجمهورية .

تولى الرئيس أحمد نامي الرئاسة واحدا وعشرين شهرا ونصف من ٢ مايو ١٩٢٦ وحتى ١٥ فبراير ١٩٢٨ . وكان حين تولى هذا المنصب في الثامنة والأربعين من عمره فقد ولد عام ١٨٧٨ ، وقُدّر له في هذه الفترة أن يشهد كثيرا من التحولات وأن يُحاول التأثير فيها، وقد شكّل في أثناء تولّيه رئاسة الدولة والوزارة معا ثلاث وزارات متتالية.

الشركسي الوحيد بين رؤساء سوريا

من ناحية أخرى فإن الرئيس أحمد نامي يُعدّ بمثابة الشركسي الوحيد الذي تولّى رئاسة سوريا لكنه مع ذلك كانت له أربعة جوانب مُتكاملة ، أولها أنه عثماني الهوى والنسب فقد تزوج من الأميرة عائشة سلطان ابنة السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان خليفة للمسلمين (١٨٧٦ - ١٩٠٩) ، وثانيها أنه كان صديقا للفرنسيين وكانت صداقته هذه سببا رئيسيا في اختياره رئيسا للدولة السورية أثناء الاحتلال الفرنسي لسوريا الذي استمر من ١٩٢٠ وحتى ١٩٤٦ مع اختلاف مُسمّيات الاحتلال ومساحات الحكم الذاتي للسوريين. ثالثها أنه كان مؤسسا للحزب الإسلامي الديمقراطي وهو حزب سوري لم يعش طويلا، رابعها أنه كان رئيسا للمحافل الماسونية في سوريا ولبنان منذ ١٩٢٣ وحتى ١٩٣٠ وفي ذلك الوقت كانت الماسونية نشاطا علنيا ولم تكن محظورة ولا ممنوعة ولا مشككا في أهدافها.

أصوله ونشأته

ترجع أصول الرئيس أحمد نامي إلى القوقاز، وقد استقرت عائلته في سوريا في أواخر القرن الثامن عشر، وكان والده فخري بك رئيساً لبلدية بيروت وكانت له فيها إنجازات معمارية باقية القيمة منها الحديقة الحميدية، وساحة البرج، وخان فخري بك.

وفي بيروت وُلد أحمد نامي، ودرس فيها ثم في إسطنبول حيث تخرّج ضابطاً في الكلية الحربية، وعمل ضابطاً لكنّه تحوّل إلى العمل الإداري في إدارة الديون ثم أصبح أمين سر ولاية بيروت ثم أميناً عاماً لولاية أزمير وكان صديقه كامل باشا صدراً أعظم، وهو الذي رشّحه للزواج من ابنة السلطان، فلما اندلعت الحرب العالمية الأولى انتقل للإقامة في سويسرا ومع نهاية الحرب انتقل إلى باريس، وعن طريق صديقه جو فنيل المفوض الفرنسي تم اختياره رئيساً للدولة السورية.

مؤرخه هو الوزير يوسف الحكيم

يعود الفضل في تسجيل تاريخ الرئيس أحمد نامي إلى واحد من وزرائه هو الوزير يوسف الحكيم (المولود في ١٨٧٩ أي في العام التالي لمولد الرئيس نامي) و الذي كان وزيراً للعدل في وزارته الثلاث، كما كان قبل ذلك وزيراً للشئون النافعة في عهد صبحي بركات، وهو قاض مسيحي ومؤرخ عربي وصل إلى رئاسة محكمة التمييز السورية، و ترك كتباً تاريخية مهمة "سوريا والعهد العثماني" "سوريا والعهد الفيصلي" "بيروت ولبنان وعهد آل عثمان" "سوريا والانتداب الفرنسي" و "سوريا وعهد الاستقلال" وقد نشرتها دار النهار تحت اسم "سلسلة الذكريات".

برنامج وزاري

نجح الرئيس أحمد نامي في أن يُشكّل وزارة متّزنة كان نصفها الأول من الزعماء المؤيدين بالرأي العام السوري، و الذين كونوا حزب الكتلة، وكان نصفها الثاني ممن كانت فرنسا تعتبرهم من المعتدلين وقد ساعده في هذا التشكيل سعد الله الجابري وحسني البرازي، وكان الرئيس أحمد نامي من الذكاء السياسي والتمكن من أفق رجل الدولة المقتدر، بحيث لخصّ برنامج وزارته في عشر نقاط تضمنت: الدعوة للانتخابات لوضع الدستور، وتحويل الانتداب إلى معاهدة مدّتها ٣٠ عاماً كما هو الحال بين بريطانيا والعراق، وضم سوريا لعصبة الأمم، وتكوين جيش وطني، وتمثيل سياسي خارجي، وإصلاح النظامين القضائي والنقدي وإصدار عفو عام عن الثوار، وتعويض منكوبي الثورة.

نجاحه في إقناع الفرنسيين بإقالة مدير الأمن العام

و قد تمكّن الرئيس أحمد نامي من إقالة الجنرال بيجان مدير الأمن العام الفرنسي فنزع فتيل الأزمة الأمنية.

كانت إسكندرون سورية في عهده

وتمكن الرئيس أحمد نامي من إتمام زيارات ميدانية بنفسه كرئيس للدولة السورية إلى إقليم إسكندرون (انطاكية، إسكندرون) وحلب وحماه وحمص وقد نجح في ذلك الوقت في الاتفاق على أن يكون لواء إسكندرون ضمن الدولة السورية ، وإن كان قد أصبح ضمن تركيا في ١٩٣٩ وبذلك فقدت سوريا أهم ما كان الرئيس أحمد نامي قد أنجزه في تكوين الدولة السورية وهو تبعية لواء إسكندرون لسوريا، ومن الحق أن نُشير إلى أن هذا الإقليم يضمّ تركيا وعربا وأكرادا كذلك. وليس من شك في أن الرئيس أحمد نامي استقبل استقبالاً حافلاً وحماسياً في مدن إسكندرون حين زارها ، كما أنه ليس من شك أيضاً في أنه كان بإمكان الرئيس التركي أن يحصل أيضاً على استقبال حافل وحماسي ، فقد كانت الشعوب تواقّة في المقام الأول إلى تقرير مصيرها و البعد عن الوقوع في براثن الفرنسيين .

وعلى النقيض من موقف فرنسا من تبعية لواء إسكندرون للدولة السورية في عهد الرئيس أحمد نامي كان موقف فرنسا من دويلة جبل العلويين التي حاول الرئيس أحمد نامي إعادتها لوضعها الطبيعي جزءاً من الدولة السورية على حين تذرّع المندوب الفرنسي شفلر بضرورة إنهاء ثورة الشيخ صالح العلي في جبل اللاذقية أولاً وقد فسر العرب الأذكياء سلوكه برغبته في ألا يفقد مزايًا مناصبه كحاكم عسكري.

قتل الأمير الجزائري وإخماد للثورة السورية

في ١٠ أغسطس ١٩٢٧ وفي أثناء عهده نجحت فرنسا في قتل الأمير عز الدين الجزائري فاعتبر هذا بمثابة إخماد للثورة السورية التي اندلعت منذ ١٩٢٥، وقد قيل إن الجنود الفرنسيين الذين اشتركوا في إخماد هذه الثورة بلغوا أكثر من مائة ألف جندي.

كيف ترك الرئيس أحمد نامي الرئاسة وهو الذي كان على وفاق مع الفرنسيين؟

الحقيقة أن الرئيس أحمد نامي لم يكن قادراً بحكم وطنيته على أن يتقبّل من الفرنسيين مُماطلتهم في تلبية طموحات الشعب السوري في دولته المُستقلة وهو ما ظهر عندما كان يطلب سرعة إجراء الانتخابات إذ كانت فرنسا تطلب المهلة خوفاً من أن يفوز تيار الأغلبية الذي تُمثّله قيادات الكتلة الوطنية وهكذا كانت المفاوضات والاتفاقات تتوقّف عند نقطة واضحة.

الشيخ الحسني يتقدم ونامي يتراجع

في ذلك الوقت كانت أسهم الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني تتقدّم خطوات إلى الأمام على ساحة السياسة السورية بفضل ثقة رجال الكتلة الوطنية في مقدّراته من ناحية ، وبفضل ما عُرف من صداقته لمدير المخابرات الفرنسية في دمشق الجنرال كوليه، وكانت حظوظ الرئيس أحمد نامي السياسية تتضاءل بعد أن أصبح إبراهيم هنانو و الرئيس هاشم الأتاسي وآل العظم جميعاً مُعارضين له.

وهكذا استقالت حكومة الرئيس أحمد نامي في ٢ فبراير ١٩٢٦ حين كان رئيسها نفسه في بيروت لتشجيع جنازة والدته، وقد تأجل إعلان استقالة الوزارة بعض الوقت فلما عاد رئيسها أعلنت الاستقالة احتجاجا على السلوك الفرنسي، وجاء الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني ليرأس الوزارة في أبريل ١٩٢٨ وليستمر حتى ١٩٣١ أي لأكثر من ثلاث سنوات ونصف.

محاولة تتويجه ملكا لسوريا

وفي تلك الأثناء كان المفوض الفرنسي بونسو يُصارع الرئيس أحمد نامي فيما رواه الوزير يوسف الحكيم بأنه يرغب في أن يتم استناد التاج الملكي السوري إليه، وأنه لهذا يطلب إليه (أو ينصحه) أن يظل على الحياد لكن الرئيس أحمد نامي كان وطنيا بما فيه الكفاية لأن يفقد مثل هذا التاج.

المرشحون للقب الملك السوري

من الجدير بالذكر أنه في تلك الفترة كان السعوديون يسعون بدأب من خلال قنوات كثيرة منها قناة صديقهم الرئيس شكري القوتلي إلى أن يكون التاج السوري من حظ أحد أبناء الملك عبد العزيز ليخلفوا الهاشميين أسوة بما فعلوه في الحجاز حين خلفوا الهاشميين على عرش مملكة الحجاز بضمها مع نجد.

ومن الجدير بالذكر أيضا أنه كانت هناك عند الفرنسيين والبريطانيين والحلفاء توجهات أخرى من قبيل إسناد العرش إلى خديو مصر السابق الخديو عباس حلمي أو إلى الشريف علي حيدر أو غيره من الهاشميين.

دعوه لترشيح العابد رئيسا للجمهورية

وفي ديسمبر ١٩٣١ أصبح الرئيس أحمد نامي عضوا فيما يُسمى بالمجلس الاستشاري باعتباره رئيسا سابقا للدولة لكنه رفض أن يخوض الانتخابات النيابية التي أُجريت عام ١٩٣٢ كما أثر أن يكون داعما لترشيح محمد علي العابد لرئاسة الجمهورية.

قبل عرضا بالعودة للرئاسة في ١٩٤١

وقد ظل الرئيس أحمد نامي قريبا من دوائر صنع القرار في فرنسا وسوريا على حد سواء إلى حد أنه في عهد حكومة فيشي استدعاه الجنرال دانتز وكلفه رئاسة الدولة السورية في يناير ١٩٤١ فقبل لكن الرئيس خالد العظم الطموح إلى المنصب استطاع إجهاض هذا القرار مُستندا إلى أن الرئيس أحمد نامي يقضي أغلب وقته في بيروت منذ ترك الرئاسة. ومن عجائب الأقدار أن الرئيس خالد العظم نفسه لقي هذا الموقف اضطرارا في نهاية حياته أي أن يعيش في بيروت كل وقته.

تركيبة وزارته الثلاث

قد يكون من المفيد هنا أن نُطالع تشكيلة حكومات الرئيس أحمد نامي الثلاث، وقد كانت كل وزارة منها مكونة من ستة وزراء بالإضافة للرئيس نفسه، ففي الوزارة الأولى التي استمرت واحدا و أربعين يوما (٢ مايو ١٩٢٦ - ١٢ يونيو ١٩٢٦)

الرئيس حسني البرازي وزيراً للداخلية
الرئيس لطفي الحفار وزيراً للأشغال العامة
الرئيس فارس الخوري وزيراً للثقافة والمعارف
الوزير يوسف الحكيم وزيراً للعدل
الوزير شاكراً نعمت وزيراً للمالية
وائق مؤيد العظم وزيراً للزراعة والاقتصاد

القبض على نصف وزرائه وسجنهم

وهكذا فإن ثلاثة من الوزراء الستة وصلوا إلى رئاسة الوزراء ، ومن الطريف أن هؤلاء الثلاثة بالذات حسني البرازي ولطفي الحفار و الرئيس فارس الخوري اعتقلوا في أثناء عملهم وزراء ، اعتقلهم الفرنسيون بتهمة التحريض على الثورة وقد نفوا إلى محافظة الحسكة وبقوا فيها حتى ١٩٢٧ . وفي وزارته الثالثة التي عاشت أربعة أشهر وانتهى عهدها بوصول هنري بونسو المفوض الفرنسي الجديد كان هناك وزيران من عائلة واحدة هي عائلة العظم، وقد ضمت الوزارة وزيرين من الوزارة السابقة ، و أربعة وزراء جدد وصل أحدهم إلى رئاسة الوزراء فيما بعد

الرئيس نصوح البخاري للثقافة والمعارف
الوزير وائق مؤيد العظم للداخلية
الوزير يوسف الحكيم للعدل
الوزير شاكراً الحنبلي للزراعة
الوزير شكيب مير للأشغال العامة
الوزير عبد القادر العظم للمالية

وزارته الثالثة و الأطول عمراً

أما وزارته الثالثة في أكتوبر ١٩٢٦ و هي أطول وزارات عهده عُمرًا إذ استمرت عاماً ونصف حتى فبراير ١٩٢٨ حين استقال أعضاؤها قبل أن يستقيل رئيسها كما ذكرنا .

ضمت من وزرائه القدامى

الوزير يوسف الحكيم للعدل وهو منذ وزارته الأولى
الرئيس نصوح البخاري للاقتصاد وهو منذ وزارته الثانية (كان للمعارف)
الوزير شاكراً الحنبلي للثقافة والمعارف وهو منذ وزارته الثانية (كان للزراعة)

أما وزراؤه الجدد فهم

الوزير رؤوف الأيوبي للعدل
الوزير رشيد المدرس للزراعة والأشغال العامة
الوزير حمدي النصر للمالية

معاناته من الفرنسيين

كان الرئيس أحمد نامي رغم تعاونه مع الفرنسيين يُعاني من غطرتهم إلى الحد الذي بلغ مداه في اعتقال أعضاء نصف وزارته الأولى (لطفي الحفار و فارس الخوري وحسني البرازي) ونفيهم، وقد نجح نامي في نقل الوزراء المنفيين من منقاهم في الحسكة إلى لبنان.

مواجهته الحصيصة لتسلط الجنرال أليب

يروى أن الجنرال فرانسوا بيبير أليب (١٨٨٦ - ١٩٦٥) بعث إلى الرئيس أحمد نامي بمراسيم تشكيل وزارته جاهزة فوقعها الرئيس نامي تحت الضغط الفرنسي، ومع هذا فقد كان أحمد نامي رغم كل شيء قادرا على مقاومة الفرنسيين بصبر وحصافة لدرجة أنه خيّرهم بينه وبين فرانسوا أليب بسبب تحالفه مع واثق العظم ضده، ونجح في إقناع بونسو بإنهاء مهمة أليب في سوريا فاستدعي أليب إلى فرنسا بالفعل، وهكذا استطاع نامي أن يحكم عاما ونصف بوزارته الثالثة.

استقالة المفوض الفرنسي دي جوفيل

هكذا فإن الأمور حلت نفسها بطريقة أخرى عندما استقال المفوض الفرنسي دي جوفيل وخلفه هنري بونسو مفوضا فرنسيا جديدا في سوريا، وهو من أطلق يد الرئيس أحمد نامي في التخلص من الوزير واثق العظم واختيار الوزراء بنفسه وهكذا أحل الرئيس أحمد نامي رعوف الأيوبي محل واثق العظم، وانتهت الأزمة لصالح الرئيس أحمد نامي. وقد حاول الرئيس أحمد نامي أن يُسند تشكيل الوزارة إلى غيره مع احتفاظه برئاسة الدولة فاعتذر صديقه الوزير يوسف الحكيم بظروف شخصية، واعتذر الرئيس عطا الأيوبي بظروف صحية، واعتذر الرئيس هاشم الأتاسي بأن قبوله تشكيل الوزارة سيؤدي إلى انشقاق في حزب الكتلة وهكذا شكّل الرئيس نامي الوزارة بنفسه.

منافسة واثق العظم

روى الوزير يوسف الحكيم صديق الرئيس نامي ووزير العدل في وزارته الثلاث أن واثق العظم كان يرى نفسه أحقّ من نامي بالرئاسة لأنه عربي بينما نامي شركسي وبيروتية الإقامة.

اغتيال محافظ حمص فوزي المالكي

لم تخل فترة الرئيس أحمد نامي من الأحداث العنيفة، وعلى سبيل المثال فإنه بعد عودته من زيارة لواء إسكندرون وحمص اغتيل فوزي المالكي محافظ حمص، وظهر من التحقيق أن السبب هو اتهامه بالوقوف مع الانتداب وهي نفس التهمة التي كان الوطنيون يُوجهونها لأحمد نامي. وقد اكتُشف قاتل فوزي المالكي وهو خيرو أبو شهلا وكان أحد ثوار غوطة حمص، وقد حُكم عليه بالإعدام كما فرضت دية قدرها ثلاثة آلاف ليرة ذهبية عثمانية على أهل حمص تُدفع لورثة المحافظ.

وفاته

ظل الرئيس أحمد نامي بعيدا عن السياسة والرئاسة منذ ١٩٢٨ وحتى توفي في ١٩٦٣ ويشاء القدر أن يتوفى ويُدفن في مقابر العائلة في بيروت.

الفصل الرابع : أديب الشيشكلي العقيد السوري الذي رسم لمصر سيناريو تضييع أوطان العرب

إذا جاء ذكر الانقلابات العسكرية العربية عند من عاشوا حقبتها المزدهرة حين كانت الانقلابات لا تزال تتصارع (قبل أن تفرز الديكتاتور الأقسى الذي ينهيها لمصلحة عائلته) فإن أول اسم يأتي في الأذهان مرتبطاً بها هو اسم العقيد أديب الشيشكلي مع أنه لم يكن صاحب أول انقلاب عربي ولا حتى أول انقلاب سوري ، ذلك أن سلفه الأول الزعيم حسني الزعيم كان أستاذ الانقلابات العسكرية المباشرة أو التي من الطراز البسيط باعتباره قائد الجيش الذي ينقلب مباشرة على الرئيس الذي اختاره لمنصبه (مثل انقلاب ضياء الحق على ذو الفقار علي بوتو) لكنه لم يكن المثل الأعلى في ذهن الرئيس جمال عبد الناصر (وأمثال الرئيس جمال عبد الناصر فيما بعد) لسبب بسيط هو أنه سرعان ما اغتيل وأزح عن السلطة ولم يكن الرئيس جمال عبد الناصر راغباً بالطبع في ملاقاته مصيره أو اقتفاء أثره، ولهذا فإنه كان حريصاً على ألا يستغرق نفسه في الإنجاز الثوري و الإداري والاجتماعي مثل الزعيم حسني الزعيم فينشغل عن تأمين حياته و وجوده في السلطة، وهكذا كان قراره بتسليم الجيش لأقرب أصدقائه المشير عبد الحكيم عامر وإشراكه في كل شيء والاشتراك معه في كل شيء حتى لا يكون المشير عبد الحكيم هو الرئيس سامي الحناوي زعيم ثاني الانقلابات العسكرية السورية الذي انقلب على الزعيم حسني الزعيم في أغسطس ١٩٤٩ مستخدماً نفس الجيش الذي استخدمه الزعيم حسني الزعيم قبل أشهر معدودة في مارس ١٩٤٩ .

تأثيره في أداء الرئيس عبد الناصر

لا شك أن الدروس التي تُنتجها التأمّلات في طبيعة الاهتداء بالعقيد أديب الشيشكلي في التطوير السلطوي كقيلة بأن تفتح أعين أي باحث سياسي على حقيقة انعدام الأمل في أن يسلك العسكر أي طريقاً للديموقراطية. فقد كان هو قائد الانقلابين الثالث (ديسمبر ١٩٤٩) والرابع (نوفمبر ١٩٥١) وكان بمثابة المثل الأعلى والتمّاح أمام بصر الرئيس جمال عبد الناصر (ومن بعده) في أن يستولي على السلطة على مراحل ، وأن يتدرج بضرب القوى السياسية بعضها ببعض ، و أن يظهر غيره في المواجهة في بعض الفترات ، وحين يقدر لأي سياسي درس عهد ثورة ١٩٥٢ أن يقرأ تاريخ الانقلابات العسكرية العربية مع السلطة فإنه سيندهش من أن كل ما فعله الرئيس جمال عبد الناصر في السنوات الأولى من عهد ثورة يوليو ١٩٥٢ كان نقل مسطرة أو ما يُسمّى الآن بلغة الكمبيوتر "كوبي - باست" مما فعله العقيد أديب الشيشكلي طيلة خمسين شهراً هي فترة وجوده في الصدارة السورية منذ ديسمبر ١٩٤٩ وحتى ترك السلطة في فبراير ١٩٥٤ . والأعجب من هذا أنه لولا أن الرئيس عبد الناصر رأى ما حاق بالرئيس الشيشكلي حين استجاب للشعب لكان من الممكن لمصر أن تتخلص من محنة الديكتاتورية في ١٩٥٤ على نحو ما تخلّصت

سوريا منها ، و ما كان من الممكن لسيناريو العسكرة المستترة أن تتواصل على نحو ما تواصلت فضيحت أوطان العرب .

كان أداء العقيد أديب الشيشكلي إذاً هو المصباح المنير الذي استهدت به المرحلة الأولى (وما تلاها) من مسيرة الرئيس جمال عبد الناصر مع السلطة ، حتى إن الرئيس محمد نجيب نفسه شبه الوضع الذي أراد الرئيس عبد الناصر و زملاؤه الشبان تحجيمه فيه في فترة من الفترات بقوله إنهم يريدون أن يجعلوه مثل الرئيس محمد فوزي سلو ، وقد ظل الرئيس عبد الناصر حريصا على ألا يستلم السلطة مباشرة وألا يكون رئيسا للجمهورية إلا بعد أن يُصَفِّي السياسيين ويتخلص منهم بالتدريج والتوريط والإذلال ، وقد فعل هذا بمهارة بالغة يندر وجودها ، ومن إحقاق الحق أن نقول إن الرئيس جمال عبد الناصر تفوق على الرئيس الشيشكلي في هذه الجزئية الانقلابية ثم تفوق عليه بعد ذلك في كل شيء سلطوي مكنه من الاستمرار .

نشأته

ولد العقيد أديب الشيشكلي عام ١٩٠٩ في حماة التي عرفت من أبنائها السياسيين عائلتين : عائلة البرازي التي كان منها حسني البرازي رئيس الوزراء في عهد الرئيس تاج الدين الحسني ، و محسن البرازي رئيس الوزراء في عهد الرئيس حسني الزعيم، وعائلة أكرم الحوراني مؤسس الحزب الاشتراكي الذي صار نائبا للرئيس جمال عبد الناصر في دولة الوحدة. وقد كانت والدته العقيد أديب الشيشكلي من عائلة البرازي وهي عائلة ذات أصول كردية ، ويروى أنها كانت تنصحه وهو رئيس بالاستماع لخصومه بينما كان هو يعتقد أنهم لا يعطونه الفرصة.

دوره الوطني المبكر وحيش الإنقاذ

بدأت علاقة العقيد أديب الشيشكلي بأكرم الحوراني قوية ، لكنهما اختلفا حين فكر كلاهما في الرئاسة لنفسه وقد وصل الأمر بخلافهما إلى اقتتال بين العائلتين في حماة فقتل واصل الحوراني على يد غالب الشيشكلي وردت عائلة الحوراني بقتل القاتل.

كان العقيد أديب الشيشكلي في صباه يهرب من بيت أبيه ليشارك في الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ بل إنه انضم إلى ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق وقبض عليه في مخفر حدودي. تلقى العقيد أديب الشيشكلي تعليما مدنيا ثم تحول إلى المدرسة الحربية في دمشق فخرَّج فيها وتطوع في جيش الشرق الفرنسي ثم انتقل إلى الجيش السوري وشارك في معركة تحرير سوريا من الفرنسيين ١٩٤٥ ثم اشترك في جيش الإنقاذ الذي كونه فوزي القوافجي لخوض معركة فلسطين وكان هو قائد لواء اليرموك الثاني في ذلك الجيش ١٩٤٨.

اشترك العقيد أديب الشيشكلي في الانقلابين السوريين الأولين بقيادة الزعيم حسني الزعيم والرئيس سامي الحناوي لكنه تميَّز عنهما بعلاقته بالحزب القومي السوري الاجتماعي.

أجاد تقديم نفسه وطنيا مستقلا

كان العقيد أديب الشيشكلي يُجيد الخطابة وكان يتدرب على خطبه قبل أن يُلقبها وهكذا كان لمستوى أدائه احترام افتقده العسكريون الذين لا يُعنون بصورتهم حين يخطئون في اللغة كثيرا. و كان العقيد أديب الشيشكلي حريصا على أن يصور نفسه في الصحافة محافظا على استقلال سوريا من أن تتحد مع العراق فكانت النتيجة أنه مهّد للوحدة مع مصر ، كانت علاقته متوترة مع الفرنسيين والبريطانيين ومع العراق وحزب الشعب و الرئيس إميل البستاني ومشروع الهلال الخصيب .

أثر بطولاته في فلسطين

وليس هناك شك في أن العقيد أديب الشيشكلي لم يكن يلقى من ارتياح الإسرائيليين والأمريكيين ما كان يلقاه غيره ممن كان مستحوذا على رضاهم الصامت والخفي منذ اللحظة الأولى من دون إعلان ، والسبب في هذا أن العقيد الشيشكلي حين حارب في فلسطين كانت له بصماته في انتصارات ذات قيمة ، وقد حفظ له التاريخ انتصاره في معركة "ترشicha" و "نهاريا".

وليس سرا أن الكُتّاب العرب المتأثرين بالسياسات الغربية لا يُعجبهم (بالطبع ومن دون تصريح) من تاريخ العقيد أديب الشيشكلي مسارعه المبكرة للانضمام إلى جيش الإنقاذ العربي (الذي كان كفيلا بالقضاء على الفكرة وهي في المهد لو أن العرب أخذوا الحرب بالجدية المطلوبة) كما أنهم لا يُعجبهم بالطبع ما أشرنا إليه لتونا من أن العقيد أديب الشيشكلي انتصر في معركة "ترشicha" و "نهاريا"، وقد كانت السياسة الأمريكية توجه الكتاب المتأثرين برؤية الغرب إلى التقليل من شأن كل قائد عسكري أحرز انتصارات في فلسطين (مثل محمد نجيب وعبد الحكيم عامر) لمصلحة أي ضابط لم يحقق انتصارات في فلسطين أو وقع في الحصار الإسرائيلي وتفاهم مع القوات الإسرائيلية تحت مظلة الهدنة أو الصليب الأحمر (و نموذج هؤلاء معروف).

لم يستجب تماما للأمريكيين

يرجع حرص الموالين للغرب على التقليل من شأن الشيشكلي إلى أنه أعلن أيضا عن رفضه كثيرا من العروض الأمريكية لتقوية سلطته ومنها معونات النقطة الرابعة التي كانت تجد قبولا في كثير من البلاد النامية.

أما الكُتّاب المتأثرون برؤية اليسار للصراع السياسي في المنطقة العربية فإنهم يصنّفون أديب على أنه سعودي/ أمريكي ، ويبنون نقدهم له من هذا المنطلق الذي يصوره بعيدا عن البعثيين والقوميين العرب حتى على الرغم من استقلاليته أو ميله الواضح إلى القوميين السوريين . وفي تقييم الساسة السوريين (بطريقة اليساريين) فإن المعنى المقصود بلفظ الاستقلال أنه كان ضد علاقة سوريا القوية أو الوحودية مع العراق ، والمعنى المقصود بلفظ الاستقلال (على طريقة متطرفي اليساريين أو اليسار الأكثر تشددا) أنه كان مع علاقة سوريا بالسعودية ذلك أن السعودية هي التي كانت تحارب سرا و بدأب شديد أي تقوية للعرش الهاشمي في العراق أو في الأردن أو أي عودة لذلك العرش إلى سوريا.

كيف برر الشيشكلي انقلابيه

برر العقيد أديب الشيشكلي انقلابه الأول ببيان أذاعته إذاعة دمشق في ١٩ ديسمبر ١٩٤٩ وقال فيه إنه ثبت أن رئيس الأركان الرئيس سامي الحناوي وعديله السيد أسعد طلس يتآمران على النظام الجمهوري وأنهما لم يستمعا لُنصحه. وقد مكّنه هذا الانقلاب الأول من أن يرأس الأركان العامة وأن يخلق سلطة مزدوجة موازية لسلطة الرئيس هاشم الأتاسي، وقد كان العقيد أديب الشيشكلي رئيسا لما سُمي مجلس العقاء ثم حل هذا المجلس وكوّن المجلس العسكري الأعلى. وقبل أن يمضي عامان على انقلابه الأول في ديسمبر ١٩٤٩ كان هو نفسه يقوم بانقلابه الثاني في ٢٨ نوفمبر ١٩٥١ حيث اعتقل الدكتور معروف الدواليبي رئيس الوزراء وزجّ به في السجن مع معظم الوزراء ، وهنا انتبه رئيس الجمهورية الرئيس هاشم الأتاسي إلى أنه هو المقصود بالإزاحة بهذا الانقلاب الجديد فقتّم باستقالته في ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ و مرة أخرى لم يتقدم العقيد أديب الشيشكلي مباشرة ليحل محل الرئيس الأتاسي لكنه أحل الرئيس فوزي سلو محله ، وإن كان قد أعلن نفسه متوليا رئاسة الدولة باعتباره رئيس الأركان العامة ورئيس المجلس العسكري الأعلى وذلك ليوم واحد هو ٢ ديسمبر ١٩٥١ ، وفي اليوم التالي أسندت رئاسة الجمهورية للرئيس فوزي سلو ١٩٥٥-١٩٧٢ الذي ظل يشغلها حتى رأى العقيد أديب الشيشكلي أن يتولى الرئاسة بنفسه فتولاها بعد استفتاء شعبي في ١٠ يوليو ١٩٥٢ قبل ثورة مصر بأسبوعين.

دستور ١٩٥٠

فيما بين الانقلابين شهد عهد الشيشكلي دستورا جديدا في ٥ سبتمبر ١٩٥٠ ، و يذكر له أنه عند إعلان الاستفتاء على الدستور السوري أطلق الحريات وأعلن إلغاء جميع القيود الاستثنائية، ورفع الرقابة عن الصحف وأطلق سراح الموقوفين في السجون.. لكن هذا لم يشفع له ، وهو ما اتعظ به جمال الرئيس جمال عبد الناصر فلم يضع دستورا (إلا مؤقتا و بعد عامين في ١٩٥٦) ولا اتخذ إجراء من هذه الإجراءات بجديّة .

و لما قام العقيد أديب الشيشكلي بانقلابه الثاني في ديسمبر ١٩٥١ ألغى الدستور الذي كان قد وضع في عهده هو نفسه ، لكن السوريين أعادوا هذا الدستور في فبراير ١٩٥٤ مع عزل العقيد أديب الشيشكلي، ويقوا يعملون به حتى عهد الوحدة مع مصر. وقد مضى العقيد أديب الشيشكلي في طريق احتكار السلطة واحتكار العمل السياسي أيضا بخطوات واسعة من خلال آليات كإنشاء (حزب) حركة التحرير العربية التي أعجب بها الرئيس جمال عبد الناصر فقرر تقلّدها تقليدا كاملا بهيئة التحرير دون أن يعترف المصريون بأنهم يقلّدون السوريين تقليدا كاملا.

كانت عناية العقيد أديب الشيشكلي متوجّهة إلى وأد الحريات السياسية بالتدرّج والتوالي فمنع الأحزاب بعد أن منع انتماء الطلبة والمعلمين والموظفين والعمال إلى الأحزاب، وصادر كثيرا من الصحف. وفي مقابل هذا نجح العقيد أديب الشيشكلي في أن يوفر الأمن والاستقرار على النحو المعروف في الدول الشرقية.

مناوراته مع الأحزاب

وعلى مدى ١٩٥٢ بدأ العقيد أديب الشيشكلي مناوراته مع الأحزاب بسرعة بالغة :
في ١٥ يناير ١٩٥٢ حظر الأحزاب كلها إلا حزب البعث والحزب القومي السوري.
وفي ٦ أبريل ١٩٥٢ أعاد حظر الأحزاب كلها بلا استثناء .
وفي ٢٥ يونيو ١٩٥٢ أعلن عن تأسيس حزبه هو ، وسماه حزب التحرير العربي بادئا موجة
الخداع السياسي العربي القائلة بأن من حق الحاكم أن يؤلف لنفسه حزبا [يفسد] به الحياة
السياسية بالأحادية و الشمولية .
وفي ١٠ يوليو ١٩٥٢ أجرى العقيد أديب الشيشكلي استفتاء للموافقة عليه هو نفسه رئيسا
للجمهورية .
وبعد أن فاز العقيد أديب الشيشكلي برياسة الجمهورية أسند رئاسة الوزارة لنفسه ، و هكذا فإن
العقيد أديب الشيشكلي تولى رئاسة الجمهورية السورية ما بين ١١ يوليو ١٩٥٢ و ٢٥ فبراير
١٩٥٤ فقط بينما تولى رئاسة الوزارة ما بين ١٩ يوليو ١٩٥٣ أي بعد بداية رئاسة الجمهورية
بثمانية أيام وحتى نهاية عهده في الرئاسة .
وفي ٣٠ يوليو ١٩٥٢ خفض العقيد أديب الشيشكلي عدد أعضاء البرلمان وأجرى انتخابات
قاطعتها الأحزاب فجعلتها تبدو بوضوح كانتخابات [أحادية] وبحث العقيد أديب الشيشكلي عن
حزب "كومبارس" يدخله معه ، وفاز حزبه الصناعي الوليد ب ٧٢ مقعدا من إجمالي مقاعد
البرلمان ٨٢ واختار الرئيس مأمون الكزبري ليكون رئيسا للبرلمان.

اهتمامه بالسلطة والزعامة وليس بالزعامة وحدها

هكذا كان العقيد أديب الشيشكلي في أفكاره الانقلابية وممارسته السلطوية ملهما بأكثر بكثير
من الزعيم حسني الزعيم ومن الرئيس سامي الحناوي حتى وإن قيل إن التجارب أفادته، لكنك لا
تستطيع أن تنكر أن عنايته كانت متجهة إلى السلطة نفسها وليس للزعامة وحدها، وهكذا فإنه نجح
بأكثر من الزعيم حسني الزعيم وإن كان الرئيس جمال عبد الناصر قد نجح بأكثر منهما بكثير
واستمر لأطول منهما بكثير وذلك بحكم فوائده الخبرة، وشبق السلطة ، وجدوى التجربة فضلا عن
اختلاف نسبة الطغيان في الطابع الشخصي .

توجهاته الاقتصادية

من الإنصاف أن نشير إلى بعض إنجازات العقيد أديب الشيشكلي ، فالإيه يرجع الفضل في
إنشاء ميناء اللاذقية، كما أنه هو الذي بدأ إقامة معرض دمشق الدولي، وفي عهده حققت سوريا
طفرات في إنتاجها الزراعي.

وفي المجال الاقتصادي لجأ العقيد أديب الشيشكلي إلى فرض الضرائب التصاعدية وألغى
الرقابة على النقد الأجنبي فسمح بدخوله ، ومنع خروج النقد المحلي ، وأصدر قانون الإصلاح

العقاري لتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر، لكن درجة حسمه في مواجهة ديناميات السياسة و إصلاحاته الاقتصادية كانت محدودة مقارنة بصوته الإعلامي والسلطوي الجهير.

التنمية المستقلة

ومع هذا فإنه يُذكر للرئيس أديب الشيشكلي أنه لم يتورط في الديون الخارجية ولا في طلب أي عون خارجي ولا في أي اتفاقية مشتركة تنتقص من استقلال السوريين وسيادتهم على أرضهم.

زعامة العنف

يُعد العقيد أديب الشيشكلي أول عربي استخدم العنف العسكري مع المواطنين العاديين، وقد اقتدى به الرئيس جمال عبد الناصر وحافظ الأسد فيما بعد، لكن الشيشكلي في الحقيقة لم يتورط في المذابح والقتل بالدرجة التي أُقبل عليها من قلدوه وبخاصة الرئيس حافظ الأسد وابنه، ومع أنه عسكري وانقلابي فإنه كان لا يُمانع في وجه ديموقراطي بل كان يسعى إلى مثل هذا الوجه، لكنه بالطبع، ومن دون أن يدري هو نفسه، لم يكن يُطبق المعارضة ولا الرأي الآخر ولا الوطنية.

قمعه لثورة الدروز الموحدين

كانت أكثر معارك العقيد أديب الشيشكلي شراسة مع الموحدين الدروز وقد أسرف في التنكيل بهم رغم قوتهم ورغم إحرازهم انتصارات في مواجهته، لكنه قمع ما عرف في التاريخ المعاصر بثورة الجيل (١٩٥٤).

مناورة الاستقالة

مع تصاعد المعارضة ضد العقيد أديب الشيشكلي فإنه لكنه لم يكن قادراً على حوار ولا استجابة وظل يُعانده حتى اجتمعت ضده كل القوى في الشارع السياسي في ثورة شعبية دفعته إلى الهرب في ٢٥ فبراير ١٩٥٤ وذلك بالتوازي تماماً مع ما حدث من تجربة مماثلة للشارعين المصري والسوداني في مواجهة الرئيس عبد الناصر عندما أقدم على ما كان خطط له من القفز على الرئاسة، وهكذا فإن العقيد أديب الشيشكلي انتقل من دمشق إلى بيروت إلى سويسرا والتقى بأسرته في اليونان ١٩٥٨ ثم أثار أن يعيش في البرازيل.

و حين قرر العقيد أديب الشيشكلي ترك السلطة أشيع أنه كتب رسالة استقالته وسلمها لمأمون الكزبري رئيس المجلس النيابي لكن إذاعة دمشق أغفلت قراءة الفقرة الأولى من الاستقالة التي تشير إلى تورط بعض ضباط الجيش في الخسوع لمؤثرات حزبية على حساب القضية العربية. هكذا تصادف خروج العقيد أديب الشيشكلي مع الوقت الذي كان على الرئيس جمال عبد الناصر أن يتخلى هو الآخر عن السلطة في مصر في أحداث ١٩٥٤ بعد أن ثارت الجماهير المصرية والسودانية ضده بكثافة في أولى خطوات مناوراته الصريحة، لكن الفارق أن السوريين أعادوا الرئيس هاشم الأتاسي للرئاسة باعتبار أن مدته لم تنته وليبدأوا فترة ربيع ديموقراطي حتى قيام الوحدة في فبراير ١٩٥٨، أما الرئيس جمال عبد الناصر ورفاقه فقد حظوا بتوجيه خارجي مساند فوافقوا على عودة الرئيس محمد نجيب إلى مناصبه ريثما جهزوا الجو لترتيبات أخرى

سيطروا بالتخويف وإرهاب الشعب على مقدرات الأمور وانفردوا بالسلطة مع عزل الرئيس محمد نجيب في نوفمبر ١٩٥٤ وإنهاء الديمقراطية وتلاشي الأمل في أية عودة إلى الديمقراطية و ذلك تحت دعوى محاكمة الإخوان المسلمين على محاولتهم اغتيال الزعيم الذي أصبح هو مصر كما أصبحت مصر هي ذلك الزعيم.

ابنته تصحح وقائع تاريخه المروي

كان المتواتر أن العقيد أديب الشيشكلي دفع حياته ثمنا للعنف مع الدروز ، فقد قتله أحدهم وهو في البرازيل بعد عقد كامل من تركه السلطة. وقد نقل جثمانه من البرازيل بعد وفاته. ثم إن العقيد أديب الشيشكلي كان محظوظا بوفاء ابنته وفاء، وقد شاء القدر أن تتصدى ابنته لتطرح رؤيتها في كثير من وقائع التاريخ المتعلقة بوالدها مستغلة أجواء الحرية بعدما اندلعت الثورة السورية في ٢٠١١ .

وعلى الرغم من الاعتقاد الشائع والراسخ بأن الدروز هم الذين قتلوا الشيشكلي ثارا لقتلهم فإن ابنته ذهبت إلى القول بأن الذي دبر قتل والدها في ١٩٦٤ هو حزب البعث الذي تولى السلطة في ١٩٦٣ (وذلك إجهاضا من السلطة لما كان يُشاع عن عودته!) وليس الدروز حتى وإن كان القاتل دُرزيا، وقد عززت استنتاجها بأن الاغتيال حدث في ١٩٦٤ بعد تركه السلطة إلى المهجر بعشر سنوات، لكن بعد استيلاء البعث على السلطة بعام واحد، كما أشارت إلى أن البعث كرم قاتل أبيها. وأن حكومة الأسد أرسلت وفدا رسميا للمشاركة في جنازة "نواف أبو غزالة" الذي اغتال والدها عندما توفي، كما أن السلطة البعثية مجّدت أبو غزالة في أدبيات حزب البعث والدولة. وقد وردت آراء السيدة وفاء في حوار صحفي مع عبد الله جار "زمان الوصل" (٢٩ أبريل ٢٠١٤) وقبل هذا في مقال لها في الحياة اللندنية ٢٨ مارس ٢٠١٢ تعليقا على مقال سليم نصار وفي مقال لها في عكاظ السعودية في ١٩ أبريل ٢٠١٢ بعنوان "والدي لم يكن قاتلا مثل بشار".

ابنته تلقي بمسئولية مذابح الدروز على شوكت شقير

وقد ألفت السيدة وفاء ابنة العقيد أديب الشيشكلي المسئولية عن مذابح الدروز على رئيس الأركان العامة في دمشق وهو شوكت شقير وتُعلّل السيدة وفاء هذا الاستنتاج بقولها بأن أباه اعتمد على هذا القائد في معالجة أزمة الدروز باعتباره درزيا مثلهم، ووصلت أيضا إلى القول بأن شوكت شقير هو الذي أرسل حملة عسكرية بقيادة رسمي القدسي لتدمير القوة الدرزية الثائرة ، ولسنا بحاجة إلى القول بأن التاريخ لا يعتد أوتوماتيكيا بمثل هذه الأقوال في تبرئة أبيها من مذبحه الدروز ، ولا من المسئولية عنها ، لكننا نستطيع أن نقدر فيه ، وأن نقدر له انسحابه من الحياة السياسية وعدم تماديه في الباطل بعد أن اتضحت الصورة له ولغيره.

تاريخ قدره قلعي لحقبته

بقي أن نشير إلى أن الكاتب الذي ارتبط اسمه بالعقيد أديب الشيشكلي والتاريخ له هو الكاتب السوري الأستاذ قدره قلعي ١٩١٧-١٩٨٦ .

الفصل الخامس :أكرم الحوراني المفكر العربي الذي وضع الكاب على رؤوس السوريين

إذا قيل إن أكرم الحوراني هو أذكي الساسة العرب المعاصرين فليس في هذا مبالغة ، و إذا رد علينا البعض بأنه لم يصل إلى رئاسة سوريا التي وصل اليها تلاميذه فإننا نستطيع أن نقول إنه وصل إلى ما هو أهم وأعلى بكثير ، ذلك أنه وهو السوري وصل إلى منصب نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة على الرغم من شوفونية المصريين وميكروفوناتهم و دباباتهم . وقد كان أكرم الحوراني أعلى الأسماء السورية في دولة الوحدة المصرية السورية التي استمرت ما بين فبراير ١٩٥٨ وسبتمبر ١٩٦١ ، وإن كان هو نفسه لم يستمر في دولة الوحدة إلا إلى ١٩٥٩ وأثر أن يتوقف عن الاستمرار مع الرئيس جمال عبد الناصر ونظام الرئيس جمال عبد الناصر بكل ما كل ما كان يمثل هذا النظام من أداء سياسي وإداري مضطرب كان يستحيل القبول به على من مارس الحياة الفكرية والسياسة الحزبية والشعبية من قبل .

كان أكرم الحوراني في اتحاده مع الرئيس عبد الناصر وانفصاله عنه سابقا على رفيقه صلاح بيطار و على خصمهما عبد الحميد السراج ، وقد كان خروجه أكثر احتراما ومصداقية وأمنا وتاريخا. ومن العجيب أن ثلاثتهم اختلفوا مع الرئيس عبد الناصر في مراحل متتالية على نحو ما اختلف معه أيضا الزعيم المؤسس لحزب البعث الأستاذ ميشيل عفلق والرئيس شكري القوتلي اللذان كانا مؤيدين و سرعان ما نفضا أيديهم من التأييد هما و كل الساسة السوريين تقريبا .

نشأته

اسمه بالكامل : أكرم رشيد محيي الدين الحوراني ، ولد في مدينة حماة السورية الشهيرة عام ١٩١١ وتلقى تعليمه الأولي في مدرسة دار العلم والتربية ، وهي مدرسة نموذجية أسسها الملك السوري (والعراقي فيما بعد) فيصل الأول بن الشريف حسين بن علي ، واتخذ لها موقعا قرب قصر العظم في حماة. وقد تأثر أكرم الحوراني بأستاذه عثمان الحوراني الذي كان يدرس مادة التاريخ، إذ كان يغذي في طلابه روح الحرية والاستقلال والمقاومة المسلحة والفخر بالعروبة، وكان هذا الأستاذ من المشاركين في ثورة ١٩٢٥، وهكذا عاش أكرم الحوراني ، عن قرب وعن إيمان، أجواء الثورة والصراع السياسي الذي فجرته ثورة سورية المبكرة .

تكوينه الجامعي

بعد أن أنهى أكرم الحوراني سنوات الدراسة في معهد العلم والتربية في حماة، انتقل إلى دمشق ودرس في مدرسة النخبة الثانوية التابعة للحكومة ، وفيها تخرج الحوراني وكان من الأوائل، ثم التحق بالجامعة اليسوعية في بيروت لدراسة الطب، لكنه عاد بعد سنة إلى دمشق (١٩٣١) حيث التحق بجامعتها لدراسة الحقوق، وكان سبب تركه لبيروت هو ما تردد عن اشتراكه

في التخطيط لاغتيال النائب صبحي بركات. وبعد تخرجه في كلية الحقوق عمل الحوراني في المحاماة إلى أن انتخب عام ١٩٤٣ نائبا في البرلمان.

الحزب السوري القومي الاجتماعي

بدأ أول إسهام منظم لأكرم الحوراني في العمل السياسي في عام ١٩٣٦ بعد تخرجه من كلية الحقوق، حيث انضم إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي منجذباً إلى روحه العصرية أو المتعاصرة وبقي في هذا الحزب كعضو ناشط واعد ، لكنه سرعان ما فصل منه سنة ١٩٣٩ .

مؤازرة ثورة العراق

في عام ١٩٤١ ، سارع أكرم الحوراني وبعض ضباط الجيش السوري ومتطوعون سياسيون آخرون إلى بغداد لمؤازرة ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد البريطانيين، وبعد أن تمكن البريطانيون من قمع الثورة فقد أعيد هؤلاء الوطنيون من العراق إلى سورية ، وتم احتجازهم من قبل حكومة الانتداب الفرنسي في دير الزور على الحدود السورية العراقية .
وبعد عامين خطأ أكرم الحوراني خطوة أوسع فقاد انتفاضة الفلاحين في ريف حماة ضد الإقطاعيين، وساعد هذا على لمعان اسمه فانتخب نائبا عن حماة سنة ١٩٤٣ ، وقد تكرر انتخابه فيما بعد في ١٩٤٧ ، ١٩٤٩ ، وفي تلك الفترة ساهم أيضا في التحريض على الوجود الفرنسي في مدينة حماة عام ١٩٤٥ .

توثق صلته بالضباط

منذ انتخابه للبرلمان عام ١٩٤٣ ، تنامت صلات أكرم الحوراني ببعض الضباط الشبان الذي تخرجوا من الكلية العسكرية في حمص ومنهم عدنان المالكي وأديب الشيشكلي. وكان أكرم الحوراني ورفاقه المتقفون الذين انجذبوا للسياسة من أمثال ميشيل عفلق وصلاح البيطار ينظرون إلى الجيش دائما كوسيلة للوصول إلى الحكم، لا كمؤسسة لحماية البلاد من العدو ، وهي النظرة التي رحبت بها السلطات والمخابرات في الولايات المتحدة الأمريكية ودعمتها بإسهامها المتكرر في حماية الانقلابات العسكرية من غضب الثورات الشعبية ، وأتمت هذا الصراع في دهاء وخيب حتى إنها (أي الإدارة الأمريكية) لم تمنع أن تتلقي نقد وتجريح وهجوم قادة الانقلابات العسكرية عليها بينما هم يخدمونها ، ويفيدونها في مخططاتها على نحو أو آخر ، كما يؤمنون لها مصالحها البترولية واللوجستية ومصالح ركيزتها الإسرائيلية .

علي حين كان أكرم الحوراني هو ورفاقه من رواد البعث والاتجاهات القومية ، في البداية ، من أكثر السياسيين تحمسا لفكرة تسييس الجيش بعد الاستقلال ، فإنه راجع مواقفه من خلال ما روي من ذكريات معلمة ودالة ، ومن الإنصاف إذا أن نشير إلى أن أكرم الحوراني لم يمتص للنهائية في فكرته المؤمنة بضرورة سيطرة الجيوش، وإنما بدأ يراجع توجهاته و سياسته تماما.

صعود مكانته في السياسة السورية

وصلت مكانة أكرم الحوراني في السياسة السورية إلى حد أن قيل إنه كان للضباط السوريين في الأربعينات وبداية الخمسينات واحد من ثلاثة اختيارات .

الأول : تأييد الحزب السوري القومي .

والثاني : تأييد البعث.

والثالث : هو الولاء لقائد منفرد هو أكرم الحوراني الذي كان يبدو على الدوام أشد المطالبين بالوقوف إلى جانب حقوق الضباط والأفراد، وذلك على حين كان انتقاد السياسيين الآخرين لهذا الجيش يتزايد! ومن الطريف أن أكرم الحوراني عرف بالموقف نفسه مع الفلاحين والعمال.

بناظر علي ماهر

وهكذا أصبح الحوراني نظيراً سوريا معاصراً لزعماء مصريين مستقلين لا ينتمون للأحزاب الكبيرة من أمثال علي ماهر باشا مع الفارق .

وصوله للوزارة

تولى أكرم الحوراني وزارة الزراعة في الأربعينيات وأحدث فيها تغييرات هيكلية ضخمة ، وفي ديسمبر ١٩٤٩ تولى وزارة الدفاع في وزارة خالد العظم، ثم ما لبث أن استقال منها في شهر إبريل التالي .

وكانت سياسة أكرم الحوراني في وزارة الدفاع صريحة في السيطرة على الجيش، ودعم العلاقات الشخصية، لتوظيفها في مشروعه السياسي، وقد استفاد من البعثات التي وزعها على أصدقائه في توكيد هذه العلاقات. وكان له دور بارز في البناء المبكر لجهاز مخابرات الجيش لإحكام السيطرة عليه. ولست أبالغ إذا قلت إن الحوراني كان أكثر المدنيين السوريين تأثيراً في الجيش السوري بل إنه أكثر مدني عربي استطاع أن يدخل الفكر لنسيج العسكرية السورية وهو مجد لم يستطع سياسي مصري أن يحققه وإن كانت النتيجة لم تخرج عما هو معتاد .

أول من حارب الإخوان

وقف أكرم الحوراني عندما كان وزيراً للدفاع إلى جانب الشيوعيين في البرلمان السوري مما أضاف إلى رصيده في مواجهة القوة الصاعدة لجماعة الإخوان المسلمين وكان من أول من حاربهم باسم العلمانية والتحرر متهماً إياهم بالعمالة للاستعمار ، وهي التهمة الجاهزة التي استسهلها ، واستلهمها ، واستهلكها المصريون المناهضون للإخوان دون أي دليل . ولا يزالون .

الحزب العربي الاشتراكي

أسس أكرم الحوراني في سبتمبر ١٩٥٠م الحزب العربي الاشتراكي وجعل مدينة حماة مقره الرئيسي.

ومن الطريف أنه أول من وظف كلمتي «العربي» و «الاشتراكي» في اسم حزب واحد قبل أن يستخدمهما نظام الرئيس عبد الناصر في «الاتحاد الاشتراكي العربي» مع قلب ترتيبهما نفيًا للتقليد فحسب .

وظف أكرم الحوراني أتباعه من الفلاحين في الحزب العربي الاشتراكي، واستخدمهم ضد الملاك الكبار. وبلغت حملة التحريض أوجها في مؤتمر في حلب (أيلول ١٩٥١) الذي حضره ألوف من الفلاحين، فكان أول مؤتمر من هذا النوع الثوري في الوطن العربي، واشتدت الحملة فيه ، ونتجت عن هذا التحريض أعمال عنيفة، فأحرقت المحاصيل وأطلقت النيران على بيوت الملاك .

تأييده حسني الزعيم و هرويه من الشيشكلي

كتب أكرم الحوراني بيان الانقلاب الأول الذي قاده حسني الزعيم ، ولما سيطر أديب الشيشكلي قائد ثالث الانقلابات السورية ورابعها و حليف الحوراني القديم على الحكم بانقلابه الثاني وأخذ يكلم الأفواه ويُلقى القبض على معارضيه هرب الحوراني عبر الجبال إلى لبنان، وهناك انضم إليه ميشيل عفلق وصلاح البيطار اللذان هربا هما أيضاً من اضطهاد أديب الشيشكلي.

الاندماج مع البعث

وفي منفاهم عام ١٩٥٢ قرر الثلاثة أكرم الحوراني و ميشيل عفلق وصلاح البيطار دمج حزبي «البعث العربي» و«العربي الاشتراكي» لتكوين « حزب البعث العربي الاشتراكي». وبذا ازدادت الجبهة المعارضة للشيشكلي قوة ، وكان هذا الحزب المتحد بمثابة تجمع الموظفين والمعلمين وأشباههم مع الفلاحين.

تحمسه للوحدة في ١٩٥٨

عندما أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير عام ١٩٥٨ م ، تحمس لها الحوراني وأصبح بمثابة الشخصية السورية الأولى في دولة الوحدة بعد اعتزال الرئيس شكري القوتلي السياسة ، و عين في دولة الوحدة نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر، لكن خلافاته مع الرئيس عبد الناصر حدثت بسرعة ، وجعلته يجاهر بانتقاد دولة الوحدة كما استقال من مسؤولياته الرسمية في ١٩٥٩ .

نقد سياسة الرئيس عبد الناصر في لبنان

ذكر أكرم الحوراني ما اكتشفه (وهو نائب لرئيس الجمهورية العربية المتحدة) من أن الرئيس عبد الناصر اتفق مع الغرب بينما ورط السوفييت و روى من ذكرياته عن أحد اللقاءات أنه كان يبدو على الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء الوفد العراقي الاطمئنان التام رغم الإنزال الأمريكي في لبنان ، والبريطاني في الأردن، وبالفعل فإن الولايات المتحدة وبريطانيا قد أعلنتا في اليوم الثاني لزيارة الوفد العراقي لدمشق أنهما اتفقتا على عدم الاعتداء على العراق وتجميد الموقف في الشرق الأوسط ريثما يتم خلال أسابيع سحب الجنود الأمريكيين من لبنان وشرق الأردن، وفي

الوقت نفسه كانت فرنسا تعلن سخطها وغضبها من إهمال حليفيتها في إشراكها بشؤون وأحداث الشرق الأوسط ولاسيما في لبنان، هذا في الوقت الذي كانت فيه أنباء المناورات السوفيتية تشغل حيزا كبيرا من أعمدة صحف العالم واهتمامها : خمسة ملايين جندي سوفيتي على طول الحدود مع الشرق الأقصى لأوروبا، وقد قدرت المصادر الغربية الحشود السوفيتية على الحدود الإيرانية والتركية فقط بـ ٢٤ فرقة تضم أكثر من نصف مليون جندي.

نقد سياسة الرئيس عبد الناصر تجاه الثورة الجزائرية

ظل أكرم الحوراني يدين ما شهدته و تنامي الى علمه من تصرفات الرئيس عبد الناصر تجاه الثورة الجزائرية وقيادتها المخلصة وإصراره على أن تكون الثورة الجزائرية أداة من أدواته بينما رفض الجزائريون ، لم يكن غضب الرئيس عبد الناصر ضد فرحات عباس شخصا، بل كان ضد السياسة التي انتهجتها حكومة الثورة ضد المخابرات المصرية التي حاولت أن تتغلغل إلى صفوفها، وكان الرئيس عبد الناصر قد جعل المخابرات المصرية وسيلة الاتصال بينه وبين الوزارة الجزائرية التي كانت تصر على الاتصال به مباشرة، كما كانت تصر على حريتها في اتخاذ مواقفها السياسية وترفض أن تكون أداة من أدواته، ولذلك انتهجت الوزارة الجزائرية سياسة الحياد تجاه الخصومات بين ناصر والحكومات العربية الأخرى، وحاولت أن تستفيد من جميع هذه الحكومات، لاسيما أن العراق منذ عهد نوري السعيد كان من أكثر الدول العربية التي تمد الثورة الجزائرية بسخاء. وكان عبد الكريم قاسم قد واصل سياسة نوري السعيد في الدعم القوي للثورة الجزائرية ، وقد استمر العراق في عهد قاسم في تأييد ودعم الثورة الجزائرية أكثر من السابق، وكان قاسم يحاول أن يفوز بمباراة دعم الثورة الجزائرية تجاه الدول العربية الأخرى، لأن في ذلك تحسين لشعبيته وسمعته في العراق والعالم العربي.

وقد ذهب أكرم الحوراني إلى القول بأن محاولة الرئيس عبد الناصر احتواء الثورة الجزائرية أدت إلى تمزيقها ، فقد كان يحاول أن يجعل من قاداتها تبعا له كعبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن في العراق، والسلال في اليمن، وقد أدت سياسة الرئيس عبد الناصر هذه إلى العديد من الكوارث فمزقت ثورة الجزائر، وأدت إلى اقتتالهم وإلى وقوع أول انقلاب على الوزارة المؤقتة، و إلى الخلاف بين خيضر وبن بللا، ثم إلى انقلاب بومدين على بن بللا.

هروبه الى لبنان

بعد خلافه المعلن مع الرئيس عبد الناصر انتقل أكرم الحوراني إلى لبنان للعيش فيها ، واستمر يشن الهجوم تلو الهجوم على ما سمّاه بالاستعمار المصري والتواطؤ بين القاهرة وتل أبيب.

تأييده الانفصال

ما كاد انقلاب ٢٨ من سبتمبر عام ١٩٦١ ينهي حكم الرئيس عبد الناصر لسوريا حتى سارع أكرم الحوراني بالعودة إلى دمشق وسرعان ما أصبح في نظر الرئيس عبد الناصر من أركان «العهد الانفصالي» هو ورفاقه.

موقف مفاجئ من حركة مارس عام ١٩٦٣

وبقيام انقلاب ٨ من مارس عام ١٩٦٣ الذي سمي بالحركة التصحيحية و الذي جاء بالبعث إلى السلطة لقي أكرم الحوراني سوء المعاملة من تلامذته القدامى الذين سبق له أن اقتحم بهم عوالم الحزبية والسياسة ، لكنه وجدهم يخرجونه من السياسة ويجردونه من حقوقه المدنية كما أنه تعرض لاعتقال دام فترة وجيزة. ولم يكن حظه في كل الانقلابات التالية بأفضل من حظه مع انقلاب مارس ١٩٦٣ .

وهكذا عاش الحوراني متنقلا من بيروت إلى بغداد، ومن بغداد إلى باريس، ومنها إلى عمان، عاصمة الأردن .

مذكراته

نشرت مكتبة مدبولي مذكرات أكرم الحوراني في القاهرة، في أربعة مجلدات كبيرة قيمة راقية الطباعة والإخراج والتجليد، وقد صدرت الطبعة الأولى ٢٠٠٠ . وقد أثارت مذكراته منذ نشرها كثيرا من الاهتمام والانتقاس والشرح والفهم والجدل والمقارنة والتعمق والاستكشاف والتوضيح ، ولم يكن هذا بالأمر الغريب فهي مذكرات ثرية بكل هذه المعاني وأكثر ، وقد أفدت منها في كثير من أعمالها كما تدارستها في الباب الأول من كتابي في دهاليز الناصرية . وفي كل الأحوال فإننا أمام مادة دسمة ، وفكر نافذ ، ورأي قويم ، وعرض ممتع ، ومتقف حقيقي ، وكاتب متمكن ، وسياسي طموح ، و وطني مخلص .. ومجتهد يصيب ، ويخطئ .

صورة الرئيس عبد الناصر في مذكراته

- ارتكاب الرئيس عبد الناصر أسوأ خلق بالتآمر على الحليف بتسليمه قادة ثورة الشواف لأعداء الثورة المتحالفة معه .
- التضحية بأنصار الرئيس عبد الناصر عند فشل ثورة الشواف بالعراق ١٩٥٩ تمثل أكبر إدانة لأخلاق النظام الناصري وعقليته و انعدام الشعور بالمسؤولية عن الصديق
- غياب الرؤية السياسية للرئيس عبد الناصر أو اضطرابها .
- الرئيس عبد الناصر كان قد وصل إلى نقطة اللا عودة فيما يتعلق بالديمقراطية.
- إساءة الرئيس عبد الناصر معاملة الوزراء
- الرئيس عبد الناصر لا يرحب بأي حكم ديمقراطي في وطن مجاور .
- الرئيس عبد الناصر لم يكن يعتقد في أهمية السياسة إذا ما قورنت بالاقتصاد .
- الرئيس عبد الناصر لا يرحب برئيس وزراء سياسي وإنما يفضل فنيا .
- تصور الرئيس عبد الناصر للتنظيم السياسي لا يعدو أن يعتبره بمثابة مصدر قرارات فوقية فحسب .
- الرئيس عبد الناصر يخلق النزاعات بين معاونيه على صلاحيات يمنحها هو
- كيف غدى الرئيس عبد الناصر صراع الحوراني – البغدادي منذ بداية الوحدة .

- قصة تصميمات نهر بانياس نموذجا لخلافات الحوراني البغدادي ليكونا في النهاية تحت سيطرة الرئيس عبد الناصر
- زيارته للاتحاد السوفيتي وهو نائب للرئيس كشفت له إسفاف جهاز الرئيس عبد الناصر السياسي والإعلامي وتخلفه إلى درك يدعو للثناء والحزن.
- الآثار السياسية المدمرة لطريقة الرئيس عبد الناصر والمشير عامر في الاعتماد على أجهزة المخابرات .
- الرئيس عبد الناصر كان معاديا للبعث، ويبحث عن يعادي البعث لينصبه مسؤولا عن سوريا ، وقد وقع اختياره على ضابط المخابرات عبد الحميد السراج».
- الرئيس عبد الناصر لم يحسن اختيار حلفائه السوريين بل قرب إليه مَنْ هم ضد توجهاته.
- يتعجب من العقلية البوليسية التي حكم بها الرئيس عبدالناصر سوريا مندهشا من قيام الملحق العسكري عبد المحسن أبو النور بتفتيش حقائب أكبر ثلاثة من أكبر شخصيات الدولة (الحوراني ، البغدادي ، زكريا محيي الدين) .
- علاقة صراع ناصر و عامر وانتهاء الوحدة .
- الحوراني يرجح أن ما سمي بمؤامرة عويس كانت انقلابا عامريا بعثيا ضد الرئيس عبد الناصر ، و يتساءل : عن هل كانت لاجتثاث البعث ؟
- يرى أنه كان واضحا من تصرفات المجموعة التي نفذت انقلاب عبد الكريم النحلاوي علاقتهم الجيدة بالمشير.
- الانقلابيون لم يواجهوا بمقاومة من ضباط تنظيم المشير السري .
- الحوراني يكرر اعتقاده أن حركة النحلاوي كانت جزءا من انقلاب عامري على الرئيس عبد الناصر.
- تقييمه المبكر لعلاقة الرئيس عبد الناصر و عامر .
- إحساسه المبكر أن المشير عامر كان يخطط للاستئثار بسوريا .
- الرئيس عبد الناصر ألقى خطابه ليقطع الأمل في التفاهم مع الانقلابيين .
- حرص الرئيس عبد الناصر على أن يكون باترا مع النحلاوي .
- هزيمة ١٩٦٧ كشفت حقيقة نظام الرئيس عبد الناصر وأسراره .
- الجيش السوري يكشف عن قرارات عسكرية مريبة للمشير عامر .
- نجاح المشير في إبعاد الضباط الناصريين المؤثرين عن الجيش باختيارهم وزراء أما بالنسبة للمشير عامر فقد كانت التعديلات الوزارية التي جرت عام ١٩٦٠ للمجلس التنفيذي السوري مناسبة لإسناد بعض الوزارات إلى عدد من ضباط الجيش السوري والموالين له ، وهم: أكرم الديري، وطعمة العودة الله، وجمال الصوفي، وأحمد جنيدى،

- فأصبح المجلس التنفيذي الذي تشكل من هؤلاء العسكريين ومن بعض الفنيين برئاسة المهندس نور الدين كحالة في قبضة المشير عامر.
- اندهاش الحوراني لقبول الرئيس عبد الناصر بإبعاد ضباطه عن الجيش .
 - نشأة البؤرة المعادية لعامر في الاتحاد القومي في سوريا .
 - الرئيس عبد الناصر كان يظن نفسه صاحب ثورة ٨ من مارس في سوريا فإذا به يكتشف أن الثورة بعثية .
 - الرئيس عبد الناصر يتفق مع الاتحاد السوفيتي على تأييد انقلاب صلاح جديد .
 - تشخيص ميشيل عفلق لإمبريالية الرئيس عبد الناصر .
 - خيبة أمله العميقة والمبكرة نتيجة ما يسميه مساومة الرئيس عبد الناصر بمصالح الشعب السوري .
 - حسابات الرئيس عبد الناصر قبل حرب ١٩٦٧ وتصوره إمكان السيطرة على الأزمة التي بدأت على يديه .
 - يقدم من ذاكرته نماذج لتهديدات الرئيس عبد الناصر الجوفاء المبكرة.
 - تبادل الاتهامات في طائرة المشير عامر في الجو صباح ٥ يونيو .
 - هل كانت حرب ١٩٦٧ فصلا من صراع عبد النصر و عامر
 - خسائر حرب اليمن أثخنت مصر واليمن نفسها
 - الرئيس عبد الناصر لم يكن واعيا بأثر الزمن وكان يظن أن بإمكانه اللحاق بالتقدم الإسرائيلي
 - موقف الرئيس عبد الناصر المضاد لإنشاء الدولة الفلسطينية
 - قبول الرئيس عبد الناصر ما اشترطته ألمانيا في مساعدتها لسوريا في عهد الوحدة من ألا تستخدم المعونة ضد إسرائيل .
 - الرئيس عبد الناصر لم يكن يقبل من الجزائر بأقل من حكومة تابعة له .
 - الرئيس عبد الناصر يدعو إلى الاتفاق بين الفرقاء الجزائريين ، وهيكل يشن حملة دعائية مغرضة ضد حكومة بن خدة .
 - الرئيس عبد الناصر بلغ حدا خطيرا في إرهاب بن بللا .
 - الرئيس عبد الناصر يحاول الرهان على بن بللا بعد فوات الأوان وهيكل يوجه المدفعية ضد بومدين .
 - الحوراني يشير بسعادة إلى حقيقة تاريخية مهمة تكشف فشل الرئيس عبد الناصر وهي استمرار محور دمشق الجزائر حتى الآن .
 - الحوراني يستصغر موقف الرئيس عبد الناصر مع الكويت في مواجهة عبد الكريم قاسم قد أرسل عام ١٩٦٠ قوة من جيشه لحماية الكويت عندما أعلن عبد الكريم قاسم عزمه

- على ضمها إلى العراق، فعسكر الجيش المصري إلى جانب الجيش البريطاني هناك، ونتيجة موقف الرئيس عبد الناصر هذا فقد دفعت الكويت لنظامه مبلغ ٥٠ مليون جنيه».
- الرئيس عبد الناصر يبتدع سياسة التلفيق اللحظي في الخطة بعد الاجتهاد في وضعها .
- يقدم نماذج الأكاذيب الضخمة التي كان الرئيس عبد الناصر يرتكبها هو ونظامه .
- قصة فرض ضريبة لصالح شركة عبود باشا للبواخر التجارية،
- اللجوء للتلاعب في أرقام الميزانية المصرية وتطبيق الأسلوب نفسه على سوريا .
- التجاوز عن التخصص في سلطات الوزارات مادام في الأمر إرضاء للرئيس عبد الناصر .
- الرئيس عبد الناصر كان عاجزا تماما عن الإصلاح الإداري في مصر
- اكتشافه غلبة طبيعة الشك على الرئيس عبد الناصر الذي كان يسيء الظن كلما لمح اثنين يتحدثان على انفراد، ولا أشك أنه قضى حياته وهو محروم من شعور الثقة بالآخرين وسيئ الظن بجميع من حوله».
- الرئيس عبد الناصر يشك في تنمية المشير عامر لعلاقته مع السوفييت .
- عبد الحميد السراج يعتبر أن قضاء الرئيس عبد الناصر على الأحزاب السياسية أعظم منجزاته .
- الملا مصطفى البرزاني لمس نقطة الضعف في الرئيس عبد الناصر عندما قبل يده .

وفاته

توفي أكرم الحوراني في عمان في فبراير عام ١٩٩٦ ودفن فيها و شارك في جنازته عدد قليل كان أغلبهم من أعدائه من الإخوان المسلمين .

الفصل السادس : أمين الحافظ الرئيس الذي حرص عبد الناصر على ربط اسمه بكوهين

عاش الرئيس السوري أمين الحافظ ١٩٢١- ٢٠٠٩ حياة طويلة امتدت ٨٨ عاماً لكنه كان في نصفها الثاني كله (٤٣ عاماً) رئيساً سوريا سابقاً، وهو صاحب رقم قياسي فيما بين العسكريين العرب في هذا الوضع العجيب، لا يسبقه في هذا الا الرئيس الجزائري احمد بن بللا ١٩١٦- ٢٠١٢ الذي عاش ٤٧ رئيساً سابقاً أي نصف عمره أيضاً ، بيد أن حظ امين الحافظ كان اقل سوءا بكثير جدا من حظ بن بللا .

نشأته وتكوينه

ولد الرئيس أمين الحافظ في ١٤ ديسمبر في ١٩٢١ وتخرج من الكلية العسكرية في ١٩٤٦ وأشرك بعد تخرجه في حرب ١٩٤٨ وتدرج في المناصب السورية العسكرية حتى أصبح فيما قبل وحدة مصر وسوريا ١٩٥٨ واحدا من أعضاء المجلس العسكري الأربعة والعشرين ، وهكذا كان له تاريخ تقليدي مشابه لتاريخ كل العسكريين المصريين والسوريين الذين توسدوا منصة الحكم منذ الانقلابات العسكرية وحتى ألقى بهم في المقابر أو في السجون أو المنافي ، وقد بدأ ابتعاده عن مركز السلطة مبكرا في أثناء الوحدة حيث تقرر ابعاده الى الأرجنتين !.

دوره في التحول الجذري في يوليو ١٩٦٣

من العجيب أن أهمية أمين الحافظ في التاريخ السوري تخلقت وتصنعت كرد فعل تلقائي وعكسي للحبوية الناصرية المفعمة بالرغبة في الانتقام من الانفصاليين البعثيين ، حين زادت قناعة التوجه الناصري بأنه لا بد من انقلاب جديد على انقلاب مارس ١٩٦٣ يصحح الوضع ليضبط البوصلة في الاتجاه الناصري، ومن الجدير بالذكر أن هذا حدث بالفعل لكنه فشل، وكان هذا الانقلاب الذي فشل بفضل مواجهة أمين الحافظ له قد بدأ على يد الضابط السوري الناصري جاسم علوان وهو المعروف بأنه الذي قام بانقلابه الناصري الذي لم يكتمل في يوليو ١٩٦٣.. وهنا ظهر دور الرئيس أمين الحافظ الذي نجح تماما في اجهاض الانقلاب الناصري من خلال موقعه كوزير للداخلية، وبهذا فإن انقلاب يوليو ١٩٦٣ ثبت أركان انقلاب مارس ١٩٦٣ مع فارق مهم وهو أنه على حد الوصف الجوادي جاء بمن يكره الناصرية علنا و بنسبة ٧٥٪ (وهو أمين الحافظ) ليحل محل من يكرهون الناصرية سرا و بنسبة ٦٥٪ (وهم مجموعة لؤي الأتاسي) الذين كانوا قد حلوا محل من يكرهون الناصرية بنسبة ٥٥٪ وهم مجموعة عبد الكريم النحلاوي.

عصر الرئيس أمين الحافظ

قبض الرئيس أمين الحافظ على السلطة السورية العليا والأولى والمطلقة في يوليو ١٩٦٣ صاعدا بثقة من منصب وزير الداخلية الى موقع الرجل الأول متمتعا بطابع متميز جدا عن طابع كل من سبقوه، ذلك أن أمين الحافظ في معطياته ومقومات شخصيته كان أقوى منهم جميعا وهو

ما كان يستطيع المراقبون ادراكه بسهولة ، فهو كان عضوا في المجلس العسكري قبل الوحدة، وهو كان وزير الداخلية في نظام لؤي الأتاسي وهو الموقع الذي مكّن له من أن يجهض انقلاب جاسم علوان وأن ينتهز الفرصة فيستولي لنفسه على السلطة، وهو في أثناء الوحدة كان قد أبعاد عن قصد إلى الأرجنتين فرأى الدنيا ورأى الهاربين من النازيين وتزود بثقافة سياسية حركية ووعي انقلابي ديناميكي مكنه من أن يكون مشروع رجل سوريا القوي، وهكذا فإنه لما تمكن من السلطة جمع كل السلطات في يده، وأصبح بمثابة قطب يتعامل مع الرئيس عبد الناصر نفسه بمنطق الندية وهو ما لم يكن يجده الرئيس عبد الناصر قبل ذلك من لؤي الأتاسي أو ناظم القدسي او غيرهما من الزعماء السوريين.

والحق أن الرئيس عبد الناصر وجد نفسه على حين فجأة في مواجهة قبضة الرئيس أمين الحافظ القوية والمعلنة ، بل إنه وجد نفسه وقد عاد خطوات من طريق الزعامة العربية فأصبح رغم مهابته أقرب ما يمكن إلى أن يكون رئيسا مصريا فحسب حتى وإن كانت مصر غائبة عن اسمه كرئيس للجمهورية العربية المتحدة في مقابل من يحتل بالبروتوكول مكانة الرئيس السوري حتى وإن لم يتسم بهذا الاسم الواضح الصريح كرئيس للجمهورية، لكنه في الواقع كان كذلك فقد كان الرئيس أمين الحافظ رئيساً لسوريا منذ ٢٧ يوليو ١٩٦٣ وحتى نجاح انقلاب صلاح جديد عليه في ٢٣ فبراير ١٩٦٦، وفي أثناء رئاسته جمع رئاسة الوزراء كما جمع قيادة القوات المسلحة .

انقلاب صلاح جديد

في ٢٣ فبراير ومع انقلاب صلاح جديد ١٩٦٦ ألقى القبض بالطبع على الرئيس أمين الحافظ وسجن ، لكنه في ظل مؤامرات سورية أطلق سراحه ونفي إلى لبنان، فلما تمكن حزب البعث في العراق من الوصول إلى السلطة بانقلاب الرئيس أحمد حسن البكر في ١٧ يوليو ١٩٦٨ كان من الطبيعي أن ينتقل الرئيس أمين الحافظ إلى العراق ، وقد ظل الرئيس أمين الحافظ يعيش في العراق، وكان من المتداول انه كان مقربا من الرئيس صدام حسين، ولم يغادر الرئيس أمين الحافظ إقامته في العراق إلا عند وقوع الاحتلال الأمريكي في ابريل ٢٠٠٣، ويقال انه حاول أن يعود بطريقة طبيعية عبر الحدود البرية لكن السلطات السورية لم تسمح له، لكنه بعد شهور حصل على موافقة الرئيس السوري بشار الأسد على العودة فعاد في نوفمبر ٢٠٠٣ وأقام في مسقط رأسه حلب، والتزم بعدم الخوض في السياسة.

الناصريون يختزلون مرحلته في قصة الجاسوس إيلي كوهين

أما صورة الرئيس أمين الحافظ في الكتابات المصرية فقد تم تعميدها بمياه صهيونية خالصة التصهين لتكون صورة كاريكاتيرية من باب الانتقام والتشفي في ذلك الرئيس وذلك النظام ، و ركزت هذه التصويرات على عنصر واحد فقط وهو انه هو وليس غيره الذي كان مسئولا بغفلته عن التمكين للجاسوس الإسرائيلي الشهير إيلي كوهين وقد صورت الكتابات المصرية إيلي كوهين وقد نجح في خلق و تنمية صداقته بالرئيس أمين الحافظ حين كانا في الأرجنتين، بينما أثبت الرئيس

أمين الحافظ بكل بساطة و وضوح أنه لم يصل الأرجنتين إلا بعد أن كان إيلي كوهين قد غادرها، لكن انتشار الكتابات المصرية وتكرارها خدم الصورة الإسرائيلية التي كانت تستهدف في المقام الأول الافتخار بتصوير الذكاء الإسرائيلي في صناعة "الأبطال الجواسيس"، ومع اننا مع ضيق المقام هنا لا نستطيع إيراد كل ما يخص موضوع الجاسوس إيلي كوهين فإننا نستطيع أن نلقت نظر القارئ إلى أن هناك أربع روايات مختلفة عن الطريقة التي تم اكتشاف جاسوسية إيلي كوهين من خلالها، وأقربها للمنطق هي القصة التي بدأت بشكوى السفارة الهندية في دمشق، مما قاد إلى اكتشاف محطة اللاسلكي السرية التي كان يبعث منها كوهين رسائله المشفرة أما الرواية المصرية فتصور الاكتشاف بطريقة أقرب ما تكون إلى طريقة سينمائية مصرية من خلال رؤية أحد ضباط المخابرات صورة كوهين مصاحباً لأحد الضباط السوريين في موقع متقدم، وبالإضافة إلى هذا فإن هناك رواية سورية أخرى ، ورواية سوفيتية.

العزف على أنغام الإسرائيليين

وفي كل الأحوال فإن المبالغات المصرية في تصوير أهمية كوهين تميل بكل أسف ، وهي معذورة ، إلى العزف على أنغام الإسرائيليين الذين يحبون تضخيم أي انتصار يحققونه و ذلك للتأثير به على معنويات العرب، ومن الحق أن نذكر ان اكتشاف كوهين تم في عهد الرئيس أمين الحافظ نفسه، ولو أن كوهين كان مرتبطاً بقيادات كبرى في نظام الرئيس أمين الحافظ على نحو ما يحب العدميون تصوير الأمر ما كانت محاكمته قد تمت ولا إعدامه قد تم.

وقد تجدد الاهتمام بقصة إيلي كوهين في أعقاب الانقلاب العسكري المصري ، والاحساس بالتغلغل ، كما تأجج هذا الاهتمام مع الفيلم الذي أنتجته نيتفليكس ٢٠١٩ وأخرجه مخرج إسرائيلي هو جدعون راف وقام بدور البطولة فيه الممثل الساخر ساشا بارون.. ويكاد السوريون يؤمنون بأن علاقة الرئيس أمين الحافظ بكوهين لم توجد على هذا النحو الدرامي إلا في كتابات الناصريين و المصريين المعادين للرئيس أمين الحافظ الذي لم يلتق بكوهين إلا بعد اعتقاله، وبخاصة انه لم توجد أي صورة تجمع الرجلين في الأرجنتين أوفي دمشق، وهو ما لم يظهر إلا في الفلم الإسرائيلي الذي استند إلى كتاب فرنسي بعنوان "الجاسوس الذي جاء من إسرائيل"، وهو الكتاب الذي يرى البعثيون أن الإسرائيليين هم الذين نشره.

ومن الطرائف السوداء التي لا يمكن التحقق من بداية خيط الغزل فيها أن البعثيين السوريين ردوا على الناصريين بطرق مفتعلة لا تقل حبكة وتشويقاً فأشاعوا مثلاً أن كوهين هو ابن لسيدة يهودية ، كان والد الرئيس جمال عبد الناصر قد تزوجها فيما بين والدته الرئيس عبد الناصر ، وبين زوجته الأخيرة التي توفي عنها ، والتي أنجب منها أخوة الرئيس عبد الناصر غير الأشقاء ، وهي قصة تبدو لنا و في رأينا مصطنعة على غرار أفلام الورش الأمريكية التي تنتج حلقات متصلة من التشويق.

ومن حسن حظ التاريخ أن اللواء صلاح الضللي رئيس المحكمة التي حاكمت كوهين وحكمت عليه بالإعدام ادلى بأحاديث في ٢٠٠٤ وأوضح فيها بكل منطوق أن كوهين كان جاسوساً بالفعل لكنه كان جاسوساً عادياً ، كما تعرض اللواء صلاح الضللي لمصير وقصة رفاته الذي لا تزال إسرائيل تطالب به.

حماسيات الأستاذ محمد جلال كشك

لا يمكن لنا أن نتجاهل الإشارة إلى أن الأستاذ محمد جلال كشك في ذروة حماسات المذهب الناصري المتصاعدة كتب كتاباً عن كوهين حافلاً بالحماسة ضد الضباط السوريين الذين وردت أسماءهم في القصص التي روجتها الأجهزة المصرية من باب التعريض بالسوريين ونقض كتاباتهم.. ولم يكن الأستاذ محمد جلال كشك وحده الذي نشر انطباعاته الحماسية عن هذه القصة، بل إن هناك كتابات وكتابات مضادة كثيرة في هذا الموضوع.

ومن الجدير بالذكر أن أرملة كوهين (المولودة حوالي ١٩٢٥) كانت حتى عهد قريب (٢٠١٩) على قيد الحياة في إسرائيل.

صورة الرئيس أمين الحافظ في أدبيات السوريين

بقيت في وجدان السوريين صورة الرئيس أمين الحافظ أقرب إلى صورة سفاح من الدرجة الأولى وإن لم يصل إلى القمة التي وصل إليها من خلفه، وشاعت في الفلكلور السوري مقولة: "أبو عبدو السفاح نصف الناس في المزة (أي السجن) ونصفهم في الدحاح (أي المقبرة الشهيرة). يتذكر السوريون بكل وضوح أن الرئيس أمين الحافظ هو أول من قصف حماة (١٩٦٤) قبل حافظ الأسد بسنوات ويذكرون أيضاً أنه اقتحم الجامع الأموي بدباباته في ١٩٦٥.

ومن الجدير بالذكر ما يروى من أن عبد الحليم خدام (نفسه وليس أحداً غيره) كان محافظ حماة حين وقعت حملة القمع اللانسانية في عهد الرئيس أمين الحافظ الذي هو، بلا جدال، واحد من سلالة العسكريين العرب المعادين للشعب ولوعي الشعب ولهوية الشعب الإسلامية بالتالي إذا اقتضى الأمر. ومن الجدير بالذكر أيضاً ما يروى من أن العماد طلاس رأس محكمة عسكرية حكمت بالإعدام على علماء ووجهاء حماة، ومن الجدير بالذكر ثالثاً أن الرئيس أمين الحافظ رغم كل شيء ناور وأصدر عفواً عن جميع المحكوم عليهم.

ومن الجدير بالذكر رابعاً أن الرئيس أمين الحافظ فيما بعد عقود من كل تلك الأحداث كان حريصاً على أن يصور نفسه منخدعاً في العلويين، والبعثيين، وربما أنه عاش متأملاً في الخلاف الذي وقع بين من انقلبا عليه وهما صلاح جديد بطل المرحلة الرابعة من انقلابات سوريا ما بعد الانفصال وحافظ الأسد بطل المرحلة الخامسة والأخيرة وقد تمكن الرئيس الأسد من الغدر بصلاح جديد فأودعه السجن حتى مات في السجن بينما عاش الرئيس أمين الحافظ حراً وإن كان منفياً.

الفصل السابع: أنطون سعادة المفكر القومي الذي خسره الإسلام وخسرته المسيحية

كان أنطون سعادة (١٩٠٤ - ١٩٤٩) المصنف إرهابيا عند الساسة العرب التقليديين رجلاً عظيماً، ومفكراً حقيقياً، ومع أن أحداً من غير أنصاره لم يقل بهذا من قبل فإني أقول هذا وأنا مطمئن الضمير .

النسخة اللبنانية من الشيخ حسن البنا

بل إنني أقول ما لم يقله محبوه وهو أنه النسخة اللبنانية من الإمام الشهيد حسن البنا ١٩٠٦-١٩٤٩ و أظن أن المعامل الاستراتيجية العالية القيمة في الغرب تعرف هذه الحقيقة معرفتها للكنوز التي لا تبوح بسرها، لكنها تعالجها بالإخفاء حتى لو كان هذا الإخفاء يستدعي إجراء من قبيل القتل ، و في مثل حالة هذين الرجلين اللذين قتلا ، واحدا بعد آخر ، في خلال ٥ شهور فإن القتل سهل جدا من خلال تداعيات فسيولوجية و سيكولوجية في مجتمعات الرجلين وهي مجتمعات قابلة للرباعية التي أصفها بأنها لا تستدعي بعضها تلقائيا كما يظن لكنها إذا اجتمعت كانت خطرة وهي رباعية العصبية والتعصب والعصبية والعصاب .

علامة فارقة رغم إعدامه

ومع أن أنطون سعادة أعدم بحكم قضائي صدر ونفذ خلال ساعات، ومع أن اسمه شوه بما فيه الكفاية، ومع أن تفكير جماعته أدين بالإرهاب، ومع أن حوادث إرهابية تُسببت إليه وإلى فكره قبل موته وبعد موته فإن أنطون سعادة يبقى في تاريخ العرب علامة فارقة على عجز النخبة عن فهم الذات والتعلق بها وإدراك أهمية البحث عنها.

دوره التاريخي

ربما كان العنوان الذي اخترته قابلا للوصف بأنه نصف صادم، و ربما كان هذا عن قصد مني لأني لم أشأ أن أقدم الفكرة الصادمة مرة واحدة ولكني أقدمها الآن فأقول إن أنطون سعادة مع حسن البنا كانا من ضمن أسباب النهضة الفعلية التي حمت المشرق العربي من ظواهر خطيرة من قبيل الفرنسة وما يوازيها (أولا) والفرنسة وما يوازيها (ثانيا) ومن الصهيونية في الوقت نفسه، وبالطبع فقد حمت هاتان الفكرتان المشرق العربي من الامبريالية بمعناها الفكري كما أنهما حمتا المشرق العربي من الأمركة بمعناها الاستعماري، وبالتحليل العقلي المجرد فليس هناك فارق كبير بين النمط العقلي للإمام الشهيد حسن البنا وأنطون سعادة على الإطلاق إلا عند الذين يبدأون أحكامهم من حيث ينبغي أن ينتهوا ، وينتهون بأحكامهم إلى حيث كان يجب عليهم ان يبدأوا،.

الحاجة إلى مقارنة مختلفة لفكره

ولهذا السبب فإنني بعيداً عن البناء التاريخي سأقدم التعريف بأنطون سعادة بطريقة تكفل تصحيح الشائع عنه فيما هو منقول ومتداول على مدى السنوات الطوال الماضية منذ ما قبل رحيله وحتى الآن ، وسأتناول ما أريد أن أقوله للفارئ من خلال أربع زوايا متتابعة تبدأ بما هو أكثر صراحة ثم تتطرق إلى ما هو نظري أو فلسفي رمزي في صميمه.

معنى الدين الذي يُجمع عليه كثير من المسلمين

كتب أنطون سعادة بكل وضوح ما يعبر عن المعنى الذي يُجمع عليه المسلمون الذين يؤمنون بأن الدين عند الله الإسلام، وقد جمع مقالاته تحت عنوان «الإسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية» فهل يمكن لأحد أن يخرج بمن يكتب مثل هذا العنوان ولا نقول المضمون، عن عقيدة الإسلام نفسه حسب ما يعرف في لغة العلم بأنه تعريفها الصلب أو الجوهرية .

كتابه «نشوء الأمم»

أهم مؤلفات أنطون سعادة هو كتابه «نشوء الأمم» وهو يقدم فيه نظرية مختلفة تمام الاختلاف عن النظرية المستقرة في علم الاجتماع الغربي أي أنه لم يسلم بجوهر النظرية الغربية التي يتبناها ويلجأ إليها ويلجئ إليها الغرب المُعلم أي الغرب الأكاديمي ، و هو أي الغرب يعول على الجوهر المسئول عن نشر الفكر المساند لمركزيته، وقدرته على الاستعمار، أما حسن البناء و أنطون سعادة فلا ينفيان ولا يتجادلان و لكنهما بأدواتهما البسيطة بيداًن بداية موازية ، لا تمنع في الاقتراب و الابتعاد من أن لأخر ، ويكمن هذا الاختلاف على سبيل المثال في أن نظرية أنطون سعادة لا تفعل ما يفعله الغربيون من الحرص على الالتفاف بعيداً عن الإسلام كمؤسس للأمة الإسلامية باللجوء إلى نظريات الأعراق والسياسة، والبناء على هذا الجوهر ، فهل يستطيع أحد أن يقول إن المسلمين المعاصرين رزقوا من بينهم من تصدى لمثل هذه المهمة التي تصدى لها أنطون سعادة بالنيابة عنهم مبكراً وبجهد فردي تطوعي فدائي كلفته حياته من دون أن يعرف أهله من المسلمين قيمة ما فعله.

حرب فلسطين

كانت حملة أنطون سعادة القومية اثناء حرب فلسطين من اقوى الحملات في الشارع السياسي، وبالطبع فإن الغرب ضغط على الوزارة اللبنانية من أجل فرملة هذا التوجه الشعبي الجارف على نحو ما كان يضغط على السلطات المصرية من أجل فرملة الإخوان المسلمين والحركات المشابهة في هذا الصراع الذي عبر عن ثلاثة صراعات تداخلت و تأزرت وهي صراعات دينية و قومية و معسكرية (بين معسكر الاحتلال ومعسكر المحتل بفتح التاء) فهل يستطيع أحد أن ينكر قيمة مجهودات أنطون سعادة التي جعلت المزايمة بالتصريحات مكشوفة بعد أن تعبأ الشارع العربي بمثل هذه المشاعر القومية في مواجهة مشاعر قومية تريد أن تقيم دولة قيل بوضوح انها قومية على أرض الغير (في الشرق) بمعونة من الغير (الغرب).

الفارق بين حزب أنطون سعادة وبين حزب البعث العربي

كان الفارق الكبير بين حزب أنطون سعادة وبين حزب البعث العربي أن الحزب السوري القومي نص في اسمه على "الاجتماعي" بينما كان "الاجتماعي" عند البعثيين يكاد يصرح بأنه سيعتمد على الخلطة الجاهزة المتاحة من الشيوعية النظرية والشيوعيات التحريفية المتاحة ، وليس هذا الفارق الذي لم يتحدث عنه أحد بالأمر الهين فبسبب هذا الفارق الجوهرى كان الحزب القومي أكثر حيوية من البعث وإن كان قد صار اقصر عمرا بفضل الدعم الذي قدم للبعث في مواجهته، حتى وإن لم يعرف البعث أنه كان مستساغا عند الغربيين بأكثر من أنطون سعادة ، ولم يكن النص على "الاجتماعي" في حزب " أنطون سعادة" من باب الاستيعاب على نحو ما يظن قارئ التاريخ وإنما كان معنى "الاجتماعي" الذي يقصده أنطون سعادة مرتبطا بما هو سابق على السياسي أي أنه كان ينظر إلى مهمته السياسية في إطار انتمائيه الاجتماعى، وليس كما يتصور البعض أنه كان ينظر إلى مهمته الاجتماعية في إطار توجهه السياسي، على نحو ما يفعل و فعل الآخرون ، وبعبارة أخرى فإنه كان ينطلق من مجتمع يتطلب سياسة ويفرضها، ولم يكن ينطلق من سياسة تُعنى بالنواحي الاجتماعية ، ومن العجيب أن هذا هو الجوهر نفسه الذي حكم نشأة جماعة الاخوان المسلمين .

نجاحه

كيف أمكن لأنطون سعادة على حداثة سنه وقصر عمره أن يدرك كل هذا وأن يكون كل هذا؟ هنا نستطيع أن نقرأ تاريخ حياته على نحو ما هو متداول، وعلى نحو ما لخصناه في موضع آخر ، و التاريخ المروي في المصادر المتاحة عن حياة انطون سعادة و تفرعاتها في مجمله صحيح إلى حد بعيد ، حتى وإن كان هناك اختلاف في جزئية هنا أو هناك .

ما ورثه من والده خليل سعادة

نستطيع أن ندرك أن سعة الأفق لم تأت من فراغ، وأن ندرك قيمة البدايات التأسيسية على يد والده العظيم الدكتور خليل سعادة (١٨٥٧ - ١٩٣٤) صاحب الفضل في ترجمة انجيل برنابا و التعريف به، وأن ندرك قيمة الارتحال ولا نقول الرحلة.

رئيس الجامعة الأمريكية كان أول المبلغين عنه

لا بد أيضا أن ندرك قيمة الاحتكاك المبكر بالأمريكيين الاذكياء الراصدين للفكر المستنير والمحاربين له على نحو ما فعل رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٣٥) الذي كان من أول المبلغين لجهات الأمن اللبناني و الامن الدولي (!) عن نشاط أنطون سعادة مع انه لم يكن قد تجاوز بعدُ أي عرف من أعراف النظام والانضباط ولكنه في الحقيقة كان كاشفا بالضوء الصادق عن قسوة الاستعمار الجديد والتبشير التقليدي والاحتواء الخبيث، لأنه كان داعيا فذاً للأصالة بكل ما تعنيه فيما يتعلق بالعقيدة والمجتمع والتقدم والفكر والثقافة والعطاء على كل حال.

الفصل الثامن : بشارة الخوري الرئيس الذي يشترك في اسمه مع الأخطل الصغير

إذا قلنا بشارة الخوري وسكتنا فإن الأنظار تتجه إلى الشاعر اللبناني بشارة الخوري المعروف بالأخطل الصغير ، الذي يُعتبر أكثر الشعراء اللبنانيين عروبة وحسًا ووطنية وقُدرة على الحياة والحب و الوفاق والتعايش والسلام والعطاء والإبداع أما إذا قلنا الرئيس بشارة الخوري فإننا نكون قد قصدنا الرئيس بشارة خليل الخوري (١٨٩٠ - ١٩٦٤) الرئيس الأول للبنان بعد الاستقلال ، ومع أنه الرئيس الأول للبنان (١٩٤٣ - ١٩٥٢) ومع أنه أكثر شبابا و نفوذا من الشاعر بشارة الخوري (١٨٨٥ - ١٩٦٨) فإنه بالطبع لا يحظى ولن يحظى بشهرة الأخطل الصغير وجارة الوادي. نعيد التذكير بالاسم الثلاثي للرئيس اللبناني وأنه هو بشارة خليل الخوري، بينما الاسم الثلاثي للشاعر هو بشارة عبد الله الخوري.

تتمثل قيمة الرئيس بشارة الخوري في إخلاصه لفكرة استقلال لبنان ووحدته الوطنية، وقد وقف وقفة جادة من أجل تحقيق هذين الهدفين مع شريكه العظيم الرئيس رياض الصلح وقد سلك هذان الرجلان أفضل و أذكى السبل لتحقيق هدفهما العظيم، وقد انطلق الرجلان بالدستور اللبناني الذي وُضع في عهد الانتداب الفرنسي وعملا على تخليص ذلك الدستور من كل مواده ونصوصه التي تتعارض مع الاستقلال ومن كل المواد التي تُساعد فرنسا على تقييد الاستقلال واستثماره أي توظيف موارد لبنان وأرضه وثقافته لمصلحتها، وكان صادقا في جُهد في التعاون مع الرئيس رياض الصلح وعلى الرغم من أن الفرنسيين قابلوا هذا التصرف بالخطرسة والعجرفة فإن الشعوب العربية وقفت موقفا قويا في تأييد الرئيسين الصلح والخوري كما أن نيل الساسة السوريين جعلهم يقرون سعيهم إلى استقلال لبنان بسعيهم لاستقلال بلادهم وهم يعرضون قضية الوطنين الشقيقين في الأمم المتحدة ١٩٤٦ ، وهكذا تمكّن رئيس الوفد السوري (الذي هو فارس الخوري رئيس وزراء سوريا) من الحصول على قرار الأمم المتحدة بجلء القوات الفرنسية عن كل سوريا ولبنان في نفس اليوم.

نشأته

ولد الرئيس بشارة الخوري ١٨٩٠ في عائلة مارونية مارست السياسة في الأجيال السابقة ودرس القانون في جامعة القديس يوسف اليسوعية في بيروت وتخرّج فيها فعمل محاميا، ومارس مهنة المحاماة في بيروت والقاهرة وقد انتخب نقيبا لمحامي لبنان في عام ١٩٣٠ كما كان قد اختير رئيسا لمحكمة الاستئناف الحقيقية ١٩٢٢ وبهذا شغل الموقع الأول بين القضاة والمحامين والساسة على حد سواء وكان في هذا شببها إلى حد متواضع بعيد العزيز فهمي باشا (١٨٧٠ - ١٩٥١) في مصر. كما أنه لم يصل في علو كعبه وذبوع صيته إلى ما وصل إليه معاصره السابق عليه في المولد والتخرج والعمل السياسي رئيس الوزراء السوري فارس الخوري ١٨٧٣ - ١٩٦٢ .

حياته السياسية

بدأت حياة الرئيس بشارة الخوري السياسية بتعيينه وزيرا للداخلية (١٩٢٦) في حكومة أوجست أديب باشا، وفي ١٩٣٢ أسس الكتلة الدستورية (التي تحولت إلى حزب سياسي في ١٩٥٥ بعد أن ترك الرئاسة) وعُرفت هذه الكتلة الدستورية بمعارضتها لحزب الكتلة الوطنية الذي ترأسه إميل إده (١٨٨٣ - ١٩٤٩) الذي كان قد تولى رئاسة لبنان في عهد الانتداب الفرنسي.

تولى الرئيس بشارة الخوري رئاسة لبنان في ٢٣ سبتمبر ١٩٤٣ وشرع مع الرئيس رياض الصلح فيما أشرنا إليه من حسم قضية الاستقلال لكن الفرنسيين في ١١ نوفمبر ١٩٤٣ اعتقلوه هو والرئيس رياض الصلح رئيس الوزراء في قلعة راشيا وعيّنوا بدلا منه إميل إده فثار اللبنانيون ثورة تضافر معهم فيها العرب وبصفة خاصة الزعيم مصطفى النحاس الذي كان في أوج قوته و تأثيره ، فأفرج عنهما واعترفوا باستقلال لبنان في ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣ وبقي تسع سنوات في هذا المنصب.

كان الرئيس بشارة الخوري قد حاول أن يمد مدّته في الرئاسة على نحو ما فعل الرئيس القوتلي لكن سُمعة الوزارة المالية كانت قد وصلت إلى درجة يستحيل معها بقاؤها، وهكذا خلفه الرئيس كميل شمعون الذي حاول هو الآخر مدّ فترة رئاسته دون جدوى، وكان الرئيس بشارة قد احتال لهذا المد بأن أجرى انتخابات ١٩٤٧ وانتُخب فيها وفي ١٩٤٨ عدل الدستور وأعاد مجلس النواب انتخابه لكنه لم يستطع إكمال هذه المدة أي أنه أتمّ ٩ سنوات في المنصب، لكنه لم يُكمل سنوات المدة الثانية التي انتُخب لها في ١٩٤٧.

نهاية عهد بشارة الخوري

فلما اضطر الرئيس بشارة الخوري للرحيل تقرر أن يسلم مقاليد الأمور إلى اللواء فؤاد شهاب كي يُجري الانتخابات ويُسلم السلطة للفائز، وشكّل اللواء فؤاد شهاب حكومة عسكرية حكمت عدة أيام فقط حتى أُجريت الانتخابات فتم انتخاب كميل شمعون رئيسا للجمهورية في ٢٤ سبتمبر ١٩٥٢ الذي بدأ مع حكمه عهد التوتّرات المكتومة في لبنان (التي تحولت فيما بعد مع الزمن وعبث العرب المجاورين وغير المجاورين و مؤامرات الغرب) إلى حرب أهلية .

يُذكر للرئيس بشارة الخوري أنه اعتزل المناصب السياسية بعد أن ترك رئاسة الجمهورية في ١٩٥٢، ولم يفعل مثل الرؤساء السوريين المعاصرين له الذين اشتركوا جميعا في السياسة بعد تركهم المنصب بل وتولوا رئاسة الوزراء ، ولم يفعل مثل خلفه شمعون الذي ظل يتولى مناصب الوزارة حتى توفي وهو وزير ١٩٨٧.

من الجدير بالذكر أن الرئيس بشارة الخوري لم يأت لرئاسة الجمهورية من فراغ وإنما كان قد أثبت كفاءة في المناصب التشريعية والوزارية التي تولاها. فقد كان عضوا في مجلس الشيوخ اللبناني من ٢٣ أبريل ١٩٢٦ وحتى ١٧ أكتوبر ١٩٢٧ ثم أصبح عضوا في البرلمان اللبناني طيلة الفترة من ١٩٢٩ وحتى ١٩٣٧ أي طيلة ثماني سنوات وقبل أن يُصبح نائبا في البرلمان كان

قد عُيّن رئيساً للوزراء ووزيراً للمعارف العمومية (ثاني رئيس وزراء لبناني بعد أوجست أديب) ما بين ٥ مايو ١٩٢٧ و ٥ يناير ١٩٢٨ ثم أُضيفت وزارة العدلية إليه فأصبح رئيساً للوزارة ووزيراً للمعارف العمومية والعدلية من ٥ يناير ١٩٢٨ وحتى ١٠ أغسطس ١٩٢٨ حيث خلفه حبيب باشا السعد . وعاد الرئيس بشارة الخوري لتولّي رئاسة الوزارة ومعها وزارات الداخلية والعدل والإسعاف ما بين ١٠ مايو ١٩٢٩ و ١٢ أكتوبر ١٩٢٩ وقد خلفه إيميل إدة .

رئاسة الوزارة في عهده

أما في عهده فقد تعاقب على رئاسة الوزارة كل من:

- الرئيس رياض الصلح في ٢٥ سبتمبر ١٩٤٣
- ثم عبد الحميد كرامي في ١٠ يناير ١٩٤٥
- ثم سامي الصلح في ٢٣ أغسطس ١٩٤٥
- ثم سعدي الملا في ٢٢ مايو ١٩٤٦
- ثم الرئيس رياض الصلح في ١٤ ديسمبر ١٩٤٦ وحتى اغتيال ١٤ فبراير ١٩٥١
- ثم حسين العويني في ١٤ فبراير ١٩٥١
- ثم عبد الله اليافي في ٧ أبريل ١٩٥١
- ثم سامي الصلح في ١١ فبراير ١٩٥٢
- ثم ناظم عكاري في ١٠ سبتمبر ١٩٥٢
- ثم صائب سلام في ١٤ سبتمبر ١٩٥٢ وهو آخر رؤساء الوزارة في عهده،

أهم الصعوبات السياسية التي واجهته

نأتى إلى أهم المصاعب السياسية التي واجهت الرئيس بشارة الخوري في أثناء رئاسته للبنان وقد تمثلت في قضيتين كبيرتين: أولاًهما بالطبع قضية فلسطين، ومما يُحسب للسانين في تلك الفترة أنهم لم يخرجوا عن الإجماع العربي ولا عن الإخلاص العربي لقضية فلسطين وكان موقف لبنان قمة في الوفاء لعروبته وإيمانها بهذه العروبة كما إيمانها بالاستقلال والحرية. أما الموقف الثاني وهو الأصعب فقد خلفته جبهة القوميين السوريين برئاسة أنطون سعادة زعيم الحزب القومي السوري وقد وصل ما أشيع وضخم عن تهوّر هذه الجماعة في أعمال العُنف التي قامت بها في لبنان إلى حدٍ كان لا بد للدولة معه أن تتدخل، ومع أن الدولة تدخلت فإن نتائج تدخلها كانت أصعب من أن يتصورها العقل السياسي العربي ذلك أن ملاحقة الوزارة لأنطون سعادة اضطرته للهرب إلى دمشق بناء على ترحيب من الزعيم حسني الزعيم قائد الانقلاب السوري الأول ، وكما هي عادة العسكريين فإن الزعيم حسني الزعيم وجد نفسه تحت ضغوط لتسليم أنطون سعادة لبيروت على الرغم من أنه هو الذي رحّب به في دمشق، وهكذا استدرجه ذات يوم لمقابلته ثم سلّمه إلى الأمن اللبناني، وكان يُعوّل على أن يقتله الأمن اللبناني في الطريق فيختفي سرّه معه،

لكن الأمن اللبناني تمكّن من الحفاظ على أنطون سعادة حيّاً حتى وصل إلى لبنان و عُقدت له محاكمة عاجلة في الفجر وقرّرت إعدامه و نُفذ حكم الإعدام .
وكان إعدام أنطون سعادة فاتحة لأبواب الشر على ثلاثة من الرؤساء كان تعاقب تأذيتهم على النحو التالي:

- انفتح باب الشر على حسني الزعيم حتى إنه يُعتقد إنه سرعان ما فقد حياته ثأراً لحياة أنطون سعادة فقد كان من بين رجال حسني الزعيم كثيرون من حزب أنطون سعادة.
- انفتح باب الشر على الرئيس رياض الصلح الذي تم اغتياله في ١٩٥١ وهو في الأردن مع إعلان صريح على أن الثأر لمقتل أنطون سعادة كان هو سبب قتل الرئيس رياض الصلح، وهو احتمال وارد وإن لم يكن الاحتمال الوحيد.
- انفتح باب الشر على الرئيس بشارة الخوري نفسه الذي فقد الرئيس رياض الصلح رئيس وزراءه القوي المحبوب المتحالف معه ، وفقد جزءاً كبيراً من ثقة الجماهير العربية ومنها اللبنانية بقدرة الدولة اللبنانية على الحكم الصائب على الأمور ، وسرعان ما انبرى مُعارضوه في مهاجمته لأسباب كثيرة حتى إنه اضطر كما ذكرنا للتخلّي عن منصبه في سبتمبر ١٩٥٢ قبل أن تنتهي مُدته التي انتخب لها بعد ترتيب دستوري أجده .

باتريك سيل و مذكرات فريد شهاب

أما ما كشفت عنه وثائق الدولة اللبنانية فيما بعد ، وتبعاً لما نشرته جريدة الحياة من ترجمة لكتاب باتريك سيل وما أشار إليه من أوراق الأمير فريد شهاب التي نشرت سنة ٢٠٠٦ فإنه " عند الساعة الثامنة مساءً في ٧ يوليو ، أصدرت المحكمة العسكرية حكم الإعدام على سعادة بموجب المادة ٧٩ من قانون القضاء العسكري. و أرسل الملف إلى لجنة العفو التي أكدت الحكم. بعد سماع دفاع المُدان، وقبل اتخاذ قرار في شأن مصير سعادة، دعا الرئيس بشارة الخوري إلى اجتماع حضره الرئيس رياض الصلح والأمير فريد شهاب، إضافة إلى حبيب أبي شهلا وغيريال المر، وهما مسؤولان بارزان من الطائفة الأرثوذكسية نفسها التي ينتمي إليها سعادة. وفقاً لملاحظة دوّنها الأمير فريد شهاب، قال الرئيس رياض الصلح إنه لا يحب الإعدام. ولاذ الرئيس الخوري بالصمت، لكن أبي شهلا والمر أيّدا إعدامه".

يعقب باتريك سيل بذكائه وفطنته فيقول : "لا شك في أنهما اعتبرا أن سعادة يشكّل خطراً على موقعهما المسيطر في طائفتهما. ظلّ هذا الجانب من ظروف إعدام سعادة مجهولاً لمدة تزيد على نصف قرن، ولم يكشف عنه إلا بعد نشر أوراق الأمير فريد شهاب في ٢٠٠٦"

الفصل ٩ : بشير العظمة رئيس الوزراء الذي سمي مذكراته جيل الهزيمة

مكانته الوطنية

يمثل الدكتور بشير العظمة (١٩١١ - ١٩٩٢) نموذجاً فذاً للسياسيين المهنيين (أو التكنوقراطيين) القادرين على إبداء الرأي الصائب واتخاذ القرار السليم في الوقت المناسب، وقد كان بممارسته العاقلة والحاسمة عاملاً مهماً من عوامل استقرار سوريا بعد أزمة الانفصال عن مصر، فقد تميز بوضوح الفكرة مع نبذ الهدف. وقد كان له موقف فكري متميز لا يخضع للقوالب الجاهزة و ذلك على الرغم من انه ينتمي إلى جيل أساتذة السياسة السوريين المنظرين الثلاثة : ميشيل عفلق (١٩١٠ - ١٩٨٩) وأكرم الحوراني (١٩١١ - ١٩٩٦) وصالح البيطار (١٩١٢ - ١٩٨٠).

كان بشير العظمة سياسياً ناضجاً معتزلاً بنفسه ولكنه لم يكن مكابراً، وهكذا فإنه قبل نقد خالد العظم للوضع غير الدستوري الذي تولى فيه المسؤولية ورئاسة الوزارة ولم يلجأ إلى أن يفرض نفسه بعون من الدبابة وإرادتها بل إنه قدم استقالته وزارته بناء على هذا الموقف الشعبي في يوليو ١٩٦٢ وأكثر من هذا فإنه قبل أن يكون نائباً لرئيس الوزراء في وزارة خالد العظم، وقبل أن يرأس الوفد السوري إلى الأمم المتحدة في أكتوبر ١٩٦٢ بعد أن عاد لسوريا مقعدها في المنظمة الدولية، وهو المقعد الذي كانت تنازلت عنه طوعاً مع إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٥٨.

سعيه لإعادة الوحدة

يذكر التاريخ للدكتور بشير العظمة انه سعى وهو رئيس للوزراء إلى استعادة الوحدة مع مصر بجدية، وبذل في ذلك جهوداً ذكية على نحو ما هو معروف في التاريخ السوري والمصري على حد سواء، لكن الناصرية لم تكن تستطيع أن تتراجع عن خطأ، كما أن السوريين كانوا أذكي من أن يتركوا الامر للثقة المطلقة مرة أخرى، وهكذا واجه بشير العظمة مواقف ناصرية قاسية استدعت منه وهو الذي كان يسعى صادقاً لإعادة الوحدة أن يتقدم بشكوى رسمية ضد مصر في الجامعة العربية. و في اثناء محاولاته تلك دعا رئيس الوزراء السوري الأشهر خالد العظم أعضاء المجلس النيابي القديم إلى اجتماع في داره وطالب، كما أشرنا، بعودة الحكم الدستوري للبلاد وإلى تفعيل السلطة التشريعية المعطلة بعد إنقلاب مارس ١٩٦٢ فاستجاب العظمة لهذه المبادرة.

نشأته و تكوينه

وآد الدكتور بشير العظمة في حيّ القيمرية بدمشق وتلقى تعليماً مدنياً متكيزاً بدأه في مدرسة الملك الظاهر في باب البريد ثم في ثانوية مكتب عنبر التي كانت افضل المدارس في وقتها، ثم

في كلية الطب في جامعة دمشق وتخرج فيها ١٩٣٤. ثم ابتعث إلى باريس وتخصص في الأمراض الصدرية وعاد فعمل مدرساً في جامعة دمشق حتى قيام الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨.

توليه الوزارة

في عهد الوحدة مع مصر عُيّن الدكتور بشير العظمة بشير العظمة وزيراً مركزياً للصحة في الجمهورية العربية المتحدة، ولكنه استقال من منصبه في أغسطس ١٩٦٠.

هكذا فان الدكتور بشير العظمة وصل إلى منصب وزير الصحة المركزي في أثناء الوحدة بينما كان أقرب إلى التحفظ في القبول ، ومع هذا فإنه استطاع أن يتعامل مع مهامه السياسية على أنها تكليف وواجب كالطب والعلاج، وقد نجح في أن يعبر عن هذه المعاني في مذكراته التي أثار لها عنوان "جيل الهزيمة"، معترفاً في شجاعته بما واجهه وواجه جيله، وبما صنعه هو وجيله في هذا السبيل.

اختياره لرئاسة الوزارة

عقب فشل إنقلاب النحلاوي العسكري الثاني في مارس ١٩٦٢ اجتمع ضباط الجيش في مدينة حمص مقر الكلية الحربية وقرروا تكليف الدكتور بشير العظمة برئاسة وزارة انتقالية مؤقتة، خلفاً للدكتور معروف الدواليبي مع قرارهم بإعادة الحياة النيابية .

قبل الدكتور بشير العظمة التكليف بعد إباح رئيس الجمهورية وشكل وزارته في ١٦ ابريل ١٩٦٢، لتكون جاهزة لحضور الاستعراض العسكري الذي أقيم في شارع الرئيس شكري القوتلي يوم ١٧ ابريل، احتفالاً بالعيد السادس عشر لجلاء القوات الفرنسية عن سورية. كان من وزرائه رشاد برمدا من حزب الشعب، نائباً لرئيس الوزارة ووزيراً للمعارف، وعبد الله عبد الدائم من حزب البعث، الذي أصبح وزيراً للإعلام.

ثقافته واستيعابه

كان الدكتور بشير العظمة طبيباً مثقفاً ذكياً، وإلى إصراره يعود الفضل في اشتراك حزب البعث في الوزارة التي رأسها عقب الانفصال فقد كان من الذكاء بحيث أدرك ضرورة وجود البعث في السلطة على الرغم من أن معظم وزرائه كانوا من المستقلين، وعلى المستوى الفكري فإنه هو رئيس الوزراء الذي أصبح أستاذنا الطبيب الأديب الدكتور عبد السلام العجيلي (١٩١٨ - ٢٠٠٦) وزيراً للثقافة والإرشاد القومي في عهده متوجاً بهذا قدرة سوريا على تكريم رائد القصة والرواية السورية وهو ما لم نفلح فيه في مصر، وعلى تكريم الطبيب المفكر وهو ما لم نفلح فيه أيضاً في مصر. على أن الأهم من إشراكه للطبيب المفكر وللحزب الرائد في الوزارة السورية التي رأسها هو نجاحه في أن يدمج قيادة القوات المسلحة في الوزارة من خلال اللواء عبد الكريم زهر الدين نفسه في الوزارة.

وعلى المستوى المهني فقد كانت للدكتور بشير العظمة إسهامات طبية عديدة، وقد شارك في تأسيس جمعية مكافحة السل السورية في ١٩٥٤، كما انتخب نقيباً للأطباء في ١٩٦١.

فشله في إعادة الوحدة

أعلن الدكتور بشير العظمة عن تقريب وجهات النظر مع مصر وجاء في بيان وزارته نص واضح على السعي نحو استعادة الوحدة ولكن ضمن شروط جديدة يتم الإتفاق عليها بين دمشق والقاهرة. وبدأ بأن سمح للصحف والمجلات المصرية بان تدخل إلى سورية وأرسل ثلاثة ضباط إلى بيروت للإجتماع مع السفير المصري عبد الحميد غالب، ثم أوفد وزير خارجيته عدنان الأزهري إلى القاهرة للتفاوض مع الرئيس عبد الناصر. وعندما فشلت مساعيه مع القاهرة، قدم الشكوى ضد مصر في جامعة الدول العربية، متهماً الرئيس عبد الناصر بالتدخل في شؤون سورية الداخلية. وقد استقال وزير الخارجية عدنان الأزهري من منصبه بعد فشل المفاوضات مع مصر

من المهم أن نذكر أن سبب الانقلاب الناصري من الدكتور بشير العظمة أنه بعد حدوث الانفصال بأيام شارك في بيان إدانة للرئيس جمال عبد الناصر، ولم يكن الرئيس جمال عبد الناصر ليقبل أبداً بالتعاون مع من نقده ذات يوم، فهو لا يضمن أن يعود مرة أخرى إلى نقده، وهكذا كان الفتور في استقبال مصر لفكرة عودة الوحدة التي تبناها بشير العظمة وعمل من أجلها بإخلاص.

مذكراته

في عام ١٩٩١ نشرت مذكرات الدكتور بشير العظمة "جيل الهزيمة" عن دار رياض نجيب الرئيس في لندن.

وفاته

توفي الدكتور بشير العظمة في ٥ ابريل ١٩٩٢.

الفصل ١٠ : تاج الدين الحسني القاضي الذي اختارته فرنسا لرئاسة سوريا

نبدأ بالقول بأن الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني (١٨٨٥ - ١٩٤٣) كان رجل دولة من الطراز الأول كما كان زعيما حقيقيا جادا قادرا على الوصول إلى ما لم يصل إليه غيره، وكان مُخلصا من دون الإكثار من الشعارات والضجيج، كما كان نموذجا مُبْكَرًا لرجل الدولة العاقل المُتَّزن المُنجز.

إنجازه في ضم جبل الدروز والعلويين

و على نحو ما شهد له الرئيس فارس الخوري فإنه كان يتظاهر بالصدّاقة للفرنسيين ليجلب أكبر نفع للبلاد، ودرء ما يُمكنه درؤه من الضرر. وقد كان الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني هو السياسي السوري الذي استطاع أن يحصل من فرنسا على الموافقة على وجود جبل الدروز ودولة جبل العلويين ضمن الدولة السورية بعدما كانت فرنسا تميل إلى خلق نزاعات انفصالية مُقلقة في هذه المنطقة.

بالإضافة لهذا فقد كان الشيخ تاج الدين رجل مؤسّسات ورجل عمران وحضارة بل كان دليلا ذكيا على أن القضاة الشرعيين هم أنسبُ الناس لقيادة الدولة في عهود الانتقال والاستقلال. وهي التجربة التي أفادت منها اليمن بعد ذلك .

وقد بدأ الشيخ تاج الدين حياته قاضيا شرعيا ، و ورث والده في مجده العلمي على نحو ما كان العلماء الصالحون البارزون يرثون آباءهم في أخريات العصور الوسطى التي عرفت توارث العمل بالعلم المُمتد عبر الأجيال، و من الجدير بالذكر هنا أن والد هاشم الأتاسي كان مفتي حمص ، وأن والد سعد الله الجابري كان مفتي حلب وأن والد حسني الزعيم كان مُفتيا في الجيش العثماني.

كان صديقا لديجول

تُثني بالقول بأن هذا الرجل كان صديقا للزعيم الفرنسي ديغول (١٨٩٠ - ١٩٧٠) وكان مبعث الصداقة بالطبع هو معرفة القادة الأذكياء بالقادة الحكماء، وتُشير إلى ان الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني كان (فيما قبل الرئيس الأسد) هو رئيس الدولة السوري الوحيد الذي توفي وهو يشغل منصبه على رأس الدولة فقد توفي قبل أن يبلغ الثامنة والخمسين من عمره، و من الجدير بالذكر أنه قُدّر لأحد رؤساء الوزارة في عهد رياسته للوزارة وهو الرئيس حسن الحكيم (الذي ولد في السنة التالية لميلاده) أن يعيش ٩٦ عاما حتى ١٩٨٢.

نشأته

درس الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني الفقه الإسلامي على يد والده ، وأصبح وهو في العشرين من عمره مساعدا شخصيا لوالده (١٩٠٥) وعُين (١٩١٢) مدرسا في المدرسة السلطانية بدمشق، وعضوا في لجنة إصلاح المدارس، وفي ١٩١٦ أسندت إليه رئاسة تحرير صحيفة الشرق التي

كان يُصدرها حاكم سوريا جمال باشا السفاح ، وهكذا فإنه بسبب تولي هذه الوظيفة في عهد السفاح كان من القلائل الذين نجوا من الإعدام أو الحكم عليهم بالإعدام في عهد جمال باشا السفاح .

مع الملك فيصل الأول

بعد نهاية الدولة العثمانية أصبح الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني عضوا في المؤتمر السوري العام، وعرفه الملك فيصل الأول في ذلك الوقت المبكر فعينه مديرا للقصر الملكي وعضوا في محكمة التمييز وعضوا في مجلس الشورى. فلما انتهى عهد المملكة السورية أثار الشيخ تاج الدين أن ينتقل إلى باريس، حيث عاش الفرنسيين وعاش الحياة السياسية الفرنسية وعرف كثيرا من رجالها.

فشله في تشكيل وزارة ١٩٢٥

بدأ الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني عهده بالسلطة حين طلب منه المفوض الفرنسي مورييس ساراي تشكيل الوزارة ورئاسة الدولة (١٩٢٥) لكنه فشل في تشكيل تلك الوزارة بسبب قوة الثورة السورية الكبرى المُندلعة والمندفعة في ذلك الوقت فاعتذر بعد أسبوع من إسناد المهمة إليه ما بين ٢٩ ديسمبر ١٩٢٥ و٦ يناير ١٩٢٦ ، وقد أعقب ذلك حكم فرنسي مُباشر تولاه الجنرال فرنسوا ألييب (١٨٨٦ - ١٩٦٥) حتى مايو ١٩٢٦ حيث كلف الرئيس أحمد نامي (١٨٧٨ - ١٩٦٣) برئاسة الدولة وبقي رئيسا حتى فبراير ١٩٢٨ حيث عاد الرئيس تاج الدين الحسني فخلفه رئيسا للدولة والوزارة معا.

توليه الرئاسة في فبراير ١٩٢٨

وقد ضمت وزارة الرئيس تاج الدين الحسني ضمن من ضمت العلامة الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع اللغوي السوري وزير المعارف ، كما دخلها رئيس وزراء سابق هو الرئيس جميل الألسني ، لكن المعارضة لها كانت أقوى منها فقد كان كل من حزب الشعب والكتلة الوطنية من معارضيها.

تمكّن الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني رغم هذه المعارضة من إجراء الانتخابات (١٠ و ٢٥ أبريل ١٩٢٨) للجمعية التأسيسية لوضع دستور ١٩٢٨. وتشكلت هذه الجمعية التأسيسية من ٦٨ عضوا وعقدت ١٥ اجتماعا برئاسة الرئيس هاشم الأتاسي أبو الجمهورية فوضعت ما عرف بدستور ١٩٢٨ وهو الدستور الذي لم ينشر إلا في ١٦ نوفمبر ١٩٣١ وحاز رضا أقطاب الكتلة الوطنية، والمعتدلين معا ، وبهذا أثبت الشيخ تاج الدين الحسني صلاحيته لأن يظل رئيسا حائزا على رضا السياسيين حتى مع معارضتهم له.

استقرار ، و استصدار للعفو

هكذا فإنه على يد الشيخ الحسني تحقق أول عهد استقرار للدولة السورية لم يسبق إليه (فبراير ١٩٢٨ - نوفمبر ١٩٣١) ، وقد تمكّن الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني من أن يستصدر عفوا عاما عن جميع من شملتهم الأحكام الفرنسية مما عرف بالثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٧) لكن

فرنسا استئننت من هذا العفو سبعين شخصية وطنية بارزة كان في مقدمتهم سلطان باشا الأطرش (١٨٩١ - ١٩٨٢) وتمكّن الشيخ الحسني أيضا من إلغاء الرقابة عن الصحف .

إعلان الدستور و انتخابات ١٩٣٢

وبناء على دستور ١٩٢٨ الذي لم يعلن إلا في ١٩٣١ أجريت انتخابات ١٩٣٢ التي وصفها الوطنيون بالتلاعب من أجل الوصول إلى صيغة لا ينفرد بها الوطنيون بالقرار. عاد الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني إلى رئاسة الوزارة في ظل المظاهرات التي اندلعت نتيجة رفض البرلمان لمعاهدة الصداقة والسلام مع فرنسا وهو ما تذرّعت به فرنسا لتُنتهي دورة مجلس النواب.

الإضراب الستيني

وفي ذكرى أربعين الزعيم إبراهيم هنانو قرأ الرئيس فارس الخوري ما سُمي بالميثاق الوطني في حفل أقيم في مُدرّج الجامعة السورية فأغلقت المحكمة مكاتب الكتلة الوطنية واعتقلت عددا من القادة كان منهم الزعيم سعد الله الجابري ووضعت شكري القوتلي وآخرين رهن الإقامة الجبرية ، وبدأ الإضراب الستيني الأشهر الذي واجه حكومة الرئيس الحسني وامتد من سوريا إلى لبنان ، واعتزمت فرنسا قصف دمشق على نحو ما حدث في ١٩٢٥ لكن التدخل البريطاني انتهى إلى لقاء بين الرئيس هاشم الأتاسي والمفوض الفرنسي في فبراير ١٩٣٦ ، والاتفاق على تشكيل وزارة جديدة تتولى العمل لإبرام معاهدة جديدة مع فرنسا (فبراير ١٩٣٦) فتشكّلت وزارة عطا الأيوبي بينما أثار الرئيس الحسني الانتقال إلى فرنسا حيث بقي فيها إلى بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩)

عودته إلى الرئاسة مرة أخرى

في ١٦ سبتمبر ١٩٤١ تولى الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني رئاسة الجمهورية مرة أخرى وظل يشغل هذا المنصب حتى يناير ١٩٤٣ حين أدركته الوفاة وهو رئيس للجمهورية . وقد عمل معه كرئيس للوزراء في هذه الفترة كل من:

- الرئيس خالد العظم الذي كان يتولى رئاسة الوزارة ورئاسة الجمهورية بالنيابة منذ أبريل ١٩٤١ و حتى تسلم الرئيس الحسني رئاسة الدولة منه ، وسرعان ما ترك الرئيس خالد العظم رئاسة الوزارة أيضا (وكانت هذه هي أول مرة يتولى فيها العظم رئاسة الوزارة)
 - فخلفه الرئيس حسن الحكيم سبتمبر ١٩٤١ - ١٩٤٢ وكانت هذه أيضا أول مرة يتولى فيها الرئيس الحكيم رئاسة الوزارة
 - ثم حسني البرازي أبريل ١٩٤٢ - يناير ١٩٤٣ وكانت هذه هي أول مرة أيضا يتولى فيها البرازي رئاسة الوزارة.
- ويدلنا هذا على ذكاء الرئيس الحسني وقدرته في اختيار الساسة الذين لمعوا بعد ذلك بخيراتهم وقدراتهم.

وقد عانت فترة رئاسة الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني من ظروف الحرب وقسوتها التي اضطرت وزارته إلى كل الإجراءات التي يكرهها أي شعب من رفع الضرائب ورفع سعر الخبز، وما إلى هذا من إجراءات الحرب القاسية.

هل مات مسموماً؟

تختلف الأقوال في سبب وفاة الشيخ الحسني ما بين أزمة قلبية أو السم أو مسئولية بريطانيا عن هذا الاغتيال.

رئاساته

هكذا يمكن تلخيص علاقة الشيخ الرئيس تاج الحسني بمناصب رئاسة الدولة ورئاسة الوزراء بالقول بأنه كان رئيساً للدولة معظم أعوام ١٩٢٨ و ١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٣١ و ١٩٤٢ ، وذلك على النحو التالي :

تولى رئاسة الدولة السورية ثلاث مرات

- كانت الأولى والثانية متصلتين ، الأولى تحت الانتداب منذ ١٥ فبراير ١٩٢٨ وحتى ١٤ مايو ١٩٣٠ فلما أعلنت الجمهورية الأولى في ١٥ مايو ١٩٣٠ أصبح أول رؤساء الجمهورية تحت الانتداب الفرنسي ١٥/٥/١٩٣٠ - ١٩/١١/١٩٣١ .
- ثم تولى رئاسة الجمهورية مرة ثالثة في عهد الجمهورية السورية الأولى أي التي أعقبت معاهدة ١٩٣٦ وكان هذا في ١٦ سبتمبر ١٩٤١ وحتى ١٧ يناير ١٩٤٣ خلفاً لخالد العظم.

وقد تولى رئاسة الوزارة ثلاث مرات

كانت أولها لفترة قصيرة لكن الآخرين كانتا لفترات طويلة:

- ١٩٢٥/١٢/٢٩ - ١٩٢٦/١/٦ أي لمدة أسبوع لكنه لم يشكلها
- ١٩٢٨/٤/١٥ - ١٩٣١/١١/١٩ (أي لمدة ٤٣ شهراً)
- ١٩٣٤/٣/١٦ - ١٩٣٦/٢/٢٢ (أي لمدة ٢٤ شهراً)

الفصل ١١ : جميل الألشي العربي العثماني الملكي الفرنسي

الرئيس العقيد جميل الألشي ١٨٨٣-١٩٥١ هو أبرز الضباط المتقاعدين من الجيوش العثمانية علاقة بالحكم في سوريا ، وهو قبل هذا من أبرز الضباط العثمانيين الذين عملوا في جيش المملكة السورية عند تكوينه إذ إنه انضم للجيش السوري و اختير ليكون المفوض العسكري باسم المملكة في بيروت.

ولما وقعت موقعة معركة ميسلون الخالدة التي استشهد فيها وزير الدفاع السوري البطل يوسف العظمة ودخل الفرنسيون دمشق كلفوا الرئيس علاء الدين الدروبي ١٨٨٠- ١٩٢٠ بتشكيل وزارته و كان من الطبيعي أن يكون الرئيس جميل الألشي هو وزير الدفاع فيها نظرا لعلاقته مع الفرنسيين التي نشأت في بيروت.

اغتيال رئيس الوزراء وتشكيل وزارة جديدة

سرعان ما اغتيل رئيس الوزراء علاء الدروبي هو ورئيس مجلس الشورى في ١٩ أغسطس في محطة قطار على طريق درعا ، حيث ذهبا لتهدئة الثائرين ، وهكذا قرر الوزراء أن يتولى الرئيس جميل الألشي رئاسة الوزراء على سبيل النيابة ، وبقي في هذا الوضع أسبوعين حتى ٦ سبتمبر حيث كلف هو نفسه بتشكيل وزارة جديدة هي وزارته الأولى ١٩٢٠/٩/٦ – ١٩٢٠/١١/٣٠ جمع مع رئاستها وزارة الحربية.

ومن الجدير بالذكر أن كل وزراء هذه الوزارة (وزارة الرئيس الألشي الأولى) كانوا دمشقيين، فقد كان القائد الفرنسي جورو قد فصل حلب واللاذقية والسويداء وفلسطين ولبنان والأردن عما كان قد تكوّن باسم المملكة السورية .

إبتهاده عن السياسة

وبعد أقل من ثلاثة أشهر قرّر القائد الفرنسي إلغاء وزارة الحربية لكن الرئيس جميل الألشي لم يُوافق، وكانت النتيجة أنه استقال من رئاسة الوزارة أيضا.

وهكذا ظل الرئيس جميل الألشي بعيدا عن السياسة في عهد الرئيسين صبحي بركات وأحمد نامي أي منذ ١٩٢٢ وحتى ١٩٢٨ حين عاد في ١٥ فبراير ١٩٢٨ ليكون وزيرا للمالية في وزارة صديقه الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني الأولى الذي كان على علاقة جيدة بمدير المخابرات الفرنسي في دمشق القومندان كوليبه، وقد احتفظ الرئيس جميل الألشي بوزارة المالية في وزارة الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني الثانية (أغسطس ١٩٣٠) ثم واجهت الوزارة حملة اتهامات بالفساد المالي قادتها مجموعة حزب الكتلة الصاعدة منذ ١٩٢٨ لكن القضاء لم يُدين الحسني ولا الألشي.

وإلى هذه الوزارة يعود الفضل في إنشاء الهلال الأحمر في دمشق. وقد بقيت وزارة الشيخ الرئيس الحسني في الحكم حتى ١٦ نوفمبر ١٩٣١ ، حيث تولى محمد علي العابد رئاسة الجمهورية ، وتشكلت وزارات بانئتلاف بين الكتلة الوطنية والمعتدلين أو بين مُعتدلي الجنوب والشمال (١٩٣٢ - ١٩٣٤).

عودته مع الرئيس الحسني

بعد أن قام المفوض الفرنسي شارل دي مارتيل بحل البرلمان عاد الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني للحكم في ١٧ مايو ١٩٣٤ فشكل وزارته ، واختار الرئيس جميل الألسي وزيراً للأشغال العامة. لكن هذه الوزارة استقالت بعد تعاقب الإضراب الستيني والانتخابات البرلمانية التي أوصلت الكتلة الوطنية للحكم والأتاسي لرئاسة الجمهورية.

توليه رئاسة الوزارة للمرة الثانية

في ١٢ سبتمبر ١٩٤١ عاد الشيخ الرئيس الحسني للحكم رئيساً للجمهورية وأعيد العمل بالدستور ونودي بسوريا المستقلة وكلف الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني زميله الرئيس حسن الحكيم برئاسة وزارة لم يُشارك فيها الرئيس جميل الألسي ، ثم كلف حسن البرازي بتشكيل الوزارة واندلع النزاع بين بريطانيا (التي كانت تؤيد البرازي) وفرنسا، وانتهى النزاع بإقالة البرازي بعد تخلي بريطانيا عن تأييده، وهكذا كلف الشيخ الحسني رئيس الجمهورية صديقه الرئيس جميل الألسي بتشكيل ما عرف على أنه وزارته الثانية في ٨ يناير ١٩٤٣ من وزراء مستقلين، وتصادف أن توفي الشيخ الحسني في ١٧ يناير بعد أيام قليلة من تشكيل وزارة الرئيس جميل الألسي الذي أصبح رئيساً للجمهورية بالنيابة بمقتضى حكم الدستور.

ومن الجدير بالذكر أن هذه كانت المرة الثانية من مواجهة مثل هذا الوضع فقد كانت المرة الأولى عند مقتل رئيس الوزراء علاء الدروبي ، وهكذا فإن الرئيس جميل الألسي تولى رئاسة الوزارة للمرة الثانية في ٨ يناير ١٩٤٣ بعد ٢٢ عاماً من رياسته الأولى ، ثم جمع بين الرئاستين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة ما بين ١٧ يناير ١٩٤٣ و ٢٥ مارس ١٩٤٣.

خلافه مع الفرنسيين

وسرعان ما اختلف الرئيس جميل الألسي مع الفرنسيين الذين كانوا يريدون منه المشاركة في تمويل عمليات الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية بخمسة عشر مليون ليرة ، لكنه رفض مُتمسكاً ببرنامج توزيع الخبز على الفقراء مجاناً وهكذا أُقيل الرئيس جميل الألسي في ٢٥ مارس ١٩٤٣ وشكلت حكومة مؤقتة برئاسة عطا الله الأيوبي و أُجريت الانتخابات المعروفة بانتخاب ١٩٤٣ التي جاءت بشكري القوتلي لرئاسة الجمهورية.

وهكذا ختم الرئيس جميل الألسي برئاسة الوزراء ورئاسة الجمهورية بخلاف وطني مشرف مع فرنسا.

الفصل ١٢ : جميل مردم بك الذي ظهر مع عبد الناصر والقوتلي في شرفة إعلان الوحدة

جميل مردم (١٨٩٣ - ١٩٦٠) واحد من أبرز رجال الحركة الوطنية السورية في عهدي الكفاح السري والعلني ثم في عهد الحكم الوطني الديمقراطي وحتى عصر الانقلابات العسكرية التي دفعته للابتعاد الذكي عن شرعتها أو الاعتراف بها ، ولهذا عاش مستريح الضمير مرهوب الجانب وإن كان بعيدا عن وطنه لكنه اتخذ مصر مستقرا لا مهجرا ، وهو أبرز السوريين علاقة بمصر في عهد ثورة ١٩٥٢ وقبل إعلان الوحدة ، حتى إنه وقف في الشرفة مع الرئيسين جمال عبد الناصر وشكري القوتلي في الاحتفال بإعلان الوحدة بين سوريا ومصر في ٢٢ فبراير ١٩٨٨ .

دائب الحركة

وصفه خلفه في رئاسة الوزارة الأستاذ معروف الدواليبي بأنه كان "حركة دائبة في دمشق لا يغني عنه أحد في الأجواء السياسية" ومع هذا فقد نفى نفسه نفيا اختياريا لأنه كان صاحب فكر مستقيم. ومن الجدير بالذكر من دون استباق للحوادث التاريخية في سياقها أنه بدأ حياته الحزبية مرتبطا بحزب الشعب الذي رأسه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ثم تحول بانتمائه إلى حزب الكتلة الذي كان يرأسه هاشم الأتاسي ثم كان من قيادات الكتلة الذين اتهموا باغتيال الدكتور الشهبندر لكن المحكمة برأته.

النشأة والتكوين

كان جميل مردم بك واحدا من طليعة السياسيين السوريين الذين نجحوا في تحقيق استقلال سوريا والحفاظ على شخصيتها، ولد في العام الذي ولد فيه صنوه في الكفاح سعد الله الجابري ١٨٩٣-١٩٤٧ وتوفي في العام الذي توفي فيه زعيمها هاشم الأتاسي الذي امتد به العمر وكانت في جميل مردم صفات جمعت بينه وبينهما وجعلته بمثابة الوسط الهندسي بين الرجلين .

عائلته

عاش جميل مردم بك حياة حافلة بالمجد منذ مولده فقد كان والده عبد القادر مردم قاضيا في محكمة الاستئناف . أما أسرة مردم نفسها فنُعدّ في طليعة الأسر الدمشقية، إذ يرجع نسبها إلى الوزير الكبير لا مصطفى باشا قائد الجيوش التركية وفتح قبرص ، والذي كان مُتزوجا من السيدة فاطمة خاتون حفيدة السلطان الغوري، و من الجدير بالذكر أيضا أن مؤلف النشيد القومي السوري هو الشاعر عدنان مردم ١٩١٧-١٩٩٨ و أن هناك كتابا لتميم مردم بك يؤرخ لأجيال هذه العائلة على مدى خمسة قرون. وقد بدأ جميل مردم بك كفاحه السياسي مبكرا فقد شارك أقرانه حين كان لا يزال في دمشق (١٩١١)، في تأسيس جمعية سرية لتحرير سوريا والأرض العربية من الهيمنة الأجنبية.

درستان متوازيتان في باريس

و في باريس درس جميل مردم بك دراستين متوازيتين نجح فيهما معا فقد كانت دراسته للعلوم الزراعية بناء على رغبة أهله وتخطيطهم ، و كانت دراسته للعلوم السياسية تحقيقا لطموحه . وفي باريس اشترك جميل مردم بك مع سبعة آخرين من الشباب العربي الناهض في تأسيس "الجمعية العربية الفتاة"

الأمين العام المساعد للمؤتمر العربي : حكم بالإعدام

ثم شارك جميل مردم بك في توحيد الدعوة إلى تأسيس المؤتمر العربي العام ١٩١٣ وأصبح أمينه العام المساعد وأصدر هذا المؤتمر توصيات بُلغت للسفير العثماني في باريس وللدول الأوروبية وبسبب مشاركته في هذا المؤتمر حوكم أمام المحكمة العليا التي شكلها جمال باشا حاكم سوريا (١٩١٦) برئاسته هو نفسه وحكمت بالإعدام على مجموعة من رموز العمل السياسي و قد حُكم على جميل مردم بك بالإعدام غيابيا، فترك باريس وتوجه إلى الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية ليدعم قضية استقلال وطنه العربي.

مؤتمر الصلح في فرساي

ولما توجه الملك فيصل ملك سوريا إلى مؤتمر الصلح في فرساي انضم جميل مردم بك إليه، وعاد معه على نفس الباخرة إلى دمشق في ٣ مايو ١٩١٩ وأصبح من مستشاري الملك فيصل الأول وعُيّن معاونًا لوزير الخارجية الشهبندر في حكومة الرئيس هاشم الأتاسي .

الثورة العربية

انضم جميل مردم بك إلى الثورة السورية التي أعقبت إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا (١٩٢٠) فلما حوَصر جبل الدروز تمكن جميل مردم بك من الهرب إلى حيفا لكن السلطات البريطانية سلمته للفرنسيين الذين نفوه إلى جزيرة إرواد الواقعة في البحر المتوسط بالقرب من طرطوس على الساحل السوري. وفي ١٩٢٣ عينت السلطة الفرنسية الجنرال ويغان ليكون مندوبا ساميا في سوريا خلفا للجنرال غورو الذي تولى فرض الانتداب الفرنسي على سوريا بقسوة ، وقد أصدر هذا المندوب السامي الجديد عفوا عن الوطنيين الذين كانوا خارج البلاد السورية وعن سلطان باشا الأطرش وعن المعتقلين في جزيرة إرواد ، ومنح حكومة دمشق وحلب الحق في انتخابات تمثيلية.

تأسيس حزب الشعب مع الشهبندر

أسس الدكتور عبد الرحمن الشهبندر حزب الشعب وهو أول الأحزاب السورية (١٩٢٤) وانضم إليه عدد من الزعماء الذين أصبحوا بعد ذلك زعماء في حزب الكتلة الذي أصبح يُمثل الأغلبية، وكان من هؤلاء جميل مردم بك وفارس الخوري، كما كان من مؤسسي الحزب الرئيسان لطفي الحفار وحسن الحكيم والوزير نزيه المؤيد العظم. وقد أُقيم حفل إعلان الحزب في ٥ يونيو

١٩٢٥ وانتخب الدكتور الشهبندر رئيساً والأستاذ فارس الخوري نائباً للرئيس، كما أعلن عن افتتاح فروع للحزب في حمص وحماة وحلب واللاذقية.

الانتقال لحزب الكتلة الوطنية

ولما تشكلت الكتلة الوطنية (١٩٢٨) ترك جميل مردم بك حزب الشعب وانضم إليها وأصبح أمين السر فيها وفاز في انتخابات ١٩٢٨، وأصبح بعد أربعة أعوام وزيراً للمالية (١٩٣٢ و١٩٣٣)، وكانت استقالته مُشرفة له إذ أنه اعترض على اقتراح بإسقاط جميع ديون الدولة عن المدنيين ، وكان بعض النواب من هؤلاء المدنيين.

زيارة للنحاس

يُذكر له بأنه زار الزعيم مصطفى النحاس باشا في القاهرة في ذروة تعسف حكومة انقلاب إسماعيل صدقي باشا (١٩٣٢) وكان يرفقته نائب حماة الدكتور توفيق الشيشكلي.

أتم الصلح بين ملكي السعودية واليمن

و بعد عامين كان جميل مردم بك هو الزعيم العربي الذي تولى الصلح بين السعودية واليمن في ١٩٣٤ بعد أن تطور النزاع بين حكاهما إلى الحرب المعروفة ، وقد تمكن من عقد معاهدة صداقة وتعاون بين الجانبين. وفي ١٩٣٦ تعرض جميل مردم بك للاعتقال بسبب قيام النُجَّار بالإضراب الشامل رداً على تلكؤ الفرنسيين في تنفيذ تعهداتهم ، كما قبض عليه بسبب خطبة نارية ألقاها في مقبرة الباب الصغير بعد تشييع جنازة أحد الشهداء.

معاهدة ١٩٣٦

ثم كان جميل مردم بك عضواً في وفد التفاوض مع فرنسا (١٩٣٦) الذي توصل لعقد معاهدة ٩ سبتمبر ١٩٣٦ ، و من الجدير بالذكر أن وفد المفاوضات السوري ضم مع هاشم الأتاسي كلا من فارس الخوري و جميل مردم وسعد الله الجابري. و انتهى الأمر بإجراء الانتخابات وكان جميل مردم بك على رأس قائمة الكتلة التي فازت في دائرة دمشق والغوطين.

رئاسة الوزارة في عهد الاتاسي

ولما استقر الوضع بفوز الكتلة برئاسة هاشم الأتاسي بالأغلبية البرلمانية في ١٩٣٦ وأصبح هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية، وفارس الخوري رئيساً لمجلس النواب عُهد إلى جميل مردم بك برئاسة الوزراء فكان أول رئيس وزراء في العهد الأول من عهود رئاسة هاشم الأتاسي للجمهورية السورية (من الجدير بالذكر أن سعد الله الجابري كان هو أول رؤساء الوزارة في عهد الرئيس شكري القوتلي في ١٩٤٣) وقد ظل جميل مردم بك في هذا المنصب ما بين ٢١ ديسمبر ١٩٣٦ وحتى ١٨ فبراير ١٩٣٩ حيث شكل وزارته الأولى والثانية (كان تشكيله للثانية في ٢٦ يوليو ١٩٣٨)

استقالته

استقال جميل مردم بك احتجاجا على تباطؤ فرنسا في الوفاء بعهودها لسوريا ، وخلفه لطفي الحفار، وقد عاصر عهده في رئاسته للوزارة عهدي النحاس باشا ومحمد محمود باشا. زار جميل مردم بك فرنسا ثلاث مرات في العامين التاليين لتوقيع معاهدة ١٩٣٦ والتقى بكثيرين من قادتها، كما زار تركيا والتقى بأتاتورك للتباحث في قضية لواء إسكندرون

محنته في اتهامه بقتل الشهبندر

كانت أصعب الأزمات السياسية التي واجهته هي اتهامه في ١٩٤٠ بالمشاركة في اغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر فاضطر إلى الهرب إلى العراق وبقي خارج سوريا حتى صدر الحكم بتبرئته هو ورفاقه الزعماء ممن حاولت سلطات الغرب تشويه صورتهم بالباطل . يذكر أن جميل مردم بك زار مصر مع فارس الخوري (١٩٤٢)

مكانته في عهد القوتلي

في ١٩٤٣ وعقب فوز الكتلة بالانتخابات وتولي شكري القوتلي رئاسة الجمهورية للمرة الأولى شكّل سعد الله الجابري الوزارة وأصبح جميل مردم بك نائبا ثانيا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية، فلما شكل فارس الخوري الوزارة خلفا لسعد الله الجابري (في أكتوبر ١٩٤٤) تولى جميل مردم بك وزارتي الخارجية والدفاع والاقتصاد الوطني، ثم وزارة الخارجية والدفاع في وزارة فارس الخوري الثانية، وكان هو رئيس الوزراء بالنيابة في أثناء حضور فارس الخوري لمؤتمر سان فرانسيسكو المؤسس للأمم المتحدة.

تأسيس سفارتي سوريا في مصر والسعودية

قام جميل مردم بك بمهام بروتوكولية وتأسيسية الطابع فاختير وزيرا مفوضا في مصر (أكتوبر ١٩٤٥) ليتولى تأسيس السفارة السورية وقام بالمهمة ذاتها (نوفمبر ١٩٤٥) في السعودية.

رأس ثلاث وزارات في عهد القوتلي

وعلى نحو ما كان جميل مردم بك قد شكل وزارتين متتاليتين في عهد هاشم الأتاسي الأول فإنه تولى رئاسة الوزارة ثلاث مرات متتالية في عهد رئاسة شكري القوتلي ما بين ٢٩ ديسمبر ١٩٤٦ و١٩ ديسمبر ١٩٤٨ وهي وزاراته الثالثة والرابعة والخامسة فيما يوازي عهد النقراشي باشا في رئاسة وزراء مصر (تشكلت وزارة جميل مردم بك الثالثة في ٢٩ ديسمبر ١٩٤٦ وتشكلت وزارته الرابعة في أكتوبر ١٩٤٧ وتشكلت الخامسة في أغسطس ١٩٤٨) وقد جاء شغله لرئاسة وزاراته الثلاث ما بين وزارتين رأسهما خالد العظم أي أن خالد العظم كان سلفه كما كان خلفه أيضا ، وفي هذه الوزارات جمع جميل مردم بين وزارتي الداخلية والصحة والإسعاف العام وبين الرئاسة ثم جمع وزارة الخارجية مع الرئاسة كما تولى وزارة الدفاع بنفسه منذ مايو ١٩٤٨ عندما نشبت حرب فلسطين.

الانتخاب أصبح مباشرا أي على درجة واحدة

في عهد وزارته الثالثة تعدل قانون الانتخاب فأصبح مباشرا أي على درجة واحدة بدلا من درجتين (٧ يوليو ١٩٤٧) وأجريت الانتخاباتوأقرّ المجلس الجديد التعديل الذي سمح بتمديد الرئاسة لفترة ثانية وكان هذا التعديل كما هو معروف من أجل تمكين الرئيس القوتلي من الاستمرار .

حرب فلسطين

وقد شهدت وزارته الرابعة (المشكّلة منذ أكتوبر ١٩٤٧) اندلاع مظاهر الاحتجاجات العربية العارمة على قرار تقسيم فلسطين وفي هذه الاحتجاجات قُتل أربعة من الشيوعيين وهوجمت سفارات أمريكا وبلجيكا والمركز الثقافي السوفييتي والحزب الشيوعي ، واستقال كثيرون من ضباط الجيش السوري لينضموا إلى جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي الذي اتخذ من دمشق مقرا لقيادته، واحتجت بريطانيا لدى سوريا على غارات المتطوعين العرب!! وفي عهده دخل الجيش السوري فلسطين بعد يومين من إعلان قيام دولة إسرائيل. وبعد توقف العمليات العسكرية بدأ الحديث عن فسادٍ في المجهود الحربي وأعمال جمع التبرعات لفلسطين مما كان إرهاسا بما حدث في مصر بعدها من لغط حول ما سمي بالأسلحة الفاسدة ، ومع هذا كله شكل جميل مردم بك وزارته الخامسة في أغسطس ١٩٤٨ لكن التظاهرات والإضرابات والمواجهات الدموية تصاعدت فاستقال في ديسمبر ١٩٤٨ وغادر سوريا إلى مصر.

رئاسة لجنة فلسطين في الجامعة العربية

أسندت إلى جميل مردم بك رئاسة لجنة فلسطين التي شكلتها جامعة الدول العربية وكان رأي جميل مردم بك في موضوع فلسطين سبب كل معاناته في الحياة وفي أدبيات السياسة العربية بعد ذلك ، إذ كان بحكم خبرته السياسية الدولية ميّالا إلى قبول قرار التقسيم، وقد صرّح بهذا ولم يكتف رأيهِ، وكانت له وجهة نظره بالطبع ، ونحن نعرف أن الكتابات اللاحقة التي تناولت تطور قضية فلسطين في نهاية الأربعينيات استسهلت توجيه الاتهام بالخيانة إلى كل سياسي أبدى رأيهِ المقترح للقبول بقرار التقسيم ، وكان جميل مردم بك بالطبع في مقدمة هؤلاء . ولا يزال اسمه يُستدعي من آن لآخر في حديث من يؤثرون أن يلقوا باللوم على كل سياسي ذي اقتراح أو رأي فيجعلونه ممن فرطوا في فلسطين أو من ضيعوا فلسطين.

رفضه الترشح للرئاسة

مع استقالة الشيشكلي و بداية ما عرف بالربيع الديموقراطي حاولت بعض القوى السياسية في مصر إقناع جميل مردم بك بالعودة إلى سوريا والترشح لرئاسة الجمهورية لكنه اعتذر واقترح عليهم أن يدعموا عودة القوتلي لتكون عودة للشرعية، وفي سبتمبر ١٩٥٤ أصدر جميل مردم بك بيانا في القاهرة أعلن فيه انسحابه تماما من الحياة السياسية .

وفاته

توفي جميل مردم بك في ٣٠ مارس ١٩٦٠ ونُقل جثمانه إلى سوريا.

الفصل ١٣ : حسن الحكيم رئيس الوزراء السوري الذي استحق لقب القوي الأمين

أبدأ بالقول بأنه إذا جاز لنا أن نُصنّف الساسة السوريين البارزين من حيث كفاءاتهم المهنية فإننا نجد بينهم قائمتين اقتصاديتين هما الرئيس خالد العظم الذي عرف بالتفوق في اقتصاد الصناعة والاقتصاد الحديث ، والرئيس لطفي الحفار الذي عرف بالتفوق في اقتصاد التجارة والعلاقات الخارجية. لكننا قبل هذا ننتبه إلى المكانة الرفيعة التي احتلها الرئيس حسن الحكيم في الإدارة المالية والحكومية والمالية العامة، وإلى هؤلاء تُضاف بالطبع أسماء قادرة في مجال الفكر الاقتصادي والإداري من وزن معروف الدواليبي و محسن البرازي وطبقتهم.

شهادة الأستاذ علي الطنطاوي

أثني بالقول بأن صاحب الفضل في إطلاق هذا اللقب على الرئيس حسن الحكيم (١٨٨٦ - ١٩٨٢) هو المفكر الأستاذ علي الطنطاوي، ومن الإنصاف أن نقول إن أداء هذا الرجل كان مثاليا حتى إن بعض الساسة إذا أراد أن يفخر بدور من يُحبّ من السياسيين نسبه إلى وزارة الرئيس حسن الحكيم حتى لو لم يكن وزيرا فيها. وقد قُدّر لهذا الرجل أن يقود السياسة السورية في مرحلتين حرجيتين فتوصل بهدوء إلى أفضل النتائج على نحو ما سنرى، كما قُدّر له أيضا أن يتولى أعلى المناصب في الدولة العثمانية وسوريا والأردن والعراق بكفاءة منقطعة النظير. وقد قُدّر له أن يعيش ٩٦ عاما وهو الرقم الأعلى بين رؤساء الحكومات ورؤساء الدولة السوريين.

التميز بين حسن الحكيم ويوسف الحكيم

من الجدير بالذكر أن هناك سياسيا وقاضيا مسيحيا معاصرا للرئيس حسن الحكيم وصل للوزارة (لكنه لم ينل رئاستها و إن رشح لها) وكان رئيسا لمحكمة التمييز وهو المؤرخ يوسف الحكيم المولود ١٨٧٩ والذي عاش مائة عام، و يحتل هذان الرجلان الذين يحملان لقب الحكيم مع اختلاف الملة القمة في قائمة أطول الساسة السوريين عمرا .

نشأته

ولد الرئيس حسن عبد الرزاق الحكيم عام ١٨٨٦ في دمشق وتلقى تعليمه في دمشق وإسطنبول، وأصبح موظفا عثمانيا، و وصل إلى وظيفة مدير الشعبة الثانية للمكتب العثماني للوزام العسكرية (أي الإمداد والتموين) في أثناء الحرب العالمية الأولى .
لما أعلن قيام المملكة السورية (١٩١٨ - ١٩٦٠) عُين الرئيس حسن الحكيم مفتشا للمالية، فمديرا للبرق والبريد وكان هو بحكم هذا المنصب بمثابة الموظف المسئول عن إيصال برقية قبول حكومة المملكة للإنداز الفرنسي الذي ألغى وجود المملكة نفسها، وهكذا بلغ الطغنيان أن حوكم الرئيس الحكيم بهذا السبب لكنه نال البراءة، فأثر أن ينتقل بحياته إلى مصر.

توليه الوزارة في الأردن

ولم يطل المقام بالرئيس حسن الحكيم في مصر فقد اختاره الملك عبد الله أمير شرق الأردن ليكون وزيرا للمالية في أول حكومة أردنية وهي الوزارة التي تشكلت برئاسة رشيد طليع في ١١ أبريل ١٩٢١، وكان لقب الوزير في هذه الوزارة : "المشاور" ، لكن البريطانيين كانوا بدهائمهم حريصين على ألا تكون في الإمارة الجديدة (شرق الأردن) بؤرة من الكفاءات العربية التي قد تمهد لمشروع الشام أو سوريا الكبرى وهكذا اضطر الرئيس حسن الحكيم وأنداده للعودة إلى دمشق ليواجه بعد قليل اتهاماً فرنسياً نتيجة اتصاله بلجنة مستر كراين وكنج التي انتدبها الرئيس الأمريكي ويلسون من أجل كتابة تقرير عن أحوال سوريا وغيرها.

السجن والنفي

وكانت النتيجة أن حكم عليه بالسجن ١٠ سنوات مع زميله الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وقضيا من هذه الفترة بالفعل عاما ونصف في بيت الدين (لبنان) وجزيرة إرود (قرب طرطوس) إلى أن أسقطت هذه الأحكام الجائرة .

الأمين العام لحزب الشعب

فلما شكّل الشهبندر (١٩٢٥) ورفاقه حزب الشعب (الأول) أصبح الرئيس حسن الحكيم أميناً عاماً لهذا الحزب.

الهروب من حكم بالإعدام

ولما أشترك الحزب في الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٧) كان من الطبيعي أن يُشارك فيها الرئيس حسن الحكيم وأن ينال بالتالي حُكماً بالإعدام يمثل محنته الثالثة من أجل وطنه.

عمله في فلسطين

وقد تيسّر له الفرار من الإعدام إلى شرق الأردن ثم مصر وفلسطين وعمل في تلك الفترة مديراً للمصرف العربي في يافا (١٩٣١ - ١٩٣٤) ثم تولى تأسيس المصرف الزراعي الصناعي في بغداد (١٩٣٦) وذلك بتكليف من صديقه ياسين الهاشمي رئيس الوزراء العراقي.

العودة بعد العفو

قُدّر لحسن الحكيم أن يعود إلى سوريا بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ التي كانت أولى إرهابات قبول فرنسا بالاستقلال السوري، وقد صحبها إعلان العفو العام عن كل المتهمين السياسيين، وعند عودته عُيّن مديراً عاماً للأوقاف الإسلامية (١٩٣٧ - ١٩٣٨) ثم وزيراً للمعارف ١٩٣٩ ثم مديراً للمصرف الزراعي.

رئاسته للوزارة السورية

وجاءت رئاسته للوزارة عندما استقال الرئيس خالد العظم الذي كان يجمع رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة معا في سبتمبر ١٩٤١ و تقرّر أن يخلفه في رئاسة الدولة الشيخ الرئيس تاج الدين الحسيني وأن يخلفه في رئاسة الوزراء الرئيس حسن الحكيم .

وفي عهد هذه الوزارة أصدرت فرنسا إعلانها الثاني عن استقلال سوريا في ٢٧ سبتمبر ١٩٤١ تنفيذا لما كان وعد به الجنرال كاترو في ٨ يونيو ١٩٤١، وكانت هذه ثاني مراحل إعلان الاستقلال السوري بعد معاهدة ١٩٣٦.

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس حسن الحكيم استقال للضغط على فرنسا للحصول على مزيد من حقوق الاستقلال وخلفه الرئيس حسني البرازي. وقد سارعت مصر وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية بالاعتراف بالاستقلال السوري الذي تضمنه هذا الإعلان..

في عهد الانقلابات

وفيما بعد سنوات وفي عهد الانقلابات العسكرية خاض الرئيس حسن الحكيم انتخابات الجمعية التأسيسية التي أجريت في نوفمبر ١٩٤٩ ففاز عن مدينة دمشق، وصار عضواً بالمجلس النيابي بعد أن تحولت هذه الجمعية إلى برلمان، وعُيّن وزيرا للدولة في ١٩٥١ وفي ٩ أغسطس ١٩٥١ أصبح رئيساً للوزراء على رأس وزارة ائتلافية كانت هي الوزارة التي خلفتها وزارة يمكن تسميتها بوزارة الرئيس زكي الخطيب بالنيابة لمدة أسبوع، ثم وزارة الرئيس معروف الدواليبي التي لم تدم إلا يومين فقط فقد كان تشكيلها دافعا مباشرا للعقيد أديب الشيشكلي للقيام بانقلابه الثاني ١٩٥١ المتعارف على أنه رابع الانقلابات السورية.

طبيعة وزارة الحكيم

كانت هذه الوزارة التي شكلها الرئيس حسن الحكيم في أغسطس ١٩٥١ ائتلافية لكن الأغلبية فيها كانت لحزب الشعب (وليست للحزب الوطني الذي ورث الكتلة، ولا للنجم الصاعد حزب البعث)، وقد احتفظ الرئيس حسن الحكيم بوزارة المالية مع رئاسة الوزارة. وكانت هذه الوزارة في عهد الرئيس هاشم الأتاسي مع وجود العقيد الشيشكلي في الصورة قبل أن يقود انقلابه الثاني، وقد سبقتها في عهد انقلاب العقيد الشيشكلي الأول أي منذ ديسمبر ١٩٤٩ عدة وزارات رأسها على التعاقب الرؤساء ناظم القدسي ثم خالد العظم ثم ناظم القدسي ثم خالد العظم وتلتها وزارة معروف الدواليبي على نحو ما ذكرنا بعد أسبوع من تولي زكي الخطيب المنصب بالنيابة.

خلافه مع الشيشكلي : رفض تولي الجيش مهمة شرطية

وعلى الرغم من قصر عهد هذه الوزارة فقد تمكن الرئيس حسن الحكيم بخبرته المالية الطويلة من ضبط موازنة الدولة بضغط النفقات بطريقة ذكية. لكن أبرز خلافاتها مع العقيد الشيشكلي تمثلت في رفض الوزارة لطلبه أن يُشرف الجيش على شرطة الأرياف بدلا من الداخلية.

مؤلفاته و تكريمه

ترك الرئيس حسن الحكيم من المؤلفات : "مذكراتي"، "الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية" "من هنا وهناك" كما كتب كتابا عن صديقه عبد الرحمن الشهبندر.
نال الرئيس حسن الحكيم كثيرا من التكريم المبكر كان منه الوسام المجيدي من الحكومة العثمانية وميدالية الحرب من الوزارة العثمانية.

الفصل الرابع عشر : حسني البرازي صحفي رأس الوزارة واستوعب تحويل مجرى نهر الأردن

نبدأ الحديث عن الزعيم السوري الرئيس حسني البرازي (١٨٩٥ - ١٩٧٥) بالإشارة إلى من أسرته رئيس وزراء لاحق به هو ابن عمه الدكتور محسن (١٩٠٢ - ١٩٤٩) رئيس الوزراء في عهد الرئيس حسني الزعيم ، و كما نرى من التواريخ الواضحة فإن الأكبر هو الرئيس حسني ، وهو الأطول عمرا ، وهو الذي وصل إلى رئاسة الوزراء والوزارة قبل محسن ، ولنتذكر أن أسبقية الرئيس حسني على الرئيس محسن في كل هذا تأتي متوافقة مع أسبقية حرف الحاء على حرف الميم في ترتيب الحروف ، ومع هذا فإن نجم الدكتور محسن كان أسرع صعودا واختفاء.

مولده ونشأته

ولد الرئيس حسني البرازي في أسرة حموية كردية الأصول وتلقى تعليمه في حماة وحلب وإسطنبول ودرس في مدرسة يغلب عليها المدرسون الأتراك فأتقن التركية ثم تلقى دروسا في العربية على يد أساتذة خصوصيين وأتاح له هذا التعلم المدرسي المتأخر للغة العربية نضجا في فهمها والتعبير بها. ثم قضى المرحلة الثانوية من دراسته (يسمونها في التركية المدرسة الإعدادية) في تركيا طالبا في المدرسة الإعدادية الداخلية ثم التحق بمعهد (كلية) الحقوق في إسطنبول وأتم دراسته في أربع سنوات وعاد فعاش وعمل في دمشق. وساهم في الحركة الوطنية والحزبية فاشترك في كل الأحزاب المعبرة عن الحركة الوطنية وهي (على التوالي): العربية الفتاة، العهد السوري، الاستقلال، الكتلة الوطنية. وفي عهد الملك فيصل عُين متصرفا (محافظا) لحمص ثم تولى مفتشية عدلية سورية ووقوع الانتداب الفرنسي اصبح من الساسة الوطنيين المطاردين .

مناصبه الوزارية

بدأ عهد حسني البرازي بالمناصب الوزارية مبكرا ، ذلك أنه لما توصل الرئيس أحمد نامي إلى تشكيل وزارته الأولى مايو ١٩٢٦ بالمنافسة بين الوطنيين والائتلافيين ، كان البرازي مع فارس الخوري ولطفي الحفار هم الثلاثة الذين مثلوا الوطنيين ، وقد اختير هو وزيرا للداخلية ، ومن العجيب أن السلطة الفرنسية الغاشمة لم تجد مانعا من أن تعتقل هؤلاء وتنفيهم إلى الحسكة ، وبهذا كان لا بد من تشكيل وزارة جديدة بعد أن اعتقل نصف الوزراء ، وفي ثالث وزارات الرئيس أحمد نامي ، نجح الرئيس نامي بالكاد في التوسط لنقل نفيهم من الحسكة إلى لبنان.

انتخب الرئيس حسني البرازي ١٩٢٨ عضوا في الجمعية التأسيسية التي تولت وضع دستور ١٩٢٨ برئاسة هاشم الأتاسي وأصبح كذلك نائبا في مجلس النواب ١٩٢٨. اختير الرئيس حسني البرازي وزيرا للمعارف في وزارة الشيخ حسني (١٩٣٤) ثم أصبح بعد ثمانية أعوام رئيسا للوزراء (إبريل ١٩٤٢ - يناير ١٩٤٣) في أثناء رئاسة الشيخ تاج الدين الحسيني للجمهورية .

حسني البرازي والصحافة

ظل حسني البرازي طيلة حياته يُمارس للصحافة وفي ١٩٥٤ أصدر بالاشتراك مع الأستاذ نذير فنصة (الذي هو عدیل حسني الزعيم) جريدة الناس في دمشق وقد صدر عددها الأول ١٨ يوليو ١٩٥٤ وصدرت بصفة يومية واستمرت في الصدور حتى ١٩٥٧ وكان الشاعر بدوي الجبل من كُتابها وكذلك النائب فيضي الأتاسي.

تحفظه على الوحدة مع مصر والحكم بإعدامه

لم يكن الرئيس حسني البرازي من المروجين للوحدة مع مصر ولا من المتحمسين لها ولا حتى من القابلين بها ، بل كان من المتحفظين عليها وقد اتهمه عبد الحميد السراج رجل الرئيس عبد الناصر القومي بالإعداد لانقلاب عسكري ، فأقام مضطرا في بيروت، وقد صدر في حقه حكم الإعدام من المحكمة العسكرية، ثم صدر العفو عنه في منتصف الستينات بسبب تقدمه في السن.

حسني البرازي والمشروع الأمريكي

يذكر التاريخ السياسي للرئيس حسني البرازي أنه كان أول من اقترح على العرب أن يقبلوا بالمشروع الأمريكي لتحويل مجرى نهر الأردن ، وهو المشروع الذي أوفد الرئيس الأمريكي إيزنهاور مندوبا عنه هو إيريك جونسون لإقناع العرب به وبدأ بלבnan، فلما علم الرئيس حسني البرازي أن الزعماء السوريين سيلجئون (كعادة العرب) إلى المسارعة بالاعتصام بالرفض كتب يقترح عليهم الموافقة حتى لا يضيعوا على سوريا فرصة الإفادة ، حيث كانت الوزارة الأمريكية تنوي إعطاء الثلث للعرب والثلث لإسرائيل دون تكلفة على العرب، وقال إن قبول المشروع أفضل من رفضه وحينئذ ستؤخذ المياه دون أن يستفيد العرب منها شيئا. وقد قرأ إيريك جونسون مقاله، وذهب لزيارته وشرح له تفاصيل أخرى في الموضوع، وحذره من أن العرب إذا لم يقبلوا بالمشروع فسيأتي اليوم الذي يندمون فيه. وقد أعاد البرازي الكتابة في الموضوع راويا زيارة جونسون له، من دون جدوى. وهكذا عبر في صراحة عما كان يُحس به من الإحباط ممن العرب لا يستشعرون مسؤوليتهم الحقيقية في قيادة الشارع وإنما يسرون وراء الدعايات الحماسية.

خطط للانقلاب على حسني الزعيم

كان الرئيس حسني البرازي في بيروت في أثناء حكم حسني الزعيم، وكان من المُخططين للانقلاب المبكر على الزعيم وابن عمه الدكتور محسن البرازي ، فما كان من الزعيم إلا أن استدعاه إلى دمشق على أنه سيعرض عليه منصبا ، فلمّا وصل إلى دمشق أمر باعتقاله وإيداعه سجن المزة. وحين قام انقلاب الحناوي على الزعيم كان الرئيس حسني البرازي لا يزال محتجزا في سجن المزة ، بينما كان ابن عمه الدكتور محسن رئيسا للحكومة ، فإذا بالأمر تنقلب ويتم إعدام محسن في اليوم التالي لقيام الانقلاب (أغسطس 1949).

شمس الدين العجلاني كتب تاريخه

كتب الأستاذ شمس الدين العجلاني مقالا متميزا عن شخصية الرئيس حسني البرازي.

الفصل ١٥ : حسني الزعيم الضابط الذي أنجز في ٥ شهور ما أنجزه المصريون في ٥٩ عاما

نبدا القول بأن "الزعيم" كانت رتبته العسكرية ، وكذلك كان اسم عائلته هو عائلة الزعيم ، ومن هنا جاءت هذه التسمية الموسيقية النادرة .

الزعيم حسني الزعيم ١٨٩٧- ١٩٥٢ هو قائد و مفجر و صاحب أول انقلاب عسكري ناجح كما أنه كان منجز الوحدة المصرية السورية الأولى في العصر الحديث ١٩٤٩ وهي وحدة طويت أوراقها وطمست تماما حتى يكون عبد الناصر أول موحد للقطين اللذين اتحدا كثيرا على مدى التاريخ ، وعلى الرغم من أن انقلابه لم يعيش إلا أربعة أشهر ونصف فقط فيما بين ٣٠ مارس ١٩٤٩ و ١٤ أغسطس ١٩٤٩ فإنه كان انقلابا ناجحا إذا ما قورن بانقلاب رشيد عالي الكيلاني في العراق في ١٩٤١ أو انقلاب عبد الله بن الوزير في اليمن ١٩٤٨ .

أول انقلاب ناجح

ومن هنا فإن التاريخ لا يزال يعتبره أول الانقلابات العسكرية التي استخرجت لها شهادة ميلاد و شهادة تطعيمات على حين ان الانقلابيين اللذين سبقاه في العراق واليمن ماتا سريعا فكان من السهل تمزيق أو إهمال شهادة ميلادهما ، لكن المذهل في الأمر أن حسني الزعيم قد عاش في فترة انقلابه القصيرة دورة الحياة الكاملة للانقلاب العسكري من الهلال إلى المحاق وهي الدورة التي استغرقت ٥٩ عاما كاملة في مصر .

ومن الطريف أن الزعيم حسني الزعيم بدأ انقلابه جامعا السلطات كلها في يده، حيث جمع بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة في أول عهده ، وإن كان لم يُشكل الوزارة برياسته إلا بعد أكثر من أسبوعين من الانقلاب في ١٧ أبريل ١٩٤٩ ثم أجرى انتخابات "انقلابية" حققت له أن يصور نفسه بالباطل رئيسا منتخبا في ٢٦ يونيو ١٩٤٩ .

ومن ثم فإنه كلف الدكتور محسن البرازي برئاسة الوزراء في ٢٦ يونيو ١٩٤٩ مع إعلانه عن أنه فاز برياسة الجمهورية بانتخاب من الانتخابات المطلقة التي عرفها العرب بعد هذا ونسبوا إلى الرئيس عبد الناصر بينما كان الزعيم هو المبدع . وبقي الدكتور محسن البرازي رئيسا للوزراء معه حتى أعدم هذان الرجلان معا حين قام سامي الحناوي بالانقلاب عليهما في ١٤ أغسطس ١٩٤٩ .

البدايات

ولد الزعيم حسني الزعيم في حلب ١٨٩٧ ومن الطريف أن قائد الانقلاب عليه وهو سامي الحناوي ولد في العام التالي ١٨٩٨ وقد عاش كلاهما ٥٢ عاما ذلك أن سامي الحناوي قتل عام ١٩٥٠ أي في العام التالي لإعدام الزعيم حسني الزعيم ١٩٤٩ .

تمتع الزعيم قبل وصوله إلى مرحلة الانقلاب بحياة سياسية حافلة بالحركة الفكرية، فوالده كان مُفتياً في الجيش العثماني (كان والد هاشم الأتاسي مفتي حمص ووالد سعد الله الجابري مفتي حلب) وكذلك كان شقيقه صلاح الدين من علماء الدين، وقد تخرج في الأكاديمية العسكرية في إسطنبول وتمرد على العسكريين العثمانيين في ١٩١٧ وانضم لما كان يُسمى بـ "الثورة العربية الكبرى".

الحكم عليه بعشر سنوات مع الأشغال الشاقة لتأييده النازي

وبعد أن انتهى عهد المملكة السورية في ١٩٢٠ انضوى ١٩٢١ في العمل في القوات الفرنسية التي مثلت قوة الانتداب الفرنسي على سوريا ، وظل ولاؤه لفرنسا وإن كان قد قاتل في صفوف حكومة فيشي التي يعتبرها الفرنسيون أنفسهم حكومة عميلة للنازي ، ولهذا فإنه حُكم عليه بالسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة شأنه شأن كل المقاتلين الذين اعتبرتهم فرنسا خونة وعاقبتهم وأعدمت بعضهم ، وكان الزعيم قد وصل إلى رتبة عقيد فجرد من رتبته العسكرية.

عودته للخدمة العسكرية

وفي ١٩٤٤ أصدر الرئيس "الجديد وقتها" شكري القوتلي عفوا رئاسيا عن الضباط مع السماح بعودتهم إلى الجيش برتبهم السابقة ، وهكذا عاد الزعيم حسني الزعيم إلى الجيش برتبته فيما يُشبه عودة الرئيس السادات إلى الجيش بأقدميته في مطلع ١٩٥٠ قبيل أن تتولى وزارة الوفد الحكم وفيما يُشبه أيضا عودة الرئيس أحمد حسن البكر إلى الجيش العراقي برتبته في ١٩٥٧ . وبهؤلاء الرؤساء الثلاثة السادات والبكر والزعيم نضرب المثل على أن الفصل المبكر من الخدمة العسكرية ليس نهاية الدنيا .

بعد عودته للخدمة عمل الزعيم حسني الزعيم رئيسا للمحكمة العسكرية في دير الزور ثم انتقل إلى دمشق مديرا لقوى الأمن الداخلي.

الرئيس القوتلي (بلا قصد) يمهد للانقلاب الطريق

بعد هزيمة ١٩٤٨ وفي سبتمبر ١٩٤٨ فوجئ السوريون بالرئيس القوتلي يقبل عبد الله عطفة قائد الجيش ويحل حسني الزعيم محله مع ترقيته لرتبة زعيم على نحو ما هو معتاد في تاريخ قادة الانقلاب العسكريين الذين يحصلون من الرؤساء حسني الزعيم على الثقة والترقيات والمناصب خلافا لكل الحسابات.

و من الجدير بالذكر أن رتبة زعيم في ذلك الوقت هي نفسها رتبة الكولونيل بعد اختيار اللفظ العربي المقابل بما يشبه الترجمة. وفيما بعد وعند توحيد الرتب العسكرية العربية أصبحت رتبة الزعيم هي رتبة "العميد".

لم يكن اختيار الرئيس القوتلي للرئيس الزعيم بدون مبررات فقد كان الزعيم ذكيا مقنعا منجزا مجيدا للتقرب حريصا على الاستحواذ على الثقة وكان قد حقق إنجازات عسكرية في حرب فلسطين كما أنه أسهم في حل الاضطرابات السياسية في البلاد (١٩٤٨ - ١٩٤٩) ومع هذا فقد كانت

عصبيته ظاهرة، وكان تقلبه ملحوظا، وكانت روحه المغامرة تفصح عن نفسها كما كانت تصرفاته المقامرة أظهر من أن تستتر، فضلا عن هذا فإنه كان قليل الثبات سريع الانفعال سهل الاستنارة.

بوادر انقلابه كانت منبئة عن نفسها

لهذا كله فلم يكن الارتياح في إقدام حسني الزعيم على القيام بانقلاب عسكري بعيدا عن تفكير أي مثقف مُنصف للحقيقة فقد كان قد بدأ يُمارس أدوارا سياسية بوضوح قبل أن يقود الانقلاب بأكثر من تسعة شهور.

ففي ديسمبر ١٩٤٨ استقالت حكومة جميل مردم بك واعتذر الرئيس هاشم الأتاسي عن تشكيل الوزارة لكن الزعيم حسني الزعيم نشر الجيش في العاصمة دون إذن أو أمر ، ومن ثم فإن الرئيس القوتلي في ساعة تالية من نفس اليوم أعلن حالة الطوارئ والأحكام العسكرية وكأنه أصبح أمام الأمر الواقع، وبدأ الزعيم حسني الزعيم في اليوم التالي جولة لا يقوم بها إلا سياسي أو انقلابي ، فقد بدأ يزور المواقع العسكرية في المناطق السورية المختلفة وبعد عشرة أيام شكل الرئيس خالد العظم وزارته ، لكنه كان من المعروف أنه في حالة عدا مع الزعيم حسني الزعيم وأصبح الموقف مُتسما بالتربص بين الرجلين وكان الرئيس القوتلي بطيبة المدنيين يظن أن مثل هذا سيصُبّ في مصلحة استقرار سوريا .

اختلاق المبرر

ثم جاء مبرر قوي للانقلاب في أثناء المناقشة البرلمانية لحرب ١٩٤٨ ، حيث لم يتحمل العسكريون مناقشة الأمور العسكرية بوضوح في مجلس النواب، وهكذا اتخذوا من هذه المناقشة سببا لتجميع أنفسهم في كتلة انقلابية ضمت ١٤ ضابطا ، كان منهم الزعيم حسني الزعيم بالطبع وكان منهم خلفه سامي الحناوي ، وقد اعتمدت خطة انقلاب الزعيم في ٣٠ مارس ١٩٤٩ على قطع كافة الاتصالات بين سوريا والعالم الخارجي، وتطويق القصر الرئاسي ومجلس النواب والوزارات الرئيسية ومقرات الشرطة والجندرية.

تورط أكرم الحوراني في الانقلاب

تولى أكرم الحوراني ببلاغته !! إعداد بيان الانقلاب الذي أذيع في الإذاعة السورية. ومن الجدير بالذكر أن جميع المواقع استسلمت دون إطلاق رصاصة واحدة، واعتقل الرئيس القوتلي ورئيس الوزراء ونُقل إلى مستشفى المزة العسكري ولم يُعلن اسم قائد الانقلاب اكتفاء بالإشارة إلى القيادة الجماعية .

مبادرة فارس الخوري

وفي الصباح التقى قائد الجيش حسني الزعيم بالسياسي القدير فارس الخوري رئيس مجلس النواب وعدد من الأعضاء وأسفر اللقاء عن السماح للخوري بزيارة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء كي يحصل من كل منهما على الاستقالة ليكون انتقال السلطة شرعيا. ومما يذكر لفارس الخوري في ذلك المقام أنه قال للزعيم : سامحك الله ، لقد فتحت بابا يصعب على التاريخ إغلاقه.

التفويض

وفي اليوم الثالث أي أول أبريل ١٩٤٩ انعقد البرلمان في فندق الشرق وبحضور سبعين نائبا ففوضوا السلطة الشرعية للزعيم، دون معارضة وذلك خوفا منهم من انقسام الجيش واحتمال الحرب الأهلية..

وفي ٢ أبريل أعلن الزعيم الإجراءات الانقلابية المشهورة والتقليدية : حل البرلمان الذي فوضه بالأمس ، وتعطيل الدستور، و تفويض نفسه صلاحيات التشريع.

وفي ٧ أبريل أعلن الزعيم استقالة الرئيس .

وفي ٨ أبريل نشرت الصحف نص استقالة الرئيس بخط يده وبدأت تذيع أن الزعامات السورية بدأت في الاعتراف بالانقلاب : محمد كرد علي رئيس المجمع اللغوي وهاشم الأتاسي رئيس الجمهورية الأسبق ، وميشيل علق زعيم البعث ، وإحسان الجابري رئيس الحزب الوطني السوري.

الاعترافات

في ١٧ أبريل أعلنت العراق وتركيا أنهما تعترفان بالانقلاب ، وكان هذا بالطبع جزءا من ذكاء الأمريكيين للفت النظر عن دورهم هم ، وفي ٢١ أبريل اعترفت مصر والسعودية ولبنان رسميا ، وفي ٢٧ أبريل اعترفت الدول الغربية الثلاث أمريكا وبريطانيا وفرنسا بيد أن الأردن ظل متحفظا وتبعته لبنان في التحفظ رغم اعترافها بالانقلاب.

الوحدة مع مصر

استقبل الزعيم في بداية انقلابه بأمل كبير في أن تنتهي أزمات سوريا على يديه وبخاصة أن نتيجة حرب ١٩٤٨ كانت قد هدت من عزيمة الشعب العربي وطموحه لكن الزعيم حسني الزعيم سرعان ما بدد الثقة التي حازها بل جلب العدا والمواجهة مع كثير من القوى السياسية والشعبية. من غير المعروف على نطاق واسع (ولا حتى ضيق) أن الزعيم حسني الزعيم بادر بأن أعلن الوحدة مع مصر وسافر لهذا الغرض إلى القاهرة والتقى مع الملك فاروق وأصبح الملك فاروق رئيسا لدولة الوحدة وأصبح هو نائبا لرئيس دولة الوحدة .

وعلى حين تورد المذكرات التي تتحدث عن عهد الملك فاروق تفصيلات هذا الاتفاق فإن كل أدبيات السياسة في عهد ثورة ١٩٥٢ تقفز عليها أو تتخطاها عن عمد لتُفسح المجال أمام بطل الوحدة جمال عبد الناصر مع أن ما حدث في ١٩٥٨ لم يكن إلا تكرارا حرفيا أميننا لما حدث في ١٩٤٩ لكن الزعيم لسوء حظه فقد منصبه بسرعة.

تسببت زيارة الزعيم للملك فاروق وإعلان الوحدة بين القطرين في توتير علاقة الرئيس الزعيم بالعراق وتوتر علاقته بحزب الشعب بصفة خاصة وسرعان ما تدهورت علاقته بالعراق، حتى إن نوري السعيد أعلن أنه لا يعترف بالاستفتاء الذي أجراه الزعيم على توليه منصب الرئاسة.

وعلى صعيد آخر فقد ظهر الرئيس الزعيم في البداية معاديا للرئيس رياض الصلح وقريبا من القوميين السوريين وقد اجتمع بهم بعد توليه السلطة وإغلاق الحدود مع لبنان .

الحسم المظهري و الإداري

كانت معالجة الرئيس الزعيم للمسائل الاقتصادية بمثابة محاولة استباقية منه لإثبات جدوى الحسم وضرورته ، فقد أسس مكتبا للشكاوى والمظالم ومحكمة عاجلة معه ، وأمر على سبيل المثال بجلد أصحاب المخازن الذين أدينوا ببيع خبز فاسد أمام مخابزهم ، و سرعان ما دخل في مشروعات اقتصادية كثيرة منها خط أنابيب البترول المعروف باسم التابلاين. كما بدأ سياسات الإصلاح الزراعي المعروفة في المقترحات الأمريكية ، واندفع إلى تأميم الأوقاف، وكان سباقا إلى توحيد وعاء الضريبة ورفع ضرائب الدخل والأرباح الصافية.

نقل الزعيم تبعية الجند من وزارة الداخلية إلى وزارة الدفاع ورفع عدد الجند المتطوعين من خمسة آلاف إلى سبعة وعشرين ألفا وكون فرقة من المسلمين اليوغوسلاف لحمايته.

نجاحاته الغزيرة و السريعة

سرعان ما نجح حسني الزعيم في كثير من خطوات الإصلاح الإداري وفي إقرار قانون الأحوال الشخصية وفي تقليص عدد النواب إلى سبعين وفي تحديث نظام الجامعة السورية وفي إنشاء محكمة دستورية عليا لمراقبة أعمال مجلس النواب والوزارة.

وإلى الزعيم يعود الفضل في إنشاء نظام المحافظات والمحافظين الذين يجمعون بين السلطات المدنية والعسكرية وهو ما عجزت مصر عن تطبيقه حين قلده بعد أكثر من عشر سنوات.

و يذكر له انه أول زعيم عربي منح المرأة حق التصويت سابقا بهذا ما أنجزته مصر بأكثر من سبع سنوات بل سابقا بعض الديمقراطيات الغربية. لكن الدوائر الغربية لا تهتم في كتابتها بمثل هذا الإنجاز قدر اهتمامها بأن تنظر إلى الزعيم حسني الزعيم نظرة شكلائية من حيث إنه أنهى تقاليد كانت مميزة للشرق من قبيل إلغاء الألقاب وإلغاء لبس الطربوش وهو ما كانت ثورة ١٩٥٢ حريصة على تقليده فيه منذ أيامها الأولى وهو شعور العسكريين العرب تجاه أي غطاء للرأس غير الكاب. كما أنه جاهر بضرورة إلغاء النقاب لكنه لم يُصدر قانونا بهذا.

أما الدوائر الغربية اليسارية فتذكر له أنه خرج بالحكم من الطبقة الارستقراطية السورية بكل جاهها وكفاءتها، لتتداوله الطبقات الأخرى بصرف النظر عن الكفاية والأصل .

كان الزعيم بالإضافة إلى هذا مولعا بالمظاهر الإمبراطورية من قبيل عصا المارشالية التي ظل يظهر بها في كل أنشطته، وقد وضعت هذه العصا فيما بعد في المتحف الحربي السوري.

نجاحه في المعضلة الكبرى : التسليح

لكن المعضلة الكبرى التي واجهت الزعيم حسني الزعيم كانت هي مشكلة التسليح ، وهي ذات المشكلة التي واجهت ثورة ١٩٥٢ فيما بعد ، فقد كانت الدول الغربية تتذرع في رفض ومنع تسليح سوريا بقرار الأمم المتحدة بحظر إرسال الأسلحة الذي فرض خلال حرب ١٩٤٨ لكن

الزعيم كان أطول باعا وأحسن حظا من الثورة المصرية ، وقد لجأ الزعيم إلى الضغط من خلال شركة النفط الإيرانية الإنجليزية فرفض طلبه وبعد لأي وافقت وزارة الخارجية البريطانية وقدمت له مائة ألف جنيه إسترليني كسلفة على عوائد النفط لاستخدامها في شراء أسلحة بريطانية ، ووقع الزعيم حسني الزعيم على هذا الاتفاق في ٢ يونيو ثم نجحت مساعيه الموازية مع فرنسا أيضا ، فعقد اتفاقا للتسليح مع فرنسا حصل بموجبه على أسلحة ضمت ٢٥٠ مدفعا رشاشا ومدافع هاون وعشرة آلاف بندقية، كما أوفد مجموعة من العسكريين للتدريب في فرنسا .

وكان الزعيم حسني الزعيم من الذكاء بحيث لجأ إلى محور ثالث فاستحضر بعثة تركية للتدريب ، لكن السياسيين التقليديين تمكنوا من أن يؤلبوا الضباط عليه بسبب ذكرى استيلاء تركيا على لواء إسكندرون .

موقفه من الصراع الدولي

كان موقف الزعيم حسني الزعيم من المعسكرين الدوليين صورة مُبكرة لموقف ثورة ٢٣ يوليو و الرئيس جمال عبد الناصر في مصر. فقد كان الزعيم ميالا إلى الغرب وبخاصة أنه درس في فرنسا بل وخدم في الجيش الفرنسي ، كما أنه كان يتخذ من سياسة مصر القدامى قدوة له، وهكذا فإنه مع كل ما قدمه له الاتحاد السوفييتي والمعسكر الشرقي كان يُعلن أنه ضد هذا المعسكر، على الرغم من إيمانه بالعدالة الاجتماعية وسعيه إلى تحقيقها.

وكان الرئيس الزعيم في بداية عهده قد اعتقل ألفين من الشيوعيين كي يحصل على الدعم الأمريكي والغربي وهو ما حدث بالفعل ، وتمادى الزعيم في الحديث عن حربه على الشيوعية.

موقفه الكاشف من الكيان الصهيوني

ونأتي إلى موقفه من الكيان الصهيوني وهو موقف كاشف ، فمع أن الشائع أن محسن البرازي رئيس الوزراء هو الذي بدأ التباحث مع الإسرائيليين فإن الزعيم حسني الزعيم كان ميالا بشدة إلى الخلاص من حالة الحرب مع إسرائيل وفي عهده وقّعت سوريا اتفاقات الهدنة في ٢٩ يوليو ١٩٤٩ وكانت هي آخر الدول العربية الأربعة الموقعة على اتفاقيات الهدنة ، وتقول بعض المصادر إنه عرض على بن جوريون الاعتراف بإسرائيل وتبادل السفارات واستيعاب وتجنيس ٢٠٠ ألف من الفلسطينيين مقابل بعض التنازلات عن المياه في بحيرة طبرية.

لكن مصادر أخرى تروي عن وثائق دبلوماسية أنه اشترط على السفير الأمريكي في دمشق ستيفن ميد (حسب رواية الأخير في مُذكراته) أن تُقدم له أمريكا "الضمان بالأل يسقط" وقد روى السفير ستيفن ميد نفسه إن أمريكا فعلت العكس وجعلت الزعيم يوقع الهدنة ويخسر حب السوريين ويخسر الجبهة الداخلية و من ثم يسقط و هي تُساعد على سقوطه.

ومع هذا الدرس الواضح فإن أحدا من سياسة العرب الذين لحقوه في عصره لم يتعلم من تجربة الزعيم حسني الزعيم بالقدر الكافي ولا بأي قدر .

الديكتاتورية تعلن عن نفسها

أما ديكتاتورية الزعيم فتجلت بوضوح في إغلاق الصحف والمجلات (٥٤ في دمشق وحدها) في مقابل السماح بثماني فقط، ومنعت المظاهرات دون نص على منعها وحُظرت السياسة على الطلاب كما حُظر الانتماء الحزبي على موظفي القطاع العام.

الشراكة و الأكراد

من الطريف أن الزعيم حسني الزعيم كان كرديا وكذلك رئيس وزرائه محسن البرازي وقد جعل تشكيل الوحدات الرئيسية في حاميات المدن من الضباط الشراكة أو الأكراد وأبعد القيادات العربية إلى الجبهة.

الدروز والمحاصصة

بسبب ما اشيع عن ميله للأكراد فإن الزعيم سرعان ما فقد ولاء الدروز الذين قيل انهم كانوا يفضلون توثيق العلاقة مع الأردن بدلا من توثيقها مع السعودية ولهذا السبب فقد اعتذر الأمير عادل أرسلان عن قبول منصب رئاسة الوزارة. وعلى الرغم من ذلك فإن الزعيم أعلن عن إلغاء المحاصصة الطائفية التي كان معمولا بها في النظام الانتخابي (١٩٤٧).

جمع عداة الجميع في النهاية

بدأ الزعماء ينفضون من حول الرئيس الزعيم بسرعة غير معهودة ، فاستقال فيضي الاتاسي زعيم حزب الشعب من الوزارة بعد ثلاث أيام من تشكيلها، وانتقد ميشيل علق القيود على الصحافة والحريات فسجنه الزعيم حسني الزعيم وسجن معه من زعماء حزب الشعب ناظم القدسي (رئيس الجمهورية فيما بعد) ورشدي الكيخيا . بالإضافة إلى هذا ، فقد كان الحزب الوطني في عداة طبيعي مع الزعيم ، لأنه انقلب عليه وعلى زعيمه الرئيس القوتلي . وكذلك كان الشيوعيون الذين اعتقل ألفين منهم. ومن المعروف أن الزعيم حسني الزعيم فقد علاقته أيضا بمن كتب له بيان الانقلاب وهو أكرم الحوراني ، بسبب تحالف الزعيم مع محسن البرازي حيث يمثل أفراد عائلته الأعداء التقليديين للحوراني في حماة. ومن ناحية أخرى أهم بكثير ، فقد تدهورت إلى أقصى حد علاقته بالحزب القومي الاجتماعي نتيجة لموقفه المخزي من تسليم أنطون سعادة غدرا إلى لبنان. و بالإضافة لهذا كله ، فإن التحدي الحقيقي الذي بدأ الزعيم يواجهه (من وجهة نظره هو نفسه) تمثل في ضرورة التخلص من وجود بعض ضباط الجيش المؤثرين في العاصمة دمشق، فأبعد عدنان المالكي إلى فرنسا في دورة تدريبية وعين أديب الشيشكلي ملحقا عسكريا في السعودية، وسرّح محمد الأطرش و١٥ آخرين في أعقاب قضية أنطون سعادة، وبدأت علاقته تتوتر بالضباط، كما بدأ الحديث عن اكتشاف محاولات لاغتياله.

سهولة الانقلاب عليه

جاءت نهاية الزعيم حسني الزعيم على يد سامي الحناوي ، وكما كان شكري القوتلي هو الذي صعّد الزعيم حسني الزعيم ورقاه فقد كان الزعيم حسني الزعيم هو الذي صعّد سامي

الحناوي ورقاه فمُنحه رتبة عقيد وسلمه قيادة اللواء الأول في الجيش، وهو اللواء الذي يعتمد عليه رئيس الجمهورية وقد أتم الحناوي الانقلاب بثلاث فرق من الجيش واعتقل الزعيم واجتمع الحناوي مع خمسين من الساسة للتباحث في المرحلة الانتقالية، وفي مقابل ما كان من حديث الزعيم حسني الزعيم عن أن الفساد المالي للقوتلي كان هو السبب في الانقلاب، فإن الحناوي لخص أسباب الانقلاب على الزعيم فيما سماه تبديده للثروة العامة وقمع الشعب وازدراء القانون والسياسة الخارجية غير المسؤولة..

مزاعم محاكمته

روج الانقلاب الجديد أنه عقدت للزعيم جلسة محاكمة عسكرية عاجلة أمام ما سمي بالمجلس الأعلى للحرب وأدين فيها بتهمة الخيانة العظمى وأُعدم هو ورئيس الوزراء في اليوم نفسه. وهناك رواية شائعة تروي أنه قُتل بمجرد دخول الانقلابيين إلى القصر الجمهوري، وأن ما روي عن عقد المجلس العسكري والمحاكمة ليس إلا تليفًا لاحقًا، بل إن بعض الروايات تذكر اسمي ضابطين قوميين كُلفا باعتقاله فقتلاه مباشرة.

وفي كل الأحوال فإننا نحيل القارئ على ما ذكرناه في الفصل الأول من كتابنا هذا فيما يتعلق بكلمة السر في فهم الانقلابات العسكرية السورية الأولى، وإلى ما فصلنا القول فيه في فصل رياض الصلح، كما نشير إلى ما تفضله كثير من الروايات من القول بأن المحرك الأول للانقلاب على الزعيم حسني الزعيم وإعدامه كان هو غدره بأنطون سعادة وتسليمه للبنان حيث أُعدم.

إخفاء جثته

ومن الجدير بالذكر أن حكومة الانقلاب أخفت مكان دفن جثة الزعيم حسني الزعيم إلى أن عُثر عليها بالصدفة في يناير ١٩٥٠ مدفونة بثياب النوم التي اعتقل بها، في تابوت خشبي تحت كومة حجارة قرب نهر الأعرج في دمشق فنُقلت الجثة إلى مقبرة الدحداح، وعلى حين لم تُخلد الدولة السورية اسمه بأية وسيلة فقد أقرت احتفاظ أرملته وابنته بمنزله الذي كان قد امتلكه وهو قائد للجيش كما وافقت على تخصيص معاش تقاعدي لهما.

وعلى حين ثأر محمد البرازي لابن عمه محسن البرازي رئيس الوزراء فقتل سامي الحناوي في بيروت في أكتوبر ١٩٥٠، فإن أحدا لم يثأر لمقتل الزعيم حسني الزعيم الذي يقال إنه قُتل ثأرا لأنطون سعادة.

ومن الطريف أن الاعتراف بانقلاب سامي الحناوي تم بأسرع من الاعتراف بانقلاب الزعيم حسني الزعيم وقد لوحظ أن السفارة البريطانية أبدت سعادتها بالانقلاب، وأن إسبانيا كانت أول دولة اعترفت بانقلاب الحناوي، وأن الأردن ولبنان سارعتا بالتهنئة، كما نقل عن نوري السعيد رئيس وزراء العراق تعبيره الصريح القائل بأن الزعيم لقي المصير الطبيعي لأي ثورة لا تستند على أي أساس.

مصر تعلن الحداد

في مقابل هذا فإن مصر الملكية أعلنت الحداد على الزعيم حسني الزعيم لمدة ثلاثة أيام!. أما فرنسا فلم تُخف اتهامها لبريطانيا بالمشاركة في الانقلاب على حسني الزعيم.

بقي بمثابة المثل الملهم لقادة الانقلابات

وعلى الرغم من هذا فقد بقي الزعيم حسني الزعيم بمثابة المثل الأعلى و الأسمى و الملهم (غير المعلن صراحة) لجمال عبد الناصر وثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر ، ولعبد الكريم قاسم وثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق ، ولجعفر نميري وثورة ٢٥ مايو في السودان ، وللعسكريين في اليمن الجنوبي في انقلاباتهم المتكررة ، وإلى حد ما لمعمر القذافي في الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ الذي كان متشعبا بالصورة المصرية على حساب الأصل السوري وإن لم يخل الأمر من تبعية تكتيكية كاملة لهذا النمط الزعيمي المطور للميكافيلية .

الأستاذ نذير فنصة و تجميل صورة الزعيم

تولى الصحفي السوري الأستاذ نذير فنصة مهمة الدفاع عن عدليه الزعيم حسني الزعيم وقد أصدر كتابه عن فترة حكم الزعيم بعنوان "أيام حسني الزعيم: ١٣٧ يوما هزّت سورية" (١٩٨٣) وقد صدرت طبعة ثانية من هذه المذكرات عن مؤسسة النوري للطباعة والنشر والتوزيع. ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ نذير فنصة كان أحد شقيقين عملا بالصحافة والآخر الأستاذ بشير، وقد كان رئيسا لتحرير جريدة "ألف باء" وهي جريدة دمشقية واسعة الانتشار . وقد صرّح فنصة في هذا الكتاب بأن حسني الزعيم كان مُغامرا وأن الرئيس شكري القوتلي كانت له تحقّقات كثيرة حول تقلّباته وسُمعته كُمناصر ومُقامر. وقد أكّد فنصة ما كان شائعا من مُشاركة أكرم الحوراني بكل جُهد في انقلاب حسني الزعيم. و يُقدّم الأستاذ نذير فنصة في هذا الكتاب تفاصيل عن زيارة الزعيم لمصر في ٢٢ أبريل ١٩٤٩ واجتماعه بالملك فاروق (اجتماع أنشاص التاريخي) و قد قدمنا تفاصيل عن هذه الزيارة في كتابنا على مشارف الثورة .

ويُشير الأستاذ نذير فنصة في كتابه إلى تحذير إبراهيم الحسيني رئيس الشُعبة الثانية وقائد الشرطة العسكرية في الجيش السوري لأنطون سعادة من أن الزعيم حسني الزعيم كان ينوي تسليمه للسلطات اللبنانية ، كما يذكر أنه هو نفسه (أي فنصة) حصل من الزعيم حسني الزعيم على وعود كاذبة فيما يتعلّق بعدم تسليم أنطون سعادة للسلطات اللبنانية وهو ما دعا الأستاذ أحمد أصفهاني في مقال له عن مذكرات الأستاذ فنصة إلى أن يتساءل: لماذا لم يُحدّر فنصة أنطون سعادة بنفسه ؟ ، أو يُحدّر بعض المسؤولين القوميين الذين يعرفهم؟ ولماذا لم ينتبه هؤلاء القوميون السوريون إلى نية الغدر مع أن الأمر فيما يبدو كان شائعا منذ وصل سعادة إلى مطار بيروت في ٢ مايو ١٩٤٧ .

الفصل ١٦ خالد العظم المليونير الأحمر

نبدأ بالقول بأن الرئيس السوري خالد العظم ١٩٠٣- ١٩٦٥ كان شخصية متعددة الألقاب والقدرات لكنه لم يكن كالرئيس هاشم الأتاسي الذي اجتمع الكل عليه ولا كالرئيس شكري القوتلي الذي استطاع في وقت ما أن ينال قبول الكل، وإنما كان طرازاً ثالثاً هو الطراز الكفاء الذي يحمل من كل اتجاه ما يدل على تشعبه به حتى يبدو وكأنه غربي و شرقي، أمريكي وسوفييتي، أرستقراطي وشعبي ، رأسمالي واشتراكي وهكذا.. وبالطبع فإن هذه الصفات المتناقضة لم تجتمع يوماً في وقت واحد ، وإنما كانت بمثابة وجوه متعددة لرؤيته أو مراحل في مسيرته.

ومع أن القارئ سيعاني من توالي الحوادث التاريخية في ظل تكثيفنا للحيث و اختصارنا فإننا سنحاول أن نقدم هذه الحقائق بطريقة تستبقي الموضوع ليكون هو الهدف الأول في تصوير شخصية محورية فاعلة ومبادرة كانت بلا شك من أبرز خمسة سياسيين سوريين في عهد سوريا الديموقراطي وهو عهد ثري إلى أبعد حد.

رمز الأرستقراطية

كان الرئيس خالد العظم ، في أدائه و شهرته وحتى فيما يهاجم فيه من سمات ، من أرفع مستويات الأرستقراطية السورية ، فقد كان والده محمد فوزي باشا العظم (المتوفى ١٩٢٠) رئيس بلدية دمشق البارز في عصره ، وهو الذي أنجز مياهها ومستشفياتها وسكاتها الحديدية وقد كان عضواً في مجلس المبعوثان العثماني (البرلمان العثماني) ١٩١٦، وقبل ذلك فإنه كان وزير الشؤون الدينية (الأوقاف) في الدولة العثمانية ١٩١١.

الرئيس خالد العظم هو رئيس الجمهورية السورية الوحيد ورئيس الوزراء السوري الوحيد الذي كان والده هكذا نائباً و وزيراً عثمانياً. ومن الطريف أن خمسة من أفراد أسرته وصلوا إلى منصب والي دمشق في العهد العثماني، آخرهم والده، وأشهرهم أسعد باشا الذي بنى قصر العائلة. ولد الرئيس خالد العظم في ٦ نوفمبر ١٩٠٣ وسمته والدته باسم خالد بن الوليد وفاء لنذر نذرتة بعد أن فقدت طفلين قبل بلوغهما الثالثة من عمرهما خلال ربع قرن من زواجهما. وتلقى تعليماً متميزاً على أساتذة متخصصين وتخرج في جامعة دمشق ١٩٢٣ وأصبح وهو شاب صغير وزيراً في حكومة دمشق الفيديرالية، وتولى منذ هذه المرحلة المبكرة إنشاء مصنع الإسمنت الحكومي (١٩٣٠) و إنشاء غرفة صناعة دمشق (١٩٣٥).

بعد إعلان الجمهورية (١٩٣٢) انتخب نائباً في البرلمان وأصبح وزيراً للخارجية (أبريل ١٩٣٩) في وزارة الرئيس نصوحي البخاري ١٨٨١- ١٩٦٢.

رئاسته في عهد حكومة فيشي

في عهد حكومة فيشي الفرنسية بدأ تولي الرئيس خالد العظم للمناصب العليا في سوريا فتولى رئاسة الدولة بالنيابة ومعها رئاسة الوزارة أيضا ما بين ٤ أبريل ١٩٤١ و ٢١ سبتمبر ١٩٤١ وكان بهذا الحاكم (الرئيس) الحادي عشر في تاريخ الدولة السورية الحديثة، وكان قد سبقه من الزعماء السوريين إلى تولي رئاسة الجمهورية : هاشم الأتاسي أما من الذين تولوها بصفة مؤقتة وإدارية مثله فقد سبقه الرؤساء صبحي بركات وأحمد نامي وتاج الدين الحسني ومحمد على العابد وبهيج الخطيب. وكما ذكرنا فقد جمع رئاسة الوزراء مع رئاسة الجمهورية في هذه الفترة. وقد أصبح الرئيس خالد العظم بهذا التاريخ البارز وبكثرة توليه لرئاسة الوزارة في عصور مختلفة بمثابة الرجل الثاني بين أصحاب المكانة البروتوكولية والفعلية من الساسة السوريين الكبار الذين وصلوا إلى منصب رئيس الجمهورية وعاشوا مشاركين في العمل السياسي حتى عهد عبد الناصر وعارضوا التوجه إلى الناصرية لا يسبقه في هذه المكانة إلا الرئيس هاشم الأتاسي الذي وصل إلى هذا المنصب بالانتخاب ١٩٣٦.

نجاحاته المحسوبة

وفي هذه الفترة نجح الرئيس خالد العظم في تحرير السياسيين الذين كانت حكومة فيشي قد اعتقلتهم كما جنّب سوريا نتائج انقلاب الرئيس رشيد عالي الكيلاني في العراق ، لكن قيادات فرنسا لم تحفظ له الجميل، فانتهت مدته في سبتمبر ١٩٤١ بعد خمسة أشهر وخلفه اثنان من الرؤساء ، فقد خلفه في رئاسة الجمهورية رئيسها السابق تاج الدين الحسني (١٨٨٥ - ١٩٤٣) وخلفه في رئاسة الوزارة حسن الحكيم ١٨٨٦-١٩٨٢ .

قبوله عضوية وزارة سعد الله الجابري

لما أجريت الانتخابات النزيهة في ١٩٤٣ وفازت الكتلة الوطنية بزعامة هاشم الأتاسي بالأغلبية وأصبح شكري القوتلي رئيسا للجمهورية لأول مرة بترشيح من هاشم الأتاسي وتولى سعد الله الجابري رئاسة الوزارة، كان الرئيس خالد العظم قريبا من الوزارة فلما شكل سعد الله الجابري وزارته (الثالثة) عقب الاستقلال في ١٧ أبريل ١٩٤٦ عُهد إليه بوزارة العدل ومنذ ذلك الحين أصبح باستثناءات قليلة موجودا على الدوام في الوزارة السورية. في وزارة العدل استهدى الرئيس خالد العظم بما أنجزته حكومة الوفد المصري قبلها بعشر سنوات من إلغاء الامتيازات الأجنبية فآتم إنجازا مثل ذلك الإنجاز.

معارضته لتعديل الدستور

ويذكر التاريخ للرئيس خالد العظم في تلك الفترة معارضته رغبة الرئيس شكري القوتلي الملحة في تعديل الدستور لمد فترة الرئاسة مثلما عارضها الزعيم سعد الله الجابري ، وقد أثار العظم أن يعمل سفيراً لبلاده في فرنسا . لكن الرئيس القوتلي كلفه بعد فترة صغيرة بتشكيل الوزارة

خلفا لسعد الله الجابري فشكّل وزارته الثانية في ١٦ ديسمبر ١٩٤٦ لكنها لم تلبث في الحكم إلا لأقل من أسبوعين فاستقال وعاد إلى باريس سفيراً لسوريا .

إبرامه صفقتي سلاح مع فرنسا ومع الاتحاد السوفييتي

وفي تلك الفترة نجح الرئيس خالد العظم في إبرام صفقتي سلاح مع فرنسا ومع الاتحاد السوفييتي.

وزارته الثالثة

تعذّل الدستور وفاز الرئيس شكري القوتلي بعد ذلك بالرئاسة الثانية في ١٩٤٧ ، وفي ١٧ ديسمبر ١٩٤٨ كلف الرئيس شكري القوتلي الرئيس خالد العظم بتشكيل الوزارة فشكّل وزارته الثالثة (التي واكبت وزارة إبراهيم عبد الهادي في مصر بعد اغتيال النقراشي ونهاية حرب فلسطين) خلفا لجميل مردم بك.

إنقاذ الليرة السورية

وفي عهد هذه الوزارة تمكن العظم من إنقاذ الليرة السورية (وهو الذي كان قبل ذلك قد حصر إصدار النقد في مؤسسة إصدار النقد السوري بدلا من المصرف السوري) ، كما نجح في حفظ الأمن وتقليل المظاهرات لكنه بدأ يلقي المعارضة حينما دعا إلى أن تتخذ سوريا موقفا محددا في الصراع الدولي، ولهذا سهل على معارضيهِ أن يتهمواه بالتبعية للولايات المتحدة الأمريكية خصوصا مع عمله على إنجاز خط التابلاين، ومشروع الاتفاق المالي الفرنسي ، وإنجاز مشروع الهدنة ، وتأسيس غرفة الزراعة ، ومصنع النسيج، والشروع في دراسة بناء سد يوسف لمضاعفة المساحة المزروعة.

ومن الغريب أنه في هذا الوقت نفسه كان الأمريكان يتحسبون منه ويصورونه صديقا للسوفييت، بل إن الصحافة المتصلة بالغرب كانت تُطلق عليه لقب المليونير الأحمر.

تبرير الجيش للانقلاب

في آخر عهد وزارته قرر مجلس النواب الدعوة للمناقشة بخصوص الجيش، فرفض، لكن مجلس النواب لم يوافق على رفضه ، وعقد جلسة يعتبر المؤرخون أنها أصبحت بمثابة المُبرّر الذي أصبح متاحا في يد الزعيم حسني الزعيم ليقوم بانقلابه، وهو ما حدث في ٣٠ مارس ١٩٤٩ .

القبض عليه وإنقاذه

كان الرئيس خالد العظم هو رئيس الوزراء الذي قام عليه الانقلاب العسكري الأول وقد قبض عليه و نُقل مع رئيس الجمهورية الرئيس شكري القوتلي إلى سجن المزة العسكري و في اليوم التالي ذهب إليهما فارس الخوري رئيس مجلس النواب فحصل منهما بعد إقناع على استقالتيهما وبهذا جنبهما عنف العسكر وقد عاش كلاهما حتى توفيا في ١٩٦٥ و ١٩٦٧ على حين أن قائد الانقلاب الأول لقي مصرعه بعد شهور قليلة.

حسن الحظ مع الانقلاب الثاني

لما قام سامي الحناوي بانقلابه الثاني أظهر الوجه الديموقراطي وكلف الرئيس هاشم الأتاسي أبو الجمهورية بتشكيل حكومة لإدارة الأزمة وهي الوزارة التي حكمت ما بين أغسطس ١٩٤٩ و ٢٤ ديسمبر ١٩٤٩. وعاد خالد العظم إلى الحضور المؤثر .

صعوبات مع الانقلاب الثالث

ولما أُجريت الانتخابات فاز الرئيس خالد العظم في دائرة دمشق فكان هذا مدعاة لتكليفه بتشكيل وزارته الرابعة التي تولت الحكم ما بين ٢٧ ديسمبر ١٩٤٩ و ٤ يونيو ١٩٥٠ أي لأكثر من خمسة أشهر وقد شهدت هذه الوزارة ازدواجية السلطة ما بين الرئيسين الأتاسي والعظم من ناحية والرئيس الشيشكلي من ناحية أخرى.. وكانت أبرز نقاط الخلاف هي معارضة الجيش للوحدة مع العراق والأردن والاقتراب من التاج الهاشمي وقد صور موقف الجيش في تلك الفترة مدعوماً من مصر والسعودية.

اتفاقية لتدريب الجيش السوري في مصر

في أثناء هذه الوزارة قام الرئيس الشيشكلي والرئيس معروف الدواليبي الذي كان يشغل منصب وزير الاقتصاد بزيارة مصر ووقّعت اتفاقية لتدريب الجيش السوري في مصر. وقد تمكن العظم من أن يُرضي الطرفين المتنازعين أو أن يُظهر وكأنه مع الطرفين، لكن استقالة الحوراني زعيم الكتلة الجمهورية المُعبّرة عن الجيش كانت إيذاناً بانتهاء أشهر العسل مع الشيشكلي .

وباستقالة العظم في يونيو ١٩٥٠ عاد الحق لحزب الشعب في ان يُشكّل الوزارة فتشكلت برئاسة ناظم القدسي (الذي هو خامس الساسة السوريين الذين عاشوا في عهد عبد الناصر وصولاً إلى المنصبين الكبيرين: رئاسة الجمهورية أو رئاسة الوزارة) لكن ناظم القدسي استقال بعد تسعة أشهر في ٢٧ مارس ١٩٥١ ليخلفه الرئيس خالد العظم للمرة الثانية بوزارته الخامسة التي استمرت لأقل من خمسة أشهر ٢٧ مارس ١٩٥١ – ٩ أغسطس ١٩٥١ .

وزارته الخامسة تنهي الوحدة الاقتصادية مع لبنان

كانت هذه الوزارة صغيرة العدد (٧ وزراء فقط) وكانت تُعاني من معارضة شديدة من حزب الشعب، لكنها أنجزت بعض الإجراءات مثل إغلاق الحدود في وجه السلع اللبنانية لحماية السلع الوطنية ، وبهذا انتهت فعلياً الوحدة الاقتصادية مع لبنان.

استقالته

فشل مرشح هذه الوزارة في الحصول على رئاسة مجلس النواب التي فاز بها معروف الدواليبي قطب حزب الشعب ، كما فشلت الوزارة في الحصول على موافقة البرلمان على زيادة الإنفاق العسكري .

وهكذا استقال العظم في ٩ أغسطس، وحل محله حسن الحكيم ، وكان هذا تمهيدا لما تطور إليه الأمر من استيلاء الرئيس الشيشكلي بمفرده على الحكم بدلا من الازدواجية التي ظلت موجودة منذ انقلب.

قاطع الحياة السياسية في العهد الشيشكلي الثاني

وبعد أن استقر الأمر للشيشكلي طلب من الرئيس خالد العظم تشكيل وزارة مدنية فرفض، بل إن العظم قاطع الانتخابات التشريعية التي أجريت عام ١٩٥٣ وظل مُقاطعا للحياة السياسية حتى تخلى الشيشكلي عن السلطة.

زعيم للأغلبية

في عام ١٩٥٤ بعد ابتعاد الشيشكلي وعودة الديمقراطية أُجريت انتخابات تشريعية فترشح الرئيس خالد العظم وفاز فترأس الكتلة الديمقراطية في البرلمان، وكانت هذه الكتلة هي أكبر الكتل. وكان الرئيس الأتاسي قد عاد للرئاسة (على اعتبار عودته استكمالاً لمدته) فكلف الرئيس خالد العظم بتشكيل الوزارة لكنه لم يستطع إقناع حزبي الشعب والبعث، وهكذا كلف فارس الخوري بتشكيل الوزارة فشكلها (وكانت هي وزارته الثالثة) في نوفمبر ١٩٥٤ وهي الوزارة التي شهدت تحول مصر عن الديمقراطية بعد اعتقال محمد نجيب والإخوان.. الخ . وفي فبراير ١٩٥٥ عاد العظم إلى الوزارة لا ليرأسها ولكن ليكون وزيرا للخارجية ووزيرا للدفاع بالوكالة في وزارة الرئيس صبري العسلي الثانية (فبراير ١٩٥٥ - سبتمبر ١٩٥٥) وهي الوزارة التي حدث اغتيال عدنان المالكي في عهدها.

القوتلي يفوز عليه في انتخابات الرئاسة

و عقب الانتخابات الرئاسية في ١٩٥٥ استقالت هذه الوزارة. ومن الجدير بالذكر أن الرئيس خالد العظم نفسه كان قد تنافس في هذه الانتخابات مع شكري القوتلي الذي فاز بالرئاسة من الدورة الثانية للاقتراع، بينما كان الرئيس لطفي الحفار قد تنازل لصالح الرئيس القوتلي . وقد أثر العظم أن يتقاعد بعد خسارته الانتخابات الرئاسية ، لكنه عاد إلى تولي وزارة الدفاع في أثناء وزارة صبري العسلي الثالثة (نوفمبر ١٩٥٦) وكانت هذه الوزارة ائتلافية ما بين الحزب الوطني والبعث والكتلة الديمقراطية التي كان ينتمي إليها بل كانت تسمى باسمه هو : كتلة الرئيس خالد العظم وتضم عددا من النواب المستقلين.

شراء الأسلحة من الكتلة الشرقية

وفي هذه الفترة كان الرئيس خالد العظم هو من أتمّ اتفاقات التعاون مع الاتحاد السوفييتي بعد التوجه العربي إلى شراء الأسلحة من الكتلة الشرقية، وقد عقد مع هذه الكتلة صفقات اقتصادية بالإضافة إلى صفقات الأسلحة.

معارضته الوحدة مع مصر

وعندما بدأ الحديث عن الوحدة مع مصر كان الرئيس خالد العظم معارضا للفكرة بشدة، وكان يُجاهر بأن الرئيس عبد الناصر سوف يُدمر الاقتصاد، والنظام الديموقراطي، لكن معارضته الصريحة والمنطقية قوبلت بالهجوم عليه بأنه إقطاعي عتيد ، وذلك على الرغم من أنه هو نفسه كان يُلقَّب قبل هذا بالمليونير الأحمر.

منفى اختياري

اضطر الرئيس خالد العظم في أثناء عهد الوحدة أن يترك دولة الوحدة ويهاجر إلى منفى اختياري على نحو ما فعل عدد من الزعماء والساسة، وقد أثر العيش في لبنان .

عودته عقب الانفصال

لما وقع الانفصال في سبتمبر ١٩٦١ عاد الرئيس خالد العظم مباشرة إلى دمشق وشارك بحماس في صياغة وثيقة الانفصال، ثم حاول بعدها أن يخوض انتخابات رئاسة الجمهورية لكن الجيش رفض ترشيحه، وانتخب الرئيس ناظم القدسي رئيسا أما هو فانتخب نائبا عن دمشق.

انقلاب مارس ١٩٦٢ يسجنه

ولما وقع انقلاب ٢٨ مارس ١٩٦٢ وتظاهر القائلون به أنهم مع الوحدة سُجن الرئيس خالد العظم وناظم القدسي باعتبارهما من أعداء الوحدة لكن انقلاب ٢ أبريل ١٩٦٢ أطلق سراحهما ، بل أعيد القدسي للرئاسة ، وقد تحالف هذان الرئيسان (القدسي والعظم) مع الرئيس شكري القوتلي في العمل على تخليص سوريا من قرارات الرئيس عبد الناصر، فتولوا جميعا تخليص الجيش السوري من الناصريين، كما بدأوا يعالجون القرارات الاقتصادية التي اتخذها الرئيس عبد الناصر وبينما ثلاثتهم يؤدون هذه المهمة الوطنية وقع انقلاب البعث في ٨ مارس ١٩٦٣ فانقل الرئيسان العظم والقدسي إلى لبنان.

عداوة عبد الناصر والبعث

عاش الرئيس خالد العظم في بيروت جامعا بين عداوة البعث له (أي النظام في سوريا) وعبد الناصر (أي النظام في مصر)، وقد رأى البعثيون أن يؤذوه فاستولوا على أملاكه في سوريا، لكنه واجه المحنة بثقة وإيمان، وبدأ ينشر مذكراته عام ١٩٦٤ في جريدة النهار، وقد عهدت النهار إلى الأستاذ خليل كلاس بتدقيق المذكرات، بيد أن أستاذنا الزركلي صاحب كتاب الأعلام والمعروف بانتماءات سياسية معلنة، كتب في ترجمته له: إنه يقال إن مذكراته دخلها تحريف وتبديل.

وفاته

توفي الرئيس خالد العظم في ١٩٦٥ وكان قد أوصى أن يُدفن في بيروت قرب الإمام الأوزاعي وألا تُحمل جثته إلى دمشق حتى لا يحدث اضطراب سياسي بين أنصاره والوزارة ويسقط قتلى وجرحى. وهكذا قُدر لرئيس سوري كان أيضا رئيسا للوزراء أن يُدفن بعيدا عن وطنه لا شيء إلا بسبب صراحته في إبداء آراء سياسية صائبة ، وتعبيره عن رؤاه بطريقة واضحة.

الفصل ١٧ : رشدي الكخيا الزعيم السوري الذي رفض أن يغني للانفصال

الزعيم رشدي الكخيا ١٨٩٩-١٩٨٧ واحد من زعماء سوريا المؤثرين واللامعين وذوي السمعة العالية في عصرها الديموقراطي، كان زعيما لحزب الشعب الذي كان بمنزلة أقوى الأحزاب السورية فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد رأس البرلمان السوري بالانتخاب ، لكنه لم يرأس الوزارة وتركها لأقرانه .

و هو ذلك الزعيم العظيم الذي رفض أيضا ما عرض عليه من رئاسة الجمهورية السورية بعد الانفصال عن مصر وقال يومها عبارته الشهيرة : إن اليد التي وقّعت وثيقة الوحدة مع مصر لن تُوقّع وثيقة الانفصال ، ومما يدعو إلى الفخر بشهامته وعروبته وأصالته أن هذا الموقف قد حدث على الرغم من أن الإعلام الناصري كان يتّهمه بالعمالة بسبب حماسه للوحدة مع العراق وإعلانه عن حبّه لمثل هذا الطراز من الوحدة العربية.

مولده

وُلد الزعيم رشدي الكخيا في مدينة حلب ١٨٩٩، في أسرة عربية حلبية من كُبريات الأسر المشهورة في حلب، كانت لا تزال ترتبط بصلات عائلية بتركيا، وهناك عائلات أخرى تحمل الاسم نفسه منها عائلة في ليبيا ينتمي إليها وزير الخارجية الليبي منصور الكخيا الذي اختفى من القاهرة ولم يُعرف مصيره إلا بعد الثورة الليبية في ٢٠١١، حيث أعلن عن العثور على جثته في ٢٠١٢ وبالإضافة إلى هذا كله فإن في القاهرة مسجدا يحمل اسم جامع الكخيا .

توجهاته السياسية

كان الزعيم رشدي الكخيا من الذين بدأوا حياتهم السياسية في حزب الكتلة (١٩٢٨) أي أنه لم يكن مثل أنداد سياسيين له من مؤسسي حزب الشعب [القديم] (مع عبد الرحمن الشهبندر وفارس الخوري) وإنما كان من مؤسسي الكتلة الوطنية ، ثم كان من مؤيدي زعمائها الموقعين على معاهدة ١٩٣٦ مع فرنسا .

لكن الزعيم رشدي الكخيا لم يقبل بالحلل الوسطى التي قبلتها الكتلة في مفاوضاتها مع فرنسا في العامين التاليين ، وهكذا أعلن انفصاله عن الكتلة، واشتدّت معارضته لحزبه مع الإعلان عن ضم لواء إسكندرون إلى تركيا في ١٩٣٩ فأصبح من أكبر المعارضين للكتلة التي كان من مؤسسيها على حين انضمّ إلى الكتلة من كانوا مُعارضين لها.

حزب الشعب

تمايزت قيادة "الكتلة الوطنية" وتحولت مع الانقسام إلى اسم جديد هو "الحزب الوطني"، بينما آثر الزعيم رشدي الكخيا أن يستخدم لحزبه اسم "حزب الشعب" الذي كان موجودا من قبل، وهكذا فإننا نجد بعض الأدبيات التاريخية تشير إلى هذا المعنى بالقول بأن حزب الكتلة الوطنية انقسم

إلى حزبين : الوطني و الشعب وهو تعبير صحيح الدلالة أيضا ، وإن لم يكن قد حدث بهذا التصوير القانوني ، وفي كل الأحوال فقد أصبح الزعيم رشدي الكخيا رئيسا لحزب الشعب وظل محتفظا بهذه الزعامة حتى بعدما تقرّر حل الأحزاب في سوريا تنفيذا لشرط الرئيس جمال عبد الناصر على السوريين من أجل القبول بإقامة الوحدة.

موقفه من انقلابات سوريا

لمّا ابتليت سوريا بالانقلابات العسكرية كان على الزعيم رشدي الكخيا أن يحدد موقفه بوضوح ، وقد كان من أنصار الخلاص من الزعيم حسني الزعيم والحكم العسكري ، وما إن قام انقلاب العميد سامي الحناوي حتى رحّب الزعيم الكخيا بالتعاون معه من أجل تحقيق هذا الهدف ، وهكذا فإنه قبل (فيما قبل ذلك) الانضمام لوزارة الرئيس هاشم الأتاسي وزيرا للداخلية (١٤ أغسطس ١٩٤٩ - ١٢ ديسمبر ١٩٤٩) كما خاض الانتخابات البرلمانية ١٩٤٩ وفاز فيها.

رئيسا للبرلمان السوري ، و رئيسا للجمعية التأسيسية

انتُخب الزعيم رشدي الكخيا رئيسا للبرلمان السوري ، وانتُخب أيضا رئيسا للجمعية التأسيسية التي وضعت دستور ١٩٥٠ وهو واحد من أفضل الدساتير تقدما .

و بعد أن وقع انقلاب العقيد أديب الشيشكلي الثاني وبدت معالم العودة للعسكرة ظاهرة على محياه فقد تحول الزعيم رشدي الكخيا إلى معارض واضح وصريح لنظام العقيد أديب الشيشكلي قائد الانقلابين العسكري الثالث والرابع ، وقد أسهمت مُعارضته الجادة في رحيل نظام العقيد الشيشكلي بالفعل وعودة ربيع الديمقراطية إلى سوريا في ١٩٥٤ .

افتراء الناصرية عليه

على الرغم من نُبل الزعيم رشدي الكخيا في التعامل مع الرئيس جمال عبد الناصر ونظامه ، فإنه لم يكن له حظ معه، وكان قد عانى من الاتهام بالعمالة للغرب لا لشئ إلا لأن حزب الشعب بقيادته وقيادة نائبه الرئيس ناظم القدسي رئيس الوزراء كان يسعى إلى الوحدة مع العراق! .

وفاته

قُدّر للزعيم رشدي الكخيا أن يعيش بعيدا عن وطنه حتى توفي عن (٨٨ عاما) في العاصمة القبرصية نيقوسيا في ١٩٨٧ ودُفن في أحد مساجدها، وذلك على نحو شبيه بوفاة الرئيس خالد العظم في بيروت ١٩٦٥ ونائب الرئيس اكرم الحوراني في عمان ١٩٩٦ والرئيس ناظم القدسي في عمان ١٩٩٨ والرئيس معروف الدواليبي في الرياض ٢٠٠٤ ومن قبل هؤلاء : الرئيس شكري القوتلي في بيروت ١٩٦٧ والرئيس جميل مردم في القاهرة ١٩٦٠ .

الفصل ١٨ : رشيد كرامي أبرز ساسة لبنان في عصر الرخاء والأمان

كان رشيد كرامي (١٩٢١ - ١٩٨٧) نموذجاً بارزاً ومضيفاً للسياسي المهذب النشط الوطني العربي القادر على الالتقاء والارتقاء معا فقد كان استيعابياً كما كان تقديمياً، وكان طموحاً متقدماً بالعاطفة الصادقة، والولاء القومي وكان من حسن حظه أنه وجد في عصر الناصرية، وكان من حسن حظ الناصرية أنه وجد في عصرها، فلم يساوم بالناصرية ولا عليها، وكان هو قبل غيره أبرز الزعماء العرب الذين آزروا الرئيس جمال عبد الناصر انطلاقاً من إيمانهم بجوهر السمو في الفكر العربي والوحدوي، واجتهدوا في هذا السبيل بصدق وإخلاص بعيداً عن كل الحسابات المادية والمحاور العربية والأجنبية والتيارات التحتية الخفية.

والده وعائلته

والده هو السياسي البارز عبد الحميد كرامي (١٨٨٧ - ١٩٥٠) الذي كان أكبر في السن من رياض الصلح (١٨٩٤ - ١٩٥١) لكنه تلاه في رئاسة الوزارة اللبنانية، أما جده الذي سمي ابنه رشيد على اسمه فهو الشيخ رشيد كرامي [الكبير] مفتي طرابلس العظيم الذي ينتمي إلى سلالة علماء دين بارزين مرموقين كان أشهرهم الشيخ عبد الحميد كرامي [الكبير] الذي كان مفتياً لطرابلس في بداية القرن التاسع عشر.

تعلّمه في القاهرة

تلقى رشيد كرامي تعليمه في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ومارس مهنة المحاماة في طرابلس، ولرشيد كرامي أخ يصغره بثلاثة عشر عاماً هو الرئيس عمر كرامي (١٩٣٤ - ٢٠١٥) لم يظهر نجمه إلا بعد أخيه، حتى ليظن البعض أنه ابنه بينما لم يتزوج رشيد فقد شغلته السياسة. وهو من القلائل في تاريخ الساسة العرب الذي كان رئيساً للوزراء وكان كل من والده وأخيه رئيساً للوزراء كذلك، ومع كل الاحترام للوالد العظيم الذي هو من مؤسسي الاستقلال اللبناني ولأخيه عمر فإن أثر رشيد كرامي يظل هو الأكثر بروزاً بين الأب وابنيه.

بداياته

بدأ رشيد كرامي حياته السياسية مناضلاً ذا توجهات وحدوية، وشارك في وفود عدة إلى دمشق للمطالبة بإنشاء سوريا الكبرى، كما أنه طالب بالوحدة الاقتصادية والتعاون العسكري مع سوريا، وبارك قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨،

عضوية البرلمان حتى اغتياله

انتخب رشيد كرامي عضواً في المجلس النيابي اللبناني، نائباً عن مدينة طرابلس عام ١٩٥١ على رأس لائحة "التحرر العربي"، وأعيد انتخابه بلا انقطاع حتى اغتياله.

دوره في اخراج إسرائيل من لبنان

كان الرئيس رشيد كرامي من أبرز أقطاب جبهة "الخلاص الوطني" التي ضمته هو والرئيس سليمان فرنجية والوزيرين نبيه بري ووليد جنبلاط، والتي كان لها دور محوري في إسقاط اتفاق ١٧ مايو ١٩٨٣ بين لبنان و"إسرائيل" في عهد الرئيس أمين الجميل، ومن أقواله في تلك المرحلة: "إن ما أصاب إسرائيل في لبنان هو هزيمة لم يسبق لها مثيل في تاريخها، من هنا يجب أن ندرك مدى الحقد الممزوج بالأطماع والأحلام الذي يغذي هذه الدويلة التي أقاموها على الإرهاب والعنف والاعتصاب في فلسطين".

المناصب الوزارية التي تولاها

قبل وصوله لرئاسة الوزراء كان الرئيس رشيد كرامي قد بدأ عهده بالمناصب الوزارية حين أوشك على بلوغ الثلاثين وذلك حين أصبح وزيراً للعدلية في وزارة رئيس الوزراء عبد الله اليافي في يونيو ١٩٥١ وحتى فبراير ١٩٥٢ و كان استيزاره الأول بعد أن توفي والده بشهور (كان الوالد قد توفي في نوفمبر ١٩٥٠) ثم تولى وزارة الاقتصاد والشئون الاجتماعية مع رئيس الوزراء عبد الله اليافي أيضا ما بين أغسطس ١٩٥٣ ومارس ١٩٥٤ وما بين مارس ١٩٥٤ وسبتمبر ١٩٥٤ ثم مع رئيس الوزراء سامي الصلح ما بين سبتمبر ١٩٥٤ ويوليو ١٩٥٥ ومع رئيس الوزراء سامي الصلح أيضا ما بين يوليو ١٩٥٥ وسبتمبر ١٩٥٥ حيث تولى هو نفسه رئاسة الوزارة وأصبح مناظراً للرئيس جمال عبد الناصر في مصر الذي لم يكن قد تولى رئاسة الجمهورية بعد.

رئاسته للوزارة في عهد شمعون

و إذاً فقد كانت أولى المرات التي رأس فيها الرئيس رشيد كرامي الوزارة اللبنانية في سبتمبر ١٩٥٥ في عهد الرئيس كميل شمعون.

تعاونه مع فؤاد شهاب

كانت المرة الثانية التي رأس فيها الرئيس رشيد كرامي الوزارة اللبنانية في سبتمبر ١٩٥٨ وحتى مايو ١٩٦٠ في عهد الرئيس فؤاد شهاب وكذلك المرة الثالثة (أكتوبر ١٩٦١ - فبراير ١٩٦٤) وبذلك فإنه استغرق معظم مدة الرئيس فؤاد شهاب وكان هذان الرجلان على وفاق مع بعضهما ومع مصر و مع العرب على نحو مثالي.

تعاونه مع شارل حلو

وكذلك كان حال الرئيس رشيد كرامي مع رئيس لبنان الوطني العظيم شارل حلو حيث رأس الوزارة ثلاث مرات في عهده (يوليو ١٩٦٥ - ابريل ١٩٦٦) ومن (ديسمبر ١٩٦٦ - فبراير ١٩٦٨) ومن (يناير ١٩٦٩ - أكتوبر ١٩٧٠) مستغرقا معظم مدة الرئيس شارل حلو أيضا .

كان الرئيس رشيد كرامي يجمع وزارة المالية مع رئاسته للوزارة في معظم الأحيان وإن لم يمنع هذا من أن يجمع في بعض المرات مع الرئاسة وزارات أخرى من قبيل الدفاع الوطني أو الخارجية أو الإعلام أو الإسكان أو السياحة.

غيابه في بداية عصر سليمان فرنجية

وكان من الطبيعي أن يغيب هذا الرجل النبيل عن رئاسة الوزارة في بداية عهد الرئيس سليمان فرنجية بما عرف عن الرئيس فرنجية من الميل إلى الاستقطابات والتعصبات وهكذا فإنه لم يتول رئاسة الوزارة في عهد سليمان فرنجية إلا عاما ونصف (يوليو ١٩٧٥ وحتى ديسمبر ١٩٧٦) بعد أن أمضى الرئيس سليمان فرنجية قرابة خمس سنوات في الحكم كانت مقدمة للحرب الأهلية اللبنانية .

وكان غياب الرئيس رشيد كرامي عن رئاسة الوزارة في ذلك الوقت بلا شك وبلا جدال غايابا لصمام من الصمامات التي كانت كفيلة بمنع نشوب الحرب الأهلية واندلاعها ، فقد كان نشاطه هو نفسه بشخصه ولحمه ودمه ودأبه عاملا من عوامل الوفاق والحفاظ على وحدة لبنان وعلى روح لبنان المتآلف والقادر على المضي للأمام .

قصة استشهاده

كتبت الشهادة لرشيد كرامي من أجل وطنه، فقد لقي حتفه في حادث تفجير طائرة عسكرية عمودية وقد أدين سمير جعجع قائد ما يُسمى بالقوات اللبنانية بتدبير الاغتيال وحكم عليه بالإعدام ثم بالسجن المؤبد قبل أن يُطلق سراحه في ٢٠٠٥ .

كان استشهد الرئيس رشيد كرامي بمثابة تنويح فدائي لأعظم خطوة خطاها سياسي لبناني من أجل وحدة لبنان فقد تصدى هذا الرجل العظيم بكل قوة للممارسات العنيفة التي تبناها سياسيون من طراز سمير جعجع، وبذل رشيد كرامي جهوداً جبارة في توحيد صفوف الوطنيين اللبنانيين في مواجهة منطق القوة ، ولهذا السبب وبمنظور الذين لا يعترفون إلا بالقوة لفرض آرائهم وتوجهاتهم فقد قرر من يتهجون نهج العنف المسلح ألا مناص من إنهاء حياة رشيد كرامي وذلك بتفجير طائرته العمودية التي كان يعود بها من طرابلس إلى بيروت في أول كل أسبوع. وقد أصيب الوزير عبد الله الراسي في حادث اغتيال رشيد كرامي إصابة غير قاتلة .

كانت عملية التفجير واضحة وضوح الشمس في دلالتها وإشارتها إلى طبيعة منفذها وصاحب المصلحة فيها ومن الطبيعي ان مثل هذا التيار السياسي لم ينكر دوره بل تباهي به في وقت لاحق ، وذلك على الرغم من المحاولة المبكرة لجذب الأنظار إلى طريق آخر للإتهام من خلال بيان مشبوه أرسل لوكالة الصحافة الفرنسية باسم منظمة الثأر الإسلامي.

تكشف الحقائق

لكن الحقيقة سرعان ما تكشفت وألقت التحقيقات التهمة على عاتق سمير جعجع والقوات اللبنانية واقتنع اللبنانيون جميعا بضرورة نزع سلاح "القوات" وحل القوات وملاحقة جعجع، الذي

لوحق أيضا في ملف اغتيال رئيس حزب الوطنيين الأحرار داني شمعون ابن الرئيس اللبناني الثاني كميل شمعون وفي اتهامه بتفجير كنيسة "سيدة النجاة" في كسروان، واغتيال النائب طوني فرنجية ابن الرئيس سليمان فرنجية وعائلته وفيما سمي بـ"مجزرة إهدن".

رأي ابن أخيه فيصل عمر كرامي

فيما بعد سنوات أطلق سراح سمير جعج بعفو من قبل المجلس النيابي الذي انتخب بعد خروج الجيش السوري من لبنان عام ٢٠٠٥، وعاد إلى نشاطه السياسي وترشح إلى الانتخابات الرئاسية. بيد أن الوزير السابق فيصل عمر كرامي اعتبر أن "هذا العفو يعتبر إهانة لمؤسسة الجيش والقضاء اللبناني".

وقالت عائلة كرامي إنها ستقدم مذكرة إلى مجلس الأمن تطلب فيها ضم جريمة اغتيال الرئيس كرامي إلى الجرائم التي تنظر فيها المحكمة الدولية، مؤكدة أن "العدالة لا تتجزأ و يتردد أن ملف اغتيال كرامي يضم ٢٢٣ ألف وثيقة تشكل محاكمة متكاملة ، وتتضمن اعترافات أكثر من عنصر ساهم في عملية الاغتيال، والزورق الذي استعمل أثناء المراقبة، والجهاز الذي استعمل في عملية التفجير.

وفي كلمة له في ذكرى اغتيال الرئيس رشيد كرامي قال الوزير السابق فيصل عمر كرامي: "حين قلنا إننا لم نسامح ولن ننسى، فذلك لأننا نعتبر أن لا قيامة لدولة على قاعدة الجريمة، ولن يستقيم أمر الدولة سوى على قاعدة العدالة".

وأكد كرامي أن العفو لا يعني البراءة، وإن كان جعجج واثقا من براءته فليطلب إعادة المحاكمة، ولكن ذلك لم يحصل لأن التهمة ثابتة".

وقال فيصل عمر كرامي : "لقد قلنا إننا لن نسامح ولن ننسى ليس لأننا عائلة رشيد كرامي، لأنه ليس ملكا لعائلته، فهو رجل الدولة الذي أمضى زهاء ٣٦ عاما في سدة المسؤولية، وكان أرفع تجسيد للوطنية، ونحن طلاب عدالة لا انتقام.

الفصل ١٩ : رياض الصلح الذي استنقذ للبنان كيانه من الذوبان

أحيانا ما يكون استقلال الدول تحصيل حاصل، لا أحد يعترض عليه ولا أحد يُعطله، وأحيانا ما يكون مخاض الاستقلال صعبا حرجا أقرب إلى المستحيل منه إلى التحقق، وقد كان استقلال لبنان من هذا النوع ، بل إن هذا الاستقلال بعدما تحقق وجد تعسفا وتعنتا من القوات الفرنسية الموجودة على أرض لبنان مما جعل اللبنانيين يستأنفون الجهاد على منابر الأمم المتحدة وفي المجتمع المدني فلما قبيض لهم أن ينجحوا ويفوزوا احتفلوا بما يسمى الجلاء بعد الاستقلال. كانت شخصية الرئيس رياض الصلح بمثابة المفتاح السحري الذي مكّن الأمل اللبناني من أن يتحقق، جاهد واجتهد وفاوض وقايض وصبر واصطبر ثم مات من دون أن يأتي (حتى الآن) الوقت الذي يُسجّل فيه التاريخ مجده ونجاحه في تحدي الصعوبات التي اجتازها والتحديات التي فُرِضت عليه والمقاومات التي قبل بها حتى تكون لبنان هي لبنان بدلا من أن تكون مجموعة من الكيانات الصغيرة التي ترعاها دولة كبيرة تبعد عنها آلاف الأميال أو تتصارع عليها مع دولة أخرى على بعد آلاف الأميال الأخرى.

اعترافنا بفضل كتاب باتريك سيل

من الإنصاف في مطلع حديثنا هنا أن نشير إلى الكتاب الجميل الذي كتبه باتريك سيل بعنوان "الرئيس رياض الصلح والنضال من أجل الاستقلال العربي" وقد أنجز ترجمته للغة العربية الأستاذ عمر سعيد الأيوبي ، وصدر منذ عهد قريب عن الدار العربية للعلوم.

مولد زعيم

كان من حظ الرئيس رياض الصلح أنه وجد رفيقه في الاستقلال اللبناني الرئيس بشارة الخوري المحامي ونقيب المحامين الطموح إلى خدمة وطنه بعيدا عن المزايدات وعن الارتباطات الإقليمية والدولية، وكان من حسن حظ الرئيس رياض الصلح أنه كان قد لحق بموجة تأسيس الجامعة العربية وعرف النحاس باشا ووثق علاقته به، وأصبح يزور مصر كزعيم، كما عرف سعد الله الجابري رئيس وزراء سوريا وتعاون معه إلى أقصى حد، وعرف هاشم الأتاسي وشكري القوتلي وخالد العظم و فارس الخوري وبنى علاقته بكل منهم علاقة شقيق بشقيق بعيدا عن مناقشات الانشقاق والانفصال وحزازات الأشقاء والجيران.

تنازلات غير معهودة في أخريات حياته

تذهب بعض الروايات إلى أن الرئيس رياض الصلح وهو زعيم السنة في لبنان قبل ببعض التنازلات غير المعهودة في أخريات حياته، ومع أننا لا نملك حقيقة فيما يتعلق بهذه الجزئية فإننا نفهم أن الرئيس رياض الصلح كان مستعدا لأي توافق معلن أو خفي من أجل شراء لبنان من الفتنة ، بالطبع فإنني بهذا القول لا أزكي التحول من مذهب إلى مذهب ، لكنني أريد بهذا القول أن ألفت

النظر إلى حجم الضغوط غير المعقولة التي واجهت هذا الرجل في حياته وتحملها على طريقته كي يُنقذ مستقبل لبنان ومستقبل أهل لبنان، وكلنا يعرف أنه قبل بدعوى الغربيين فيما يتعلق بعدد السكان من الطوائف المختلفة فقبل هذه الدعوى على الرغم من أنه يعرف الحقيقة ، لكنه كان يعرف أيضا أن تمسكه بالحقيقة لن يمكّنه من أن يحافظ على لبنان ، ولهذا فإنه حافظ على لبنان على حساب الحقيقة التي لا تغيب بالطبع.

اللبنانيون اجتمعوا على قلبه

بعود الفضل إلى الرئيس رياض الصلح في تهيئة السبيل إلى وجود لبنان على النحو الموجود عليه، فقد اجتمع الزعماء على قلب رجل واحد هو الرئيس رياض الصلح فأصبح زعيما فكأن زعامته ولدت من خلال ممارساته الاستيعابية الذكية و ذلك بأكثر من أن يكون قد بدأ بالزعامة ثم دعمها ، وإنما كان يتصرف تصرف الزعيم فأصبح زعيما وفي هذا السبيل فإنه خاض التحالفات والمناقشات والمعارك بروح ساعية إلى الائتلاف والتعاون والاستيعاب فكان له ما أراد.

تكوين لبنان

وقد ضم لبنان متصرفية جبل لبنان وبيروت وطرابلس وأقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا ، والأراضي الداخلية لصيدا في جبل عامل وأراضي طرابلس في عكار وسهل البقاع الغني في الشرق ، ولنذكر على سبيل المثال أن مدينة بيروت نفسها لم تكن ضمن متصرفية جبل لبنان العثمانية التي صدر بها القانون العثماني في ١٨٦٤ ، وكذلك لم تكن أقضية بعلبك وصور وصيدا وطرابلس من تلك المتصرفية.

الخيوط الفاصلة بين القوميات

كان الرئيس رياض الصلح يحارب في جبهات القومية العربية متعاوننا بدأب وإخلاص مع من نعرفهم الآن على أنهم من السوريين والفلسطينيين والقوميين اللبنانيين و متعاوننا مع من نعرفهم الآن على أنهم من اللبنانيين الأقحاح لكنه في الوقت ذاته لم يكن يتقبل التعلق بفكرة من قبيل الاتحاد الهاشمي أو سوريا الكبرى ولا فكرة أنطون سعادة في القومية السورية التي تشمل سوريا ولبنان وتستبعد القومية العربية والقومية اللبنانية وهكذا فإن الرئيس رياض الصلح كان يسير على حبل مشدود ويستند في سيره عليه إلى الأمر الواقع من ناحية وإلى معطيات ومردودات الصراع الاجتماعي والاقتصادي المساعدة على بلورة الكيان الجديد من ناحية أخرى.

بداية النضال

بدأ الرئيس رياض الصلح جهاده مع الشيخ أمين الحسيني و الزعيم إحسان الجابري والأمير شكيب أرسلان متخذين من مكتب جنيف قاعدة لتحركاتهم من أجل المطالبة باستقلال بلاد الشام سواء في ذلك سوريا ولبنان وفلسطين، وتردد الرئيس رياض الصلح على كثير من العواصم الغربية من أجل هذا الهدف، وكان يكثر من زيارة الجمعية الوطنية الفرنسية ومكاتب الصحافة في

العواصم الغربية، وأهله هذا كله لأن يُصبح شخصية معروفة في المجتمع الأوروبي على نحو ما كان الزعماء الوطنيون يُعرفون و يتعارفون بالاتصال المباشر في ذلك العصر.

مجمل حياته

ولد الرئيس رياض الصلح في ١٨٩٤ في مدينة صيدا اللبنانية وتوفي في عمان عاصمة الأردن في ١٧ يوليو ١٩٥١ توفي اغتيالاً قبل أن يُغتال الملك عبد الله ملك الأردن نفسه بخمسة أيام، لا أحد يعلم حتى الآن علاقة اغتيال هذا الزعيم باغتيال ذلك الملك ، ولا أحد يعلم حتى الآن حجم التورط الخارجي في الاغتيالين، فقد كان الاغتيال قد نُفذ بالطريقة الشيطانية التي صادفها الأمريكيون أنفسهم بعد ١٢ عاما في اغتيال الرئيس جون كينيدي، وهي أن يتم قتل القاتل قبل أن يبوح بكل الأسرار ودون أن يعرف أو يشك في أنه نفسه سيقتل.

أصوله

كان جد الرئيس رياض الصلح متزوجا من ابنة مفتي دمشق ، أما والده رضا بك الصلح فكان حاكما للنبطية ثم متصرفا (قائم مقام صيدا) كما كان عضوا في مجلس المبعوثان العثماني عن بيروت ثم وزيرا للداخلية في حكومة الأمير فيصل في دمشق. وكانت عائلة الصلح قد انتقلت لبيروت في أواخر القرن التاسع عشر.

أما الرئيس رياض الصلح نفسه فقد تزوج من عائلة الجابري الحلبية الشهيرة التي ينتمي إليها سعد الله الجابري الزعيم السوري العظيم وشقيقه الأكبر إحسان بك الجابري.

الفهم السياسي

تلقى الرئيس رياض الصلح تعليما متميزا ونال إجازة الحقوق من جامعة باريس وحضر في صباه وفتوته مظاهر السياسة والحزبية في أخريات العهد العثماني، وقدر له أن ينضم وهو صغير إلى والده رضا بك الصلح في مناوئة حزب الاتحاد والترقي الذي كان صعوده إيذانا بتمزيق الدولة العثمانية لكن رضا بك الصلح لم ينخدع في ذلك الحزب ، وأثار عقلية ابنه الرئيس رياض الصلح بهذا الفهم الذكي الذي لم يكن العرب قد وصلوا إليه في ذلك الوقت، بل إنهم لا يدركون الحقيقة في حجمها الحقيقي حتى الآن ، وكان من الطبيعي أن يعاقب الاتحاديون رضا بك وابنه رياض وهكذا تقرّر نفيهما إلى الأناضول حيث قضيا الفترة من ١٩١٦ وحتى ١٩١٨ فلما انتهت الحرب العالمية الأولى انتقل إلى دمشق وانضم إلى جمعية العربية الفتاة، وكانت كما نعرف جمعية سرية.

سعادة الأب بالمملكة السورية

ولما تأسست المملكة السورية كان والده رضا بك الصلح سعيدا بها فلما انتهى عهدها ١٩٢٠ على يد الانتداب الفرنسي الظالم انتقل مضطرا إلى القاهرة وانضم إلى التنظيمات التي حاولت إنقاذ أقطار الشام من تعسف الفرنسيين الذين رأوا نهاية الدولة العثمانية فرصة لهم كي يحتلوا بلادا تاقوا إلى احتلالها كثيرا من دون أن يتحقق لهم حلمهم، ولهذا السبب فقد كان جورهم وعسفهم بأهل الشام مضاعفا.

هروبه عقب الانتداب

عندما دخل الفرنسيون دمشق كان الرئيس رياض الصلح في السادسة والعشرين من عمره فركب القطار مع السياسيين العرب الأصلاء تحسبا من مصيرهم المتوقع حين يتعرّف عليهم الفرنسيون ويعتقلونهم، في بيروت بقي أسبوعا في بيت سامي الصلح زوج شقيقته، و سرعان ما علم أن محكمة فرنسية حكمت عليه بالإعدام في ٩ أغسطس .

ارتحل الرئيس رياض الصلح إلى فلسطين في قارب صيد صغير ومنها للقاهرة، وبعد أن قضى أسابيع في القاهرة سافر إلى روما فأقام مع بعض أصدقاء طفولته وتصادف أن تعرّف على الكونت شيانو الذي أصبح بعد هذا زوجا لابنة للدوتشي موسوليني ووزيرا لخارجيته.

المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف

وفي صيف ١٩٢١ حضر الرئيس رياض الصلح المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف ثم سافر إلى لندن للقاء الزعيم الصهيوني وايزمان والسير هيربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في فلسطين كما التقى في عمان بالأمر عبد الله (الملك عبد الله بعد ذلك) والتقى قي برلين وباريس بعدد من الساسة والصحفيين من جميع الدول والاتجاهات. في نهاية ١٩٢٣ اتجه إلى حيفا وتمكن من الحصول على العفو من السلطات الفرنسية بشهادة وقعتها الجنرال ويغان نفسه وعاد من المنفى إلى بيروت في أوائل ١٩٢٤ بعد ثلاث سنوات ونصف.

حاز ثقة الزعيم النحاس باشا

بفضل النشاط الدائب والاتصال بالطبقات المختلفة أصبح الرئيس رياض الصلح متمنعا بثقة الزعيم النحاس باشا في القاهرة وبالمعرفة الوثيقة بزعماء المغرب العربي الذين كانوا يلجؤون إلى القاهرة بل إنه اتصل بالطبقة العاملة والحركات النقابية الناشئة في ذلك الوقت. لكن الرئيس رياض الصلح بدأ يوجّه جهوده إلى فرنسا من أجل التباحث مع الفرنسيين مقتديا في هذا السلوك بما رآه من نجاح الزعيم اليهودي وايزمان في لندن لا في فلسطين نفسها.

الجهاد في المحافل الدولية

ظل الرئيس رياض الصلح يجاهد في المحافل الدولية منحازا إلى قضية حرية بلاده حتى أمكن له أن يعود إلى لبنان حين خفّت قبضة فرنسا عليها مع الثورة السورية في ١٩٣٥ ومعاهدة ١٩٣٦ ووجود اليسار الفرنسي في حكم فرنسا .

في يناير ١٩٣٦ أصبح إيميل إده رئيسا للبنان (الخاضع لسلطة فرنسية) بانتخابات فاز فيها على منافسه الرئيس بشارة الخوري ومع أن الرئيس إيميل إده كان صديقا للرئيس رياض الصلح فإن الرئيس رياض الصلح كان منحازا إلى الرئيس بشارة الخوري الذي كان مع فكرة لبنان كما يراها الرئيس رياض الصلح بعيدة عن الارتباط العضوي بفرنسا على نحو ما كان الرئيس إيميل إده يريد.

منافسة بين إيميل إده و بشارة الخوري

كان فوز الرئيس إيميل إده في يناير ١٩٣٦ على الرئيس بشارة الخوري قد تحقق من الجولة الثانية بخمسة عشر صوتاً مقابل ١٠ (الأكثرية المطلقة) بعد ما فشل كلاهما في تحقيق أغلبية الثلثين في الاقتراع الأول (حصل الرئيس إيميل إده على ١٤ وبشارة على ١٠) وربما أن هذه النتيجة كانت هي الدافع للرئيس رياض الصلح أن يبدأ تحالفات جديدة تساعده على تحقيق هدف اللبنانيين في وجود لبنان على الصورة التي وجد عليها عند إعلان استقلاله.

مؤتمر الساحل

في مارس ١٩٣٦ وعقب هذه الانتخابات مباشرة انعقد مؤتمر الساحل الذي سبق له الانعقاد في ١٩٢٨ و ١٩٣٣ ، وقد أبرمت المعاهدة الفرنسية اللبنانية بالأحرف الأولى في ١٣ نوفمبر ١٩٣٦ ، بناء على مباحثات الرئيس إيميل إده مع الفرنسيين في بيروت (أكتوبر ١٩٣٦) بالمواربة مع مباحثات السوريين وإبرام المعاهدة السورية الفرنسية ، واقتداء بما فعله النحاس باشا مع البريطانيين. وهكذا استطاع الوطنيون السوريون والوطنيون اللبنانيون أن يقفوا على فكرة الصراع بين الوطنيين السوري واللبناني من أجل أن يحصلوا للوطنين السوري واللبناني معا على الاستقلال، وكانت فكرة ذكية على الرغم مما يبدو من تعارضها مع فكرة الوحدة العربية ووحدة الشام الكبير.

وبفضل جهد الرئيس رياض الصلح وإخلاصه انصهرت الروح السياسية اللبنانية بعيدا عن عصبية الطوائف واستنادا على تعاون اقتصادي وحضاري قائم بالفعل ، ومع هذا فإن الفرنسيين كانوا يترصدون بالرئيس رياض الصلح إلى الدرجة التي دفعته للانسحاب من انتخابات ١٩٣٧ حين أدرك أن التزوير سيكون سيد الموقف من أجل استبعاد وجوده.

ديجول يحارب استقلال لبنان

تصاعدت محاولات الزعيم ديغول واللجنة الوطنية الفرنسية في الجزائر التي كانت تدير أمور لبنان وسوريا لإجهاض استقلال لبنان وبدأ الرئيس رياض الصلح وزملاؤه يعانون في تعاملهم مع الجنرال الفرنسي كاترو ، ذلك أن الفرنسيين لم يكونوا على استعداد لتنفيذ ما كانوا قد تعهدوا به، فقد كانوا لا يزالون متشبثين بالفكرة الاستعمارية وضرورة بقائهم في لبنان ولو تحت شعار وجودهم الثقافي ، وهنا جاء دور الشارع اللبناني بمظاهراته وتعبيره الحي عن الغضب من المماثلة الفرنسية، وتدخلت بريطانيا من خلال إطار ذي وجهين يتمثل في تحالفها وتنافسها في الوقت ذاته مع فرنسا، وتدخل الزعيم مصطفى النحاس باشا بمقترحاته الذكية المتعلقة بتوزيع المقاعد بين المسلمين والمسيحيين في لبنان تبعا لنسبة محددة هي ٦:٥ (٣٠ مقعدا للمسيحيين و ٢٥ مقعدا للمسلمين). وقد تمثل ذكاء الرئيس رياض الصلح في قبوله بالتنازل لمصلحة بعض الطوائف من أجل أن يمرر الغرب هذه الصيغة الكفيلة بخروج فكرة لبنان المستقل إلى الوجود دون تأجيل.

التحالف مع الرئيس الأسعد

استعداداً للانتخابات البرلمانية التأسيسية تحالف الرئيس رياض الصلح مع الرئيس أحمد الأسعد وترك ما كان متوقفاً من التحالف مع الرئيس عادل عسيران فإذا بالرئيس عادل عسيران نفسه ينضم إلى تحالف الرئيس الصلح مع الرئيس أحمد الأسعد وإذا بهذه القائمة تحقق أكثر من (٧٥٪ من الأصوات) .

تبلور الزعامات

وهكذا جاء الرئيس رياض الصلح إلى واجهة الحياة السياسية اللبنانية بأصوات اللبنانيين لا بنفوذ الفرنسيين ولا بتجهيزهم له. وقد برزت معه زعامات ظلت لوقت طويل هي محور الحياة السياسية في لبنان سواء في ذلك المارونيون: الرئيس بشارة الخوري و الرئيس إميل إده و الرئيس كميل شمعون ، و برز على صعيد آخر هنري فرعون ابن عمه الرئيس بشارة الخوري ، و الكاثوليكي الوزير سليم تقلا والأرثوذكسي الوزير حبيب أبي شملا والبروتستانتية الرئيس أيوب ثابت الذي كان رئيساً سابقاً للجمهورية.

ومن بين المسلمين السنة برز الرؤساء صائب سلام و عبد الله اليافي في بيروت، والرئيس عبد الحميد كرامي (والد الرئيسين رشيد و عمر) في الشمال ومن بين الشيعة برز الرؤساء صبري حمادة و عادل عسيران و أحمد الأسعد في الجنوب ، ومن بين الدروز برز الزعيم كمال جنبلاط في جبل لبنان.

الطريق للاستقلال

فاز الرئيس رياض الصلح بعضوية البرلمان ، وعرف طريقه إلى المناصب التنفيذية في الوزارة اللبنانية ، ولجأ هو ورئيس الجمهورية الرئيس بشارة الخوري ومعهما الرئيس صبري حمادة (١٩٠٢ - ١٩٧٦) رئيس البرلمان إلى تكتيك سياسي ذكي اعتمد على تعديل نصوص الدستور القائم ليتمكّنوا من تحرير الإدارة اللبنانية من سطوة الوزارة الفرنسية وعرضت هذه التعديلات على البرلمان فأقرّها أعضاء البرلمان.

وقد شملت هذه التعديلات التي قدّمها رئيساً الجمهورية والوزراء معا وأقرها مجلس النواب كل النصوص المقيدة للاستقلال اللبناني وسمّيت هذه التعديلات بالميثاق الوطني و اكبّت تنظيم تركيبة الحكم الطائفي في لبنان وهي التي بمقتضاها يُصبح رئيس الجمهورية من الطائفة المارونية و رئيس الوزراء من أهل السنة ، و رئيس مجلس النواب من الشيعة.

هكذا نجح تحالف الرئيس رياض الصلح و الرئيس بشارة الخوري في توكيد استقلال لبنان من خلال ما سمي بالميثاق الذي لجأ فيه الرجلان كما أشرنا إلى تعديل مواد الدستور القائم بالفعل من أجل استكمال مقومات الاستقلال ، ووصل الأمر بالرئيس رياض الصلح أن كرر كلمة الاستقلال ثلاثين مرة في خطابه في البرلمان اللبناني الذي ألقاه على هيئة شبيهة بخطاب العرش الذي كان يلقيه الزعماء المصريون في افتتاح كل دورة برلمانية.

مواجهة فرنسا

ومع أن فرنسا رفضت وعارضت وهدّدت بل واتّخذت القرارات العنيفة التي استندت فيها إلى قوّتها العسكرية الغاشمة ، فإن الرئيس رياض الصلح وقف بذكاء بالغ ضد هجمة فرنسا. وقد وصل به الأمر أن طلب من نائب المندوب العام الفرنسي أن يسحب المندوب رسالته التهديدية وسلمه رسالة واضحة بضرورة أن تتحول المندوبية الفرنسية إلى بعثة دبلوماسية فحسب وأن تنتقل كل مظاهر السيادة على الأرض اللبنانية إلى السلطة الدستورية وأن تتولى الوزارة كل المسؤوليات والمؤسسات التي تتعلق بلبنان، واجتمع مجلس النواب فأيد الرئيس رياض الصلح بما يُشبه الإجماع.

فرنسا تعتقل الزعماء

أقر البرلمان تعديلات الدستور اللبناني في ٨ نوفمبر ١٩٤٣ فما كان من المفوض الفرنسي إلا أن أصدر تعليماته بحل مجلس النواب وتعليق العمل بالدستور واعتقال رئيس الجمهورية الرئيس بشارة الخوري ورئيس الوزراء الرئيس رياض الصلح كما قرر اعتقال الوزراء الرئيس كميل شمعون و الرئيس عادل عسيران وسليم تقلا. وقد داهمت القوة الفرنسية منازل الرئيس بشارة الخوري ورئيس الوزراء الرئيس رياض الصلح ووزيري الداخلية والخارجية الرئيس كميل شمعون وسليم تقلا واعتقلتهم على الفور كما اعتقلت الوزير عادل عسيران في اليوم ذاته.

هكذا نرى الفرنسيين يروح لا تخلو من غطرسة القوة وقد اعتقلوا رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزراء وأعضاء برلمان ، ووصل التعسف الفرنسي إلى أنهم حاولوا أن يعودوا إلى نهجهم القديم في تعيين المسؤولين بمعرفتهم على نحو ما كانوا يفعلون قبل توقيع معاهدة الاستقلال واندلع الغضب الشعبي لا في بيروت وحدها وإنما في الوطن العربي كله ، فقد كان الشارع العربي قد وصل إلى درجة عالية من الوعي جعلته ينتفض بالمظاهرات الصاخبة المؤثرة في كل المدن العربية مؤيدا لحق لبنان واللبنانيين ، ولم يكن الجو الدولي في ذلك الحين يسمح باستمرار التعنّت الاستعماري في مواجهة إرادة الشعوب على النحو المتمسك بالتبجح بالمصالح الذي نعرفه الآن.

بطولة الرئيس صبري حمادة

جمع النائب البرلماني المُخضرم الرئيس صبري حمادة النواب والوزراء صباح ١١ نوفمبر وطالب بإلغاء الإجراءات التعسّفية التي مارسها المفوض السياسي الفرنسي وأحاطت جماهير الشعب بمجلس النواب و تعالت الصيحات بشعارات وشارات الحرية والاستقلال، ووصل الذكاء بالرئيس صبري حمادة أن رفع علما لبنانيا جديدا مؤلفا من الأحمر والأبيض والأحمر في وسطه أرزة خضراء على اللون الأبيض .

واستعان هؤلاء الزعماء المستنبرون بحكومتى مصر والعراق و بالسفيرين البريطانيين والأمريكي ... و تواصلت الاحتجاجات والتظاهرات في لبنان كلها .

وفي اليوم التالي ١٢ نوفمبر اجتمع النواب في بيت الرئيس صائب سلام وقرروا منح الثقة للحكومة المؤقتة في بشامون التي تحولت إلى قبلة للبنانيين توافدوا إليها بالآلاف .
وفي صباح ١٥ نوفمبر عزز الفرنسيون وجودهم في العاصمة بعربات مصفحة وجنود سنغاليين لكن الحرس الوطني تصدى لهذه المصفحات .

أفراح الإفراج

لم يمض أسبوع من جهاد اللبنانيين المكثف والمتعدد الجبهات إلا كانت فرنسا تتراجع وتُفرج عن الزعماء والمعتقلين، وهكذا أعلن عن الإفراج عن الزعماء الذين استقبلهم الشعب اللبناني بمبايعة جديدة رسمت إطارا جميلا ورومانسيا لاستقلال لبنان. ومنذ ذلك الحين اعتُبر ٢٢ نوفمبر بمثابة عيد الاستقلال اللبناني. ولا يزال اللبنانيون يعتزون بما يسمونه وزارة الاستقلال الأولى التي تشكلت برئاسة الرئيس رياض الصلح وضمت خمسة وزراء بالإضافة إلى الرئيس رياض الصلح نفسه الذي جمع مع رئاسة الوزراء وزارة المالية أما الوزراء الخمسة فكانوا:

• عادل عسيران (١٨٩٥ - ١٩٨٨) وهو من الشيعة، وزير الإعاشة والتجارة الصناعية، وقد عمل وزيرا لوزارات عديدة ورأس البرلمان لسبع دورات نيابية. وقد لمع من عائلته لبنانيون وعراقيون وإيرانيون كما أن السياسي العراقي أحمد الجلي هو زوج ابنته.

• مجيد أرسلان (١٩٠٨ - ١٩٨٣) الزعيم الدرزي كان وزيرا للدفاع الوطني ووزيرا للزراعة ووزيرا للصحة والإسعاف العام وقد ظل رئيسا للكتلة البرلمانية الدرزية من ١٩٣١ وحتى ١٩٧٢ .

• سليم تقلا (١٨٩٥ - ١٩٤٥) وهو من الأرثوذكس، وقد عيّن وزيرا للخارجية وللأشغال العامة وقد توفي بعد يومين من تشكيل وزارة عبد الحميد كرامي التي خلفت وزارة الرئيس رياض الصلح (يناير ١٩٤٥).

• حبيب أبو شملا (١٩٠٢ - ١٩٥٧) وهو من الأرثوذكس، وقد عيّن نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للتربية الوطنية ووزيرا للعدل وقد عاش بلا زواج ونال الدكتوراه من السوريين بعد أن كان قد تخرج في الجامعة الأمريكية ببيروت.

• الرئيس كميل شمعون (١٩٠٠ - ١٩٨٧) وهو من المارون وهو الرئيس الثاني للجمهورية، وكان في هذه الوزارة وزيرا للداخلية والبريد والبرق.

مكانة رياض الصلح بين أقرانه

ونلاحظ أن الرئيس رياض الصلح كان أكبر وزرائه سنا (١٨٩٤) يليه وزيران ولدا بعده بعام واحد وهما سليم تقلا (١٨٩٥) الذي توفي قبله وهو في الخمسين من عمره و عادل عسيران (١٨٩٥) الذي عاش ٩٣ عاما ثم الرئيس كميل شمعون الذي عاش حتى ١٩٨٧، وحبيب أبو شملا الذي عاش حتى ١٩٥٧ فقط (٥٥ عاما فقط)، ثم أصغرهم وهو مجيد أرسلان الذي توفي عن ٧٥ عاما.

وقد أردتُ بهذا التصوير أن أدلل على هذا التجانس الذي كان طابع الفترة الأولى من حكومة لبنان قبل أن تتعدّد الأجيال الموجودة على الساحة على نحو ما هو موجود الآن ، فكما نرى فإن الفارق بين أكبر الوزراء وأصغرهم سنا لم يتعد خمسة عشر عاما وهو ما مكّن هذه الوزارة الفتية يومها (١٩٤٦) من أن تصمد في مواجهة التعنت الفرنسي، وتحافظ على الاستقلال. أثبت هؤلاء الزعماء الوطنيون أن الطائفية التي كانت تبدو في جوهرها ومظهرها مزعجة كان من الممكن أن توجه توجيها يجعل منها أداة للالتئام والاصطفاف الوطني وليس أدلّ على هذا من أن معظم أفراد هذه الوزارة لا يزالون كما نعلم موجودين من خلال ذريتهم في الحياة السياسية اللبنانية.

في الوزارة والبرلمان

بقي الرئيس رياض الصلح رئيسا للوزراء حتى ١٠ يناير ١٩٤٥ حيث خلفه الرئيس عبد الحميد كرامي ثم الرئيس سامي الصلح ثم الرئيس سعدي الملا ، ولكنه عاد إلى تولي رئاسة الوزارة في ١٤ ديسمبر ١٩٤٦ واستمر في ذلك المنصب لفترة طويلة بمقياس لبنان ومقاييس ذلك الزمن حتى تم اغتياله في ١٧ يوليو ١٩٥١. كان الرئيس رياض الصلح نائبا في البرلمان من ١٩٤٣ - ١٩٤٧ ومن ١٩٤٧ - ١٩٥١ ومن ١٩٥١ حتى وفاته في نفس السنة.

سيادة لبنان قبل مطامع الإسرائيليين

يُحسب للرئيس رياض الصلح أنه كان قادرا على إدراك الحقيقة المنتبهة إلى ضرورة تشكيل سيادة لبنان قبل أن تجور عليها مطامع الإسرائيليين الصهاينة، وقد تحول مع الزمن من سياسي ذي آفاق عربية وحدوية إلى مسئول تنفيذي إقليمي ناط بنفسه قبل غيره المسئولية عن كيان لبنان الممكن قبل أن ينشغل عن نفسه بالكيان العربي الذي كله يعاني الصعوبات من أجل الوجود الفاعل والحي على النحو التاريخي المفترض.

علاقته الوثيقة بالزعماء الفلسطينيين

كانت علاقة الرئيس رياض الصلح بفلسطين وبالزعماء الفلسطينيين وثيقة إلى أبعد مدى ، وقد ارتبط بالصدقة وزمالة الكفاح مع الشيخ أمين الحسيني مفتي القدس، وربما أن أمين الحسيني كان أكثر نشاطا من الرئيس رياض الصلح وأكثر منه اندفاعا إلى الارتباط بمجتمع فائق النمو والحركة وقتها وهو مجتمع الألمانين الصاعد في عهد هتلر.

قبل اعتداءات ١٩٤٨ كان بإمكان العرب أن يجلسوا مع اليهود

وقبل أن تكون هناك حروب مثل حرب ١٩٤٨ بممارسات الصهيونية الوحشية فقد كان بإمكان الرئيس رياض الصلح أن يجلس مع اليهود ويناقشهم على نحو ما كان صديقه الشيخ أمين الحسيني نفسه يفعل.

اللجنة التنفيذية لحزب الاتحاد السوري

كان رضا بك الصلح والد الرئيس رياض الصلح قد نبه العرب حين كان عضوا في البرلمان العثماني إلى خطورة الاستيطان اليهودي المتسارع المدعوم من الغرب، وكان الرئيس رياض الصلح منذ العشرينات يقدم مساعدته للفلسطينيين الذين كانوا يتفاوضون مع اليهود الذين قدموا إلى فلسطين وبدأوا في البحث لوجودهم "القدام" عن مشروعيته من خلال تفعيل وعد بلفور. ومن المعروف أن الرئيس رياض الصلح انضم إلى كثير من التجمعات العربية التي كانت تتفاوض مع اليهود في مسألة طموحاتهم .

مع الأستاذ محمد رشيد رضا

و على سبيل المثال فإنه كما يذكر باتريك سيل في كتابه عن قصة حياته انضم إلى ما كان يسمى اللجنة التنفيذية لحزب الاتحاد السوري التي فاوضت الصهاينة في القاهرة في مارس ١٩٢٢ وكانت تضم العلامة الأستاذ محمد رشيد رضا وكامل القصاب وإيميل خوري.

وعيه المبكر بخطط اليهود

ونحن نفهم من كل هذه الأنشطة التي شارك فيها الرئيس رياض الصلح أن مهاراته السياسية تدرّبت على فهم تفصيلات كل ما هو ممكن وما هو مستحيل من هذه الأطراف الدخيلة على بلاد الشام والمدعومة بدعم غربي لا نهاية له من أجل الحيلولة دون وحدة بلاد الشام ، والعمل على توطین اليهود بالطريقة التي تبلورت بعد ذلك ، وهكذا فإن الرئيس رياض الصلح كان قد توصل إلى إعلان معارضته التامة لفكرة "وطن قومي لليهود" في الوقت الذي كان يرى الدأب الغربي في العمل من أجل هذه الفكرة بالتآمر والتفاوض معا وبالقوة والحيلة معا.

انتباهه لخطورة خطط وايزمان

وقد انتبه الرئيس رياض الصلح مبكرا إلى ما كان يطمح إليه الزعيم الصهيوني وايزمان من إقامة مستوطنات في الجولان و حوران و لبنان! وهكذا كان وعي رياض الصلح العميق لخطط الصهيونية عاملا محفزا له للحفاظ المبكر على لبنان من هذا التآمر الصهيوني الغربي على كل ما هو عربي.

أدرك بداية الانقلابات العسكرية

جاءت المرحلة الأخطر التي دفع الرئيس رياض الصلح ثمنا لها حينما بدأت موجة الانقلابات العسكرية تجتاح الوطن العربي فإذا لبنان الرسمية تواجه على أرضها واحدا من الطموحين إلى تكرار هذه الانقلابات كان يتميز عن المنقلبين العرب بخلفية أيديولوجية جذابة كانت كفيلة بتحويل الانقلاب إلى نواة حرب أهلية، كان هذا هو أنطون سعادة ١٩٠٤ - ١٩٤٩ زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي انتبه الرئيس رياض الصلح ورفاقه (بمن فيهم الرئيس بشارة الخوري) مبكرا إلى ضرورة وقفه وبسرعة بالغة عند حدّه قبل أن تضيق دولة لبنان الوليدة في غمار الانقلابات العسكرية.

وهكذا فقد كان الرئيس رياض الصلح ومن حوله زعماء لبنان الآخرون من كل الطوائف منتهيين إلى ضرورة التصدي لأنطون سعادة مبكراً قبل أن يستفحل أمر منافساته مع أنداده على الساحة ، وهكذا كان قرار الرئيس رياض الصلح واضحا استراتيجيا وتكتيكيا في الوقت نفسه، فلما تلقى أنطون سعادة دعوة الزعيم حسني الزعيم إلى الإقامة في سوريا وإلى اللقاء به (بعد سلسلة الاضطرابات التي اشتركت فيها جماعته في بيروت في مواجهة الكتائب اللبنانية) كان السياسة اللبنانيون بما عرف عنهم من قدرات التفاوض أسرع إلى الإحاطة بأنطون سعادة مستغلين أوراق الضغط بدلا من المواجهة المباشرة.

حسني الزعيم يسلم أنطون سعادة للبنان

وهكذا نجح الضغط في أن يجعل الزعيم حسني الزعيم المندفع دائما بل السابق لغيره من الضباط الانقلابيين بخطوات يعيد تقييم موقفه من أنطون سعادة فإذا به يوافق على تسليمه للبنان بدلا من أن يرحب به، ولم يلجأ الزعيم حسني الزعيم إلى حل وسط من قبيل الإيعاز لأنطون سعادة بالهرب من سوريا بل إنه حسب الرواية وضع خطة جعلته هو نفسه يشارك بنفسه في خداع أنطون سعادة بأن دعاه إلى اللقاء به وإذا بأنطون سعادة الذي ذهب للقاء رئيس الجمهورية السورية يجد في انتظاره مدير الأمن العام اللبناني الذي قدم خصيصا للقبض عليه واصطحابه إلى بيروت أسيرا مقيدا، وكان هذا التصرف من الرئيس الزعيم حسني الزعيم تصرفا معيبا بكل المقاييس الأخلاقية والسياسية لكنه ، في العادة ، لا يُستغرب من رجال الانقلابات العسكرية. وكانت خطة الزعيم حسني الزعيم أكثر سوءا من مجرد التسليم ، فقد كانت الخطة أن يتم قتل أنطون سعادة وهو في الطريق فيظهر للناس ان جماعة مارقة هي التي قتلتته وهو يحاول الهروب!

يقظة مدير الأمن العام اللبناني

لكن مدير الأمن العام اللبناني كان من اليقظة بحيث لم يمكن لهذا السيناريو من الحدوث، وذهب أنطون سعادة إلى بيروت مقيدا فحوكم في صباح اليوم التالي وحكم عليه بالإعدام وبقي التصديق على الحكم .

ولهذا التصديق قصة عُرفت فيما بعد وسنرويها بعد أن نذكر أن التصديق تم وأن الإعدام تم وأن الثأر لأنطون سعادة من الرئيس رياض الصلح نفسه قد تم أيضا حين تم اغتيال الرئيس رياض الصلح في عمان عاصمة الأردن .

وقد استقر في ضمير التاريخ أن السبب الأرجح لاغتيال الرئيس رياض الصلح كان الثأر لأنطون سعادة ، وإن كان هذا لا ينفي الأسباب الأخرى وراء اغتيال الصلح التي ربما استطاع أصحابها أن يوظفوا جماعة أنطون سعادة (حتى من دون أن تدري) في تحقيق غرض تقاطعت المصالح من أجله ، نقصد بهذا مصالح من أرادوا اختفاء الرئيس رياض الصلح كي تضعف لبنان لمصلحة الجار الجديد.

رواية باتريك سيل عن مذكرات فريد شهاب

أما ما كشفت عنه وثائق الدولة اللبنانية فيما بعد ، وتبعاً لما نشرته جريدة الحياة من ترجمة لكتاب باتريك سيل وما أشار إليه باتريك سيل من أوراق الأمير فريد شهاب التي نشرت سنة ٢٠٠٦ فإنه " عند الساعة الثامنة مساءً في ٧ يوليو ، أصدرت المحكمة العسكرية حكم الإعدام على سعادة بموجب المادة ٧٩ من قانون القضاء العسكري. و أرسل الملف إلى لجنة العفو التي أكدت الحكم. بعد سماع دفاع المُدان، وقبل اتخاذ قرار في شأن مصير سعادة، دعا الرئيس بشارة الخوري إلى اجتماع حضره الرئيس رياض الصلح والأمير فريد شهاب، إضافة إلى حبيب أبي شهلا وغريبال المر، وهما مسؤولان بارزان من الطائفة الأرثوذكسية نفسها التي ينتمي إليها سعادة. وفقاً لملاحظة دونها الأمير فريد شهاب، قال الرئيس رياض الصلح : إنه لا يحب الإعدام. ولاذ الرئيس الخوري بالصمت، لكن أبي شهلا والمر أيّدا إعدامه"

يعقب باتريك سيل فيقول :

"لا شك في أنهما اعتبرا أن سعادة يشكل خطراً على موقعهما المسيطر في طائفتهما. ظلّ هذا الجانب من ظروف إعدام سعادة مجهولاً لمدة تزيد على نصف قرن، ولم يكشف عنه إلا بعد نشر أوراق الأمير فريد شهاب في ٢٠٠٦".

الجدير بالذكر أن اعتقال أنطوان سعادة بطريقة الخداع من الزعيم حسني الزعيم تم ليلة ٦-٧ يوليو ١٩٤٩ وأن محاكمته تمت طبقاً لقانون الطوارئ الذي فرض في ١٤ مايو ١٩٤٨ عند بداية حرب فلسطين وأن حكم إعدامه صدر طبقاً للمادة ٧٩ من قانون القضاء العسكري وان لجنة العفو أكدت الحكم في نفس اليوم وبعد سماع دفاع أنطوان سعادة.

نفور الصلح و الخوري من انقلاب حسني الزعيم

يُعتقد أن أزمة حزب أنطوان سعادة مع الوزارة اللبنانية بدأت مباشرة مع إعلان الزعيم حسني الزعيم عن انقلابه ، فقد اجتمعت عقيدة الرئيس رياض الصلح وفارس الخوري على النفور من الزعيم حسني الزعيم كديكتاتور بازغ على حدود دولتهم ، ولهذا فإن لبنان كان من آخر من اعترف بحكومة الزعيم حسني الزعيم من جيرانه.

ثم يتعدّد الوضع تلقائياً و إذا بالزعيم حسني الزعيم نفسه يستقبل أعضاء المعارضة اللبنانية وكأنه سيكرّر في لبنان ما كان فعله في سوريا من تحت ذقن الرئيس شكري القوتلي.

وإذا بالأيام تكشف عمّا تحت الرماد ، إذ يتصاعد الترشق بين حركتين شبه عسكريتين ، وهما : الكتائب والحزب القومي السوري ، بل إن القومييين بدأوا الهجوم على مراكز الدرك اللبناني قرب الحدود السورية وفي الجبل وتجمع مؤيدون حزبيون لأنطوان سعادة ، والتقوا به حيث وزّع عليهم الأسلحة والذخيرة بعد خطاب حماسي بالغ الحدة.

وقد عالج الجيش اللبناني الأمر بحسم وجدية حتى بلغ عدد المعتقلين من أعضاء حزب أنطوان سعادة والمتعاطفين معه ٩٠٠ عضو.

اغتيال رياض الصلح

أما اغتيال الرئيس رياض الصلح ثأراً لأنطون سعادة (وربما لسبب آخر) فتم كما ذكرنا ١٦ يوليو ١٩٥١ في عمان لكن محاولة سابقة كانت قد حدثت في ٩ مارس ١٩٥٠ وقد أصيب ثلاثة أطفال في هذه المحاولة الفاشلة و توفي اثنان منهما في الطريق إلى المستشفى، وقُتل رجل كان يقف قريباً من الحادث بينما اخترق الرصاص كم جاكيت الرئيس رياض الصلح دون أن يصيبه بالجروح. وعلى كل الأحوال فإن الزعيم حسني الزعيم قتل أيضاً ، ومحسن البرازي قتل أيضاً ، و العميد سامي الحناوي اغتيل أيضاً.

ذريته

بقي أن نميز بين بنات الرئيس رياض الصلح الخمس حيث تبدو المراجع حريصة على عدم التمييز بينهن ، ونذكر أولاً أن الرئيس رياض الصلح أنجب ابناً اسماه باسم أبيه رضا لكنه توفي رضيعاً أما السيدات الخمس فهن:

- السيدة علياء (١٩٣٥ - ٢٠٠٠) التي تزوجها الكاتب الصحفي ناصر الدين النشاشيبي ثم اختلفا وقد أنجبا ولدين وقد عُنت هذه السيدة بالتراث اللبناني.

- السيدة لمياء التي تزوجت الأمير مولاي عبد الله شقيق الملك الحسن الثاني وأنجبا مولاي هشام ومولاي إسماعيل ولالا زينب ، وقد تعرّفت على زوجها حين كانا يدرّسان في السوربون.

- السيدة منى الصلح وكانت قد تزوجت الأمير طلال بن عبد العزيز ١٩٣٣ - ٢٠١٨ وقد انفصلت عن الأمير طلال في ١٩٦٢ ، وهي والدة الأمير الوليد والأمير خالد والسيدة ريما - السيدة بهيجة التي تزوجت السفير سعيد الأسعد الذي كان سفيراً للبنان في سويسرا وقد أنجبت منه ولدين وابنة.

- السيدة ليلي الصلح وهي صغرى بناته وكانت واحدة من أول وزيرتين في لبنان في وزارة عمر كرامي، وقد تزوجت الوزير مروان حمادة ابن الرئيس صبري حمادة رئيس مجلس النواب الأشهر.

تكريمه

نقل جثمان الرئيس رياض الصلح إلى بيروت ودُفن إلى جوار مقام الأوزاعي، و أُطلق اسمه على ما يعرف الآن بساحة (ميدان) الرئيس رياض الصلح بالقرب من ضريحه.

الفصل ٢٠ : سامي الحناوي الرئيس الذي لم ينل من انقلابه الا اغتياله

سامي الحناوي (١٨٩٨ - ١٩٥٠) هو السياسي السوري سيئ الحظ الذي قادته الظروف إلى أن يقود الانقلاب العسكري السوري الثاني الذي وقع في ١٤ أغسطس ١٩٤٩ على انقلاب حسني الزعيم الذي هو الانقلاب العسكري السوري الأول. وقد كان سامي الحناوي تاليا (مباشرة) في كل شيء لحسني الزعيم (بدرجة واحدة فقط) فقد كان حسني الزعيم من مواليد ١٨٩٧ وكان هو من مواليد ١٨٩٨، وكان حسني الزعيم يسبقه بدرجة عسكرية واحدة أيضاً فقد كان زعيماً (أي عميد) حين كان سامي الحناوي عقيد وقد توفيا أيضاً في عامين متتاليين ١٩٤٩، ١٩٥٠.

نشأته

بدأ الرئيس سامي الحناوي حياته معلماً ثم التحق بمدرسة الحرب في إسطنبول "المدرسة العسكرية " وقضى فيها عاماً تخرج بعده ضابطاً فاشترك في معارك الحرب العالمية الأولى في قفاسيا وفي فلسطين فلما تأسست المدرسة الحربية في دمشق التحق بها وتخرج فيها ١٩١٨ برتبة ملازم وخدم في سنجق لواء إسكندرون واشترك في حرب فلسطين شأنه شأن كل جيله من ضباط سوريا في ذلك الجيل. وقد كان مقرباً من الحزب السوري القومي الاجتماعي.

انقلابه

أما انقلاب الرئيس سامي الحناوي الذي وصفناه كثيراً بأنه كان انقلاباً انجليزياً على الانقلاب الأمريكي فقد كان كالانقلابات الإنجليزية صريحاً إذا ما قورن بالانقلابات الأمريكية ولهذا فإنه في اليوم الأول أعدم رئيس الدولة حسني الزعيم ورئيس الوزراء محسن البرازي، واضطر الحناوي نفسه إلى أن يصبح رئيساً مؤقتاً للدولة لمدة يومين فقط .

اقتراحات المدنيين

بعد ساعات من وقوع الانقلاب تشكلت لجنة ضمت هاشم الأتاسي وفارس الخوري، ورشدي الكيخيا، وناظم القدسي وأكرم الحوراني، وأوصت هذه اللجنة بتشكيل حكومة مؤقتة يرأسها هاشم الأتاسي تعيد للبلاد الحياة الدستورية.

تسليم السلطة للرئيس هاشم الأتاسي الرئيس الأسبق

وبعد يومين سلم الرئيس سامي الحناوي السلطة إلى هاشم الأتاسي الرئيس الأسبق الذي أذاع فوراً تشكيل الوزارة، وأعلن سامي الحناوي أن مهمته المقدسة قد انتهت، وأنه سيعود إلى الجيش.

الوزارة الجديدة

استمرت الوزارة برئاسة هاشم الأتاسي من ١٤ أغسطس ١٩٤٩ حتى ١٠ ديسمبر ١٩٤٩ دون أن يحصل تبادل بين أعضائها، وقد سيطر حزب الشعب على تشكيل الوزارة ، وبخاصة وزارتي الخارجية والداخلية. وحرصاً على الاستقرار فقد تقرر استمرار العمل بالأحكام الصادرة في عهد

حسني الزعيم، و أعلن احترام الوزارة للاتفاقيات المعقودة في عهد الزعيم وأبرزها اتفاق شركة التابلاين لإمرار النفط السعودي ، واتفاق شركة أنابيب العراق لإمرار النفط العراقي ، واتفاقيات التصفية للمسائل المعلقة بين سورية وفرنسا، وفي مقدمتها الاتفاق النقدي.

تطهير الجهاز الحكومي

طلب سامي الحناوي قائد الانقلاب من الوزارة إصدار مجموعة من المراسيم بعزل بعض الموظفين وإحالة البعض الآخر على التقاعد لأن وزراء حزب الشعب لا يميلون إليهم.

انتخاب جمعية تأسيسية لوضع دستور جديد للبلاد

كان حزب الشعب مصمما على استبعاد عودة شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية، ولهذا أقرت الوزارة مرسوم قبول استقالة القوتلي وحل مجلس النواب.

النجاحات الاقتصادية

أقر مجلس الوزراء السماح بتصدير القطن فارتفعت أسعاره، وكذلك سمح بتصدير كمية من الحنطة فحققت أرباحاً تحولت نحو شراء كمية من الذهب فارتداد حجم التغطية الذهبية للعملة السورية.

الانقلاب الثالث بقيادة أديب الشيشكلي

عاد الهدوء والأمل إلى سوريا ريثما أتمت الولايات المتحدة الأمريكية انتقامها ، وحركت أديب الشيشكلي إلى الانقلاب الثالث في ١٩ ديسمبر ١٩٤٩. ولم يكن انقلاب الشيشكلي ليفتقد مبرراً ليقدمه للجماهير وقد تم تقديم المبرر بطريقة سنمائية أمريكية مثيرة ، فالمذاع حتى الآن عن السبب المباشر للانقلاب هو أن الحناوي كان قد دعا المنقلبين إلى اجتماع لمناقشة مشروع الاتحاد السوري العراقي لكنهم أحسوا أنه سيتربص عليهم وبالتالي فإنهم قرروا أن يتغذوا به قبل أن يتعشى بهم.

الثأر منه لإعدامه محسن البرازي

. سُجن سامي الحناوي لفترة قصيرة ثم انتقل بعد إطلاق سراحه إلى بيروت لكنه اغتيل بعد أقل من شهرين على يد حرشو البرازي قريب محسن البرازي في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٠.

جنازته

أعيد جثمان الحناوي إلى سوريا و شُيع في جنازة مهيبه في مدينة حلب يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٠

التعريف بعديله الذي رسم صورته التاريخية

يعود أكثر الفضل في الصورة المشرقة لسامي الحناوي إلى عديله محمد أسعد طلس (١٩١٣ - ١٩٥٩) وهو مفكر سوري كان أيضا من كبار موظفي الخارجية السورية ، وكان ممثلاً لسوريا في الأمم المتحدة وقد شارك مع عديله في الانقلاب، ثم هرب عند وقوع انقلاب الشيشكلي وهو الذي كتب سيرة الرئيس سامي الحناوي وتصدى لتصحيح الهجوم عليه ولرسم ما نسميه صورته المشرقة. وقد نال الدكتور محمد أسعد طلس ليسانس الآداب من جامعة القاهرة (١٩٣٥) كما نال الدكتوراه على يد الاستاذين طه حسين وإبراهيم مصطفى برسالة عن سر صناعة الاعراب لابن جني ، كما نال الدكتوراه أيضا من فرنسا.

الفصل ٢١: سعد الله الجابري الزعيم السوري الدوغري

عُرف مصطفى النحاس باشا في السياسة المصرية والدولية بأنه رجل مستقيم دوغري لا يعرف اللف ولا الدوران وظلت هذه صفته البارزة حتى مع تقدمه في السن وهو الذي عاش ٨٦ عاما من ١٨٧٩ وحتى ١٩٦٥، فلم تُنته السنوات عن التمسك بهذا الخلق الرفيع، ومن العجيب أن مصطفى النحاس فيما نقل لنا من آرائه في الزعماء العرب المعاصرين له لم يصف بهذه الصفة إلا سعد الله الجابري الزعيم السوري الكبير الذي اشترك معه في تأسيس الجامعة العربية، وكان أقرب الزعماء العرب إلى الحق والصواب والوطنية مع كل التقدير لهؤلاء الذين أسسوا الجامعة العربية وصدرت بشأنهم قرارات الشياطين أن يتم التخلص منهم واحدا بعد الآخر، فقد كانوا عندما أسسوها في البداية قد رسموا لها مستقبلا واعدة غير ذلك الذي نجح الغرب في تحويل مسار الجامعة إليه من خلال تعديل نصوص التأسيس وميثاق العمل العربي وميثاق الدفاع المشترك على نحو جعل الجامعة بعد سنوات من نشأتها كيانا أقرب إلى البرود منه إلى الحمية وأقرب إلى تكريس الأوضاع منه إلى إحقاق الحق، ولم يتحقق هذا التعديل في فكرة الجامعة إلا في ظل غياب مصطفى النحاس وسعد الله الجابري و تفكيرهما المستقيم عن اجتماعات الميثاق .

نشأة متميزة

كان سعد الله الجابري (١٨٩٣ - ١٩٤٧) الذي توفي قبل أن يُتم الرابعة والخمسين من عمره نموذجا نادرا نُبئ الأصل والسلوك والغاية لم يوجد مثيل له في عصره بين نبلاء أوربا الذين حفلت سجلاتهم العائلية والشخصية والسياسية بالتسجيل والتبجيل. كان والده كان مفتي ولاية حلب وأن جده كان مفتي حلب ونقيب أشرفها وأن والد جده كان كذلك مفتي حلب ونقيب أشرفها وأن سلسلة أجداده المتصلة بالبيت الحسيني كانت على هذا النحو من اتصال المجد والشرف والعلم والأصل والنسب . ومن طريف ما يذكر في هذا المقام أن والد الرئيس السوري هاشم الأتاسي ١٨٧٥-١٩٦٠ الذي كان الجابري نائبا له في المؤتمر السوري كان مفتي حمص .

ليس هذا فحسب بل إن سعد الله الجابري كان الشقيق الأصغر بين ثمانية من الأشقاء المتعلمين البارزين النبلاء الذين خدموا وطنهم في كثير من المواقع سواء في عهد الدولة العثمانية أو في العهود المتعاقبة من النظم السياسية التي تعاقبت في سرعة وتدافع على الأرض السورية . كان من هؤلاء الأشقاء : نافع باشا وضياء الدين أفندي ومراد أفندي وإحسان بك وفاخر بك.

قيمة مفاوضاته ومبادراته

نجح سعد الله الجابري مع أقرانه من السياسيين في الحفاظ على أرض سوريا وعلى استعادة وحدتها بعد أن كان الفرنسيون قد قسموها بجبروتهم إلى دويلات صغيرة على النحو الذي كانوا يُريدونها شبيهة بالكوميونات التي أحاطت بفرنسا في بداية العصور الحديثة والتي لا يزال أثرها

موجودا في سويسرا التي تحدت التقسيم على نحو ما تحدت سوريا هي الأخرى التقسيم واستطاعت رغم كل شيء أن تحافظ على سوريا الموحدة، بفضل زعماء من أمثال سعد الله الجابري جمعوا بين سلامة النية وإخلاص الغاية وسعة الأفق والجود بحياتهم وجهدهم من أجل وطنهم. ومن هؤلاء إبراهيم هنانو (١٨٦٩ - ١٩٣٥) وهو الزعيم السابق على سعد الله الجابري و المعاصر لسعد زغلول ١٨٥٩-١٩٢٧ وإن كان تاليا له في الميلاد والوفاة.

وقد كان من أقران الزعيم سعد الله الجابري المخلصين في كفاحهم الوطني : شكري القوتلي ١٨٩١ - ١٩٧٦ الذي تولى رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة وجميل مردم بك ١٨٩٣ - ١٩٦٠ الذي تولى رئاسة الوزارة، وخالد العظم ١٩٠٣ - ١٩٦٥ الذي تولى رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة.

الاتصال بالحياة العامة

بدأ الزعيم سعد الله الجابري اتصاله بالحياة العامة والسياسية منذ ألحقه أخوه إحسان الجابري بالكلية الملكية السلطانية في إسطنبول و فيها اتصل بأنداده العرب وأسسوا " العربية الفتاة" في الوقت الذي كانت "تركيا الفتاة" قد حازت الإعجاب والتأيير.

استكمل الزعيم سعد الله الجابري دراسته في ألمانيا ، وعاد منها مع إعلان الحرب العالمية الأولى فجنّد في الجيش العثماني وأصبح مراقبا للأرزاق وقوافلها (ما يقابل الإمداد والتموين) في أرض الروم، وبقي طيلة الحرب العالمية الأولى في تلك المدينة المعروفة.

ثورة ١٩١٩ في سوريا

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وتفتتت الدولة العثمانية بين الحلفاء المنتصرين هبت الشعوب العربية من أجل حقها في تقرير المصير والاستقلال وعلى نحو ما اندلعت ثورة ١٩١٩ في مصر فقد اندلعت ثورة ١٩١٩ في سوريا بقيادة إبراهيم هنانو ، وانضم سعد الله الجابري إلى هنانو وشارك في المؤتمر السوري العام الذي انعقد في ١٩١٩ و ١٩٢٠، وبلغ نشاطه حدا أزعج الفرنسيين فقرروا اعتقاله في سجن إرواد ورافقه في هذا الاعتقال هاشم الأتاسي.. ولما تطور الصراع إلى قبول فرنسا بمبدأ الحكم الدستوري والانتخابات لم يتردد سعد الله الجابري وأقرانه في دخول الانتخابات ففاز فيها كما فاز الزعيم إبراهيم هنانو، لكن الفرنسيين ألغوا المجلس التأسيسي بعد انتخابه، وهكذا اندلعت الثورة من جديد.

كان سعد الله الجابري من الوطنيين الذين استطاعوا تحقيق التآلف بين الزعامات المختلفة، وبفضله وفضل زملائه تم تشكيل الكتلة الوطنية برئاسة هاشم الأتاسي، وقد انتخب هو وإبراهيم هنانو وكيالين لها.

معاهدة ١٩٣٦ السورية

وحين كانت نذر الحرب العالمية الثانية قد بدت في الأفق، وأراد البريطانيون والفرنسيون تأمين الجبهات في البلاد التي كانوا يسيطرون على مقدراتها بقوة السلاح ، اندلع الصراع من جديد

بين الشعب السوري بقيادة الكتلة الوطنية وبين الوجود الفرنسي، وحكم على سعد الله الجابري بالسجن ثمانية أشهر ثم حكم عليه بالنفي.

كان هذا كله مع إصرار الشعب السوري على الكفاح مقدمة لعقد معاهدة ١٩٣٦ في نفس العام الذي عُقدت فيه معاهدة ١٩٣٦ في مصر. وبمقتضى هذه المعاهدة التي شارك سعد الله الجابري في التفاوض عليها وتوقيعها صدر العفو العام عن السوريين وتم الإفراج عن الوطنيين وتشكلت حكومة جميل مردم بك التي شغل سعد الله الجابري فيها وزارة الداخلية ثم الخارجية ، بينما كان هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية أما إبراهيم هنانو فكان قد توفي ١٩٣٥ .

في المحيط الدولي

وهكذا تضاعف العبء على الزعيم سعد الله الجابري في قيادة الحركة الوطنية نحو توكيد الاستقلال والحفاظ على حقوق الشعب وعلى الوحدة الوطنية. لكن الطابع المتوتر في تعاملات الفرنسيين مع الحركات الوطنية سرعان ما أنهى تجربة الحكم الوطني، وفرض توجهه التقليدي بتعطيل الحياة الدستورية وإبعاد الزعامات الوطنية عن الحكم واضطهادهم . وهكذا نشأت في سوريا حكومة موالية لهذا الاحتلال على نحو ما ابتليت فرنسا نفسها بحكومة فيشي الموالية للاحتلال الألماني . وقد كان الزعيم سعد الله الجابري من الذكاء السياسي بحيث نقل القضية السورية إلى المحيط الدولي، ووصل الأمر به إلى التحالف مع بريطانيا .

التحالف مع مع ديغول وحكومة فرنسا الحرة

قرر الزعيم سعد الله الجابري و أقرانه التحالف مع حكومة فرنسا الحرة التي كان ديغول يقودها من المنفى ، بينما كانت حكومة فيشي بقيادة الجنرال بيتان قد استولت على مقادير الأمور في فرنسا تحت حكم (الاحتلال) الألماني. وهكذا بقي الزعيم سعد الله الجابري في المنفى مُقاوما فلم يُعط للحكومة العميلة شرعية ولا فرصة للهناءة بسيطرتها ولم يدخل فرنسا إلا مع دخول جيش حكومة فرنسا الحرة، ومع هذا الدخول أعلن استقلال سوريا مرة أخرى.

رجل الدولة

ومنذ يوليو ١٩٤٣ وحتى وفاته ١٩٤٧ أصبح الزعيم سعد الله الجابري رجل دولة مسؤولاً منجزاً، كما أصبح صورة مشرفة لسوريا في محيطها العربي والمجتمع الدولي على حد سواء. ومع انتخاب شكري القوتلي كأول رئيس لسوريا في ١٩٤٣ أصبح الزعيم سعد الله الجابري رئيساً للوزارة، لكن إخلاص الوزارة لوطنها دفع الفرنسيين إلى اعتداء جديد على سوريا و في ذلك الوقت كان سعد الله الجابري قد سار خطوات واثقة من أجل توكيد الوجود السوري عربياً ودولياً فاشترك مع النحاس باشا في مباحثات تأسيس الجامعة العربية التي انتهت بتوقيع بروتوكول الإسكندرية في أكتوبر ١٩٤٤ قبل يوم واحد من إقالة وزارة النحاس باشا وقبل أسبوع من استقالة الجابري .

عضوية البرلمان

جمع سعد الله الجابري بين مناصبه التنفيذية وبين عضوية البرلمان السوري عن حلب ورئاسة هذا البرلمان ، وفي كل هذه المناصب فإنه لم يكن يتقاضى من مرتبه شيئاً بل كان يوقع باستلامه ويتركه للعاملين البسطاء الذين هم في حاجة إلى ذلك المال.

تولى سعد الله الجابري رئاسة وزارة سوريا مرتين :

• الأولى (١٩٤٣/٨/١٩ - ١٩٤٤/١٠/١٤) مواكبا بهذه الأربعة عشر شهرا الأخيرة من وزارة النحاس باشا الخامسة في مصر.

• والثانية (أول أكتوبر ١٩٤٥ - ١٦ ديسمبر ١٩٤٦) مواكبا بهذا وزارتي النقراشي الأولى وصدقي باشا الثالثة في مصر .

وفيما بين هاتين الفترتين في رئاسة الوزارة كان سعد الله الجابري رئيسا لمجلس الشعب السوري (١٤ أكتوبر ١٩٤٤ - ١٥ سبتمبر ١٩٤٥) وقد شهدت رئاسته للمجلس النيابي السوري حادثة تدل على ذكائه الحاد فقد علم بنية الفرنسيين قصف جلسة البرلمان في ٢٩ مايو ١٩٤٥ فاستبق خطتهم بفض جلسة البرلمان قبل انعقادها.. وبلغ الغيظ مداه بالفرنسيين فقرروا القبض عليه لكنه تمكن من الهرب في سرعة بالغة حيث سحب مطران روسيا الذي كان يزور دمشق في سيارته إلى بيروت ومنها إلى حيفا ، وهناك استعدى الوزارة البريطانية في لندن فقررت بريطانيا التدخل في سوريا وإجلاء الفرنسيين عنها وهو ما عُرف بعد ذلك بعيد الجلاء في ١٧ أبريل ١٩٤٦ .

وفاته

توفي سعد الله الجابري يونيو ١٩٤٧ بعد بضعة أشهر قضاها في حلب مريضا ، فقد كان قد أصيب بالتهاب الكبد الوبائي أثناء سجنه، وعاوده المرض في واحد من اجتماعات الجامعة العربية وهو في مصر فيبقى للعلاج لكنه أثر أن ينتقل إلى مسقط رأسه حيث قضى الأشهر الأخيرة من حياته.

من العجيب أنه توفي في نفس العام وفي نفس العمر الذين توفي فيهما رمز من رموز العمل الوطني والسياسي في مصر وهو محمد صبري أبو علم باشا (١٨٩٣ - ١٩٤٧) .
كرمه وطنه بأقصى مشاعر الحب والتكريم والوفاء وقد أُطلق اسمه على أكبر ميادين حلب و شُيِّعت الجماهير جثمانه بمشاركة الوفود العربية وجميع الرسميين السوريين.

رثاء عمر أبو ريشة له رغم اختلافهما

كان رثاء سعد الله الجابري ميدانا لتنافس الشعراء السوريين ، وقد اقترحت ذات مرة أن تُدرس في مقرر الأدب قصيدتا الشاعرين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة المطولتان في رثائه معا من باب الموازنة بين الشعراء .

وقد رثاه الشاعر عمر أبو ريشة ١٩١٠-١٩٩٠ بقصيدته الخالدة التي تعد من روائع الشعر العربي التي لم يرث أبو ريشة أحدا من العرب المعاصرين يمثلها ، وقد ألقاها في الذكرى الأولى لوفاته ، وقد بلغت هذه القصيدة أكثر من سبعين بيتا ، حفلت بالحب والتقدير والإعجاب والاعتذار فقد كان عمر أبو ريشة من خصومه السياسيين لا من أتباعه، وقد قال في تلك القصيدة:

هيكَل الخلد لا عدتْكَ العوادي / الأَقاحي أنتِ إرث الأُمجاد للأُمجاد
بوركت في هواك كل صلاة / صعَدتها حناجر العباد
منك هبت سمر الرجال وأدمت / حاجب الشمس بالقنا المياد
والمروءات كل ما حملتها / البيد في طول سيرها من زاد
هتفت بالجهاد حتى تشظى / كل تاج على صخور الجهاد
وإليك انتهى مطاف علاها / دافق الخير مشرق الإسعاد

أبو ريشة يتحدث عما كان بينهما من جفاء

وقد أشار الشاعر عمر أبو ريشة في هذه القصيدة إلى ما كان بينهما من اختلاف سياسي و ما اندفع معه أبو ريشة إلى الهجوم غير المبرر على سعد الله الجابري فقال :

سعد يا سعد إنه لنداء من حنين ، فهل عرفت المنادي ؟
ربما غاب عن خيالك طيفي بعد طول الجفا وطول البعاد
أذهلتني عنك انتفاضة روعي في سماء علوية الأمداد
فترنحت أحسب السحب تهوي تحت مهدي والنجم فوق وسادي
أنا يا سعد ما طويت على اللؤم جناحي ولا جرحت اعتقادي
شهد الله ما انتقدتك إلا طمعا أن أراك فوق انتقادي
وكفى المرء رفعة أن يعادى في ميادين مجده ويعادي

مرثية بدوي الجبل له

ورثاه الشاعر العربي الكبير بدوي الجبل ١٩٠٠- ١٩٨١ بإحدى روائعه ، وهي القصيدة التي استهلها بقوله:

سأل الصبح عن أخيه المفدى / أيها الصبح لن تشاهد سعدا
غيب الدهر من سيوف معدّ / مشرفياً حمى وزان معدّا
كلما عارضوا الصوارم فيه / كان أمضى شبا وأصفى فرندا

من كسعد؟

من كسعد و للشباب هواه / قدرة تتعب الخيال و زهدا
يا صفيّ الأحزان تسقي البرايا / كأسها مرّة و تسقيك شهدا
رضيت نفسك الهموم رفيقا / اريحيا على الشدائد جلدًا
بورك الهمّ عبقرياً جوادا / لا كهّم أعطى قليلا و أكدى

قل لمن يحسد العظيم ترَفَّق / إنَّ خلف الأمجاد همًا و سهدا
و فيها يقول أيضا :

من كسعد إذا الملاحم جُنَّت / وتلقى حد من الهول حدا
وعلى راية الشأم كمِّي / يقحم الدار عين أشقر نهدا
أين سعد؟

أين سعد ولن ألوم الليالي / وهب الدهر غالياً واستردا
أي بالك إذا بكيت لسعد / إن بكى السيف حده ما تعدى
لو رأى هذه الدموع الغوالي / لبكى رحمة وحيا وفدى
غاب سعد عن العيون وما غـ / اب ضياء يهدي القلوب فتهدى
ثورة في الحياة والموت / جَلَّت ثورة الحق أن تقرّ وتهدا

رثاء شاعر العاصي بدر الدين الحامد لسعد الله الجابري

رثاه شاعر العاصي بقصيدة قال فيها :

أأنت في القبر لا تلوي على أحد / أم تلك دنيا طواها الموت في جسد
وقفت أبكيك والذكرى تخامرني / حتى كأنك في عيني وفي خلدي
هذا مصابك يا سعد الله الجابري ليس له / روح من الصبر أو ثوب من الجلد
مصارع الخلق في شتى مظاهرها / يروّع الأرض منها مصرع الأسد
يا راحلا لم يخلف بعده ولدًا / ذكراك بالحمد فوق الأهل والولد
يفنى الزمان وما أبقيت من أثر / مخذل الصنع مرفوع على عمَد
لم تلق بالآ إلى الدنيا وزخرفها / ولم ترد متعاً من لذة ودَد
إن تمس في التراب مدفوناً فقد / دفنت يداك ما استعمر الطاغى إلى الأبد

الفصل ٢٢ سلطان باشا الأطرش أسطورة المقاومة في العصر الحديث

سلطان باشا الأطرش ١٨٩١-١٩٨٢ واحد من زعماء العرب الأسطوريين على الرغم من أنه لم يعيش في عصر الأساطير وإنما عاش في العصر الحديث، عاش سلطان باشا الأطرش أكثر من واحد وتسعين عاما كان له شأنه الرفيع فيها منذ كان شابا وحتى وفاته. عُرف سلطان باشا الأطرش، وهذا هو الملمح الأهم في حياته، بإيمانه العميق بالوحدة الوطنية لسوريا ورفضه سياسات أو تسويات التجزئة، ولو أنه قبل بهذا لجعله الأمريكيون والغربيون الزعيم العربي الأول ومنحوه جوائز عالمية من قبيل جائزة نوبل، وجعلوا الإعلام الغربي كلّه تحت قدميه يصور جهوده الانفصالية على أنها الحكمة المصفاة، ويصور تعاونهم معه على أنه كفاح من أجل الاستقلال ومن أجل الحفاظ على الشخصية القومية الدرزية!!.

نشأته و عائلته

ولد سلطان باشا الأطرش في ٥ مارس ١٨٩١ في القرية، وتوفي فيها ٢٦ مارس ١٩٨٢، و كان على الرغم من بساطة حياته وزهده في ملذات الجاه والنفوذ والسلطة صاحب سلطة كبيرة وشخصية مؤثرة وتاريخ مُنفرد، وقد عُرف بالوطنية الفائقة وبالشجاعة التي لا حدود لها. كان سلطان باشا الأطرش وفيما لقيمه وعروبته ودينه وأهله وغير معني بالصور الزائفة من البطولة ولا بما كان الغربيون سيقولونه عنه لو أنه كان قد قبل بمخططات التجزئة والتفتيت، كان والده ذوقان هو مؤسس المشيخة الطرشانية في ١٨٦٩، وكان هذا الوالد هو قائد معركة ١٩١٠ في الكفر ضد الحاكم العثماني سامي باشا الفاروقي، في زمن سطوة الانقلابيين العسكريين الحمقى الذين دمروا كيان الدولة العثمانية، وليس أدل على حمقهم من سلوكهم في مثل هذه المعارك التي فتنت الدولة نتيجة غطرسة الانقلابيين العسكريين الذين، على سبيل المثال، أعدموا هذا الأب في ١٩١١ بسبب قيادته هذه المعركة.

الباشوية التي حصل عليها و رفضه العرض الفرنسي

كان سلطان باشا قد أدى الخدمة العسكرية في جيش الدولة العثمانية في الأناضول ومُنح لقب باشا (وهو لقب عسكري غير اللقب التركي المدني الشائع في مصر وشقيقاتها العربية والعثمانية) بعد عودته إلى سوريا أصبح واحدا من الثوار المُنتشرين في سوريا الكبرى الذين تجمعهم روح الثورة التي لم تكن تتوقف ولا تتحدّد في ذلك الوقت، ويُذكر له أنه كان أول من رفع علم الثورة العربية قبل أن يدخل جيش الملك فيصل الأول إلى دمشق الشام (١٩١٨) وأنه كان أهلا لتقدير الملك فيصل بسبب شجاعته وأسبقته إلى رفع العلم العربي في ساحة المرجة فوق دار الوزارة في وسط دمشق، وقد ذكرت الدكتورة ريم منصور الأطرش أن تحرير دمشق تم على يد سلطان

الأطرش ورفاقه في ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ قبل دخول الجيش البريطاني إليها. أما الأمير فيصل (الملك فيما بعد) فقد دخل يوم ٢ نوفمبر ١٩١٨ ويذكر لسلطان الأطرش في ذلك الوقت موقفه الوطني الأبى حين عرض عليه الفرنسيون أن يحكم دولة باسم جبل الدروز في السويداء، لكنه رفض العرض، بل إنه ظل يُعارض أيضا في قيام دولة لبنان الكبير.

محاولته نجدة يوسف العظمة

ولما قرّر وزير الدفاع السوري يوسف العظمة أن يُقاوم الفرنسيين بقيادة جورو في موقعة ميسلون جهّز سلطان باشا الأطرش قوات كبيرة لنجدة العظمة وانطلق بها إلا أنه سمع وهو في الطريق نبأ انكسار الجيش العربي واستشهاد القائد العظيم يوسف العظمة. وعندئذ حاول سلطان باشا الأطرش أن يدعو الملك فيصل إلى التحصّن في جبل الدروز ويُقاوم بدلا من أن يترك سوريا لكن الملك فيصل كان يعتقد أن الأوان قد فات.

في ٤ مايو ١٩٢١ عقد القائد الفرنسي الكولونيل كاترو اتفاقا مع العشائر الدرزية لإنشاء كيان سياسي لهم في جبل الدروز، وعيّن سليم الأطرش كأول حاكم درزي للجبل لكن سلطان باشا سرعان ما تمرّد على غورو بسبب اعتقال الفرنسيين للمجاهد أدهم خنجر، وبذل محاولته لاستنقاذه من أيدي الفرنسيين الذين أعدموه في ٣٠ مايو ١٩٢٣ في بيروت، وهكذا بدأت حرب عصابات بين سلطان باشا الأطرش والفرنسيين واستقدم الفرنسيون قوات كبيرة اضطر معها هذا الثائر العظيم للهرب إلى الأردن في أواخر صيف ١٩٢٢ لكنه بضغط وجهد بريطاني عقد هدنة مع الفرنسيين أبريل ١٩٢٣، توفي الحاكم الدرزي سليم الأطرش مسموما في دمشق ١٩٢٤ وعيّن الفرنسيون كاربييه حاكما على جبل الدروز فبدأ سياسات التعسف مما أدى إلى انتشار روح الثورة والدعوة إليها.

ثورة الدروز ١٩٢٥ وبدء ثورة الشهبندر

قدم الدروز وثيقة ٦ يونيو ١٩٢٥ طالبين من المفوض الفرنسي في بيروت ساراي تعيين حاكم درزي للجبل بدلا من الكابتن الفرنسي كاربييه، لكن المفوض الفرنسي ساراي طرد وفد الدروز من بيروت فاندلعت الثورة، أعلن سلطان باشا الأطرش بيان الثورة في ٢١ سبتمبر ١٩٢٥ وبدأ في مهاجمة القوات الفرنسية في عدة مواقع وعدة معارك واستشهد شقيقه مصطفى الأطرش في إحدى هذه المعارك. وقد ساند حزب الشعب بقيادة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر هذه الثورة التي عرفت بثورة الدروز، ويبدو بوضوح أن الدكتور الشهبندر اتخذ من هذه الثورة مُنطلقا إلى بدء ثورة سورية أشمل، وهكذا أصبحت السُوّيداء بُؤرة أولى للثورة. كذلك فقد شجّع الزعيم إبراهيم هنانو (في حلب) هذا الاتجاه، وكذلك فعل وبحماس أكبر زعيم دير الزور العياش بك في دمشق، وهو ما جعل الفرنسيين يُعدمون الثائر العياش و١٢ ثائرا آخرين في ١٥ سبتمبر ١٩٢٥، كما سُجن الباقون، واغتيل عياش الحاج عميد تلك العائلة الوطنية العظيمة

ثورات حماة ودمشق والغوطة

كذلك لقيت هذه الثورة دعم الثائر العظيم فوزي القاوقجي في معرة النعمان ومدينة حماة، وامتدّت الثورة إلى غوطة دمشق بقيادة المجاهد حسن الخراط وفي ١٨ أكتوبر ١٩٢٥ دخل الثوار دمشق. كانت الثورة التي أشعلها سلطان باشا الأطرش وقادها مع أقرانه آخر نموذج للمقاومة الشعبية الأسطورية، وعلى سبيل المثال فقط فإنه في معركة المزرعة الشهيرة التي وقعت في ٢٣ أغسطس ١٩٢٥ كان الثوار ٤٠٠ تائر سحقوا جنود حملة ميشو الفرنسيين الذين بلغ عددهم ١٣ ألف جندي.

الفرنسيون يشددون الخناق عليه

في المقابل كثّفت القوات الفرنسية المحتلة من معاركها حتى شدّدت الخناق على سلطان الأطرش والمجاهدين فانقلوا إلى الأردن لكن البريطانيين لم يُمكنوهم من البقاء بالطبع فاضطروا للانتقال إلى شمال جزيرة العرب ورفضوا تسليم أسلحتهم، وحُكم على سلطان الأطرش بالإعدام، وبقي مُطاردا حتى تم توقيع معاهدة ١٩٣٦ فصدر العفو العام عن كل المجاهدين .

العودة بعد العفو عنه

عاد سلطان الأطرش إلى وطنه فاستُقبل استقبالا شعبيا ضخما في دمشق، سجل سلطان الأطرش أحداث هذه الثورة في كتاب: "أحداث الثورة السورية الكبرى كما سردها قائدها العام سلطان باشا الأطرش"، وقد صدرت طبعة ثانية عن دار طلاس في دمشق ٢٠٠٨.

احتجاجات ١٩٤٥

ظلت روح الثورة متوقدة في نفس وعقل سلطان الأطرش ولهذا فإنه في ١٩٤٥ شارك في الاحتجاجات السورية على عدم وفاء الفرنسيين بعهودهم في الجلاء، وكان جبل العرب أسبق المحافظات السورية في طرد الفرنسيين تطبيقا للاتفاقات المستحقة، وتذكر الدكتورة ريم منصور الأطرش في مقال لها أن الأمير حسن الأطرش محافظ السويداء هو الذي استطاع تحريرها من الانتداب الفرنسي حيث حجز الضباط الفرنسيين، وأن هذا كان هو السبب الذي جعل القائد الفرنسي أوليفيه روجيه ينتقم بقصف البرلمان السوري في ٢٩ يناير ١٩٤٥ وهي تذكر لوالدها أنه كان أصغر النواب في برلمان ١٩٤٥ وكان نائبا عن حزب البعث السوري.

حرب فلسطين و الانقلابات

وعندما بدأت بوادر حرب فلسطين كانت دعوة سلطان الأطرش صريحة بتأسيس جيش عربي موحد وتطوع الدروز في هذه الحرب واستشهد منهم ثمانون بطلا. عاش سلطان باشا الأطرش حقبة الانقلابات العسكرية في ضيق وقلق حتى أنه اضطرّ لمغادرة سوريا إلى الأردن قرب نهاية عهد العقيد الشيشكلي، لكنه عاد إلى وطنه بعد سقوط حكم العقيد الشيشكلي. وتذكر حفيدته الدكتورة ريم أن جدّها سلطان باشا فضل اللجوء إلى الأردن ليتجنّب مواجهة مُسلحة بين أبنائه والجيش السوري، أما والدها فكان سجيناً سياسياً لأنه كان ضد ديكتاتورية العقيد أديب الشيشكلي.

تأييده الوحدة مع مصر

كان سلطان باشا الأطرش مؤيداً للوحدة مع مصر في ١٩٥٨ وكان ضد الانفصال الذي حدث مع ١٩٦١ لكن صوته شأن أصوات الوطنيين لم يجد الصدى المتوقَّع فقد كان النظام الناصري نفسه مُرحباً بالتخلي عن الوحدة. و مما يُذكر للرئيس عبد الناصر أنه كان قد زار هذا الزعيم العظيم في السويدياء. ومما يذكر أيضا أن سلطان باشا أيّد انتفاضة لبنان ضد كميل شمعون في ١٩٥٨ وهي الانتفاضة التي بدأت معها ألمعية الزعيم كمال جنبلاط، ، ويُذكر له أنه تصدّى لمجموعة صلاح جديد وحافظ الأسد في ١٩٦٦ عندما تم القبض على بعض الدروز ولهذا بقيت علاقة الرئيس حافظ الأسد بسليمان باشا الأطرش فاترة، وإن كان الرئيس حافظ الأسد قد زار الجبل بنفسه للعزاء في وفاة سلطان الأطرش.

دور شقيقه على الأطرش في النضال

عرضت الدكتورة ريم منصور الأطرش كتابا فرنسيا صدر بعنوان: حين تستيقظ سوريا، في مقال نشرته في السفير الثقافي (١٦ سبتمبر ٢٠١١) فأشارت إلى أن لسلطان باشا شقيقا ثائرا بارزا هو علي، وأنه هو جد طلال الأطرش أحد مؤلفي هذا الكتاب الذي قدم نفسه على أنه حفيد سلطان باشا الأطرش، وبما أنها هي الحفيدة وليس هو فإنها تُشير إلى حقيقة قرابته وهو أنه ابن حفيدة على الأطرش شقيق سلطان الأطرش، وتُشير الدكتورة ريم إلى أن على الأطرش جد والدة طلال الأطرش كان فارسا لا يُشَقَّ له غبار وأنه في ٣ يناير ١٩٢٧ قاد الفرسان في معركة بوزريق الشهيرة ضد الفرنسيين وكان القتال يجري فيها من بيت على بيت. وذكرت أن والدها منصور سلطان الأطرش أصرّ وهو سجين سياسي في ١٩٦٦ على المشاركة في جنازة عمه على ، وقد تم له ما أراد، وبعد أسبوع عاد إلى السجن بكامل إرادته.

مذكرات منصور الأطرش نجل سلطان باشا

وتذكر الدكتورة ريم أن لوالدها منصور الأطرش (ابن سلطان باشا) سيرة ذاتية بعنوان "الجبل المُدان" حَقَّقَتها هي ونشرتها في دار الريس في بيروت ٢٠٠٨. وتذكر لوالدها أيضا أنه نظم وقاد أول تظاهرة عربية عفوية نزلت الشارع بعد سقوط بغداد من أجل مساندة العراق ودعمه، وأنه كان رئيسا للجان السورية لنصرة العراق، وأنه لم يهدأ له بال في سبيل تأمين المآوي للجائين العراقيين ، وأنه سجل هذه الجهود في كتابه "في سبيل العراق" الذي نشرته دار الفرات ..

تشجيع جنازته

شُيِّعت جنازة الأطرش كما لم تُشَيِّع جنازة أخرى في سوريا، وقد شارك فيها نصف مليون شخص، وألقى الرئيس حافظ الأسد نظرة الوداع على جثمانه مع كبار رجال الدولة. وأطلق اسمه على ساحة في السويدياء وأمر بإنشاء صرح يضم رفاته ويُخلد ذكرى شهداء الثورة السورية الكبرى، ودُشن هذا الصرح في عيد الجلاء في ١٧ أبريل ٢٠١٠، وكذلك فعل ياسر عرفات في مدينة رام الله تخليدا لذكرى الحامية الدرزية التي أرسلها سلطان الأطرش دفاعا عن فلسطين.

الفصل ٢٣ : شارل حلو الرئيس الذي بلغ لبنان ذروة مجده في عهده

سئلت أكثر من مرة عن أفضل رئيس لبناني منذ الاستقلال ، فقلت إنه هو الرئيس الذي بلغت لبنان في عهده أوج مجدها ، و أروع صورها ، وأصبحت عاصمتها بيروت رمزا دالا على الثقافة و على الحرية و على الاقتصاد و على التسامح و على الرقي و الأزياء ، كما كانت بمثابة ملاذ أمن و أمان و لجوء من هجير الخلافات العربية ، و هو نفسه الرئيس الذي كانت رياسته كالنسيم المنعش ، و هو نفسه الرئيس الذي عاصر رئيسا فرنسيا كبيرا بنفس اسمه هو الزعيم شارل ديغول ، و هو نفسه الرئيس الذي عاصر الرئيس جمال عبد الناصر و تصادف أن انتهت مدته في بداية الأسبوع الذي توفي فيه الرئيس عبد الناصر .

إنه هو الرئيس شارل حلو (١٩١٣ - ٢٠٠١) ومن العجيب أنه مع إخلاصه الشديد للبنان فقد كان من كبار المخلصين للقضايا العربية و للقضية الفلسطينية أيضا ، مع أنه لم يكن رئيسا تقليديا في ظرف تقليدي ، وإنما كان رئيسا في ذروة عهد الاستقطاب الدولي و الحرب الباردة و عهد الخلافات العربية و الصراع الناصري البعثي .

كان الرئيس شارل حلو صاحب وجود هادئ راق كما كان ذا سلوك مترفع و أداء مخلص . وقد شهد عهده و عهد سلفه الرئيس فؤاد شهاب (١٩٠٢ - ١٩٧٣) ازدهار لبنان الستينيات الذي ملاً الوجود العربي سرورا و حבורا مع تراجع تأثير مراكز النهضة الفكرية و الثقافية في القاهرة و دمشق و بغداد (بحكم العسكر) .

مكاته بين رؤساء لبنان

الرئيس شارل حلو هو رابع رؤساء لبنان عاش ثمانية وثمانين عاما ، وكان منذ ١٩٨٧ و لمدة ١٤ عاما بعد وفاة كميل شمعون الذي عاش سبعة وثمانين عاما (١٩٠٠-١٩٨٧) بمثابة أقدم الرؤساء اللبنانيين على قيد الحياة ، فقد توفي الرئيس الثالث فؤاد شهاب في ١٩٧٣ أما الرئيس الأول بشارة الخوري المولود ١٨٩٠ فكان قد توفي في ١٩٦٤ في عهد الرئيس الثالث فؤاد شهاب . ومع هذا فإن الرئيس شارل حلو منذ ترك الرئاسة في ١٩٧٠ قبل وفاة الرئيس جمال عبد الناصر بستة أيام (في ٢٢ سبتمبر ١٩٧٠) ظل بعيدا تماما عن الحياة السياسية إلا في ١٩٧٩ حيث قبل العمل و زيرا للدولة في وزارة الرئيس سليم الحص لمدة عشرين يوما . وقد عاش الرئيس شارل حلو حياته بعد اعتزال الرئاسة هادئا لا تستثيره الأحداث و لا تدفعه إلى القول برأي من الآراء التي يظن أصحابها أن حكمتهم أو خيرتهم تؤهلهم للإدلاء بها .

التاريخ المنحاز لا يعطيه حقه

و على الرغم من أن التاريخ العربي لا يذكر الرئيس شارل حلو بما يستحق من تكريم فإن واجب المؤرخ المنصف يلزمه أن يذكر له مدى عروبته و شهامته و نخوته و إخلاصه في توقيع

لبنان لاتفاقية القاهرة ١٩٦٩ التي مكّنت المقاومة الفلسطينية من العمل من أرض لبنان، وأتاحت للبنان قدرا أكبر من القوة و المنعة في وجه المطامع الإسرائيلية التي لم تكف عن التحرش ببلبنان لولا هذه الاتفاقية التي حمت السيادة اللبنانية والأراضي اللبنانية من مطامع إسرائيل ، وإن كان الظاهر وهو صواب أيضا أنها أتاحت للمقاومة الفلسطينية وجودا مشروعا على الأرض اللبنانية. ومن الإنصاف أن نذكر أن الرئيس شارل حلو كان في توجهه أصدق عروبة من دولتين عربيتين أخريين لم تعطيا المقاومة الفلسطينية هذا الحق الشرعي العظيم.

انتعاش الاقتصاد اللبناني

في عهد الرئيس شارل حلو ظل الاقتصاد اللبناني حيا و عفيا طيلة فترة حكمة التي ازدهرت فيها بيروت بكل مقومات السياسة والاقتصاد والرياضة والحياة الاجتماعية وذلك على الرغم من أحداث طارئة كإفلاس بنك إنترا.

تولى الوزارة مع كل أسلافه من الرؤساء

كان الرئيس شارل حلو سياسيا تقليديا مترنا على نحو ما كان رئيسا تنفيذيا منجزا، وكان قد تولى وزارات الخارجية والعدل والتربية الوطنية والفنون الجميلة والاقتصاد الوطني والأنباء والصحة العامة ، حيث شارك خمس مرات في عهد أسلافه الثلاثة الذين سبقوه ، و تولى الوزارة مرة سادسة ١٩٧٩ بعد أن ترك الرئاسة بسنوات .

تاريخه مع السياسة

ولد الرئيس شارل حلو في بيروت في ٢٥ سبتمبر ١٩١٣ ، أي في مطلع برج الميزان ، كما أنه تولى الرئاسة اللبنانية في مطلع برج الميزان ٢٣ سبتمبر ١٩٦٤ وتلقى تعليما مدنيا متميزا توج بالتحريج بليسانس الحقوق في جامعة القديس يوسف اليسوعية ١٩٣٤ وعمل بالمحاماة ، ومن المصادفات أنه بدأ عمله المهني مع مكتب الرئيس اللبناني السابق مباشرة على الاستقلال وهو الرئيس بيتر و طراد (١٨٨٦ - ١٩٤٧) الذي تولى الرئاسة لمدة شهرين قبل بشارة الخوري مباشرة (١٩٤٣) وقد تزوج الرئيس شارل حلو من أسرة هذا الرئيس . فيما بين ١٩٤٦ و ١٩٤٩ عمل الرئيس شارل حلو سفيرا في الفاتيكان في وقت مواكب لعمل سلفه غير المباشر الرئيس كميل شمعون سفيرا في لندن. كذلك فقد عمل الرئيس شارل حلو بالصحافة.

كان مشاركا في تأسيس حركة الكتائب

لم تخلُ حياة الرئيس شارل حلو من لمحات العمل الوطني فقد شارك في تأسيس حركة الكتائب اللبنانية في ١٩٣٦ لكنه انسحب منها مبكرا .

فوزه الساحق بالرئاسة

ومن الجدير بالذكر هنا أن منافسه على الرئاسة في ١٩٦٤ كان هو بيار الجميل الذي حصل على خمسة أصوات فقط مقابل ٩٦ صوتا للرئيس شارل حلو.

الفصل ٢٤ : شكري القوتلي الرئيس الذي دخل سوريا في جبل الجليل

دخل الرئيس شكري القوتلي سوريا في جبل الجليل منذ ١٩٥٨ وحتى الآن لأنه لم يقل لا حين كان ينبغي أن يقولها. نعم فقد كان الرئيس شكري القوتلي نموذجا بارزا للزعامة العربية التي وُجدت في نهاية عصر الليبرالية وظنت أن بإمكانها أن تتوافق مع عهد العسكرات البازغ بسطوته وإعلامه الزاعق وظلت على هذا الظن مع كل تجربة مريرة، تُمنّي نفسها بأن العيب قابل للإصلاح بينما العيب يتكرر وهي لا تصدق نفسها القول وإنما تُحاول خداع النفس بالأمني حتى مع وضوح العوامل المنذرة بياس تجربتها من المستقبل. .

وصل الرئيس شكري القوتلي إلى رئاسة سوريا منذ ١٩٤٣ وكان النحاس باشا في ذلك الوقت في رئاسته السادسة للوزارة (١٩٤٢ - ١٩٤٤) وقدّر له أن يشهد تطور العلاقات العربية - العربية مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وأن يشهد تأسيس الأمم المتحدة وعددا من منظماتها والجامعة العربية، وعرف الحياة السياسية وعرفته كما عركته الحياة السياسية وعركها، وصُنّف على أنه رجل مقبول من الأغلبية إن لم يكن من الجميع.

وقد رشّحه للرئاسة رئيس سابق هو أبو الجمهورية الرئيس هاشم الأتاسي، وتوافق الزعماء على اختيار أكثر السوريين السياسيين استقامة وهو سعد الله الجابري ليكون رئيس الوزراء العامل معه، ثم تعاقب رؤساء الوزراء على العمل معه، وخرج من الرئاسة وعاد إليها، لكنه ظل يأمل في الميؤوس منه، وهو المولود في ١٨٩١ الذي وصل إلى الثامنة والخمسين حين وقعت الانقلابات العسكرية الثلاثة المتوالية في ١٩٤٩ : حسني الزعيم وسامي الحناوي وأديب الشيشكلي.

كان يتوهم أنه قادر على أن يتغلب على العسكر

عاش الرئيس شكري القوتلي من أجل سوريا لكنه لم يمانع في أن يجعل سوريا تنزف من أجل مجد الرئيس جمال عبد الناصر. رأى الرئيس شكري القوتلي كيف كان العسكريون يتصرفون بلا خبرة فكان يُمنّي نفسه أنه يستطيع التغلب على رعونتهم، وفي مرحلة تالية كان يُمنّي نفسه بأنه يستطيع التغلب على غطرستهم، وفي مرحلة ثالثة كان يظن أنه سيقتنعهم بالتزام حدودهم من دون أن يورطوا الجيش ويتورطوا بالسلاح.. لكنه لم يعلم أن هذا كله محض سراب.

ظل الرئيس شكري القوتلي يخرج من تجربة ليدخل أخرى حتى جاءت موجة الوحدة الذوبانية مع مصر وهو رئيس للجمهورية السورية فاستنكف أن يقول : لا، وأثر أن يقول : نعم، مع أنه كان يدرك ما ينتظر مستقبل هذه الدولة التي تنازل عن رئاستها للرئيس جمال عبد الناصر، أظهر الرئيس شكري القوتلي فرحه باللقب الذي مُنح له وهو المواطن العربي الأول مع أنه لم يكن هناك مواطن عربي بمعنى المواطن الحقيقي، وإنما الكل في نظر الرئيس عبد الناصر رعايا.

ظل الرئيس شكري القوتلي في الصورة يرى الفشل ويمنع نفسه من انتقاده، ويرى مقدمات الانفصال فيؤثر الصمت ولا يُبدي النصيحة الواجبة التي كان يجب أن يُبديها في صراحة واضحة ، ثم يحدث الانفصال ثم الانقلابات البعثية بدءاً من ١٩٦٣ فيتكلم أخيراً ويتحرك أخيراً ، ويترك سوريا ومصر إلى بيروت.

نفي و مات بلا و داع

ويشاء الله ألا يموت الرئيس شكري القوتلي إلا بعد أن يشهد هزيمة ١٩٦٧ و سرعان ما يموت في بيروت في ٢٩ يونيو ١٩٦٧ أي في نهاية ذلك الشهر الحزين ، وترفض السلطة السورية البعثية الجديدة أن تُعامل جنازته بما يستحقه رئيس سابق لسوريا ، فيُدفن من دون أن يحظى بالبروتوكول، ويشهد القليلون جنازته ويتذكرون جنازة الرئيس هاشم الأتاسي الذي مات قبل ٧ سنوات فحضرت جنازته الدولة كلها وعلى رأسها الرئيس عبد الناصر وحضر البعث كله لكن الرئيس شكري القوتلي الذي خلف الرئيس هاشم الأتاسي بترشيح منه نفسه يموت وراء ستائر مسدلة ويكفن في أثواب مسدلة ويدفن في مقابر مسدلة لا لشيء إلا لأنه لم يقل كلمة لا في الوقت المناسب ولو أنه قالها على نحو ما قالها الرئيس هاشم الأتاسي لاحتفظ لنفسه بمكانة أفضل في تاريخ العرب المعاصر.

كان من دون أن يدري سببا من أسباب معاناة سوريا

كان الرئيس شكري القوتلي بلا جدال سببا من أسباب معاناة سوريا لأنه ظن أنه يضعها في يد أمينة هي يد الرئيس جمال عبد الناصر ثم اكتشف بعد أشهر أن تقديره كان خاطئا فسكت عن الخطأ وتحمل ، وجعل غيره من الزعماء يتحملون، وكانت النتيجة أن عانت سوريا في عهد الناصرية من الفشل في كل شيء ، وانتقلت إليها عدوى الغطرسة الناصرية ، وعدوى الادعاء الإعلامي المصري، و عدوى التفكك في الإدارة، و عدوى التصلب في القرار.. ولا تزال سوريا منذ ذلك الحين ويعد مضي ما يقرب من ستين عاما تُعاني ، وفي مقدمة أسباب معاناتها أن الرئيس شكري القوتلي لم يقل "لا" في الوقت المناسب.

بداياته السياسية

بدأ الرئيس شكري القوتلي حياته السياسية في عهد الخلافة العثمانية حيث كانت سوريا لا تزال جزءا من الدولة العثمانية، وكان هو من عائلة دمشقية كبيرة وثرية يعود أصلها إلى الكرد وتعمل في التجارة وإدارة الأراضي الزراعية، وتلقى تعليما مدنيا حتى أتمّ دراسته الثانوية في مدرسة مكتب عنبر وهي أفضل المدارس الدمشقية في ذلك الوقت ، وكانت هذه المدرسة الشهيرة بمثابة بوابة التجهيز للالتحاق بالدراسات الجامعية والمدارس العليا في تركيا .
انتقل الرئيس شكري القوتلي إلى تركيا للدراسة في الكلية السلطانية في إسطنبول ونال درجة الليسانس في العلوم السياسية وهو في الحادية والعشرين من عمره (١٩١٢).

قبل أن يتخرج بعامين كان الرئيس شكري القوتلي قد انضم إلى الجمعية العربية الفتاة التي تأسست على غرار تركيا الفتاة، كما انضم إلى ما سمي بالمنتدى الأدبي.. وفي بداية الحرب العالمية الأولى كان الرئيس شكري القوتلي من الذين اعتقلهم جمال باشا السفاح حاكم سوريا تأميناً لجبهة العثمانيين، وقد قضى فترة من التعذيب في سجن خان الباشا ويُروى أنه حاول الانتحار في مواجهة التعذيب حتى لا يعترف بأسرار القوميين.

حين تأسست المملكة السورية (١٩١٨ - ١٩٢٠) كان الرئيس شكري القوتلي من داعميها فشارك في تأسيس حزب الاستقلال العربي بل إنه أصبح مديراً لدائرة مراسلات رئيس الوزراء الأول علي رضا الركابي، ويُروى أن الملك فيصل الأول كان ينوي تعيينه والياً لدمشق لكن الانتداب الفرنسي فاجأ الجميع وأسقط المملكة السورية وأحيل الرئيس شكري القوتلي ضمن ستين شخصية لمحاكمة عسكرية فرنسية فُحِّم عليه بالإعدام غيابياً ضمن أربعة وثلاثين، كان معظمهم قد غادر البلاد.

مر مبكراً بتجربة النفي

عرف الرئيس شكري القوتلي معنى النفي مُبَكِّراً (١٩٢٠ - ١٩٢٤) على نحو ما عرفه مرات عديدة كانت أقساها هي تجربة سنوات حياته الأخيرة بعدما كان قد وصل للرئاسة مرتين ، حيث تُوفي في بيروت وهو عاجز عن العودة إلى وطنه. وفي المنفى الأول تنقل الرئيس شكري القوتلي بين مصر وفلسطين وأوروبا حتى عاد إلى دمشق ١٩٢٤ .

ثورة ١٩٢٥

كان الرئيس شكري القوتلي من عناصر الثورة السورية الكبرى أغسطس ١٩٢٥ وانضم إلى ثورة سلطان باشا الأطرش في السويداء، وسرعان ما قبض عليه وحكم عليه مرة بالنفي إلى جزيرة إرواد ، فلما أطلق سراحه غادر سوريا نظراً لأنه محكوم عليه بالإعدام، وفي المنفى تحول الرئيس شكري القوتلي إلى جمع التبرعات للثورة.

حزب الاستقلال

عُرف الرئيس شكري القوتلي كزعيم لمؤيدي حزب الاستقلال في مواجهة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذي عُرف كزعيم مؤسس لحزب الشعب، وكان حزب الشعب في تصوير القوتلي وأنصاره يميل إلى تشجيع الثورة المسلحة على حين كان الاستقلاليون متهمين من أنصار الشهبندر بالميل إلى بريطانيا ، ومن المفهوم أنه في ظل الانتداب الفرنسي وقسوته يُصبح الميل إلى بريطانيا دليلاً أو مؤشراً على نوع من الوطنية ، وهكذا ترسخت الزعامة للقوتلي مُبَكِّراً رغم كل الاتهامات التي وُجِّهت إليه وإلى مسلكه السياسي والتنظيمي.

في ١٦ فبراير ١٩٢٦ صدر عفو عام عن جميع الجرائم المُرتكبة خلال الثورة فيما عدا سبعين شخصية كان الرئيس شكري القوتلي بالطبع منهم..

الكتلة الوطنية

وفي ١٩٢٨ تشكّلت الكتلة الوطنية لتكون بمثابة ثاني حزب ينضوي الرئيس شكري القوتلي تحت لوائه على الرغم من أنه كان في خارج سوريا ، وفي ١٩٢٨ أيضا كُتبت الدستور السوري الثاني وكان كاتبه هو كاتب الدستور الأول الذي هو الرئيس هاشم الأتاسي نفسه.. وفي ١٩٢٨ أيضا أُجريت انتخابات الجهة التأسيسية.

نادي بعودة الملكية إلى سوريا

في تلك الفترة كان الرئيس شكري القوتلي يُنادي بعودة الملكية إلى سوريا ولم يكن يُمانع في بيعه الملك فيصل الأول مرة أخرى أو أي أمير من الأمراء الهاشميين أو السعوديين فقد كان الأمير (الملك فيما بعد) فيصل بن عبد العزيز في ذلك الوقت تواقا لمثل هذا المجد .
في ١٩٣٠ أسقط حكم الإعدام عن الرئيس شكري القوتلي وعاد إلى سوريا وشارك في مؤتمر القدس ١٩٣٢ وفي الإضراب الستيني (١٩٣٥ - ١٩٣٦) وهو الإضراب الذي قاد إلى التوصل مع فرنسا لاتفاقية الاستقلال وانتخابات ١٩٣٦ وفوز الرئيس هاشم الأتاسي برئاسة الجمهورية (ديسمبر ١٩٣٦).

صعوده لرئاسة الكتلة الوطنية

في تلك الفترة صعد اسم الرئيس شكري القوتلي ليكون رئيسا للكتلة الوطنية أثناء غياب الرئيس هاشم الأتاسي في فرنسا لإجراء المفاوضات مع الفرنسيين، كما صعد اسمه بانتخابه نائبا عن دمشق، بل إنه أصبح نائب رئيس البرلمان في الوقت الذي أصبح فيه جميل مردم بك رئيسا للوزارة ، واختير الرئيس شكري القوتلي وزيرا للدفاع ووزيرا للمالية (١٩٣٦) أي أن الرئيس شكري القوتلي كان وزير الدفاع في سوريا في الوقت الذي حصل فيه الرئيس جمال عبد الناصر على الشهادة الثانوية وبدأ مساعيه لالتحاق بالكلية الحربية في مصر.

النيابة عن مردم في رئاسة مجلس الوزراء

وسرعان ما صعد نجم الرئيس شكري القوتلي أكثر حين كلفه جميل بك مردم بالنيابة عنه في رئاسة مجلس الوزراء أثناء سفره للتفاوض مع الفرنسيين (١٩٣٧).

وفي بداية ١٩٣٨ سافر الرئيس شكري القوتلي للحج ، وعند عودته اختلف مع الرئيس جميل بك مردم ووصل الأمر إلى استقالته في مارس ١٩٣٨ .

ثم تدافعت الأحداث التي صعدت به إلى القمة :

• ففي ١٩٣٩ استقال الرئيس هاشم الأتاسي من رئاسة الجمهورية بعد ثلاث سنوات، وكلف بهيچ الخطيب بالرئاسة .

• وفي ١٩٤٠ يونيو اغتيل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في دمشق ، ومع أن الرئيس شكري القوتلي شارك في تشييع الجنازة ودعا إلى تجاوز الحدث فقد وجه إليه الاتهام بالتحريض

على اغتيال الدكتور الشهبندر، وكان هذا إيذانا بهجرته إلى العراق ثم إلى السعودية التي كان قضى فيها بعض الوقت قبل ذلك، وكان هذا منفيً جديداً.

• ومع هذا الموقف الحرج فإن الرئيس شكري القوتلي نجح في أثناء وجوده في العراق في توثيق علاقته بالشيخ أمين الحسيني والجماعات العربية التي كانت قد أعربت عن الولاء لألمانيا في الحرب العالمية الثانية ويُقال إنه كان السوري الوحيد في لجنة التعاون مع ألمانيا.

• ويُذكر له في تلك الفترة أيضاً أنه رأس لجنة التبرعات لحكومة رشيد عالي الكيلاني في العراق.

• انتهت التحقيقات إلى براءة الرئيس شكري القوتلي من اغتيال الدكتور الشهبندر، فعاد إلى دمشق وعادت شعبيته إلى الصعود وقاد احتجاجات ١٩٤١، وتولى مفاوضة الفرنسيين نيابة عن المحتجين .

• ودعا الرئيس شكري القوتلي في ذلك الوقت إلى عقد المؤتمر السياسي السوري الشامل لكن مطالب الكتلة لم تتحقق باستثناء إقالة الوزارة.

المنفى الاختياري في سويسرا ثم رئاسة الجمهورية

في هذه الأجزاء ، سافر الرئيس شكري القوتلي إلى سويسرا كمنفى اختياري جديد وبقي فيها حتى ١٩٤٢ وفي بداية ١٩٤٣ رفض تشكيل الوزارة (وقد سبقه إلى الرفض الرئيس هاشم الأتاسي)

• أُجريت الانتخابات البرلمانية في ١٩٤٣ ففازت الكتلة فوزاً ساحقاً، واقترح الرئيس هاشم الأتاسي زعيم الكتلة ترشيح الرئيس شكري القوتلي رئيساً للجمهورية وأصبح الأتاسي كما نقول صانع الرؤساء ، بينما أصبح الرئيس شكري القوتلي رئيساً للجمهورية في ١٧ أغسطس ١٩٤٣

ها هو الرئيس شكري القوتلي رئيساً للجمهورية وهو في الثانية والخمسين من عمره ، وبدأ سياسته الهادفة إلى تفعيل الاستقلال السوري ، ودفعه ذكاؤه السياسي إلى أن يُشرك معه زعمي لبنان رياض الصلح وبشارة الخوري في مواجهة فرنسا بمطالب الدولتين معا . وقد وقف موقفاً حاسماً من اعتقال فرنسا لبشارة الخوري ورياض الصلح وزملائهما .

توثيق العلاقة مع النحاس باشا والساسة المصريين

في تلك الفترة كان الوفد يتولى الحكم في مصر فسارع الرئيس شكري القوتلي إلى قبول دعوة النحاس باشا زعيم الوفد المصري ، وأوفد رئيس الوزراء سعد الله الجابري ووزير الخارجية جميل مردم بك لبدء التنسيق من أجل كيان عربي يضمن القوة لسوريا في مواجهة رغبة فرنسا في امتداد نفوذها تحت مسميات مُختلفة.

تأسيس الجامعة العربية

وهكذا فإنه في عهده شاركت سوريا في الاجتماعات التي أسفرت عن بروتوكول الإسكندرية لتأسيس الجامعة العربية ، وقد مثل سوريا في توقيع البروتوكول الزعيم سعد الله الجابري الذي

أُقيل من منصبه في ١٤ أكتوبر ١٩٤٤ بعد أسبوع من توقيع البروتوكول ، وذلك بعد أن كان النحاس باشا نفسه قد أُقيل في اليوم التالي لتوقيع بروتوكول الإسكندرية.

إعلان الحرب على ألمانيا واليابان

كان فارس الخوري قد أصبح رئيسا للوزراء خلفا لسعد الله الجابري في ١٤ أكتوبر ١٩٤٤ ليكون بذلك ثاني رئيس للوزراء في عهد رئاسة الرئيس شكري القوتلي الأولى للجمهورية، بينما تولى سعد الله الجابري رئاسة البرلمان.

اقتدى الرئيس شكري القوتلي بخطوة أحمد ماهر في مصر في إعلان الحرب على ألمانيا واليابان فأعلنها في ٢٦ فبراير ١٩٤٥ ليكون من حق سوريا حضور الاجتماعات التأسيسية لهيئة الأمم المتحدة، وحضرت سوريا مؤتمر سان فرانسيسكو في نهاية مارس ١٩٤٥ واشتركت في تأسيس هيئة الأمم المتحدة.

الجابري يعلن فض البرلمان فتستشيط فرنسا غضبا

اندلعت المظاهرات السورية عقب رفض البرلمان السوري برئاسة سعد الله الجابري للاتفاقات التي اقترحتها فرنسا (مايو ١٩٤٥).

و حين انتوت القوات الفرنسية قصف البرلمان نجح الزعيم سعد الله الجابري في تفادي الحدث بأن أعلن فض اجتماع البرلمان قبل انعقاده، وفرضت فرنسا قسوتها المعتادة في مثل هذه الأحداث فغادر سعد الله الجابري سوريا إلى بيروت في صُحبة البطريرك الروسي الذي تصادف أنه كان يزور سوريا ونجح في أن يستعدي بريطانيا التي تدخّلت في ٣١ مايو وقررت إيقاف القصف الفرنسي على الرغم من استمرار الاحتجاجات السورية ضد فرنسا ومصالحها.

إنهاء الانتداب الفرنسي

استمر الأخذ والرد شهورا ، وأجريت مفاوضات ثلاثية في لندن ثم في مجلس الأمن الذي وافق في فبراير ١٩٤٦ على إنهاء الانتداب الفرنسي وجلاء القوات الفرنسية تماما عن سوريا في ١٧ أبريل ١٩٤٦ وهو اليوم الذي أصبح بمثابة اليوم الوطني لسوريا. ومن الحق أن نشيد بذكاء هؤلاء الزعماء في مُعالجتهم لقضية استقلال سوريا ولبنان على هذا النحو الذي تمكنوا به من توظيف هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن في إحقاق الحق، وهو موقف معقد لم ينجح فيه أحد من العرب بعدهم بالدرجة نفسها.

كان نجاح الرئيس فارس الخوري والزعيم سعد الله الجابري والرئيس شكري القوتلي في إدارة المعركة على هذا النحو الذي تكّال بالنجاح هو ما دفع النقراشي باشا إلى محاولته في عرض قضية مصر على مجلس الأمن لتحقيق نصر على البريطانيين ، بيد أنه لم ينجح في مسعاه.

تنامي المشكلات الاقتصادية

على كل حال فإن بقاء الكتلة الوطنية في الحكم بقيادة الرئيس شكري القوتلي وأقرانه منذ ١٩٤٣ أضعف من كفاءتها المحلية حسب ما هو معتاد في مثل ظروفها، فقد كان أنصار الأحزاب

المعارضة لها يتربصون بكل خطوة من خطواتها ليضفوا عليها ما تستحقه وما لا تستحقه من المآخذ من قبيل الحزبية والمحاباة والفساد.. الخ. وكانت المشكلات الطبيعية الناجمة عن فترات الكفاح وعن المعاناة في الحرب العالمية الثانية تتفاقم، وهكذا تجمعت في مواجهة رئاسة الرئيس شكري القوتلي وحكوماته المتعاقبة مشكلات اقتصادية من قبيل زيادة التضخم وزيادة البطالة وارتفاع تكلفة المعيشة. وهكذا فقد الرئيس شكري القوتلي جزءا من لياقته السياسية مع مرور الوقت ونجمت أزمات حادة نتيجة بعض المواقف السياسية مثل أحداث السويداء التي استهدفت كسر نفوذ آل الأطرش، وإغلاق صحيفة النضال بسبب انتقادها لوزير الداخلية صبري العسلي.

إعدام سلمان المرشد

لكن هذا الاضطراب كله لم يمنع الرئيس شكري القوتلي من اتخاذ قرارات جريئة من قبيل إعدام سلمان المرشد مؤسس الطائفة المرشدية (١٩٠٧ - ١٩٤٦) وهو زعيم محلي ترك له الفرنسيون الأسلحة الفرنسية عند جلائهم فبدأ سياسة العصيان للحكومة السورية مُتصورا إمكانية أن يستقل بدولة للعلويين أو بدولة في اللاذقية، وقد اختلط المذهب الديني بالسياسة بالمزاعم "المهدوية" والقداسة في دعوته التي تولاه من بعده ابنه محيي المرشد (١٩٢٠ - ١٩٥٢) الذي قيل إنه اغتيل على يد قائد الشرطة العسكرية في ٢٧ نوفمبر ١٩٥٢. ومن الحق أن نشير أن صلابة الرئيس شكري القوتلي في التصدي لسليمان المرشد حمت سوريا من كثير من الترهات التي كانت كفيلة بتمزيقها استجابة لتشجيع غربي دؤوب ومستمر ومتجدد منذ الحروب الصليبية.

نشأة حزب منافس للكتلة وازهار نقابات العمال

في أواخر ١٩٤٦ بدأ التوجه إلى تشكيل حزب جديد يُنافس حزب الكتلة فتشكل حزب الشعب (١٩٤٨) بقيادة رشدي الكخيا (١٨٩٩ - ١٩٨٧) و ناظم القدسي (١٩٠٦ - ١٩٩٨) ومن الجدير بالذكر أن القدسي هو نفسه الرئيس الذي اختاره الانفصاليون في ١٩٦١ ليكون رئيسا للجمهورية بعد الانفصال (ديسمبر ١٩٦١ - مارس ١٩٦٣) على حين اعتذر رشدي الكخيا . وفي الوقت ذاته كانت نقابات العمال تستدعي فورة التجارب النقابية في العالم الشرقي كله وتفرض نفسها في مواجهة أي حكومة قائمة معتمدة على قضايا جديدة ترتبط بالتنمية الاجتماعية وحقوق المواطنين الاقتصادية بعد أن تم الانتهاء من ملف الاستقلال.

انتخابات ١٩٤٧

كان على الرئيس شكري القوتلي أن يواجه في انتخابات ١٩٤٧ نفس المأزق الذي واجهه تشرشل في بريطانيا بعد انتصارها في الحرب العالمية الثانية، وقد حاول الرئيس شكري القوتلي أن يحافظ على نظام الانتخابات على درجتين ، لكن الجماهير كُنفت مطالبتها بالانتخاب على نظام الدرجة الواحدة أي الانتخاب المباشر، وقد انتهت نتيجة الانتخابات إلى فوز الرئيس شكري القوتلي وحزب الكتلة في دمشق على الرغم من قوة التحالف المتشكل ضده فيها، كما فاز في السويداء ودرعا لكنه خسر في حلب وحماة كما خسر الأغلبية البرلمانية وإن لم يخسر الصدارة، وهكذا

تمكن الحزب من أن يحصل على منصب رئاسة الوزارة لجميل مردم بك في ١٢ أكتوبر ١٩٤٦ وإن كان حزب الشعب قد اشترك في الوزارة . .

تعديل الدستور السوري

بدأت محاولة تعديل الدستور ليكون انتخاب الرئيس بطريقة مباشرة من الشعب لكن المحاولة لم تتم لكن تعديلا آخر أهم أُجري على الدستور (مارس ١٩٤٨) ، بحيث عُدلت المادة التي كانت قد حددت ولاية الرئيس بدورة واحدة فقط على أن يكون من حقه أن يعود للترشح بعد انقضاء دورة أخرى، وجاء تسويق فكرة تعديل الدستور من باب تحقيق الاستقرار السياسي و استغلال المزايا التي يضمنها استمرار الرئيس نفسه .

فترته الرئاسية الثانية

في ١٩٤٧ توفي سعد الله الجابري، الذي كان أكبر رجال الكتلة شعبية في حلب وكان معارضا لمد فترة الرئيس شكري القوتلي، و انتخب القوتلي في أبريل ١٩٤٨ ، على أن تبدأ ولايته الجديدة في أغسطس ١٩٤٨ ، وهكذا كان من الممكن أن يظل الرئيس شكري القوتلي في الرئاسة حتى أغسطس ١٩٥٣ لولا أن تدافع الأحداث أتى بانقلاب حسني الزعيم قبل أن تنتضي سنتان من رئاسة الرئيس شكري القوتلي الثانية التي شهدت أهم التطورات العربية وهي حرب فلسطين ١٩٤٨ وكان الرئيس القوتلي هو الذي رأس مؤتمر بلودان في سبتمبر ١٩٤٦ كما كان هو نفسه الذي وقع اتفاقية التعاون السياسي والعسكري العربي في فبراير ١٩٤٨ .

إشكاليات حالة الحرب مع الكيان الصهيوني

كان الرئيس شكري القوتلي متفاناً بإمكانية النصر في حرب فلسطين هو والرئيس جميل مردم بك رئيس الوزارة . وفي أثناء الهدنة الثانية أدّى الرئيس شكري القوتلي القسم لبدء دورته الثانية وكلف جميل مردم بك أيضا برئاسة الوزارة . لكن حالة الحرب استدعت كثيرا من الإجراءات المضادة للحريات وبدأت سلسلة من الأحداث التي أثرت على مسار التاريخ السياسي للزعامة السياسية العربية التي صعبت في الفترة اللاحقة. فمن الذي يعرف الناس نصفه ولا يعرفون النصف الآخر أن الاتحاد السوفييتي كان أول دولة اعترفت بإسرائيل ، أما النصف الثاني فإن الرئيس شكري القوتلي الذي كان صديقا للشيوخيين اتخذ قرارا بحل الحزب الشيوعي السوري نظرا لعلاقة الاتحاد السوفييتي بإسرائيل.

بزوغ البعث

كانت قوة حزب البعث قد بدأت في البزوغ ، فقد تطور الأمر بجماعة الإحياء العربي التي كونها الزعيم ميشيل عفلق إلى تأسيس حزب البعث في ٧ أبريل ١٩٤٧، وكان لا بد من اعتقال ميشيل عفلق في هذه الظروف. كذلك كان لا بد من الإجراءات المعتادة في مثل هذه الظروف من قبيل إعلان حالة الطوارئ وفرض الأحكام العسكرية وإغلاق المدارس.. الخ.

أول الانقلابات العسكرية السورية

في ديسمبر ١٩٤٨ شكل خالد العظم آخر وزارات العهد الأول للرئيس شكري القوتلي في رئاسة الجمهورية و تواكبت هذه الوزارة مع حكومة إبراهيم عبد الهادي في مصر التي تشكلت عقب اغتيال النقراشي باشا لكن وزارة العظم لم تكن بقوة وزارة إبراهيم عبد الهادي ، وهو ما أعطى الفرصة لانقلاب حسني الزعيم. وكان آخر العوامل في الاندفاع إلى تنفيذ انقلاب حسني الزعيم هو أن المجلس النيابي في جلسة مغلقة انتقد الجيش انتقادا لاذعا ، و من ثم رأى قائد الجيش حسني الزعيم وأنصاره أن يُبادروا هم بالاستيلاء على الحكم على نحو ما حدث بعد حوالي عشرين عاما في حركة حافظ الأسد التصحيحية.

لم يتخذ إجراءات وقائية ضد الانقلاب العسكري

من الثابت أن الرئيس شكري القوتلي لم يندفع إلى أية إجراءات وقائية ضد الانقلاب العسكري الوشيك وربما كان مُحققا في ترك الأمور تكشف نفسها بنفسها وقد اعتقل الانقلاب رئيس الجمهورية بينما هو في المستشفى للعلاج فنقلوه من المستشفى المدني إلى مستشفى المزرة العسكري واستكتبوه بخط يده استقالته في ٦ أبريل مع أنه كان مصمما على المقاومة حتى الموت لكن رئيس وزرائه الثاني الرئيس فارس الخوري وكان رئيسا لمجلس النواب وقتها ذهب إليه و تمكن بعد لأي من إقناعه بكتابة استقالته. وفيما بعد فقد أظهرت الوثائق الدبلوماسية الغربية أن حسني الزعيم كان ينوي قتله لولا تدخل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وبعد عشرة أيام أي في منتصف أبريل تقرر مصادرة أمواله وأموال ابنه ونفيه إلى الخارج فاخترت الإقامة في الإسكندرية . و قد تمادى الزعيم حسني الزعيم في تصوير الرئيس شكري القوتلي متهما بالفساد المالي وكان الاتهام بالفساد المالي كفيلا في حد ذاته بأن يُشرعن الانقلاب.

الاتهامات تواجهه وهو في المنفى

صوّر الرئيس شكري القوتلي أثناء وجوده في المنفى معارضا للتقارب مع العراق وهو الاتجاه الذي كان يتبناه الرئيس هاشم الأتاسي، و وصل الأمر إلى أن اتهم بأنه متعاون مع أجهزة سرية مصرية ومع الشيخ أمين الحسيني في التآمر على حياة الملك عبد الله ملك الأردن لكن هذا الاتهام تبذّر. وأصبح الرئيس شكري القوتلي على كل حال بمثابة رئيس احتياطي موجود في المنفى، ومن الطريف انه في أبريل ١٩٥٤ زاره وفد سوري من رجال الدين المسلمين والمسيحيين يدعونه للعودة إلى دمشق فقامت مظاهرات ضد عودته لكنه عاد في أغسطس ١٩٥٤ بعد أن استقر الأمر.

تراجع شعبية حزب الرئيس القوتلي

وجاء عصر ربيع الديمقراطية مرة أخرى ، وأجريت الانتخابات في ١٩٥٤ فجاء حزب الشعب في المركز الأول لكن تمثيله انخفض من ٤٠ % إلى ٢٤ % وجاء حزب البعث في المركز الثاني وجاء الحزب الوطني برئاسة الرئيس شكري القوتلي في المركز الثالث، ومع هذا فإن الأحزاب التي تراجعت في هذه الانتخابات أمام البعث (أي الشعب والوطني) اتفقت على التعاون

فيما بينها وكان أهم مظاهر هذا التعاون هو اتفاقها على ترشيح الرئيس شكري القوتلي رئيساً للجمهورية، فتم انتخابه في ١٩٥٥ لفترة رئاسية جديدة، وتمادت الأحزاب في تحديدها للقوة الجديدة التي يُمثّلها حزب البعث فكلف الرئيس شكري القوتلي محمد سعيد الغزي بتشكيل أول وزارات عهده الثاني فشكّلها من الحزب الوطني (الثالث) وحزب الشعب (الأول) دون أن يُشرك فيها حزب "البعث" الفائز بالكتلة الثانية في الانتخابات.

نجاح القوتلي بالرغم من الدعايات المضادة

هكذا بدأت الفترة السابقة على الوحدة والتي شهدت نهاية عهد الرئيس شكري القوتلي في منصب رئيس الجمهورية (١٩٥٥ - ١٩٥٨). وفي هذه الفترة كان الرئيس شكري القوتلي يُحقّق نجاحات استراتيجية وسياسية ساحقة على عكس ما هو مُشاع عن عمد (في الأدبيات العربية) للتقليل من قيمة نجاحاته وذلك من أجل التبرير لحاجة سوريا إلى زعامة.

معارضته لحلف بغداد

وعلى سبيل المثال فقد وقف الرئيس شكري القوتلي ضد حلف بغداد بقوة معارضة أكبر من معارضة الرئيس عبد الناصر لذلك الحلف وكان الرئيس شكري القوتلي أذكى في مهاجمته للعناصر الاستراتيجية التي استطاع أن يُلصقها بذلك الحلف ليجعل من معارضته ضرورة وطنية حتى لو لم تكن هذه العناصر من سياسات الحلف المُعلنة ، وقد كان الرئيس شكري القوتلي وليس الرئيس عبد الناصر هو الذي أعلن عن معارضته للتحالف العراقي التركي وكان هو الذي أعلن عن تخوفه من التحالف الهاشمي (الأردني العراقي) وكان هو أول من دعا إلى تكوين حلف شبيه بحلف بغداد تكون عناصره الثلاثية الأقوى هي مصر وسوريا والسعودية.. ومع هذا فإن كلا من نظام الرئيس عبد الناصر والسعوديين لم تكن لهما قوة الرئيس شكري القوتلي الفكرية أو التنظيمية الكفيلة بخروج مثل هذه الأفكار إلى حيز بيروقراطي وإعلامي .

إقناع الملك حسين بالابتعاد عن حلف بغداد

وفي خطوة لاحقة استطاع في ١٩٥٦ أن يُقنع الملك حسين بالابتعاد عن الانضمام لحلف بغداد، بل إنه وقع اتفاقية للتعاون العسكري مع الأردن في حالة أي اعتداء إسرائيلي على أي منهما.

توقيع اتفاقيات الأسلحة الشرقية

كان الرئيس شكري القوتلي هو الذي سارع عقب توقيع اتفاقية الأسلحة التيشيكية لمصر إلى توقيع اتفاقية مماثلة في يناير ١٩٥٦، ثم إلى توقيع اتفاقية تجارية مع بولندا في أكتوبر ١٩٥٦ ثم إقامة العلاقات الدبلوماسية مع كل من الصين ورومانيا.

توقيع اتفاقيات الدفاع المشترك مع مصر ولبنان

كان الرئيس شكري القوتلي هو الذي وقّع (أكتوبر ١٩٥٥) اتفاقية مجلس الدفاع المشترك مع مصر، واتفاقية مماثلة للدفاع المشترك مع لبنان.

أول زيارة لرئيس عربي إلى الاتحاد السوفييتي

كان الرئيس شكري القوتلي هو أيضا الذي قام بأول زيارة لرئيس عربي إلى الاتحاد السوفييتي ما بين ٣٠ أكتوبر و٤ نوفمبر ١٩٥٦، وجاءت هذه الزيارة المحددة سلفا لتتواكب مع العدوان الثلاثي على مصر، وكان تصادف وجود الرئيس شكري القوتلي بنفسه في موسكو بمثابة أكبر دافع لموقف الاتحاد السوفييتي الحاسم مع مصر ضد العدوان الثلاثي

رفض عرض الولايات المتحدة الأمريكية السلام مع إسرائيل

الرئيس شكري القوتلي أيضا هو الذي رفض (١٣ أغسطس ١٩٥٧) عرض الولايات المتحدة الأمريكية السلام مع إسرائيل مقابل معونة مالية توازي أربعة أضعاف الموازنة السورية .

النجاحات الداخلية للرئيس القوتلي : استيعاب حركة البعث

وبالإضافة إلى هذه النجاحات الخارجية والعربية و الاستراتيجية ، فإننا نجد الرئيس شكري القوتلي ناجحا داخليا إلى أقصى الحدود الممكنة ، وعلى سبيل المثال فإنه هو ، وليس غيره ، من بدأ استيعاب طموحات حزب البعث رغم ما كان بينهما من جفاء، وقد رأى أن اتجاه الرياح في الشارع السياسي يتطلب منه أن يقترب من حزب البعث على حساب تحالفه مع حزب الشعب وهو التحالف الذي أوصله للرئاسة. وفي مقابل هذا ، فقد وقف الرئيس شكري القوتلي ضد ديكتاتورية البعث المبكرة في رد فعل البعث على اغتيال الضابط البعثي عدنان المالكي على يد أعضاء من الحزب السوري القومي الاجتماعي ومارس الرئيس شكري القوتلي بذكاء سلطة الدولة في مواجهة قوتين قادرتين على ما يسمى بالحشود الفاشية بكل خطورتها ، وهما البعث السوري والقومي الاجتماعي، فضلا عن الجيش القابل للتحالف مع إحدى القوتين ضد الديموقراطية وقد كان الرئيس شكري القوتلي هو من استطاع أن يستصدر قرار حل الحزب السوري القومي الاجتماعي واعتقال قاداته وهو من فصل الضباط الموالين لذلك الحزب في القوات المسلحة.

الرئيس شكري القوتلي هو الذي استطاع نزع الفتيل الاستقطابي في قضية التصديق على الأحكام الصادرة بحق المتهمين باغتيال عدنان المالكي وهو استقطاب وصل إلى التهديد السافر بالانقلاب العسكري وباغتيال الرئيس شكري القوتلي نفسه، لكن الرئيس شكري القوتلي كان من الشجاعة بحيث صدق على إعدام اثنين وبقاء الثالث في السجن.

الميثاق الوطني

كان الرئيس شكري القوتلي هو من دعا إلى (الميثاق الوطني) بين الأحزاب والقوى السياسية السورية وهي التجربة السياسية التي حاول عبد الناصر تنفيذها في مطلع الستينات. وهو من استجاب لوساطة مصر في حل المشكل بينه وبين وزير الدفاع الذي أقاله الرئيس لأنه أبعد قائد الجيش المحسوب على الرئيس شكري القوتلي بسبب فصله الضباط البعثيين ونقلهم. وهو من روج (صدقا أو كذبا) لاكتشاف مخطط لانقلاب عسكري جديد يُخطط له القوميون السوريون مع الشيشكلي لإعادته للسلطة.

تشكيل حكومة وحدة وطنية

شجع الرئيس شكري القوتلي تشكيل حكومة وحدة وطنية برئاسة صبري العسلي فلما انهارت بحكم المعارضة المؤتلفة ضد الرئيس شكري القوتلي (من حزب الشعب وحركة الشيشكلي وبعض المستقلين) تمكن في آخر أيام ١٩٥٦ من تشكيل حكومة صبري العسلي الثانية التي ضمت الحزب الوطني (حزب الرئيس شكري القوتلي) وحزب البعث وكتلة خالد العظم.

الاندفاع السوري نحو الاندماج مع مصر

بالمواكبة لكل هذه النجاحات كانت القوى النافذة في المجتمع السوري قد مضت في تيار الاندفاع نحو وحدة اندماجية مع مصر ، وكانت الدافعية الكبرى لهذه القوى هي دافعية القفز على الواقع الذي لم يكن يتناسب مع ما عُرف عن الكفاءة السورية والطموح السوري ولأن أجيال الآباء في سوريا وجدوا النجاح في القاهرة والإسكندرية ومصر عموماً فإن السوريين المحدثين كانوا يرون انهم يستطيعون أن يوظفوا الزعامة البازغة للرئيس جمال عبد الناصر في القفز على مشكلاتهم وفي تمكين كفاءاتهم من قيادة الأمة العربية كلها ولم يكن هؤلاء ومعهم الرئيس شكري القوتلي نفسه يتصورون أنهم بخطوتهم هذه يدفعون سوريا إلى أسوأ صعيد يمكن لأمة مثلها أن تندفع إليه فقد كان الكيان الحدودي الذي صنع على عجل كيانا مبتسراً وكان محتواه فارغاً وكان سطحه هشاً وكانت أركانه مزلزلة .

كانت المشاعر العروبية قد بدأت تصل إلى أقصاها بسبب العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر ١٩٥٦ فقد اندلعت المظاهرات وهوجمت المؤسسات المرتبطة بالعراق باعتبار العراق ولبنان يمثلان الرجعية العربية (أما السعودية و الأردن فكانتا مثل سوريا قد وقفتا بحماس في مواجهة العدوان على مصر)، وكان تصنيف العراق على هذا النحو مفهوماً لكن لبنان انضم لهذا التصنيف بسبب رعونة الرئيس كميل شمعون في التعبير عن عداوته للرئيس عبد الناصر ومن ثم للتوجهات الوطنية والعروبية، وواصل البعث صعوده كما واصلت كتلة خالد العظم صعودها مع بقاء الرئيس شكري القوتلي والحزب الوطني في مقدمة الحياة السياسية ، وبهذا التحالف الثلاثي حكم الرئيس شكري القوتلي حتى ١٩٥٨ ، بل إن الوزارة السورية نصّت في برنامجها على إقامة الوحدة الفيدرالية مع مصر.

التطور المتسارع في حركة الوحدة مع مصر

بدأ التوجه العملي نحو الوحدة مع مصر يتصاعد بأسباب حقيقية وأخرى اصطناعية مع عدم وجود فارق حقيقي بين هذين النوعين من الأسباب - ففي ١٩٥٧ أذاعت سوريا أنها أحبطت محاولة عملية انقلاب أمريكي على الرئيس شكري القوتلي.

- وفي ١١ سبتمبر ١٩٥٧ أرسلت مصر قوات إلى ميناء اللاذقية بعد الإعلان عن توتر في العلاقة بين تركيا وسوريا، وكان هذا التوتر رد فعل لبعض اتفاقات الرئيس شكري القوتلي مع الاتحاد السوفييتي، وهي اتفاقات رأت فيها تركيا تهديداً لأمنها القومي وهي مسألة حساسة عند الأتراك.
- بدأت مفاوضات الوحدة في أكتوبر ١٩٥٧ وانتهت كما هو معروف بالموافقة على البديل القائل بالاندماج التام في فبراير ١٩٥٨ وقبل الرئيس السوري الذي سيتبرك الرئاسة وهو الرئيس شكري القوتلي نفسه أن يتخذ قراراً سياسياً بحل الأحزاب الحزبية مُنهيًا بهذا عهداً من الحياة الحزبية بدأ منذ ما قبل الاستقلال.

مكانة الرئيس القوتلي في ظل النظام الناصري

كان النظام الناصري في بدايات الوحدة يُحافظ للرئيس شكري القوتلي على مكانة بروتوكولية باعتباره المواطن العربي الأول، لكن هذه المكانة بدأت تتقلص حتى اختفت تماماً وأصبح الرئيس الذي حكم سوريا منذ ١٩٤٣ وحتى ١٩٤٩ ومنذ ١٩٥٥ وحتى ١٩٥٨ واحداً من رعايا الرئيس جمال عبد الناصر فحسب.

لما حدث انقلاب عبد الكريم النحلاوي في سبتمبر ١٩٦١ تراجعت مكانة الرئيس شكري القوتلي فلما حدث انقلاب البعث الصريح في ٨ مارس ١٩٦٣ عومل الرئيس شكري القوتلي معاملة الأعداء فصودرت أملاكه واختار النفي إلى بيروت بعدما أحس بذكائه أن وجوده في القاهرة ليس مرحباً به، وترحم على زمن مضى نفاه العسكر السوريون في عهد الشيشكلي إلى حيث يريد أن يقيم فاختر الإسكندرية.

النفي إلى بيروت والوفاة فيها

كانت بيروت على كل حال أرحم بأعصاب الرئيس شكري القوتلي الذي قدّر له الله أن يعيش حتى يشهد بعيني رأسه هزيمة ١٩٦٧ التي هُزمت فيها سوريا ومصر معاً، وكان استمرار حياته حتى نهاية شهر وقوع هذه الهزيمة كان عقاباً، وكان الهزيمة نفسها كانت عقابه النهائي على أنه لم ينفذ وطنه بحكمته وخبرته على نحو بعيد عن الانسياق إلى المجاملة غير المبررة لنظام كان هو نفسه بحكمته وحنكته يعرف أنه يحوي بذور الفشل العاجل.

كان الرئيس شكري القوتلي قادراً على أن يقول الحق لكنه خضع لعمره المتقدم فأثر الصمت، ولو أنه اقتدى بمن كان يكبره بستة عشر عاماً وهو الرئيس هاشم الأتاسي لأنصف نفسه، ولو أنه اقتدى بمن كان يصغره وهو الرئيس خالد العظم لأنصف نفسه، ومن العجيب أن حكومة الوحدة وعلى رأسها الرئيس عبد الناصر كرّمت الرئيس هاشم الأتاسي بجنائز رسمية أما الرئيس شكري القوتلي فنقل جثمانه إلى دمشق بصعوبة وصُلي عليه في المسجد الأموي في جنازة غير رسمية وصار تجاهل اسمه ومجده معلماً من معالم نهج الناصرية وسلوك البعث على حد سواء.

الفصل ٢٥ : صائب سلام السياسي الذي عاش ٩٥ عاماً من الشباب

كان صائب سلام ١٩٠٥- ٢٠٠٠ زعيماً لبنانياً متميزاً قادراً على التعبير عن آرائه وافكاره بصراحة ووضوح، و على طبيعة المراقبين الغربيين في تصنيف زعماء السنة اللبنانيين فقد كان لا بد له أن يحسب على السعودية أو مصر أو سوريا ، و بحكم اهتماماته الرأسمالية فقد كان محسوباً تلقائياً أكثر على السعودية، وكان يدعم هذا الرأي ما عرف عن صراحته و صرامة تعبيراته و ميله إلى التنظير وهي سمات وقسمات لم يكن النظام الناصري يتقبلها بسهولة بينما كان السعوديون لا يعلقون بقبول أو رفض.

مقارنته برشيد كرامي

إذا ما قورن صائب سلام برشيد كرامي الذي تعلم في مصر ظهر الفارق جلياً ومحفوراً ومنحوتاً فحسب هذا على السعودية وهذا على مصر ، وكان هو من مواليد ١٩٠٥ أي أنه كان أكبر من رشيد كرامي بـ ١٦ عاماً وكان الملك فيصل من مواليد ١٩٠٦ و سلفه الملك سعود من مواليد ١٩٠٢ ولهذا فإنه كان من الطبيعي أيضاً أن ينظر إلى تصنيفه محكوماً بهذا الفارق في السن، أما رشيد كرامي المولود ١٩٢١ فكان قريباً من الرئيس عبد الناصر و السادات المولودين في ١٩١٨ غير أن نشاط رشيد كرامي وتفرغه التام للسياسة وطول الفترات التي تولى فيها رئاسة الوزارة، فضلاً عن علاقته بمصر وعبد الناصر والصحافة المصرية كل أولئك رفع أسهم رشيد كرامي في وسائل الاعلام حتى ليكاد العربي المتابع لتاريخ لبنان يظن أن رشيد كرامي أكبر في السن بكثير من صائب سلام .

الرابع بين الأقطاب المؤسسين

ومن الطريف أن صائب سلام كان في مرحلة مبكرة من التاريخ اللبناني هي مرحلة التأسيس بتمثابة العنصر الرابع في القيادات السنوية مع رياض الصلح ١٨٩٤- ١٩٥١ وعبد الحميد كرامي الاب ١٨٨٧- ١٩٥٠ (الذي هو والد رشيد كرامي) وعبد الله اليافي ١٩٠١- ١٩٨٦ وهكذا قدر له ان يعيش نصف قرن من الزمان بعد اثنين من رفاقه الأوائل توفيا في سن مبكر .

وكان صائب سلام بحكم مكانته في العاصمة بيروت يعتقد أنه لا يقل أهمية عن الرئيس المؤسس رياض الصلح نفسه، حتى إنه كان يظن أن الزعامة لا تتحقق إلا بالفوز بمقعد العاصمة وليس الجنوب على نحو ما كان رياض الصلح يفوز في صيدا ولهذا فإنه ظل يتصور لنفسه مكانة لا تقل عن رياض الصلح بل تزيد.

علاقاته الذكبية

كان صائب سلام في علاقته بزعماء الطوائف المختلفة من المسيحيين ذا مواقف مختلفة عن الشائع ، فقد كان من الذين يؤمنون بدور ما لكميل شمعون من دون أن يحبه ، بل إنه كان يفتع جمال عبد الناصر بشمعون بالرغم مما هو معروف من العداء الأبدي بين شمعون وعبد الناصر،

زيارته للرئيس عبد الناصر عقب الهزيمة

وقد روى هو نفسه لطلال سليمان في الحديث الصادم الذي نقله عنه الأستاذ طلال سليمان في ١٩٧٢ أنه زار الرئيس عبد الناصر يوم ٨ يونيو ١٩٦٧ فلما سأله عما يريده من بيروت وكلفه الرئيس عبد الناصر بإبلاغ تحياته للزعماء اللبنانيين أضاف هو او اقترح أن يبلغ تحيات عبد الناصر لشمعون بعد ان طلب الرئيس عبد الناصر أن يبلغ تحياته للرؤساء فرنجيه وريموند اده وبيار الجميل، فلم يجد الرئيس جمال عبد الناصر بدأ من أن يوافق، على اعتبار أن أهل لبنان أدرى بها ... وهو ما كان صائب سلام يزعم أنه حاول أن يفتع به الرئيس عبد الناصر وغيره طول عمره بلا جدوى.

شمعون وعده بزيارة عبد الناصر

و في ذلك الحديث أيضا روى الرئيس صائب سلام انه كان قد اتفق مع الرئيس شمعون على ان يذهبا للقاهرة لتحذير عبد الناصر مما هو قادم عليه في ١٩٦٧ لكن تطورات الأحداث كانت أسرع منهما، فقد رأى شمعون أن يمر أولا بعاصمة أوربية قبل أن يذهب للقاهرة ، وأن يقابل الملك فيصل ويقنعه بالذهاب هو الآخر لعبد الناصر وهكذا ضاع الوقت، وأغلب الظن أن الرئيس عبد الناصر كان غير قابل للتحذير فقد كان مخدراً تماماً ومستمتعا بالتحذير وهو يرى المجد كله وقد أصبح أقرب إلى يديه من أي وقت مضى!

أراؤه الصريحة

لم يكن الرئيس صائب سلام من المعجبين بالرئيس فؤاد شهاب ولا المقدرين لدوره، وكان يراه مستسلماً بأكثر مما ينبغي لعبد الناصر ، ومقلدا لهوية لبنان ، وأغلب الظن أنه كان يصدر في هذا الحكم عن اقتقاده هو نفسه لجو العمل السياسي الكفيل بظهور موهبته وقدرته ، وهو جو لم يكن من المتاح في ظل حكم يقوده رجل عسكري لا يخرج عن أن يكون ذا اتجاه واحد ثابت.

تباعده عن مصر

ومن عجائب التاريخ أن الرئيس أنور السادات في ظل تركيزه على تحرير الأرض وعملية السلام من بعدها لم يكن على أدنى درجات الاستعداد للانجذاب إلى هذا الجو اللبناني المثير والجاذب لشهية السياسيين العرب.

انتقاده لحاشية عبد الناصر

كان الرئيس صائب سلام يكثر من انتقاد من كانوا حول الرئيس جمال عبد الناصر وقد دخل في مواجهات عنيفة معهم، وهي مواجهات إعلامية الطابع، ولهذا السبب فإنه كان من أنصار سليمان فرنجية، وكان يفضل على سلفيه شارل حلو وفؤاد شهاب.

رئاسته للوزارة

رأس الرئيس صائب سلام الوزارة ست مرات: كانت أولها في آخر عهد الرئيس بشارة الخوري (سبتمبر ١٩٥٢) ثم رأسها في عهد كميل شمعون مرة واحدة ما بين ابريل ١٩٥٣ وأغسطس ١٩٥٣ ثم رأسها في عهد فؤاد شهاب مرتين متصلتين: أولهما من أغسطس ١٩٦٠ وحتى مايو ١٩٦١ والثانية من مايو ١٩٦١ وحتى أكتوبر ١٩٦١. ثم رأسها في عهد سليمان فرنجية مرتين متصلتين أيضاً من أكتوبر ١٩٧٠ وحتى مايو ١٩٧٢ ثم من مايو ١٩٧٢ وحتى ابريل ١٩٧٣.

وبهذا فإنه لم يصل إلى عدد المرات التي حققها الرئيس رشيد كرامي (٨ مرات) ولا إلى إجمالي المُدَد التي وصل إليها رشيد كرامي .

أول عهده بالوزارة

وفيما قبل هذا بدأ الرئيس صائب سلام مناصبه الوزارية وزيراً للداخلية في مايو ١٩٤٦ في حكومة سعدي الملا وذلك قبل أن يبدأ مرحلة رئاسة الوزراء في ١٤ سبتمبر ١٩٥٢ في عهد بشارة الخوري كما ذكرنا

تأسيسه شركة طيران الشرق الأوسط

عرف الرئيس صائب سلام بتأسيسه لشركة الطيران اللبنانية المسماة طيران الشرق الأوسط.

عضويته في البرلمان

فاز الرئيس صائب سلام بعضوية البرلمان اللبناني عن بيروت في الدور التشريعي الخامس (١٩٤٣ - ١٩٤٧) والسابع ، وغاب عن الأدوار التشريعية السادس والثامن والتاسع ثم استمر عضواً في البرلمان باتصال من الدور العاشر في ١٩٦٠ وحتى ١٩٩٢

ذريته

تولى ابنه الرئيس تمام سلام (المولود ١٩٤٥) رئاسة الوزارة اللبنانية الثالثة والسبعين (٢٠١٤ - ٢٠١٨) في عهد الرئيس ميشيل سليمان، وذلك بعد وفاة والده.

وفاته

توفي الرئيس صائب سلام في جنيف في ٢١ يناير ٢٠٠٠ عن ٩٥ عاماً.

الفصل ٢٦ : صبري العسلي الزعيم الذي احترق بحبه لعبد الناصر مرة، وبمعارضته مرتين

تضحيات قسرية

لما أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا في ١٩٥٨ تنازل اثنان من الزعماء السوريين عن مناصبهما للرئيس جمال عبد الناصر : الأول هو رئيس سوريا وقد أصبح أمر تنازله مشهورا ، أما الثاني وهو رئيس وزراء سوريا فقد أحرق نفسه مبكرا بحب الناصرية، ومن المذهل أن الناصرية أحرقتة بنفسها ثم جاء أعداء الناصرية فأحرقوه مرة ثالثة لأنه ناصري وقالوا إنهم يُحرقونه لأنه معاد للناصرية.. وهكذا أصبحت قصّة هذا الرجل في السياسة بمثابة فكرة ناضجة لمسرحية من طراز رفيع تستحق أن تسمى باسمه هو لا بأي اسم آخر.

نعرف أن شكري القوتلي كان رئيس الجمهورية الذي تنازل عن رئاسة الجمهورية لجمال عبد الناصر الذي صار رئيسا للدولتين، ومنحه لقباً شرفياً هو المواطن العربي الأول بينما كان قد أصبح في حقيقة الأمر واحداً لا من المواطنين الأوائل أو غير الأوائل وإنما واحداً من الرعايا فقد كان المواطنون في عهد عبد الناصر في أفضل صورهم مجرد رعايا أما الرجل الثاني وهو رئيس الوزراء صبري العسلي ، فقد كانت تضحيتة بل تضحياته عجيبة ، ذلك أن الرئيس جمال عبد الناصر احتفظ برئاسة وزراء مصر وضم معها رئاسة وزراء سوريا وهكذا فقد رئيس وزراء سوريا مناصبه الرئاسية للأبد.

نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة

تم تعويض رئيس الوزراء السوري صبري العسلي عن منصبه المرموق بأن أصبح نائباً لرئيس الجمهورية لكن عهده بالمنصب "الشرفي" لم يطل ، إذ أنه سرعان ما اختلف مع الرئيس عبد الناصر، وهكذا أصبح حسب التعبير الفاشي المفضل عند العسكر من أعداء الوطن . فلما وقع انقلاب النحلاوي و حدث الانفصال (١٩٦١) أيده الرئيس صبري العسلي وأبدى سعادته به، ولما حدث انقلاب البعثيين على الانفصال ١٩٦٣ عوقب الرئيس صبري العسلي بمصادرة أمواله باعتباره انفصالياً مع أنهم كانوا هم الانفصاليين في الحقيقة لكنهم أخفوا نزعتهم الانفصالية ، وكان من وسائلهم في إخفاء هذه النزعة أن يُعاقبوا بعض الساسة على أنهم انفصاليون، وكان الرئيس صبري العسلي في مقدمة هؤلاء الساسة الذين عوقبوا على أنهم انفصاليون يستحقون العقاب ، بينما كان الانقلابيون الجدد وهم الانفصاليون الحقيقيون ينعمون بمقاعد الحكم.

نشأته

ولد الرئيس صبري العسلي (١٩٠٣ - ١٩٧٩) في دمشق ، وكان عمه شكري العسلي سياسياً بارزاً في الدولة العثمانية وكان عضواً في البرلمان العثماني لكن نزعتة السياسية قادته إلى التمرد

فالإعدام على يد أبرز الانقلابيين العسكريين الأتراك جمال باشا السفاح حاكم سوريا الذي تُنسب إليه الفضائل وقد أُعدم العم شكري الرئيس صبري العسلي في ٦ مايو ١٩١٩ .
ربما نتوقف هنا لنشير إلى أن الرئيس شكري القوتلي الذي عمل الرئيس صبري العسلي رئيساً للوزراء في عهده كان يكبر الرئيس صبري العسلي باثني عشر عاماً وهكذا كان من الممكن أن تكون صورة شكري القوتلي في ذهنية الرئيس صبري العسلي هي صورة العم "شكري".
تلقّى الرئيس صبري العسلي تعليماً مدنياً وتخرج فيما يُسمى معهد الحقوق العربي (كلية الحقوق) ١٩٢٤ فلما اندلعت الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ ضد الفرنسيين الذين فرضوا انتدابهم على سوريا وأسقطوا المملكة السورية اشترك الرئيس صبري العسلي في الثورة وتولى تهريب الأسلحة إلى الثوار في منطقة الغوطة، فلما مارس الفرنسيون إجراءاتهم الانتقامية البغيضة نفى الرئيس صبري العسلي إلى أرض الحجاز، حيث عمل مع شكري القوتلي في معاونة الملك عبد العزيز آل سعود حين كان لقبه لا يزال سلطان نجد والحجاز.

تمثيله للسعوديين في مؤتمر أريحا ١٩٢٨

ويُذكر أن الرئيس صبري العسلي هو الذي تولى تمثيل "السلطان" عبد العزيز في مؤتمر أريحا (١٩٢٨) الذي كان بمثابة مفاوضات بين حكومتي نجد والحجاز والأردن.
عاد الرئيس شكري القوتلي والرئيس صبري العسلي إلى سوريا ١٩٣٢ مع صدور العفو العام وفي العام التالي اشترك الرئيس صبري العسلي في تأسيس "عصبة العمل القومي" التي استهدفت مناوئة الاستعمار الأوروبي وتنمية التعاون العربي وقد اشترك معه في تأسيس هذه العصبة المفكران البارزان قسطنطين زريق وزكي الأرسوزي كما اشترك معهم رئيس الوزراء في عهد حسني الزعيم الدكتور محسن البرازي الذي أُعدم مع حسني الزعيم .

لمعانه في حزب الكتلة السورية

وفي ١٩٣٦ وبناء على ترشيح الرئيس شكري القوتلي انضم الرئيس صبري العسلي لما عرف بأنه حزب الكتلة السورية ، وهو الحزب الذي تحول اسمه فيما بعد إلى الحزب الوطني، وهو حزب الرئيس شكري القوتلي على كل حال.

نجاحه المتكرر في الانتخابات البرلمانية

خاض الرئيس صبري العسلي الانتخابات البرلمانية الشهيرة التي أُجريت في ١٩٣٦ ففاز في هذه الانتخابات، ويُذكر أيضاً أنه فاز في الانتخابات السورية التالية وهي انتخابات ١٩٤٣ (التي أصبح بعدها الرئيس شكري القوتلي رئيساً للجمهورية لمدة ثانية) وانتخابات ١٩٤٧ وهي الانتخابات التي تراجعت فيه مكانة الحزب الوطني مع احتفائه بالصدارة، وتلاه البعث بينما تراجع حزب الشعب للترتيب الثالث

كذلك فاز الرئيس صبري العسلي في انتخابات ١٩٥٤ (وهي الانتخابات التي تمت في عهد الأزواج بين سلطتي الرئيس هاشم الأتاسي والعقيد الشيشكلي) و١٩٦٢ (وهي الانتخابات التي تلت الانفصال عن مصر).

مناصبه الوزارية

أصبح الرئيس صبري العسلي وزيرا للداخلية في ثاني وزارات عهد الرئيس شكري القوتلي الأول أي في وزارة الرئيس فارس الخوري ثم أصبح وزيرا للعدل والمعارف . وفي وزارة الرئيس سعد الله الجابري الثانية (أكتوبر ١٩٤٥) التي هي ثالث وزارة في عهد الرئيس شكري القوتلي جمع أيضا بين وزارتي العدل والمعارف، وهي ثنائية لم تتحقق عند المصريين.

وبدأ الرئيس صبري العسلي علاقاته ومشاركاته العربية الواسعة منذ عهد تلك الوزارة ، فقد كان عضوا في الوفد الذي حضر تأسيس الجامعة العربية (١٩٤٥) . بعد الاستقلال السوري ١٩٤٦ أعاد الرئيس سعد الله الجابري تشكيل الوزارة وشغل الرئيس صبري العسلي منصب وزير الداخلية.

توليه وزارة الداخلية و اعتقاله لميشيل عفلق

عندما انقسمت الكتلة الوطنية انقسامها المعروف إلى الحزب الوطني بقيادة شكري القوتلي وحزب الشعب بزعامة الكخيا والقدسي كان من الطبيعي أن يكون الرئيس صبري العسلي في الحزب الوطني وهو الذي قاد معارضة الحزب الوطني للنفوذ الهاشمي (أي العراقي - الأردني) في سوريا في ذلك الوقت.

في ١٩٤٨ أصبح الرئيس صبري العسلي وزيرا للداخلية في حكومة جميل مردم بك ، وكان هو الذي تولى تنفيذ اعتقالات عهد القوتلي التي شملت ميشيل عفلق نفسه مما أدى إلى استقالة نائب رئيس الوزراء لطفي الحفار، وتعرض الرئيس صبري العسلي لمحاولات لاغتياله .

ولم يكن الرئيس صبري العسلي يدرى أن سياساته تُمهّد للانقلاب الأول الذي قاده حسني الزعيم الذي أسقط نظام الرئيس شكري القوتلي ولي نعمته الذي رَقاه واختاره لمنصبه المتقدمة في الجيش، وكان من الطبيعي أن يكون الرئيس صبري العسلي في مقدمة من يعتقلهم الرئيس حسني الزعيم، وقد بقي محدد الإقامة طيلة عهد الزعيم حسني الزعيم وحتى قام العميد سامي الحناوي بانقلابه لكن الرئيس صبري العسلي لم يعد إلى السلطة في العميد سامي الحناوي ولا هو عاد إليها في عهد الانقلاب الثالث بقيادة أديب الشيشكلي وإن كان جو هذا الانقلاب الثالث قد مكّنه من أن ينضم إلى الرئيس هاشم الأتاسي في سعيه لإسقاط العسكر وإعادة الحكم المدني إلى سوريا.

دوره في ربيع الديمقراطية

لما وقع الانقلاب العسكري الخامس وهو المعروف بانقلاب ١٩٥٤ العسكري والسلمي بقيادة الجنرال فيصل الأتاسي وأزيح الشيشكلي والكزيري وفوزي السلو وبدأت فترة من ربيع

الديموقراطية ١٩٥٤ - ١٩٥٨ قرر القادة السياسيون العودة إلى دستور ١٩٥٠ وعودة الرئيس هاشم الأتاسي للرئاسة ل يبقى فيها حتى نهاية ولايته الدستورية.

تعاقبه على رئاسة الوزارة مع محمد سعيد الغزي

وعندئذ كلف الرئيس هاشم الأتاسي صبري العسلي بتشكيل الوزارة فشكّلها ، وكانت هذه هي أولى وزارته في الربيع الجديد أي في عهد الرئيس هاشم الأتاسي الجديد و الأخير ، أي بعد إبعاد الشيشكلي وقد استمرت منذ ١ مارس ١٩٥٤ وحتى ١٩ يونيو ١٩٥٤ حيث خلفه الرئيس محمد سعيد الغزي.

أما وزارته الثانية فكانت في عهد الرئيس هاشم الأتاسي أيضا في ١٣ فبراير ١٩٥٥ وحتى ١٣ سبتمبر ١٩٥٥ أي لمدة تسعة أشهر كاملة وقد خلفه أيضا الرئيس محمد سعيد الغزي مع بداية عهد الرئيس شكري القوتلي الثاني في رئاسة الجمهورية.

موقفه من اغتيال عدنان المالكي

وكان أهم الأحداث العاصفة في عهد هذه الوزارة اغتيال العقيد عدنان المالكي معاون رئيس الأركان العامة وانتهت المحكمة الرسمية التي شكّلها الرئيس صبري العسلي برئاسة عبد الحميد السراج إلى اتهام القوميين السوريين بتنفيذ الاغتيال بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية ، وهكذا قيل انه استرضى قادة الجيش ونال ثقتهم مما ساعده على أن يشكّل وزارة ثالثة في عهد الرئيس شكري القوتلي.

و قد كانت وزارته الثالثة والأخيرة في عهد الرئيس شكري القوتلي في ١٤ يونيو ١٩٥٦ (خلفا لمحمد سعيد الغزي) واستمرت حتى يناير ١٩٥٨ ، حيث خلفه الرئيس جمال عبد النصر في رئاسة الوزارة كما خلف الرئيس شكري القوتلي في رئاسة الجمهورية.

أصبح بمثابة الناصري الأول

وفي عهد تلك الوزارة وقع العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ فازدادت ميول الرئيس صبري العسلي الناصرية ظهورا، وأصبح الرئيس صبري العسلي بمثابة الناصري الأول وكان الرئيس صبري العسلي نفسه قد أبدى ملامح حب للناصرية بطريقة واضحة، وأصبحت الفرصة مهيأة لكل ضابط ناصري أن يتقدم للأمام بفضل تشجيع وثقة الرئيس صبري العسلي بل إنه فيما يقال عين صلاح البيطار وزيرا للخارجية في يناير ١٩٥٨ كي يتم الوحدة مع مصر وهو ما حدث في الشهر التالي مباشرة، وقد وصل تحمس السوريين للوحدة إلى أن رئيس الجمهورية (القوتلي) ورئيس الوزراء (الرئيس صبري العسلي) سافرا إلى القاهرة ووقعا وثيقة الوحدة فيها (١ فبراير ١٩٥٨) ، وبمقتضى الوحدة أصبح الرئيس صبري العسلي ، كما ذكرنا ، نائبا لرئيس الجمهورية مع اكرم الحوراني بينما خلفه الرئيس عبد الناصر نفسه في رئاسة الوزراء.

اتهامات في العهد الناصري

بدأت الأزمات تُحيط بالرئيس صبري العسلي في ١٩٥٩ حيث نشر أعداؤه وثائق تتهمه بتلقي تمويل مالي غير قانوني من الوزارة العراقية في عام ١٩٥١ وكانت العراق في ذلك الوقت بمثابة "العدو" وكان النظام الناصري كالعهد به يرحب بمثل هذه الوثائق و التخرصات وبخاصة إذا مست من كان يريد أن يتخلص منهم .

انقلابه على عبد الناصر في ١٩٦٠

في ١٩٦٠ انضم الرئيس صبري العسلي علانية لمعارضة الرئيس جمال عبد الناصر ليتحوّل بوضوح شديد من أكبر مؤيديه إلى واحد من أكبر معارضيه وبهذا أصبح نائبا رئيس الجمهورية السوريين (العسلي و الحوراني) معارضين علنا للرئيس عبد الناصر من دون أدنى انتباه جاد من المصريين .

تأييده للانفصال

وفي ١٩٦١ أيّد الرئيس صبري العسلي انقلاب الانفصال ، بل إنه قام بالتوقيع على إعلان الانفصال لكنه ظل بعيدا عن مواقع المسؤولية والحكم، ومع أنه خاض انتخابات ١٩٦٢ وفاز فيها كما أسلفنا فإنه لم يتول أي منصب وزاري . فلما نجح انقلاب البعث في مارس ١٩٦٣ قررت الوزارة الجديدة مصادرة ممتلكاته وحرمانه من حقوقه المدنية وعلّلت هذا بتعاونه مع النظام الانفصالي ، وذلك على الرغم مما اتضح بعد هذا من أن انقلاب ١٩٦٣ نفسه كان انفصاليا تماما .

يمثل النموذج البارز لتحوّلات لأغلبية السورية

يمكن القول بأن الرئيس صبري العسلي هو النموذج المبكر لتحوّلات لأغلبية السورية في جيله فقد قاد خطواته السياسية إلى جوار الرئيس شكري القوتلي (منذ ١٩٣٦ في الكتلة الوطنية ثم بعد تحول الكتلة إلى الحزب الوطني) وأصبح وزيرا في وزارات عهد رئاسة القوتلي الأول ثم أصبح رئيسا للوزراء ثلاث مرات في ربيع الديموقراطية، مرتين في عهد الرئيس هاشم الأتاسي والثالثة والأخيرة في عهد القوتلي حتى قامت الوحدة. ثم إنه رحب بالوحدة ثم رحب بالانفصال ثم عاقبه الانفصاليون على ذنب اقترف معاقبوه ما هو اكبر منه ، ثم اعتزل .

الاعتزال الطويل والوفاة

اعتزل الرئيس صبري العسلي الحياة العامة وعاش بعيدا عن الضوء وشهد هزيمة ١٩٦٧ بل شهد نصر ١٩٧٣ أيضا ، كما شهد الانقلابات السورية المتعاقبة بعد ١٩٦٣ ، لكنه اكتفى في كل هذه التطورات بالمراقبة البعيدة من دون الاندماج فلم يكن له تلاميذ فاعلون ولا مريدون متورطون وعلى حين توفي زعيمه الرئيس شكري القوتلي في ١٩٦٧ عن ٧٦ عاما فقد توفي هو في ١٩٧٦ عن ٧٣ عاما ولم يحظ بالطبع بجزارة رسمية ولا شعبية ، وذلك على الرغم من أنه كان نائبا لرئيس الجمهورية في القاهرة كما كان رئيس الوزراء لمرات عديدة .

الفصل ٢٧ : صلاح الدين البيطار مفكر دخل دولاب السلطة فأفقدته بريقه

رفض العمل مع نظام الأسد فاغتالته المخابرات

إذا أردنا نموذجاً للمثقف العربي الفذ الذي يوصف بأنه تولى السلطة فلم تفده ، و وصم بها على الرغم من أنه لم يذق طعمها إلا قليلاً فإنه هو صلاح الدين البيطار (١٩١٢ - ١٩٨٠) الذي كان باختصار شديد شريكاً لميشيل عفلق (١٩١٠ - ١٩٨٩) في تأسيس حزب البعث ثم شريكاً له في الائتلاف مع الحزب الاشتراكي بقيادة أكرم الحوراني ١٩١١ - ١٩٩٦ لتأسيس ما سمي بحزب البعث العربي الاشتراكي ثم كان وزيراً للخارجية السورية قبل الوحدة مع مصر ثم رئيساً للوزراء أربع مرات بعد الانفصال عن مصر ، بل إنه من حيث الاسم هو أبرز و ألمع رئيس وزراء سوري منذ قامت ثورة ١٩٥٢ في مصر.

ومع هذا كله فقد رفض هذا الرجل العمل مع نظام الرئيس حافظ الأسد، ونفى نفسه إلى باريس حيث يُقال إن المخابرات السورية نفسها هي التي اغتالته بمسدس كاتم للصوت في باريس بينما كان رفيق حياته ميشيل عفلق مقيماً مع القيادة القومية للبعث في بغداد، وقيل يوماً إن أحد الأسباب التي قد تبرر اغتياله ربما كان هو الحيلولة بينه وبين الانضمام إلى ميشيل عفلق في العراق فيكون المؤسسان للبعث مقيمين في العراق مما يُضعف من قيمة البعث السوري الذي أصبح بمثابة "أحد الممتلكات والمرتكزات" لرئيس الجمهورية السورية القومي الرئيس حافظ الأسد (١٩٣٠ - ٢٠٠٠).

مقارنته بميشيل عفلق

قبل أن نستعرض تاريخ حياة صلاح الدين البيطار نذكر أنه كان يصغر ميشيل عفلق بعامين، و يصغر أكرم الحوراني بعام والشيشكلي بثلاثة أعوام فقد توالوا على المولد : الشيشكلي ١٩٠٩ و عفلق ١٩١٠ والحوراني ١٩١١ والبيطار و بشير العظمة ١٩١٢ .
من المفيد أن نذكر أيضاً أن ميشيل عفلق عاش بعده ٩ سنوات وهكذا عاش صلاح الدين البيطار ٦٨ عاماً، و عاش ميشيل عفلق ٧٩ عاماً أما أكرم الحوراني الذي كان عام مولده فيما بين عاميهما فقد عاش ٨٤ عاماً ، وعلى حين تولى أكرم الحوراني منصب نائب رئيس الجمهورية مع الرئيس عبد الناصر و تولى صلاح الدين البيطار مناصب وزارية ورئاسة الوزراء فإن ميشيل عفلق كان مقلداً في المناصب وإن كان قد تولى وزارة التعليم قبل الوحدة ، لكنه مقارنة بالبيطار عاش مكتفياً بالزعامة التاريخية في المقام الأول، ولا شك في أنه تمتع بالزعامة الفكرية منذ بدأ الفكر البعثي وحتى الآن، مهما كانت الانتقادات التي توجه إليه، أو اللعنات التي تصب عليه من كثيرين من أعدائه ونقاده على حد سواء.

ثنائية صلاح الدين البيطار وميشيل عفلق

على حين كانت ثقافة ميشيل عفلق الأولى مرتبطة بالأداب فإن ثقافة صلاح الدين البيطار الأولى كانت مرتبطة بالعلوم لكنهما تزودا معا بالثقافة الفرنسية فيما بعد الجامعة، وعن طريق باريس عرفا الاتجاهات الاشتراكية أو التقدمية، عن قرب ، وعن طريق استيعاب التجارب الأمامية التي كان تاريخها الحقيقي يُتناقل شفاهة على المقاهي في باريس عرف هذان الرجلان وأشباههما الطريق إلى العمل المنظم من أجل خلق كيان سياسي حزبي أو متحزب مكتمل لا يزال قائما حتى يومنا هذا ، حتى مع اضمحلاله ، ولا شك في أن الكيان الذي أوجدها مع أقرانهما يمثل النموذج البارز للنجاح الأيديولوجي في عصر الأيديولوجيات أو عصر الحرب الباردة من قبيل الاختصار الموحى ، ذلك أنه لولا عصر الحرب الباردة ما كان من الممكن في رأينا لحزب البعث أن يتأسس ولا ان يتكسر ، ولا أن يمتد ولا أن يشترد ، ولا أن يواصل ولا أن يناضل ، ولا أن يشارك ولا أن يبارك.

حقق انتصار البعث على الناصرية

أما من شرفة التاريخ العربي المعاصر وباختصار تاريخي يبدو أيضا وكأنه مغل بالحقيقة (ولكنه متصل بالتجربة ومن ثم فإنه قد يمثل الحقيقة الناقصة) فإننا نقول بأن حركة البعث التي باتت تعرف على أنها تغذت على أفكار ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار لم تحقق طيلة حياتها إلا فوزاً حقيقياً واحداً فقط هو فوزها على التجربة الناصرية، وهذا لا ينفي بالطبع أنها حققت نجاحات متعددة على فترات متباعدة في بيئات متعددة لكن هذه النجاحات كانت بمثابة أهداف تقابلها أهداف مضادة من خصومها بما لم يحسم لها فوزاً كاملاً ، أما فوزها الحقيقي والوحيد فقد كان على الناصرية، وهو فوز لا يُستهان به على الاطلاق ذلك أن وجود الرئيس جمال عبد الناصر كان شيئاً كبيراً وكبيراً جداً حتى وإن كانت الناصرية هشة ، بل هشة جداً.

نشأته

جمع صلاح الدين البيطار في نشأته المجد من أطرافه، فقد نشأ في عائلة من عائلات الفقه والعلم والفضل، كان أجداده من العلماء وكان جده المباشر من الفقهاء المعدودين وكذلك كان والده وأعمامه الثلاثة، وقد تلقى تعليمه العام في دمشق فلما انتهى من الثانوية التحق مباشرة بجامعة باريس فدرس الفيزياء ، والتقى في ذلك الوقت بميشيل عفلق الذي كان يدرس التاريخ والفلسفة ، وبعد عودتهما عملاً معا في مدرسة التجهيز الكبرى .

الوزارة تنتبه لهما

وبدأ الرجلان نشاطهما لكن عيون الوزارة كانت يقظة، فقيدت نشاطهما، فاستقالا، واختارا لنشاطهما مقهى الطاحونة الحمراء بالقرب من المدرسة التي عملا فيها، ولم يمنعهما الإيحاء الباريسي الذي يحمله اسم ذلك المقهى من اتخاذه مقراً لنشاطهما، فقد كانا يتمتعان بالذكاء العملي الكفيل بخلق الحركة الموالية في الزمن السريع .

مجلة الطليعة ومقهى الطاحونة الحمراء

وفي هذا المقهى أسسا مجلتهما "الطليعة" التي أصبح اسمها موحيا بعد ذلك حتى إن سميتها المصرية عرفت على أنها المرجع الأكاديمي و العملي ليسار المصري بل ولتنظيم الطليعي المصري نفسه ، وربما أن التنظيم الطليعي المصري نفسه استمد اسمه من اسم مجلة البيطار كما حدث مع كثير من المنظمات الاشتراكية والشيوعية المصرية التي اعتمدت على هذا اللفظ واشتقاقاتها بديلاً عن مشتقات لفظة الريادة وما يرادفها.

حزب "الإحياء العربي"

لم يكن اسم حزب البعث هو أول الأسماء التي لجأ إليها ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار وإنما كان اسم "الإحياء العربي" هو الاسم الأول الذي اعتمده في ١٩٣٩ وهو اسم يحمل الظلال الموحية ببداية حركة جادة و فاعلة تكفل انبعاث أو تخليق حياة جديدة من حياة سابقة، وبالطبع فإن المناقشات الذكية كانت هي التي قادت الرجلين إلى اختيار كلمة "البعث" في ١٩٤٥ لتكون بديلاً أكثر دقة و جاذبية و خلوداً من كلمة "الإحياء" فضلاً عن سهولة النسب إليها، وسلاسة تضمينها في الاشتقاقات المختلفة.

أمينا عاما للبعث

في ١٩٤٦ تم انتخاب أول مكتب سياسي للبعث ، و انعقد أول مؤتمرات الحزب في ١٩٤٧ وانتخب صلاح الدين البيطار نفسه أمينا عاماً للحزب في ذلك العام، وفيما بعد عدة سنوات من النشاط الوائق اندمج البعث مع حزب أكرم الحوراني في ١٩٥٣ .

معارضته لشكري القوتلي

كان صلاح الدين البيطار قد بدأ في ١٩٤٨ مواقفه القوية والذكية حيث عارض مساعي شكري القوتلي لمد رئاسته، وهكذا تقرر سجن البيطار في خارج دمشق ، فلما انبعث شقاء اول انقلاب عسكري بقيادة حسني الزعيم في مارس ١٩٤٩ وهو كما نقول انقلاب امريكي صرف كان من الطبيعي أن يكون البيطار من المعتقلين .

وكان من الطبيعي أيضاً أن يفرج عنه الانقلاب الثاني بقيادة سامي الحناوي، وكان من الطبيعي أيضاً أن يقرر الانقلاب الثالث بقيادة أديب الشيشكلي اعتقاله لكنه استطاع الهرب إلى بيروت ، واستطاع أيضاً أن يشارك في إطاحة الشيشكلي فيما عرف بربيع الديمقراطية في ١٩٥٤، ومن ثم اختيار وزيراً للخارجية في وزارتي صبري العسلي الثالثة والرابعة .

توقيعه على وثيقة الانفصال

فلما جاء عهد الوحدة مع مصر أصبح صلاح الدين البيطار وزيراً للثقافة والإرشاد القومي في أكتوبر ١٩٥٨ وهو المنصب الذي تولى مسؤوليته التنفيذية في مصر ثروت عكاشة لكن صلاح الدين البيطار لم يصبر على التعاون مع الرئيس عبد الناصر وسرعان ما استقال في ديسمبر ١٩٥٩ قبل أن يمضي عامان على الوحدة.

أيد الانفصال ثم استنكره

فلما حدث الانفصال وقع صلاح الدين البيطار على وثيقة الانفصال فلما استنكر الإخوان المسلمون الانفصال ، وجد البيطار أن الأولى بتوجهه العربي أن يستنكر هو أيضا الانفصال.

رئاسته للوزارة

لما وصل حزب البعث إلى السلطة بانقلاب ٨ مارس ١٩٦٣ تقدمت مكانه صلاح الدين البيطار في السلطة وأصبح بمثابة رئيس الوزراء وشكل أربع وزارات وشارك في الحكم في عهدي لؤي الأتاسي وأمين الحافظ لكنه تعرض للاعتقال عند نجاح انقلاب صلاح جديد في ٢٣ فبراير ١٩٦٦ واستطاع الفرار إلى لبنان على نحو ما كان قد فعل في أيام الشيشكلي ، ومع هذا فقد صدر حكم غيابي بإعدامه !! في ١٩٦٩ .

لقاؤه الأخير بالرئيس الأسد

في يناير ١٩٧٨ وبعد ان بدا أن الطريق بين الرئيسين السادات والأسد أصبح مختلفا للابد رأى الرئيس السوري حافظ الأسد أن يستعين بصلاح البيطار بعد أن استقر ميشيل عفلق في العراق وتولى الرئيس الأسد بنفسه محاولة إقناع البيطار دون جدوى.

اغتياله

عاد صلاح البيطار إلى باريس وبقي بها حتى تم اغتياله في ٢١ يوليو ١٩٨٠ في العاصمة باريس ، ونقل جثمانه ليُدفن في بغداد، ومن الجدير بالذكر أن ميشيل عفلق مات أيضا في باريس ولكن في المستشفى ودفن أيضا في بغداد .

مكانته القلقة في ادبيات الناصرية

بقي من صلاح البيطار كثير من النجاح الفكري والسياسي، كما بقي ذكره في الأدبيات الناصرية محملا بالهجوم الدائم والدائب وربما غير المبرر في بعض الأحيان، وكان وجوده عضوا بارزا في وزارة الوحدة بمثابة تحد كبيرا أمام نظرائه المصريين جميعا ، وأمام من كانوا يقارنون به بحكم مسؤوليتهم من قبيل الدكتور محمود فوزي (الخارجية) بتحفظه وصمته ، أو ثروت عكاشة (الثقافة والإرشاد القومي) بقلة محصوله الفكري النظري، لكن البيطار بكل تأكيد لم يكن و قتها مزعجاً للمصريين من حيث لم يكن يملك دبابه ولا بندقيه.

الفصل ٢٨ : صلاح جديد الحلقة الوسطى بين الرئيسين عبد الناصر و حافظ الأسد

صلاح جديد هو ابرز مثل للإنسان العربي الذي ظن أن السلاح يطيع السياسة فلقب أسود المصائر . وقد عرف الزعيم العربي البارز صلاح جديد ١٩٢٩ - ١٩٩٣ على أنه رجل سوريا القوي فيما بين عصري الناصرية والناصرية أي ما بين عصر الرئيس عبد الناصر وعصر الرئيس حافظ الأسد ، وليس في هذا مبالغة ، بل إنه كان يفوق هذين الرئيسين في سطوته وقوته و إن كان قدره أن يسجن ٢٣ عاما حتى يموت وهو في السجن بينما الرئيس حافظ الأسد يستمتع بلذة السلطة ونشوة التسلط .

الاسم الغائب عن اللوحة

صلاح جديد هو الاسم الغائب الآن عن أدبياتنا المعاصرة التي تعتمد على الكشف الرسمية واللوحات التذكارية، بينما كان هو الرائد لحافظ الأسد ومن جاء بعد حافظ الأسد ممن تفوقوا على الرئيس جمال عبد الناصر و ممن تفوقوا على من احتذوا خطى الرئيس جمال عبد الناصر و ماتوا قبل أن يبرز نجم حافظ الأسد ويلمع . صلاح جديد هو الذي مهّد الطريق للرئيس حافظ الأسد ومهما قيل من غدر حافظ الأسد به ، فإنه هو الذي أتاح الفرصة للأسد ليظهر بجواره أولا ثم ليظهر معه ثانيا ثم ليظهر عليه ثالثا حين غدر به .

ورط الرئيس عبد الناصر فيما سماه الحلف التقدمي

كان صلاح جديد هو الذي أغرى الرئيس جمال عبد الناصر بأن يُكوّن حلفا معه ضد السعودية ولأول مرة في عهد الأسرة السعودية يحدث الحلف على هذا النحو ، فقد كانت السعودية مع مصر على الدوام كما كانت مصر مع السعودية على الدوام فيما يتعلّق بوجود نفوذهما في سوريا لمواجهة الوهم الذي سمّوه الحلف الهاشمي، ثم كانت السعودية تقف مع سوريا بعد الانفصال عن الرئيس جمال عبد الناصر ولكن بغير أن يكون الامر أمر تحالف أو أمر محورين متواجهين وكان مثل هذا الوقوف مزعجا للرئيس عبد الناصر ووجوده في اليمن ، لكن صلاح جديد بدهائه هو الذي استطاع ان يدفع الرئيس جمال عبد الناصر ليكون على رأس حلف مصري سوري ضد السعودية .. وكان سوريا انضمت لمصر في حربها مع النظام السعودي .

حاجة الرئيس عبد الناصر إليه

ومن الحق أن الرئيس جمال عبد الناصر كان بحاجة إلى هذا الحلف (أكثر من حاجة صلاح جديد) وذلك ليُغطي وجوده في اليمن الذي صور فيه على أنه يُحرق أرضا عربية، فإذا به الآن وعلى يد صلاح جديد يُقدّم الأمر في صورة حلف تقدّمي في مواجهة حلف رجعي.

الاختلاف الدامي

وسرعان ما اختلف الرجلان ، ولهذا فإن حُطِبَ الرئيس جمال عبد الناصر تحفل بالتسجيلات التي ينتقد فيها صلاح جديد بالاسم وقد وكانت احدى العبارات التي ردّدها الرئيس جمال عبد الناصر في بعض خطبه المُعادية لصلاح جديد تمثل ذروة من ذرى البلاغة المُستعملة في غير موضعها حين تظاهر الرئيس جمال عبد الناصر بأنه يصف الوضع في سوريا على يد صلاح جديد فإذا به يقول إن سوريا أصبحت مُقسّمة الآن هذا بعثي، وهذا سوري! ومعنى العبارة أن السوريين كلهم أصبحوا درجة ثانية بينما البعثي وحده هو الدرجة الأولى.

و ربما أنه هو من ورط عبد الناصر في هزيمة ١٩٦٧

وأخيرا وليس آخرا فإن كل الذين يقولون (القول نصف المريب ونصف الصائب) إن قيادة سوريا ورّطت الرئيس جمال عبد الناصر في هزيمة ١٩٦٧ لا يذكرون (وفي الغالب لا يعرفون) أن صاحب هذه القيادة التي فعلت هذا بالرئيس جمال عبد الناصر هو صلاح جديد نفسه.

رفضه قبول الدعم العربي في مؤتمر الخرطوم

ومع هذا فإنه لما انعقد مؤتمر الخرطوم وقرّر العرب دعم المعركة وتعويض مصر والأردن وسوريا فإن سوريا رفضت أن تقبل الدعم.. وهكذا أضافت قيادة صلاح جديد حرجا جديدا إلى الحرج الذي وضعت فيه الرئيس جمال عبد الناصر (ومصر والأردن بالتبعية) دون أن يكون في حكمنا هذا أيّ تجن على صلاح جديد ولا على عبد الناصر.

أبرز من نجح في تعبئة العقول الشبابية

من الحق أن نقول إن تعبئة عقول الشباب السوري في منتصف الستينيات بالأفكار البلشفية والماركسية إنجاز سجّل باسم صلاح جديد ، وعلى حين تكفّلت عيوب سياسات التنقيف المصري الحافلة بالتقصير بالتقليل من آثار الهسهسة التي تتكفل بها جُرعات الماركسية فإن جدية السوريين وعناية أهل الشام بالعلم والنصوص جعلت التسمم في سوريا اعلى بكثير مما كان في مصر بل أعلى مما كانت القيادة السوفييتية تطلبه من السوريين أو المصريين ، و مما كانت العلاقات السوفييتية تتطلبه.

تفوقه في العسكرية والسياسة

كان صلاح جديد بلا شك أبرز العسكريين العرب الذين وصلوا إلى أعلى درجات العسكرية ، ثم مارسوا السياسة ممارسة مكثفة لا تقتصر على القيادة أو الوجود في موقع القيادة وإنما تتعدى هذا الأفق إلى الممارسة الواسعة للسياسة بأيدولوجيتها و ديناميتها ، و هو أبرز العسكريين العرب الذين عكسوا بتصرفاتهم ما كانوا اكتسبوه من معرفة أيديولوجية أو مكانة حزبية.

أرهب عبد الناصر حتى أماته و انتهى نفوذه هو بعده مباشرة

كان صلاح جديد هو الزعيم العربي البارز الذي أرهب الرئيس جمال عبد الناصر حتى قتله ثم لم يستمتع بالحياة بعده ، و ليس في هذا الذي نقله أية مبالغة ، ففي ذلك العصر بدا صلاح جديد

وكانه يُحرّك الرئيس جمال عبد الناصر (بدون رضاه بالطبع) يمينا ويسارا وسلبا وإيجابا على طريقة رد الفعل ففي عهده عاد السفير السوري إلى مصر بعد أن كانت سوريا كلها جزءا من دولة الوحدة وجاءت عودة السفير لتكون بمثابة تحسّن في العلاقات بعد أن كانت العلاقات مقطوعة.

تعيين سامي الدروبي سفيرا لسوريا في مصر

لكن دهاء صلاح جديد جعله يختار مُفكّرا وأديبا ليكون سفيرا لسوريا في القاهرة، فاختار الأديب الذي ترجم الأدب الروسي، اختار سامي الدروبي ١٩٢١- ١٩٤٦ بنفسه وشحمه ولحمه ليقف أمام الرئيس جمال عبد الناصر يُقدّم أوراق الاعتماد ثم يبكي من صعوبة اللحظة على أي إنسان وليهز مشاعر الرئيس جمال عبد الناصر مهما تجلد.

أول من أساء معاملة الفلسطينيين

كان صلاح جديد هو أول من أساء معاملة الفلسطينيين إلى درجة الاضطهاد، كان الرئيس جمال عبد الناصر يُقيدهم ، ويُلأوعهم ، و يضيع وقتهم ، لكن صلاح جديد زاد على ذلك فابتدع الاضطهاد ، كذلك فإنه اقتدى بعبد الناصر في معاملته للثوار اليمنيين ، وقد لجأ إلى اعتقال قادة الفدائيين الفلسطينيين وهو الذي اعتقل الحكيم جورج حبش مُبكّرا وهو الذي بدأ سياسة التفريق السياسي بين الفصائل الفلسطينية بدلا من أن يسعى على تآلفها وتوحيدها.

الجدل المعرفي

لم يكن صلاح جديد عسكريا منغلقا وإنما كان صاحب قدرة متميزة على جدل معرفي ، وقد قتله الغرور والعياذ بالله ، فأورده جدله المعرفي مورد التهلكة حين ظن أنه يستمد مشروعيته من الحزب ومن مداولات الحزب ومن قرارات الحزب وترك الدبابة لحافظ الأسد فالتهمه الرئيس حافظ الأسد وسجنه ٢٣ عاما مُتصلة في سجن المزة لم تنته إلا بوفاته وهو في السجن في ١٩ أغسطس ١٩٩٣ في مأساة من المآسي التي لا تحدث إلا على يد العسكر العرب المُشتغلين بالسياسة.

النفوذ

و مع أننا لا نجد اسم صلاح جديد في قائمة رؤساء سوريا ولا في قائمة رؤساء وزراء سوريا ولا في قائمة وزراء دفاعها لكنه كان الكل في الكل في الفترة ما بين ١٩٦٦ و ١٩٧٠ فقد كان هو رئيس الجمهورية الفعلي ورئيس الوزراء الفعلي والأمين العام الفعلي للحزب الحاكم ، وهو الذي كان صاحب أهم اسم عربي وأكثر نفوذ عربي يوم وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ولكن من دون أن يظهر اسمه في الصورة البروتوكولية .

نشأته

ولد صلاح جديد في ١٧ يناير ١٩٢٩ في قرية الحديدية التابعة لمنطقة تل الكلخ، محافظة حمص، و كان والده محمد عزت جديد مدير ناحية ، وعاش طفولته متنقلا مع أسرته بين النواحي التي عمل بها والده، وبين قريته الأصلية دوير بعبدة التابعة لمنطقة جبلة محافظة اللاذقية.

في أواخر دراسته الثانوية انتمى إلى حزب البعث العربي الاشتراكي فنجأ بهذا الانتماء على حد روايته من الانتماء إلى حزب أنطون سعادة الذي هو الحزب السوري القومي الاجتماعي ، وبعد حصوله على الشهادة الثانوية انتسب إلى كلية الطب في جامعة دمشق ، ولكنه تركها ليلتحق بالكلية العسكرية في حمص ١٩٤٩ ، وتخرّج ١٩٥١ برتبة ملازم اختصاص مدفعية ميدان، و انضم إلى الكتلة البعثية التي كانت موجودة في الجيش آنذاك بقيادة مصطفى حمدون، وعبد الغني قنوت وغيرهما . . . ، وقد أمضى خدمته العسكرية منتقلا بين معسكرات قطنا والقטיפفة والقنيطرة.

مشاركته في انقلاب الضباط الاتاسيين

وقد اشترك صلاح جديد في الانقلاب الخامس الذي هو ضد أديب الشيشكلي عام ١٩٥٤ ، كما اشترك في عصيان قطنا عام ١٩٥٧ دعما للضباط الوطنيين التقدميين في قيادة الجيش . وفيما بعد قيام الوحدة مع مصر نقل صلاح جديد إلى مصر، وفي أثناء عهدها عمل في تشكيلات الجيش في مصر . وهكذا خدم صلاح جديد في الجيش الثاني و كان هذا هو اسم الجيش في الإقليم الجنوبي (مصر) وكان برتبة رائد وعُيّن قائداً لكتيبة مدفعية ميدان تابعة للفرقة الثانية مشاة المتمركزة على القناة في فايد ما بين مدينتي الإسماعيلية والسويس ، ثم تولى قيادة مدفعية اللواء الرابع، وبعد ذلك نُقل إلى مدرسة المدفعية لتدريب ضباط قادة اختصاص مدفعية ميدان .

اللجنة العسكرية

وفي أثناء وجوده في مصر شارك صلاح جديد في تشكيل اللجنة العسكريّة، التي ضمّت كلاً من : العقيد بشير صادق رئيساً ، وعضويةً مزيد هنيدي ، وممدوح شاغوري ، وعبد الغني عيَّاش ، ومحمد عمران . . . وبعد فترة قصيرة نُقلَ أربعة منهم إلى السلك الدبلوماسي (في سياق تصفية الضباط البعثيين من الرتب العليا في الجيش) وبقي محمد عمران وحيداً ، ممّا دفعه لإيجاد اللجنة الثانية البديلة من النسق الثاني من الضباط البعثيين ، وتشكّلت بناءً على أسس الأقدمية والتواجد في القاهرة ، والاختصاص العسكري : المقدم محمد عمران رئيساً ، وعضوية كل من صلاح جديد ، عثمان كنعان ، عبد الكريم الجندي ، أحمد المير ، منير الجيرودي ، حافظ الأسد (مدرعات ، مدفعية ، مشاة ، طيران). فلما قام انقلاب العقيد عبد الكريم النحلاوي الأول وحدث الانفصال في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ كان صلاح جديد موجوداً في مصر فلم يُسجَن لكنه احتجز في مصر لفترة قصيرة بعد الانقلاب ثم سُمح له بمغادرة مصر حيث عاد إلى قواعده في سوريا.

عودته للجيش السوري بعد الانفصال

عاد صلاح جديد إلى سورية، وبقرار من مجلس قيادة الثورة سُكن في رتبة مقدم أسوة بأبناء دفعته حينها، كما عُيّن نائباً لمدير إدارة شؤون الضباط التي كان مديرها اللواء غسان حدّاد وتمكّن من المشاركة في انقلاب مارس ١٩٦٣ ، ثم قاد انقلاب ١٩٦٦ اشترك صلاح جديد في انقلاب مارس ١٩٦٣ الذي أوصل البعثيين للحكم في سوريا منذ ذلك الحين وحتى الآن لكنه كان في ١٩٦٣ شريكاً للقوميين والمستقلين وبقايا الليبرالية السورية المتمثلة

في أحزاب ديموقراطية ضعيفة لكنه بعد ثلاث سنوات ١٩٦٦ تخلى عن هؤلاء جميعا وقاد انفراد البعث بالحكم وهو لا يدري أن الأقدار رتبته ليُمهد لحافظ الأسد وبشار الأسد الذين حكما قرابة خمسين عاما مُتصلة بعد أن تمّ التخلّص من صلاح جديد نفسه على أسوأ نمط يُمكن أن يتمّ به التخلّص من رائد سلطوي من طبقته.

سهولة انقلاب ١٩٦٦

نكرر القول بأن صلاح جديد كان هو القائد الفعلي لانقلاب ١٩٦٦ الذي جعل حزب البعث ينفرد بالسلطة منذ ذلك الحين وقد قام بالانقلاب بسهولة لأنه كان رئيس أركان الجيش العربي السوري ما بين ١٩٦٣ و ١٩٦٦ في عهد الرئيس أمين الحافظ (١٩٢١ - ٢٠٠٩) . وقد فضل صلاح جديد بعد انقلابه أن تُسند الرئاسة إلى الدكتور الطيب نور الدين الأتاسي (١٩٢٩ - ١٩٩٢) و رئاسة الوزراء إلى طيبب آخر هو يوسف زعين و وزارة الخارجية إلى طيبب ثالث هو إبراهيم ماخوس ، بينما بقي هو (كالنظام السوفييتي) أمينا قطريا مساعدا لحزب البعث العربي الاشتراكي.

ونسي أن الدبابة هي التي مكنته من الوصول إلى القيادة

تصوّر صلاح جديد بحُكم ثقافته ومُمارساته الناجحة ما بين ١٩٦٣ و ١٩٧٠ أنه قادر على أن يُطوِّع الأمور كقائد ونسي أن الدبابة هي التي مكنته من الوصول إلى القيادة، وهكذا فإنه لم يجد حساب نتائج الصراع الذي دار بينه وبين وزير دفاعه حافظ الأسد في المؤتمر القطري الرابع لحزب البعث في سبتمبر ١٩٦٨ على الرغم من أنه وجد أن الاشتراكيين والقوميين العرب والبعث العراقي يُعارضونه، وعلى الرغم من آثار حملات الرئيس جمال عبد الناصر عليه.

أيلول الأسود

وهكذا فإنه في أثناء حرب أيلول السوداء بين الأردن والمنظمات الفلسطينية طلب صلاح جديد من حافظ الأسد أن يدعم القوات السورية المحاربة مع الفلسطينيين بالطيران لكن الأسد رفض، وأعلن صلاح جديد عن مؤتمر طارئ للقيادة القومية في ٣٠ أكتوبر لمُحاسبة حافظ الأسد، لكن حافظ الأسد فعل ما يستعير المؤرخون له قول العامة : تغدى به قبل أن يتعشى به ، فحرّك الدبابات، وأتمّ ما سُمي بالحركة التصحيحية واعتقل صلاح جديد وكافة القيادات ووضعهم جميعا في السجن وحكم سوريا ثلاثين عاما كاملة بالحديد والنار.

نهايته المروعة والفظيعة

سجن صلاح جديد في سجن المزة في عام ١٩٧٠، واستمر هذا الزعيم الخطير و رجل الدولة والحزب في محبسه ثلاثا وعشرين سنة، من دون أن يتذكره العرب أو البعثيون أو السوفييت بمقايضة أو مساومة مع الرئيس الأسد ، حتى توفي في السجن في ١٩٩٣ .

الفصل ٢٩ عبد الرحمن الشهبندر الطبيب المفكر الذي سميت باسمه ثورة

كان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ١٨٧٩-١٩٤٠، على الرغم من اختلاف الآراء فيه، رجلاً وطنياً من طراز خاص، كان مفكراً مدبراً متديراً قادراً على العمل والحركة، منجزاً، منفتحاً على الجميع قابلاً للتطور والتفاوض والإنجاز والبناء على ما سبق. وقد ظل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر مُختلفاً ومتميزاً بتفوق عن غيره من الزعماء المعاصرين له. ولا شك في أن سوريا فقدت برحيله جزءاً من روحها الصاعدة نحو السمو العقلي، وكانت وفاته درساً أتاح الانتباه إلى ضرورة تخليص الوطنية من النباتات الكفيلة بخنق الحركة المتقدمة على نحو ما حدث بفقدان حياة هذا المفكر على يد أبناء قومه.

نشأته وأسرته

ولد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في دمشق في ٦ أكتوبر عام ١٨٧٩ لم يكن يكبره من زعماء الحركات الوطنية السورية الذين وصلوا الجهاد بعده إلا هاشم الأتاسي (المولود ١٨٧٥) وفارس الخوري (المولود ١٨٧٣) ومع هذا فقد كانت مكانته الفكرية أرفع من كل التالين له على الرغم من أنه لم يُتَوَّج حياته السياسية بوظائف الرئاسة. كان والده السيد صالح الشهبندر وطنياً شهماً معطاءً، توفي حين كان ابنه عبد الرحمن في السادسة من عمره، وبعد أن تلقى عبد الرحمن تعليمه العام في دمشق انتقل لدراسة الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج وهو في السابعة والعشرين من عمره ١٩٠٦.

تلمذته للشيخ طاهر الجزائري

بدأت حياة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر السياسية في رحاب الدين قبل أن ينضمّ للجامعة إذ أنه انضم إلى حلقة وندوة ومريدي المفكر الإسلامي المعروف الشيخ طاهر الجزائري ١٨٥٢-١٩٢٠، وكان من معارضي السلطان عبد الحميد، وقد عبّر الدكتور عبد الرحمن الشهبندر عن بعض أفكاره في مقال له نُشر في المقطم في مصر، فكَاد يُسجن لولا أن شفع له صغرُ سنه.

طبيباً للجامعة الأمريكية

ولما أتمّ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر دراسة الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت رأت الجامعة بذكائها أن تحتفظ به فيما يُشبهه وظائف المعيدين، فاخترته للتدريس وليكون طبيباً للطلبة، لكنه آثر العودة إلى دمشق في ١٩٠٨ وفيها عاود الاتصال ببعض معارضي الحكم العثماني و عبد الحميد الزهراوي ١٨٥٥-١٩١٦، لكنه اضطر للهرب إلى العراق والهند ومصر وعُهد إليه في مصر برئاسة صحيفة الكوكب فلما اكتشف على حد قوله أن الصحيفة إنجليزية التوجه ترك منصبه.

اتفاقه المبكر مع البريطانيين

كان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بعد هذا واحدا من السوريين السبعة الذين عقدوا الاتفاق مع البريطانيين على التعاون مع بريطانيا في الحرب العالمية الأولى في مقابل أن تساعد بريطانيا سوريا في نيل استقلالها ، فيما يشبه اتفاق الشريف حسين، وهكذا يمكن القول بأن الدكتور عبد الرحمن الشهبندر كان ممن انخدعوا ، لكنه اكتشف الخديعة فتركت في نفسه المرارة الكافية بعدم الانخداع مرة أخرى، ومن زاوية أخرى فإنه يمكن لأعداء الشهبندر القول بأنه كان منذ البداية صاحب اتفاقات مع الغرب .

تعاونه مع المبعوثين الأمريكي كراين و كينج

بعد أن بشر الرئيس الأمريكي ويلسون بما أسماه مبادئ السلام ومؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ فإنه اختار اثنين من الأمريكيين لدراسة وضع إقليم سوريا الكبرى وهما هنري كينج رئيس كلية أوبرلين في أوهايو، وتشارلز كراين رجل الأعمال في شيكاغو، وجاء الرجلان إلى سوريا. وقد تجولا في مدن بلاد الشام الكبير، و مدن فلسطين ما بين ١٠ يونيو و ٢١ يوليو ١٩١٩. وكان الشهبندر، بحكم تعليمه الأمريكي والطبي، أكثر الشخصيات الوطنية السورية قربا من كراين، ورافقه في جولاته، وزوده بالمعلومات بما فيها تفاصيل تتعلق بالأمراض والأوبئة التي انتشرت في سوريا بسبب الفقر والأوضاع السياسية، وقد طالبه صراحة بتنفيذ الوعد الذي تم توقيعه مع البريطانيين والتزام الولايات المتحدة بحماية الشعوب المضطهدة في العالم.

تقرير اللجنة الأمريكية

وضعت اللجنة تقريرا أعلنت فيه ما وجدته من آراء الوطنيين على الطبيعة وسجلت أن الكثرة المطلقة من العرب تطالب بدولة مستقلة استقلالاً كاملاً، وترفض فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وأن على الولايات المتحدة ألا تتدخل في الشأن السوري! وأوجزت اللجنة توصياتها بوجوب تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين والعدول نهائياً عن الخطة التي ترمي إلى جعلها دولة يهودية، أو ضمها إلى دولة سوريا المتحدة ، ووضع الأماكن المقدسة في فلسطين تحت إدارة لجنة دولية دينية تشرف عليها الدولة المنتدبة وعصبة الأمم ويمثل اليهود فيها عضو واحد. وقد قوبل تقرير هذه اللجنة بمعارضة شديدة من فرنسا وبريطانيا والحركة الصهيونية، أما الرئيس ولسون الذي بدا وكأنه كان أشد المتحمسين فقد قابل التقرير بعدم اكتراث على نحو ما تكرر بعد ذلك في كثير من المساعي الأمريكية . ويعزو بعض المؤرخين (الذين يحسنون الظن بأمريكا) هذا التحول في الموقف الأميركي إلى الضغوط الصهيونية التي تعرض لها ولسون، ولذلك ظل تقرير اللجنة محجوبا أكثر من ثلاث سنوات حتى أذن الرئيس الأميركي ولسون بإذاعته في ديسمبر ١٩٢٢ .

دوره في عهد الملك فيصل الأول

في مايو ١٩٢٠ عهد الملك فيصل بن الحسين إلى هاشم الأتاسي برئاسة الوزراء، وتولى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وزارة الخارجية واختير فارس الخوري مساعدا له لكن عهد هذه

الوزارة انتهى بدخول الفرنسيين الغاشم وفرضهم الانتداب على سوريا وحين قرّر الملك فيصل قبول الإنذار الفرنسي اعترض كل وزير الحربية يوسف العظمة و وزير الخارجية الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، وقد قُدّر لأولهما أن ينال الشهادة فاستشهد العظمة في موقعة ميسلون، أما الدكتور عبد الرحمن الشهبندر فإنه قتل بعد ذلك بسنوات بعد أن جرّب الكفاح العسكري والسلمي.

القبض على الشهبندر

كان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر قد استشعر الخطر بعد موقعة ميسلون التي قادها يوسف العظمة فأثر الهرب إلى القاهرة، لكنه سرعان ما عاد وبدأ تنظيم أعمال المقاومة ضد الفرنسيين ، وحين أذيع تقرير كراين في العام ١٩٢٢، قرّر الفرنسيون محاسبة الشهبندر على دوره فيه، فألقوا القبض عليه، وحكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً، والنفي إلى بيت الدين "في لبنان"، ثم إلى جزيرة أرواد السورية في البحر المتوسط قرب طرطوس ، وبعد أقل من سنتين قضاها في السجن، صدر الأمر بإطلاق سراحه، فسافر في رحلة طويلة إلى أوروبا وأمريكا لشرح القضية السورية.

تأسيسه حزب الشعب وانضمامه لثورة ١٩٢٥

كانت أكبر خطوات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر تأسيسه حزب الشعب في يوليو ١٩٢٤، ومع هذا فقد واصل الدعوة للثورة والتفكير في العمل المسلح، وأيد إبراهيم هنانو في جهوده، كما أيد محمد بك العياش الذي كان زعيماً للمقاومة في دمشق والذي قاد الهجوم على الفرنسيين في دير الزور، وهو ما جعل الفرنسيين بقسوتهم المعروفة ينفون جميع أفراد أسرة عياش الحاج ويعدمون الشهيد محمود العياش واثنين عشر من زملائه رمياً بالرصاص في أبريل ١٩٢٥، ويحكمون على محمد بك العياش بالسجن ٢٠ عاماً في جزيرة أرواد ثم يغتالون عميد الأسرة عياش الحاج في أوائل ١٩٢٦. و كان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر كذلك على اتصال مع فوزي القاوقجي القائد العظيم الذي قاد المقاومة في حماة على الرغم من أنه كان ضابطاً في الجيش الفرنسي برتبة متقدّمة، وقد أعلن المقاومة في حماة وضواحيها في ٤ أكتوبر ١٩٢٥ فواجهه الفرنسيون بالقصف بالطائرات، لكنه تمكّن من تحقيق انتصارات كثيرة، حتى إن الثوار أسندوا إليه قيادة الثورة في منطقة الغوطة.

ثورة الشهبندر في ١٩٢٥

هكذا بدأ الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الكفاح العسكري في ثورة ١٩٢٥ التي عُرفت بثورة الشهبندر والتي واكبت ثورة السويداء. و انتهى الأمر بالسلطة الفرنسية أن حكمت على الشهبندر بالإعدام جزاء لبطولته وذكائه في تدويخ قوات هذه السلطة في الغوطة المحيطة بدمشق، والتي تمكّن من خلالها من إجهاد الجيش الفرنسي إلى أبعد حدود الإجهاد. وقد جاء في نص الحكم بالإعدام الذي أصدره القاضي الفرنسي بحق الدكتور عبد الرحمن الشهبندر:

"تبيّن من التحقيقات والمحاكمة أن الدكتور عبد الرحمن الشهبندر قد تأمر دوماً وثار على جميع الحكومات التي قامت في سوريا.. و.. أنه مهيجٌ للثورة، وروحها، وأنه في جميع القرى التي ينتشر فيها التراخي، والانقطاع عن العمل الثوري، كان الشهبندر دوماً هو الذي يسارع متعجلاً ليهيج الناس وليستمروا على الفتنة وعلى الحرب الأهلية.. كان في وسع ذكائه وطاقته وفعاليته أن يقدم خدمات حقيقية إلى وطنه، ولكنه، ثائر غير قابل للإصلاح.. حكم عليه المجلس بالإعدام غيابياً".

هجرته إلى القاهرة

وفي مواجهة هذا الحكم بالإعدام، اضطر الدكتور عبد الرحمن الشهبندر للانتقال إلى الأردن ثم العراق ثم إلى مصر حيث عاش في القاهرة عشر سنوات وعمل فيها طبيباً. وقد عرف الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في القاهرة على نطاق واسع، وكان ملهماً للحركة الوطنية بذكائه وموسوعيته، على نحو ما حضر فيها للمؤتمر السوري الفلسطيني، وقد روى الأستاذ غسان الأمام في مقال له في الشرق الأوسط (١٦ أغسطس ٢٠١١) أنه كان التقى الأستاذ فتحي رضوان في قبرص في ندوة الديموقراطية (١٩٨٣) فتذاكر الأستاذ فتحي رضوان مواقف الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وكان قد نسي اسمه، وقال لغسان الإمام إنه كان أخطب من سعد زغول! وربما لا يتصور الأستاذ غسان حجم عداوة الأستاذ فتحي رضوان للزعيم سعد زغول والوفد كله. وللحقيقة فقد ترك الدكتور عبد الرحمن الشهبندر أثراً كبيراً في مصر، فقد كان محبوباً محاوراً مستمعاً سابقاً بالأطروحات الكفيلة بالتنوير والتثوير معاً.

زعامة المعارضة لمعاهدة ١٩٣٦ وإلغاء حكم الإعدام

وجاء دور الكفاح السلمي الذي كان للمصادفة هو السبب في اغتياله، ذلك أنه بعد عقد معاهدة الاستقلال في ١٩٣٦ ألغى حكم الإعدام الصادر بحقه، فعاد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر إلى دمشق في إبريل ١٩٣٧ واستقبله أنصاره ومُحبّوه استقبالات جماهيرية غير مسبوقه، بيد أن الدكتور عبد الرحمن الشهبندر كما هو معروف اتجه إلى الهجوم على معاهدة ١٩٣٦ وأخذ يُعارض هذه المعاهدة علناً وبدأب شديد حتى قيل إن ظافر القاسمي وصف نشاط الدكتور الشهبندر في تلك الفترة فقال إنه أخذ يلقي في كل يوم خطاباً، أو خطاباً جديدة الموضوع، جديدة الألفاظ، ... يتحدث وكأنه يقرأ من كتاب، أما في خطبه ... يعبّ من بحر لا ساحل له، ألقى أربعين خطاباً في واحد وعشرين يوماً متتابعة، فلم يُحص عليه فيها كلها لحنة واحدة، ولم يجدوا فكرة واحدة معادة، ولا رأياً مكرراً، كان في ذلك آية الله في خلقه."

بقي الدكتور الشهبندر ثلاث سنوات في دمشق يقود المظاهرات ويهاجم المعاهدة ويحرّض على الفرنسيين وبالطبع فقد كان هجومه هذا في مواجهة الزعماء الوطنيين من أقطاب الكتلة، وهكذا أصبح الدكتور عبد الرحمن الشهبندر زعيماً للمعارضة، بينما كانت فرنسا لا تزال تمارس سيطرتها على سوريا.

اغتياله

استشهد هذا الزعيم العظيم في عيادته غدرا، في ٦ يوليو ١٩٤٠ في عمارة الشنواني في حي الشعلان في دمشق ، دخل إليه قاتلوه على أنهم مرافقون لمريض وبينما هو يُعنى بمريضه أطلق عليه النار واحد منهم وهو " أحمد عصاصة" فقتله برصاصة في الرأس . وقد اضطرت التغطية الإعلامية لاغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وسبق بعضها بحيث تتوجه سهام الشك في قادة الكتلة الوطنية الذين كان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر يُعارضهم، وفي ظل توتر الجو السياسي والحياة الحزبية أُلصقت التهمة بثلاثة من زعماء الكتلة هم سعد الله الجابري وجميل مردم ولطفي الحفار فاضطر هؤلاء ومعهم شكري القوتلي وغيره من الزعماء إلى الهروب خارج سوريا وبخاصة أن السلطات الفرنسية أصدرت مذكرة توقيف بحقهم في ١٥ أكتوبر ١٩٤٠ .

محاكمة القتلة

وعلى صعيد آخر، فقد وُجّهت سهام أخرى إلى المتدينين المحافظين الذين أزعجهم حديث الدكتور عبد الرحمن الشهبندر عن قيمة العقل والفكر في الإسلام، وهو ما وصل به في بعض المناقشات إلى جُمْل خطابية من قبيل الجُمْل التي يُمكن الاستناد عليها في تأسيس أي اتهام بالكفر بتأويل قائلها، ومن ثم باستحقاق القتل. ويبدو أن هذه الثغرة هي التي مكنت المحكمة الفرنسية في النهاية من توجيه الاتهام إلى من قُبض عليهم حيث أُعلن أن التحقيقات قادت إلى الفاعلين واعترفوا بما فعلوه، وقد حكم عليهم بالإعدام ونُفذ الإعدام شنقا في فبراير ١٩٤١، بعد أن عقدت جلسة المحاكمة في قاعة مجلس النواب لتمكين الجماهير من الحضور.

وهكذا تجد في أدبياتنا من يقدمون القصة بطريقة من يتأسفون على ضيق الأفق الذي قاد إلى قتل زعيم مؤمن عميق الإيمان، بينما تجد آخرين من الوطنيين وهم يُصوّرون الأمر على نحو آخر يجعل المستعمرين هم الفاعلين، وأنهم هم الذين ورّطوا القتلة في قتله خلاصا منه ومن روح الثورة والمقاومة التي كان يُعدّها، مع تجنب زعماء الكتلة الوطنية بعيدا عن القضية لتكون الصورة النهائية أن من يتفاوض ويتعاون مع فرنسا ينجو من الاتهام، وأن الاتهام يعلق بمن هو على استعداد لأن يوصف بالتطرف.. وهي آلية استعمارية معروفة. ولا يزال هذا الاختلاف موجودا رغم مُضي السنين، حتى إنك تجد نصوصا سورية حديثة تُشير بكل وضوح إلى الشكوك في تكليف فرنسا لأحد الضباط اللبنانيين من عائلة الجميل بالعمل على الخلاص من حياة الدكتور الشهبندر.

مذكراته

جمع الدكتور عبد الرحمن الشهبندر مقالاته في كتاب بعنوان "القضايا العربية الكبرى" كما كتب مذكراته التي نُشرت في كتاب "مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر"

جنازته ودفنه ثم نقل رفاته من جوار صلاح الدين

شيعت الجماهير السورية فقيدها وزعيمها ودفن إلى جوار قبر صلاح الدين الأيوبي وظل جثمانه كذلك إلى أن بخل عليه الرئيس حافظ الأسد بهذا المجد فنقل رفاته من جوار صلاح الدين.

الفصل ٣٠ : عدنان المالكي ضابط البعث الذي بمقتله تحطمت قوة خصوم البعث

في التاريخ أمثلة بارزة ونادرة لتحولات تاريخية حادة حدثت عندما ظن القاتل أنه تخلص من الخصم فإذا بالقتيل ينتصر والقاتل يتحطم. لعل قصة اغتيال عدنان المالكي هي أبرز نموذج عربي لهذا الدرس .

أبرز ضابط سوري بعثي

يُعدّ عدنان المالكي ١٩١٩-١٩٥٥ في نظر كثير من الأدبيات التاريخية أبرز ضابط سوري مؤيد لحزب البعث في عصره، ويرى كثير من هؤلاء انه واحد من أهم من وظّفوا الجيش لمصلحة حزب البعث، حتى لو لم يكن قد صنف في ذلك الوقت بعثيا، وذلك بحكم الالتزام العسكري المعلن بالابتعاد المفروض عن الحزبية، وهو الابتعاد الذي لم يمنع حالة التحالف التي يمكن لها أن تصف علاقة عدنان المالكي بحزب البعث.

من الطريف أن عدنان المالكي لمع في سن مبكرة جدا فهو من مواليد ١٩١٩ ومع هذا فإن لمعان اسمه كان قريبا من لمعان أسماء قادة الانقلابات السورية الثلاثة الذين كانوا يكبرونه بعقدين أو عقد من الزمان: حسني الزعيم وسامي الحناوي وأديب الشيشكلي الذين ولدوا في ١٨٩٧ و١٨٩٨ و١٩٠٩ على التوالي، أما هو فقد كان من جيل الضباط الأحرار في مصر، موازيا تماما للمشير عبد الحكيم عامر الذي ولد مثله في ١٩١٩ وتخرج مثله في ١٩٣٩.

سمعته الوطنية المبكرة

لكن عدنان المالكي [على غير ما هو معروف عن أنداده المصريين] كان لامعا وهو طالب في التعليم العام، حيث كان متفوّقا، ومعروفا بقدراته الذهنية والثقافية، وقد تخرّج في الكلية الحربية بحمص (١٩٣٩) وعُين مدرّبا في الكلية العسكرية، واحتك بالفرنسيين، الذين وضعوه تحت الرقابة، وكان من الذين قاموا بتسلم المهام العسكرية من الجيش الفرنسي للجيش السوري بعد الاستقلال.

حرب ١٩٤٨ و نجاحاته العسكرية

سارع عدنان المالكي للانضمام إلى القوات المحاربة في فلسطين ١٩٤٨ وأبلى فيها بلاء حسنا، ونجح في احتلال تل كان يشرف على مستعمرة يهودية، كما أسندت إليه قيادة الفوج الثامن الذي تولى فك الحصار عن قوات جيش الإنقاذ العربي في الجبهة اللبنانية، وهو الذي أسس مدرسة صف الضباط السورية، وخرّج أولى دوراتها، كما تولى إدارة دورات عديدة في الكلية العسكرية وكان على الدوام من أبرز ضباط الجيش السوري.

دوره في انقلابات سوريا

كان اسم عدنان المالكي مرشحا لمستقبل سياسي أو انقلابي في سوريا ، فقد كان هو نفسه قد شارك في انقلاب حسني الزعيم (٣٠ مارس ١٩٤٩) ولما رأى الزعيم حسني الزعيم ضرورة التخلص من وجود بعض ضباط الجيش المؤثرين في العاصمة دمشق، فإن أبرز خطواته في هذا السبيل كانت إبعاد عدنان المالكي إلى فرنسا في دورة تدريبية ، وتعيين أديب الشيشكلي ملحقا عسكريا في السعودية.

وينسب إلى عدنان المالكي أيضا أنه كان قائدا لانقلاب فاشل في عهد العقيد أديب الشيشكلي، مما أدى إلى اعتقاله وسجنه لأكثر من سبعة أشهر. لكنه عاد إلى الجيش في عهد الرئيس هاشم الأتاسي عند عودة ربيع الديموقراطية (١٩٥٤) وشغل منذ ذلك الحين وحتى اغتياله منصب معاون رئيس الأركان العامة.

قصة اغتياله

حدثت وفاة عدنان المالكي الدرامية في ٢٢ أبريل ١٩٥٥ حين كان يرعى مباراة في كرة القدم بين فريق الجيش السوري وخفر السواحل اللبناني، وكان هو في ذلك الوقت معاون رئيس الأركان العامة وهو منصب متقدم في الجيش السوري ، وبينما هو في المنصة الرئيسية إذا بجندي سوري من جنود الجيش اسمه يونس عبد الرحيم يُطلق عليه الرصاص ثم يصوب إحدى رصاصاته إلى رأس المالكي ثم يصوب رصاصة على رأسه هو نفسه وينتحر.

تكريم اسمه

حظي اسم عدنان المالكي بالتكريم في سوريا كما حظي بالتكريم في مصر في العهود التي كانت علاقة السلطة المصرية مع البعث السوري جيدة، وهكذا بقيت بعض الشوارع مسماة باسمه على عادة الشوارع حين تسمى، ثم يخفت ذكر من سُميت بأسمائهم، ومن الطريف أن عددا من نجوم الثقافة والصحافة المصريين كانوا يسكنون شارع عدنان المالكي في حي المهندسين .

اتهام الحزب السوري القومي الاجتماعي

نُسبت المسؤولية عن هذا الاغتيال إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي (حزب أنطون سعادة) فكان هذا الاغتيال وعواقبه سببا لكثير من الإجراءات التي ساعدت على تحطيم بنیان ذلك الحزب الذي كان يتمتع بعنفوان لا يقل عن عنفوان حزب البعث ، وقد تطوّرت القضية حتى أصبحت محلا للخلاف بين أنصار حزب البعث وأنصار الحزب السوري القومي الاجتماعي وكان الحزبان في ذلك الوقت في قمة قوتهما السياسية و لياقتهما الفاشية ، وقد تركت قضية قتله آثارها العميقة في الصراع السياسي السوري وفي مستقبل القيادات السياسية التقليدية المعاصرة للقضية .

محكمة برئاسة عبد الحميد السراج

وقد انتهت المحكمة الرسمية التي شكلها الرئيس صبري العسلي رئيس الوزراء برئاسة عبد الحميد السراج إلى اتهام القوميين السوريين بتنفيذ الاغتيال بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية وهكذا استرضى الرئيس صبري العسلي قادة الجيش ونال ثقتهم مما ساعده فيما يروى على أن يشكّل وزارة ثالثة في عهد الرئيس شكري القوتلي بعد عودة الديمقراطية .

مأزق التصديق على أحكام المحكمة

وكان الموقف من هذه القضية والتصديق على الأحكام الصادرة فيه أصعب ما واجه الرئيس شكري القوتلي في عهد رئاسته الأخيرة (١٩٥٥ - ١٩٥٨) فقد كان تصديقه على الأحكام يجلب له عداوة القوميين السوريين ، وإرجاء التصديق يجلب له عداوة البعثيين، لكن الرئيس شكري القوتلي استطاع نزع الفتيل الاستقطابي في قضية التصديق على الأحكام الصادرة بحق المتهمين باغتيال عدنان المالكي ، وهو استقطاب وصل إلى التهديد بالسافر بالانقلاب العسكري وباغتيال الرئيس شكري القوتلي نفسه. وكان الرئيس شكري القوتلي من الشجاعة بحيث صدّق على إعدام اثنين وبقاء الثالث في السجن.

ومن الإنصاف أيضا أن نقول إن الرئيس شكري القوتلي وقف في الوقت ذاته ضد مسمي بردة فعل البعث الديكتاتورية المبكرة على اغتيال عدنان المالكي على يد أعضاء من الحزب السوري القومي الاجتماعي .

وهكذا مارس الرئيس شكري القوتلي بذكاء سلطة الدولة في مواجهة قوتين قادرتين على الحشود الفاشية بكل خطورتها ، وهما البعث السوري والقومي الاجتماعي فضلا عن الجيش القابل للتحالف مع إحدى القوتين ضد الديمقراطية .

القوتلي يحل الحزب السوري القومي

كان الرئيس شكري القوتلي فيما بعد ذلك هو من استطاع أن يستصدر قرار حل الحزب السوري القومي الاجتماعي واعتقال قادته ، وهو من استطاع فصل الضباط الموالين لذلك الحزب في القوات المسلحة. ولا يمكن للمؤلف اليقظ أن يمرر مثل هذه المواقف من دون التفكير في ضوء أخضر غربي كان متاحا للرئيس القوتلي خوفا من تنامي قوة مثل هذا الحزب العقيدي القوي والفتيّ.

الفصل ٣١ : عطا الأيوبي نموذج الرئيس السوري الذي تبحث عنه دمشق

الرئيس عطا الأيوبي ١٨٧٧-١٩٥١ ، سياسي سوري بارز وهادئ كانت رئاسته للوزارة مباشرة بتولي الوطنيين رئاسة سوريا بالانتخاب ، وقد تولى رئاسة الوزارة في ١٩٣٦ ثم في ١٩٤٣ ثم جمع بين الرئاستين في ١٩٤٣ ، أي أنه رأس الوزارة مرتين كانت الأولى ما بين ٢٢ مارس ١٩٣٦ - ٢١ ديسمبر ١٩٣٦ في فترة رئاسة الرئيس محمد علي العابد والمرة الثانية عام 1943 بعد وفاة الرئيس الشيخ تاج الدين الحسني ، حيث جمع رئاسة الجمهورية إلى رئاسة الوزراء مؤقتًا ما بين ٢٥ مارس ١٩٤٣ و ١٧ أغسطس ١٩٤٣ وذلك وفقا لأحكام الدستور . وقد كانت وزارتا الرئيس عطا الأيوبي مؤقتتين من أجل الإشراف على الانتخابات النيابية، وأفضت رئاسته الأمانة للوزارة في كلتا المرتين إلى فوز الكتلة الوطنية بأغلبية مقاعد البرلمان، فكانه في المرة الأولى هو الذي أوصل الرئيس هاشم الأتاسي للرئاسة وكأنه في المرة الثانية هو الذي أوصل الرئيس شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية.

تكوينه الدمشقي

كان الرئيس عطا الأيوبي من وجهاء دمشق ومولدها ، وقد أتيح له تعليم متميز حيث درس الآداب والعلوم الإنسانية في المكتب الملكي في إسطنبول في عهد الدولة العثمانية وعاد إلى بلاده، وشغل منصب حاكم اللاذقية العثماني، في عام ١٩٠٨
تولى عطا الأيوبي مناصب وزارية عديدة في أواخر عهد الدولة العثمانية ثم الانتداب الفرنسي على سوريا، وعرفت عنه الوسطية والحياد، فقد كانت له علاقات جيدة مع الوطنيين والمعتدلين والفرنسيين في وقت واحد.

في وزارة الأمير سعيد الجزائري

عاد الرئيس عطا الأيوبي إلى دمشق لكنه لم يشارك فيما سمي بالثورة العربية الكبرى فيما بين يونيو ١٩١٦ وسبتمبر ١٩١٨، وخلال الفترة الانتقالية التي تلت خروج الجيش العثماني من دمشق وقيل دخول الجيش العربي للمدينة، كان أحد أعضاء حكومة مدنية من وجهاء دمشق شكلت لتسيير الأمور ودامت أربع أيام فقط، وكانت الوزارة برئاسة الأمير سعيد الجزائري.

وزيرا للداخلية

في يونيو ١٩١٩ تم انتخاب المؤتمر السوري العام وهو ما يناظر الكونجرس [حتى في الاسم]، وفي ٨ مارس ١٩٢٠ أعلن استقلال سوريا وقيام المملكة السورية العربية برئاسة الملك فيصل الأول من جانب واحد، أي أنه لم يتم الاعتراف به من المجتمع الدولي خصوصًا فرنسا وبريطانيا.

في آخر حكومات المملكة السورية العربية تم تعيين عطا الأيوبي وزيراً للداخلية، وقد شكلت تلك الوزارة بعد معركة ميسلون في ٢٦ يوليو ١٩٢٠، واستمر في منصبه خلال حكومة العقيد جميل الألشي حتى ١٩٢٢.

وخلال تلك الفترات الممتدة تمكن الرئيس عطا الأيوبي من إنفاذ عدد من القرارات الهامة من قبيل جمع السلاح من المدنيين وإدخال نظام "تعويضات غلاء المعيشة" وتشغيل السجناء مقابل أجر، وإدخال أدوات مقاومة للحريق في هيئات الدولة.

وبعد قيام الاتحاد السوري في ظل الانتداب الفرنسي في ٢٨ يونيو ١٩٢٢ عين الرئيس عطا الأيوبي وزيراً للعدل في وزارة صبحي بركات الأولى كما عينه هنري جورو عضواً في المجلس الاتحادي، وهو برلمان الاتحاد المسؤول عن إدارة شؤونه العليا وانتخاب الرئيس، وذلك بصفته ممثلاً عن دولة دمشق، وقد مثل دمشق إلى جانبه : محمد علي العابد وفارس الخوري.

الوحدة بين دمشق وحلب

وفي ١ يناير ١٩٢٥ تم حلّ الاتحاد السوري وأعلنت الوحدة بين دولتي دمشق وحلب، وعين الفرنسيون الرئيس صبحي بركات رئيساً للدولة، فشغل الرئيس عطا الأيوبي في حكومة صبحي بركات الثانية منصب وزير العدل، مستمراً في أداء مهامه السابقة.

وقد اندلعت خلال فترة هذه الوزارة الثورة السورية الكبرى التي قمعها الفرنسيون بصرامة وشكلت على إثرها محاكم استثنائية ، وأعلنت الأحكام العرفية في البلاد، كذلك فقد أصدر وزير العدل قراراً آخر ينصّ بمصادرة أموال المحكوم عليهم في المحاكم الاستثنائية لمصلحة الدولة، لكن الإجراءات لم توقف الثورة، فلجأ الفرنسيون إلى قصف دمشق بالمدفعية والطائرات، ولم تتوقف الثورة لا في دمشق ولا في المدن السورية، واستدعي المفوض الفرنسي إلى بلاده.

لم يشارك في عهد الرئيس نامي

أنهت رئاسة صبحي بركات للاتحاد وعهد إلى أحمد نامي تشكيل الوزارة فألفها في ٢ مايو ١٩٢٦، و لم يكن عطا الأيوبي من أعضائها ، و كانت تلك أول وزارة لا تضم الرئيس عطا الأيوبي منذ ١٩٢٠. ولم يتول الرئيس عطا الأيوبي أية مسئولية وزارية خلال عهد أحمد نامي (١٩٢٦ - ١٩٢٨) و عهد تاج الدين الحسني (١٩٢٨ - ١٩٣١) متبعداً بذلك عن المساجلات القائمة بين المعتدلين والوطنيين.

في عهد الرئيس محمد علي العابد

و في عام ١٩٣٢ أجريت أول انتخابات نيابية في سوريا وأدت إلى فوز محمد علي العابد برئاسة الجمهورية وتكليف حقي بك العظم برئاسة الوزارة، و مكث العظم في رئاسة الوزارة حتى ١٧ مايو ١٩٣٤ شكل خلالها وزارتين ، ثم شكل الشيخ تاج الدين الحسني الوزارة الثالثة في عهد العابد ، وأسند للرئيس عطا الأيوبي مهمة وزارة العدلية غير أن عمر هذه الوزارة كان قصيراً

ولم يتجاوز ثمانية أشهر، وقد تخللت عهدها مظاهرات عدة مناوئة للانتداب ومطالبة بالوحدة والاستقلال قادتها الكتلة الوطنية .

وزارة الأيوبي بعد الإضراب الستيني والميثاق الوطني

تفاقمت الاحتجاجات بعد وفاة إبراهيم هنانو وإعلان "الميثاق الوطني" في الاحتفال بذكرى الأربعين لوفاته ، وما لحق هذه المناسبة من مظاهرات واضطرابات عرفت باسم "الإضراب الستيني" و بدأ التفاهم بين سلطة الانتداب والكتلة الوطنية، تم بموجبه تشكيل حكومة محايدة تشرف على الانتخابات النيابية، فاستقالت حكومة الشيخ الرئيس التاج الحسني في ٢٣ فبراير ١٩٣٦، وعهد الرئيس محمد على العابد إلى الرئيس عطا الأيوبي بتشكيل الوزارة، فقد كان حائزاً على الثقة العامة وحيادياً رصيناً كما جمع بين ثقة الكتلة الوطنية وسائر الأحزاب الأخرى.

تقييم عهد وزارته

- سافر الوفد الوطني في مارس ١٩٣٦ إلى باريس وبعد ستة أشهر توصل مع قاداتها لمشروع اتفاقية الاستقلال والسلم والصداقة بين سوريا وفرنسا
 - تأكدت عودة جبل الدروز ودولة جبل العلويين إلى الوحدة السورية في ٥ ديسمبر ١٩٣٦
 - أجريت الانتخابات النيابية التي أدت إلى فوز الكتلة الوطنية الساحق بأغلبية مقاعد مجلس النواب، وكانت ثالث انتخابات تجرى في البلاد.
- لكن وزارة الرئيس عطا الأيوبي واجهت أزمة تدهور قيمة الفرنك الفرنسي بشكل كبير مما أدى إلى خسارة البلاد عشرات الملايين من الليرات المرتبطة بالفرنك.

في عهد الرئيس هاشم الأتاسي

في ٢١ ديسمبر ١٩٣٦ افتتح المجلس النيابي المنتخب أعماله، وانتخب فارس الخوري رئيساً له، وفي الجلسة نفسها قدم الرئيس محمد على العابد استقالته قبل ستة أشهر من نهاية ولايته الدستورية، و انتخب رئيس الكتلة الوطنية هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية، ما يعني وفق الأعراف الدستورية، استقالة حكومة الرئيس عطا الأيوبي ، فكلف الرئيس الجديد أي هاشم الأتاسي زميله الرئيس جميل مردم بتشكيل وزارة جديدة من أنصار الكتلة باعتبار أن الكتلة هو الحزب الفائز بالانتخابات.

تكليفه بالرئاسة في ١٩٤٣

وفي أواخر عام ١٩٣٩ استقال الرئيس هاشم الأتاسي وتعطل العمل بالدستور وتشكلت حكومة مديرين برئاسة الرئيس بهيج الخطيب بعد أزمة سياسية حادة واندلاع الحرب العالمية الثانية، واستمرت حكومة الرئيس بهيج الخطيب حتى ١٩٤١ حين شكلت حكومة مؤقتة برئاسة الرئيس خالد العظم ثم عهد إلى الشيخ الرئيس تاج الدين الحسني برئاسة الجمهورية بالتعيين مع عودة الدستور وتم الاعتراف "باستقلال سوريا" ريثما تهدأ الحرب لتنظيم انتخابات نيابية، وكانت هذه

الخطوات محاولة لإسترضاء السوريين بذلتها حكومة فرنسا الحرة (ديجول) وذلك في مواجهة حكومة فيشي الموالية للمحور.

وفي يناير ١٩٤٣ توفي رئيس الجمهورية فاصبح رئيس الوزارة جميل الألسي رئيساً مؤقتاً للجمهورية وفق أحكام الدستور، غير أن عهده لم يطل ففي ٢٥ مارس ١٩٤٣ قرر المفوض الفرنسي الجنرال كاترو القفز فوق الدستور وكلف عطا الأيوبي بتشكيل حكومة مؤقتة، وقيل إن هذا كان بسبب تدخل بريطانيا في السياسة السورية ودعمها لمطالب الشعب بالاستقلال وتحالفها مع الكتلة الوطنية.

اتفاق الفرنسيين مع الوطنيين وتشكيله الوزارة

ومنعاً لتحول الصداقة بين الكتلة وبريطانيا إلى تحالف وثيق يطيح بمصالح فرنسا، عقد المفوض الفرنسي الجنرال كاترو اتفاقاً مع زعماء الكتلة الوطنية يقضي بتأليف حكومة مؤقتة تمهد لانتخابات نيابية تهدف إلى عودة الحياة السياسية الطبيعية إلى البلاد، بدلا من الوزارة التي كانت قائمة حينها والتي كانت حكومة انتدابية بامتياز، فكان لا بدّ من حكومة حيادية تنال رضا الشعب والكتلة الوطنية من ناحية الانتداب والمعتدلين من ناحية ثانية، وهكذا أصدر المفوض الفرنسي الجنرال مرسوماً يوم 25 مارس بتكليف عطا الأيوبي رئاسة الدولة والوزارة ، فألف الأيوبي وزارته في اليوم نفسه، من ثلاثة وزراء، بالإضافة إلى شخصه، وقد جمع لنفسه إلى جانب رئاسة الوزارة وزارة الداخلية والدفاع الوطني.

تسليمه السلطة للرئيس القوتلي

وفي يونيو ١٩٤٣ أجريت الانتخابات وأعلنت نتائجها في ٧ أغسطس بفوز الكتلة الوطنية، وفي ١٧ أغسطس انتخب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية، فاستقالت الوزارة وفقاً للدستور ، وتشكلت وزارة برئاسة سعد الله الجابري في ١٩ أغسطس ١٩٤٣ ، وباستقالة وزارته الثانية، انتهت الحياة السياسية للأيوبي.

تكريمه وتقاعده

عاش الرئيس عطا الأيوبي في هدوء بعد المناصب الكبرى التي تولاها ، في بيته في دمشق، وفيها توفي عام ١٩٥١، وأطلق اسمه على أحد أهم شوارع العاصمة دمشق، ويحوي الشارع القصر الذي كان الأيوبي يمتلكه.

وصف المؤرخ حسين حمادة الرئيس عطا الأيوبي ، بأنه كان ماسونياً ورئيس «المحفل الأكبر السوري». كما وصفه بأنه كان «مواليا مخلصا لفرنسا» رغم تصنيفه مع «الوطنيين المعتدلين» وقد كرمته الدولة السورية في عهد رئاسة الرئيس شكري القوتلي بعد الجلاء في أبريل ١٩٤٦ نظراً "لخدماته التي قدمها في خدمة الدولة السورية".

الفصل ٣٢: فؤاد شهاب الجنرال اللبناني الذي سبق المشير سوار الذهب في تجرده

كان الرئيس فؤاد شهاب (١٩٠٢ - ١٩٧٣) رئيسا منتخبا ومجمعا عليه ، لأنه كان بسلوكه المتعطف قريبا من سلوك طبقة الملوك الأصلاء المترفعين عن الصغائر المحبين للشعب والساعين للعدالة الاجتماعية والقيم الإنسانية ، وقد شهد عهده وعهد خلفه الرئيس شارل حلو ازدهار لبنان الستينات الذي ظهر إلى الوجود مع اضطراب مراكز النهضة الفكرية والثقافية في القاهرة ودمشق وبغداد (بحكم العسكر) على حين بدأ هو رغم وظيفته العسكرية سياسة متزنة تستند إلى أطر فكرية على النحو الذي كان سبقه إليها ديغول في فرنسا.

وإذا كان لرئيس لبناني أو أكثر فضل يفوق فضل الرؤساء الآخرين في نهضة لبنان ، فإنهما هما الرئيس فؤاد شهاب و خلفه المباشر الرئيس شارل حلو ، وذلك على الرغم من أن الكتاب والمؤرخين لا يقولون بذلك على وجه التحديد باعتبار أن المنصب شرفي أكثر من أن يكون تنفيذيا، ويرجح بعض المتأملين عوامل نجاح هذين الرجلين إلى التجرد ذلك أنه ليس لأيهما حزب ولا ذرية ولا أشياع ، كما أن كلا منهما كان من نوع نادر لا يتكرر كثيرا ، و يصعب على من يتوق إلى أن يحقق مجده أن يلتزم بما التزم به كلاهما من جدية وصراحة.

مكاته العسكرية

الرئيس فؤاد شهاب هو أول قائد للجيش اللبناني بعد الاستقلال وهو أول عسكري يتم التوافق على اختياره رئيسا للبنان، وهو ما مثل حلا تكرر الاهتداء به بعد ذلك لمشكلة الاختلافات المارونية الطبيعية في اختيار الرئيس اللبناني، ومن ناحية أخرى فقد جاءت الفكرة في اختياره لتمثل توافقا مع محيط الانقلابات العسكرية المحيطة بلبنان في سوريا والعراق ومصر، وذلك بعد أن صعد كميل شمعون صراعه مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي لم يكن في ذلك الوقت رئيسا لمصر وحدها ولا زعيما للأمة العربية ، وإنما كان أيضا وهو الأخطر رئيسا لسوريا وذا حدود مشتركة مع لبنان (بحكم الوحدة المصرية السورية) بل إنها الحدود البرية الوحيدة "المتاحة " للبنان مع العالم العربي والخارجي.

مولده ونشأته

ولد الرئيس فؤاد شهاب في بيروت في ١٩ مارس ١٩٠٢ وتخرج في المدرسة الحربية في حمص وهي المدرسة التي تخرج فيها الرؤساء السوريون من زعماء الانقلابات العسكرية السورية السابقين عليه في تولي منصب الرئاسة ولكن في سوريا ، وقد كانوا أكبر منه في السن والتخرج. كان جد جده هو الأخ الأكبر للأمير بشير الثاني الكبير حاكم جبل لبنان العام (١٧٨٨ - ١٨٤٠)، أما والده فقد غادر لبنان متوجها إلى أمريكا بسبب الفقر ويُعتقد أنه قضى في السفينة التي كانت تُقله من مرسيليا إلى أمريكا.

في الجيش الفرنسي

وقد عاش الرئيس فؤاد شهاب وشقيقاه فريد وشكيب في كنف والدتهم وأخوالهم في جونية، واضطر الرئيس فؤاد للعمل وهو في الرابعة عشرة من عمره ثم انضم ١٩١٩ إلى صفوف الجيش الفرنسي للخدمة العسكرية لعام واحد وفي ١٩٢٦ تزوج من ابنة ضابط فرنسي عامل في لبنان ، لكنه لم ينجب.

في ١٩٢١ التحق الرئيس فؤاد شهاب بالمدرسة العسكرية الفرنسية في دمشق ثم ساعده انتمائه العائلي على القبول في المدرسة الحربية، وكان هذا هو التقليد الذي فرضه الفرنسيون، وتخرج برتبة ملازم، ثم ترقى نقيباً (١٩٢٩) وعُين قائداً لكتلة راشيا (١٩٣٠) . و بعد أن أصبح صاحب خبرة عسكرية (١٥ عاماً) درس في المدرسة الحربية العليا في باريس وتخرج فيها ١٩٣٧ ورقي إلى رتبة مقدم.

مناصب فؤاد شهاب تحت إمرة حكومة فرنسا

وعندما أصبحت القوات الفرنسية في لبنان تحت إمرة حكومة فرنسا الحرة بقيادة الرئيس ديغول (في أثناء الحرب العالمية الثانية) اختير الرئيس فؤاد شهاب قائداً للفرقة اللبنانية ، وهي الفرقة التي أصبحت نواة للجيش اللبناني بعد ذلك. وقد كُف بتجميع القوات اللبنانية و منح رتبة زعيم (التي سميت فيما بعد: عميد) وعُين قائداً للجيش اللبناني وكان اسم منصبه أنه القائد الأعلى للجيش .

أول ضابط لبناني ينال رتبة اللواء

وفي ١٩٤٩ نال الرئيس فؤاد شهاب رتبة لواء، فكان أول ضابط لبناني ينال رتبة اللواء. وطيلة توليه أمر الجيش كان الرئيس فؤاد شهاب ضابطاً منضبطاً قادراً على التحديث والتنظيم والتدريب والتأهيل وظل على علاقة جيدة بالرئيسين اللبنانيين بشارة الخوري (١٩٤٦ - ١٩٥٢) وكميل شمعون (١٩٥٢ - ١٩٥٨).

رئاسة الوزارة الانتقالية

لما قويت شوكة الجماعات والقوى المعارضة للرئيس بشارة الخوري في ١٩٥٢ رفض الرئيس فؤاد شهاب أن ينحاز إلى أي من الطرفين، الوزارة أو المعارضة، وهكذا استقال بشارة الخوري، وعُين اللواء شهاب رئيساً لحكومة انتقالية تتولى تنظيم انتخاب رئيس جديد، ويذكر له أنه رفض أن يتولى الرئاسة، وأنجز انتخاب الرئيس الجديد خلال أربعة أيام ، وكان هذا الرئيس هو كميل شمعون.

اعتذاره عن الاستمرار وزيراً للدفاع

في نوفمبر ١٩٥٦ أسندت وزارة الدفاع إلى الرئيس فؤاد شهاب لكنه بعد أربعة أشهر أثار الاستقالة من هذا المنصب والتفرغ لمسئوليته العسكرية قائداً للجيش فحسب . وفي يوليو ١٩٥٨ انتهت الملكية العراقية بالانقلاب الذي قاده عبد الكريم قاسم وهلل له النظام الناصري ، فانتهز

كميل شمعون الفرصة ووجه طلبا رسميا علنيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية يطلب منها حماية نظامه ، مع أن مدته شارفت على الانتهاء.

رفضه التدخل في نزاعات الشارع

قبل نهاية ولاية الرئيس كميل شمعون تفاقم الصراع بين الرئيس شمعون وبين الرئيس جمال عبد الناصر و تطورت أصداء الخلاف إلى نزاعات واشتباكات مسلحة في الشارع، ورفض الرئيس فؤاد شهاب التدخل على نحو ما فعل في ١٩٥٢ ، وإن كان قد حافظ في هذه المرة بقوات من الجيش على المواقع الاستراتيجية : المطار والإذاعة ومباني الوزارة .

التوافق عليه رئيسا للبنان

انتهت التوافقات الأمريكية المصرية بين الأمريكيين والرئيس جمال عبد الناصر إلى التوافق على شخص الرئيس فؤاد شهاب ليكون رئيسا للبنان، ومن حسن الحظ أن المسلمين اللبنانيين والطوائف المسيحية الأخرى كانوا يحترمون استقامته ونزاهته، وقد التقى به الرئيس جمال عبد الناصر على الحدود اللبنانية السورية وأكد له على قبول العرب له .
وفي ٣١ يوليو ١٩٥٨ ، أي في نفس الشهر الذي قامت فيه الثورة العراقية ، اجتمع البرلمان اللبناني فأقر انتخاب الرئيس فؤاد شهاب رئيسا للبنان، وبهذا تم نزع الفتيل بين الرئيس كميل شمعون من ناحية و الرئيس جمال عبد الناصر من ناحية أخرى.

محاولته التخلي عن الرئاسة

حاول الرئيس فؤاد شهاب بعد عامين أن ينسحب من منصب الرئاسة بعد أن استقرت الأوضاع وأجريت الانتخابات البرلمانية ، لكن السياسيين وأعضاء البرلمان ساروا إلى بيته وضغطوا عليه من أجل البقاء في منصبه.

تعرضه لمحاولة انقلابية

و في ١٩٦١ جرت محاولة انقلابية نظمها الحزب القومي السوري الاجتماعي (حزب أنطون سعادة وجورج عبد المسيح) لكن الجيش تمكن من قمع المحاولة والسيطرة على الأوضاع.

بدء التحسب للانقلابات العسكرية

و منذ ذلك الحين بدأت الجهود اللبنانية في تقوية أجهزة المخابرات وأمن الدولة للتغلب على أية محاولة قادمة للانقلاب العسكري في لبنان الذي بدا وكأنه أصبح متهيئا لمثل هذه الانقلابات كما هو الحال في سوريا.

رفضه القاطع لتعديل الدستور

قبل أن تنتهي مدة ولاية الرئيس فؤاد شهاب في ١٩٦٤ ، حاول الزعماء بكل وسيلة إقناعه بالتجديد وضغطوا عليه بكل ما أمكنهم لكنه رفض رفضا قاطعا تعديل الدستور، رغم ما وصفوه له من حاجة لبنان إليه، بل إنه هو نفسه سارع بتزكية الرئيس شارل حلو الذي كان قد أعلن نيته

للترشح للرئاسة. ومع هذا فإن الرئيس شهاب في فترة رئاسة شارل حلو لم يجد حرجا في أن ينتقد بعض سياسات الرئيس شارل حلو ومعالجاته لكثير من الملفات.

رفضه للرئاسة مجدداً

فلما جاءت الانتخابات الرئاسية ١٩٧٠ وظن القادة اللبنانيون أن الرئيس فؤاد شهاب سيقبل الترشح لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الإصلاحات التي كان قد بدأها فوجئوا بأنه يرفض ذلك رفضا باتا ، بل ويصدر بيانا تاريخيا يبرر فيه تمسكه برأيه . وهكذا رفض فؤاد شهاب الرئاسة في ١٩٥٢ وفي ١٩٦٠ وفي ١٩٦٤ وفي ١٩٧٠ وإن كان قد قبل استمراره فيها على مضض في ١٩٦٠ كما قبلها في ١٩٥٨ كحل لا مناص منه . وفي انتخابات ١٩٧٠ دعم الرئيس فؤاد شهاب أحد المرشحين المقربين منه وهو الرئيس إلياس سركيس الذي خسر أمام سليمان فرنجية بفارق صوت واحد ، وكان هذا إيذانا بانعزال الرئيس فؤاد شهاب .

موقف خلفه الرئيس سليمان فرنجية من سياساته

وعلى الرغم من أن خلفه الرئيس سليمان فرنجية كان حريصا على أن يُنهي وجود كل التوجهات والسياسات التي بدأها الرئيس فؤاد شهاب و استمرت في عهد الرئيس شارل حلو ، فإن معالم النهضة في سلوكيات الرئيس فؤاد شهاب لا تزال تستنهض همم اللبنانيين للعودة إليها ، بعد أن ذاقوا وبال الحرب اللبنانية التي كانت في جزء منها نتيجة لتدهور الأداء الحكومي في عهد الرئيس سليمان فرنجية وهو سياسي مقتدر لكنه لم يكن يؤمن بدور الدولة بقدر إيمان الرئيس فؤاد شهاب .

وفاته

توفي الرئيس فؤاد شهاب في ربيع ١٩٧٣ إثر أزمة قلبية، وقد شيعته قلوب اللبنانيين بكل الحب والتقدير .

الفصل ٣٣ : فارس الخوري الذي نجح في كل شيء إلا في منع عبد الناصر من إعدام الإخوان

نبدأ بداية لغوية مهمة فللقب الخوري يعني رجل الدين، وهو بالتالي يدل على أن أصول أية عائلة تنسب به كانت تتصل بهذه المهنة ، ويتصل بهذه الجزئية اللغوية أن نفرق بين سياسيين بارزين يحملان هذا اللقب وعملا في الصفوف الأولى من السياسة العربية في وقت في عهدين متعاصرين:

- رئيس الوزراء و رئيس مجلس النواب السوري فارس الخوري (١٨٧٣ - ١٩٦٢)
- الرئيس اللبناني بشارة الخوري، واسمه الثلاثي (غير المشهور بالطبع) : بشارة خليل الخوري (١٨٩٠ - ١٩٦٤) أما الشاعر اللبناني الذي يحمل نفس الاسم والملقب بالأخطل الصغير فاسمه الثلاثي (غير المشهور بالطبع) بشارة عبد الله الخوري (١٨٨٤ - ١٩٦٨).

الخوريون الثلاثة

و يمكن تلخيص الفروق بين هذه الشخصيات الثلاث التي تردد اسمها في العصر الحديث و رحلت عن الحياة في الستينات من القرن العشرين على النحو التالي:

١٨٧٣ - ١٩٦٢	فارس (يعقوب) الخوري	رئيس الوزراء السوري
١٨٨٤ - ١٩٦٨	بشارة (عبد الله) الخوري	الشاعر الأخطل الصغير
١٨٩٠ - ١٩٦٤	بشارة (خليل) الخوري	الرئيس اللبناني

وهكذا فإن فارس الخوري رئيس الوزراء السوري هو أول الثلاثة مولدا و وفاة، كما أنه هو أطولهم عمرا يليه الشاعر الذي عاش ٨٤ عاما وولد عام ١٨٨٤ ثم الرئيس اللبناني الذي هو آخرهم مولدا وأقصرهم عمرا وقد عاش ٧٤ عاما فقط

رئاسته للوزارة

تولى الأستاذ فارس الخوري رئاسة وزراء سوريا مرتين الأولى كان فيها بمثابة ثاني رؤساء الوزارة في العهد الأول من رئاسة شكري القوتلي الذي بدأ في ١٩٤٣ و رأس هو الوزارة في ١٤ أكتوبر ١٩٤٤ وحتى ١ أكتوبر ١٩٤٥ حيث خلفه سعد الله الجابري (الذي كان سلفه كما أصبح خلفه) أي أن وزارة الأستاذ فارس الخوري الأولى جاءت بين وزارتي سعد الله الجابري الأولى والثانية، وقد استمرت هذه الوزارة قرابة عام.

أما المرة الثانية التي رأس فيها الوزارة فكانت في العهد الأخير للرئيس هاشم الأتاسي وكانت لمدة ١٠٠ يوم ما بين ٣ نوفمبر ١٩٥٤ و ١٣ فبراير ١٩٥٥، وقد جاء الخوري في هذا المنصب خلفا للرئيس محمد سعيد الغزي أما الذي خلفه فكان الرئيس صبري العسلي ، ومن الجدير بالذكر أن العسلي نفسه كان قد أصبح وزيرا لأول مرة في وزارة الأستاذ فارس الخوري الذي يكبره بستة عشر عاما.

الأستاذ فارس الخوري هو السوري الوحيد الذي حصل من مصر على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية وقد حصل عليها في ثاني أعوامها بعد أول من حصل عليها وهو أستاذ الجيل الأستاذ أحمد لطفي السيد (١٨٧٢ - ١٩٦٣) ومن الطريف أنه مقارب لأستاذ الجيل في كثير من التاريخ بما في ذلك مولده وعمره ، فعمره أصغر من عمر الأستاذ لطفي السيد بسنتين فقد ولد بعده بسنة وتوفي قبله بسنة.

كان والده نجارا

وُلد الأستاذ فارس الخوري عام ١٨٧٣ في قرية الكفير، وهي الآن قرية من قرى قضاء حاصبيا في لبنان ، حتى أنها تُسمى كفير حاصبيا، كان والده يعقوب بن جبور الخوري نجارا بروتستانتيا يملك بعض الأراضي الزراعية في قريته ، أما جده والد أمه فُقُتل في المعركة التي دارت بين الدروز و المسيحيين ١٨٦٠ أي قبل مولد فارس.

تلقى فارس تعليما مدنيا والتحق بالكلية السورية في بيروت (الجامعة الأمريكية الآن) لكن تفوقه المُبكر دفع الأساتذة الأمريكيان إلى تعيينه مدرسا في مدرستهم الابتدائية في قرية مجدل شمس (١٨٩٦) ثم نقلوه إلى مدرستهم الأخرى في صيدا وذلك على نحو ما كان أسلافهم في المدرسة الأمريكية في صيدا قد عينوه من قبل مُدرسا في مدرستهم في قرية زحلة.

ليس مشهورا أنه أهم خريجي الجامعة الامريكية في بيروت

عاد الأستاذ فارس الخوري إلى الدراسة في الكلية السورية (الجامعة الأمريكية) وحصل على شهادتها المُسمّاة بكالوريوس العلوم ١٨٩٧ وكانت هذه الشهادة بمثابة شهادة عامة غير مُتخصّصة في أي فرع من فروع العلوم والآداب لكنها كانت تؤهل للعمل ولاستكمال الدراسة ومن الجدير بالذكر أنه في جيله هو أعلى خريجي هذه الكلية قيمة!

ونظرا لسُمّته السابقة في التدريس فقد كُلف بتدريس الرياضيات واللغة العربية معا في القسم الاستعدادي (التجهيزي) للكلية السورية ومع أنه بروتستانتني فقد دعاه الأرثوذكس لإدارة مدارسهم في دمشق، كما انتُدب للتدريس في مدرسة عربية شهيرة في ذلك العهد وهي مدرسة مكتب عنتر التي كانت أرقى المدارس الدمشقية وكانت هي المدرسة التي تؤهل للدراسة في الجامعات التركية .

وقد عمل الأستاذ فارس الخوري بعد ذلك مترجما في القنصلية البريطانية (١٩٠٢ - ١٩٠٨) فتمتّع بما يتمتع به الأجانب الأوروبيون والعاملون معهم من الامتيازات التي كانوا قد حصلوا عليها من الدولة العثمانية المعروفة بالتسامح الشديد مع الأقليات ، وفي ذلك الوقت درس الفرنسية والتركية، كما أطلع على كتب القانون، وكانت مهنة المحاماة لا تشتت الحوصل على مؤهل فعمل بالمحاماة ثم تأهل بعدها بليسانس الحقوق، وأصبح بعد هذا من أساتذة كلية الحقوق المرموقين .

في جمعية الاتحاد والترقي

وفي ١٩٠٨ بدأ الأستاذ فارس الخوري عهده في ممارسة السياسة بالانضمام إلى جمعية الاتحاد والترقي وعُرف عنه في ذلك الوقت أنه ينظم الشعر ويُجيد الكتابة فأصبح من المشهورين بالأدب والكتابة مع السياسة لكنه سرعان ما تفرغ للنشاط السياسي.

عضوية البرلمان العثماني

بعد ٦ سنوات من بدء مزاولته للسياسة عضوا في حزب الاتحاد والترقي نجح الأستاذ فارس الخوري في أن يفوز بعضوية البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان) ١٩١٤ نائبا عن دمشق .

غيرته على الدولة العثمانية

ومن الإنصاف للأستاذ فارس الخوري أن نُشير إلى ما سجله التاريخ من غيرته على الدولة العثمانية وهو ينصحها في عهد برلمانها (مجلس المبعوثان) بالتكثيف من همتها في نشر التعليم العثماني في بيروت مشيرا بالأرقام إلى أن المدرسة السلطانية بعد أربعة قرون من عمرها تضم أقل من مائتي طالب بينما الكلية الأمريكية (الجامعة الأمريكية) تضم ألف ومائة طالب والكلية اليسوعية تضم ٧٠٠ طالب ومدرسة الفرير تضم ٧٠٠ طالب أيضا.

تعرض للسجن على يد الحكم العسكري العثماني

كان وضع الأستاذ فارس الخوري السياسي عضوا في المبعوثان يدفعه إلى أن يتوسط عند الوالي جمال باشا (المشهور بجمال باشا السفاح) لمن كان يسجنهم من الزعماء العرب، لكنه في ١٩١٦ تعرض هو نفسه للسجن على يد جمال باشا ، ووجّه إليه الاتهام بالتآمر على الدولة العثمانية وبقي مسجوناً في قلعة دمشق ٤ شهور، لكنه حصل على البراءة وأُفرج عنه ١٩١٧/١/٢٨ ونُفي إلى إسطنبول حيث مارس التجارة هناك..

الجدير بالذكر هنا أن نُشير إلى أن شكري العسلي عم صبري العسلي وجلال البخاري شقيق نصوحي البخاري كانا من بين قبض عليهم في ذلك الوقت و نالا الإعدام على يد جمال باشا.

العودة إلى دمشق

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى وزوال قبضة الدولة العثمانية عن سوريا عاد الأستاذ فارس الخوري إلى دمشق، واختير (١٩١٩) ليكون عضوا في المؤتمر السوري الذي تأسس مع المملكة السورية العربية و عهد الملك فيصل الأول الذي حكم سوريا (١٩١٨ - ١٩٢٠) .

معهد الحقوق العربي و المجمع العلمي العربي

في ذلك الوقت نجح الأستاذ فارس الخوري مع مجموعة من أقرانه في تأسيس معهد الحقوق العربي وكان أحد أساتذة هذا المعهد، كما اشترك في تأسيس أقدم المجمع اللغوية التي لا تزال عاملة إلى الآن وهو المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩١٩) وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر فإنه كان من الأعضاء الاثني عشر المؤسسين وكان هو آخرهم وفاة إذ بقي على قيد الحياة حتى ١٩٦٢، أي عاش تسع سنوات بعد وفاة الرئيس الأول لهذا المجمع الأستاذ محمد كرد علي ، وقد كان من

زملائه الاثني عشر ثلاثة أعضاء في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عند اختيار أعضائه المؤسسين ١٩٣٣ ، وهم حسب مولدهم الأساتذة عبد القادر المغربي (١٨٦٧ - ١٩٥٦) وعيسى إسكندر المعلوف (١٨٦٩ - ١٩٥٦) ومحمد كرد علي (١٨٧٦ - ١٩٥٣)

وزيراً

بينما كان هاشم الأتاسي قد وصل إلى رئاسة الوزارة فقد كان الأستاذ فارس الخوري أول أنداده السياسيين وصولاً إلى كرسي الوزارة فقد أصبح وزيراً للمالية في الوزارات الثلاث التي تآلفت في عهد الملك فيصل الأول (مارس ١٩١٨ - يوليو ١٩٢٠)

نقيباً للمحامين

ولما احتل الفرنسيون سوريا وأنهوا عهد الملكية القصير عاد الأستاذ فارس الخوري إلى العمل الحر محامياً وتجنب النشاط السياسي المباشر، وانتخب نقيباً للمحامين لمدة ٥ سنوات متتالية، وعُين حقوقياً لمدينة دمشق، كما عمل أستاذاً في معهد الحقوق العربي الذي كان قد اشترك في تأسيسه وتولى تدريس مادتي المالية وأصول المحاكمات.

تأسيس حزب الشعب وثورة ١٩٢٥

انضم الأستاذ فارس الخوري إلى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في تأسيس حزب الشعب ، ولما قامت ثورة السويداء الكبرى (في يوليو ١٩٢٥) بقيادة سلطان الأطرش باشا اعتقل الأستاذ فارس الخوري مع من اعتقلوا (٧٦ يوماً) و نُفي مع من نفوا إلى جزيرة إرواد ثم نُفي إلى الحسكة (٨٠ يوماً) ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية ثم تقرر في ١٩٢٦ نفيه خارج سوريا رغم شغله منصب وزير المعارف الذي أسند إليه في حكومة الرئيس أحمد نامي بك الأولى الذي تولى رئاسة الدولة السورية ما بين أبريل ١٩٢٦ و فبراير ١٩٢٨

تشكيل وزارة الرئيس نامي

وربما تحتاج هذه الجزئية إلى قدر من التفصيل ، فقد كان الرئيس أحمد نامي قد نجح في أن يُشكّل حكومة متّزنة كان نصفها الأول من الزعماء المؤيدين بالرأي العام السوري ، و الذين كونوا حزب الكتلة ، وكان نصفها الثاني ممن كانت فرنسا تعتبرهم من المُعتدلين وقد ساعده في إتمام هذا التشكيل سعد الله الجابري وحسني البرازي، وكان الرئيس أحمد نامي من الذكاء السياسي والتمكن من أفق رجل الدولة المقتدر ، بحيث لخصّ برنامج وزارته في عشر نقاط تضمنت الدعوة للانتخابات لوضع الدستور، وتحويل الانتداب إلى معاهدة مدّتها ٣٠ عاماً كما هو الحال بين بريطانيا والعراق ، وضم سوريا لعصبة الأمم ، وتكوين جيش وطني، وتمثيل سياسي خارجي ، وإصلاح النظامين القضائي والنقدي وإصدار عفو عام عن الثوار ، وتعويض منكوبي الثورة .

كان الرئيس فارس الخوري إذاً وزيراً من الوزراء الستة الذين ضمتهم وزارة الرئيس أحمد نامي الأولى التي استمرت واحداً و أربعين يوماً (٢ مايو ١٩٢٦ - ١٢ يونيو ١٩٢٦) وقد اختير وزيراً للثقافة والمعارف وضمت معه زميليه الرئيس حسني البرازي وزيراً للداخلية و الرئيس

لطفي الحفار وزيراً للأشغال العامة كما ضمت ممن صنفوا كمعتدلين : الوزير يوسف الحكيم وزيراً للعدل و الوزير شاكِر نعمت وزيراً للمالية والوزير واثق مؤيد العظم وزيراً للزراعة والاقتصاد.

و نحن نلاحظ أن ثلاثة من الوزراء الستة وصلوا إلى رئاسة الوزراء ، ومن الطريف أن هؤلاء الثلاثة بالذات [وهم الرؤساء حسني البرازي ولطفي الحفار وفارس الخوري] قد اعتقلوا في أثناء عملهم وزراء ، اعتقلهم الفرنسيون بتهمة التحريض على الثورة وقد نفوا إلى محافظة الحسكة وبقوا فيها حتى ١٩٢٧ .

انتقاله للكتلة السورية (الأغلبية)

ثم بدأ اتصال الأستاذ فارس الخوري بكتلة الأغلبية التي أسست الحزب الذي عرف باسم الكتلة السورية برئاسة هاشم الأتاسي ونائبه الزعيم إبراهيم هنانو والزعيم سعد الله الجابري. وقد كان الأستاذ فارس الخوري من أقطاب هذه الكتلة التي ظلت بمثابة حزب الأغلبية السوري طيلة أكثر من عشرين عاماً، فكانت تتولى المعارضة حين يعصف الفرنسيون بالدولة، وتتولى الحكم حين تجري الانتخابات و يعود الحكم إلى أبناء الوطن.

نجاحه في منع إنشاء المحاكم المختلطة

يُذكر للأستاذ فارس الخوري في مجال الوطنية أنه وهو نقيب للمحاميين تصدى لما كانت فرنسا تخطط له من إنشاء المحاكم المختلطة في سوريا مستحضراً مثالب تجربة مصر المريرة ومتغلباً على هذه النزعة الفرنسية المعروفة، وهنا يجدر بنا أن نُشير إلى جدوى بقاء قبضة العثمانيين على سوريا في مواجهة الفرنسيين بصورة أقوى من قبضتهم في مواجهة البريطانيين في مصر وأن هذه القبضة قد حمت أقاليم الشام من كثير من الإمبريالية الغربية التي فُرِضت على مصر فأذت التوجهات التعليمية فيها، وأفقدتها صلتها بالتعليم القديم والحديث على حد سواء لولا جهد سعد زغلول وهو وزير ثم جهد خلفائه وثورة ١٩١٩ فيما بعد.

الإضراب الستيني

ظل الأستاذ فارس الخوري من كُتّاب الكتلة الوطنية ومُفكِّريها، ومن محري منشوراتها وبياناتها فلما اندلع الإضراب الستيني (١٩٣٦) ودُعي الوطنيون لمفاوضة فرنسا في باريس كان الأستاذ فارس الخوري في وفد المفاوضين السوريين بل كان نائباً لرئيس الوفد.

وفد المفاوضات السوري في ١٩٣٦

من الجدير بالذكر أن وفد المفاوضات السوري في ١٩٣٦ ضم مع هاشم الأتاسي كلا من جميل بك مردم وسعد الله الجابري وفارس الخوري، ومن الجدير بالذكر أن من ساعد هذا الوفد على الوصول إلى الاتفاق أن الحزب الحاكم في فرنسا في ذلك الوقت كان هو الجبهة الشعبية (وهي يسارية التوجه)، وكانت تميل إلى إنصاف السوريين.

الفوز بعضوية البرلمان

ولما أجريت الانتخابات ١٩٣٦ فاز الأستاذ فارس الخوري بعضوية البرلمان وانتخب أيضا رئيسا لمجلس النواب السوري (١٩٣٦ - ١٩٣٩) ولما أجريت الانتخابات ١٩٤٣ فاز أيضا بعضوية البرلمان وبرئاسته .

وفي فترة رئاسة شكري القوتلي الأولى (١٩٤٣ - ١٩٤٩) أصبح الأستاذ فارس الخوري ثاني رؤساء وزراء ذلك العهد ليخلف سعد الله الجابري أول رؤساء وزراء ذلك العهد في ١٤ أكتوبر ١٩٤٤ بعد أسبوع من توقيع بروتوكول الإسكندرية لجامعة الدول العربية ، وقد تولى رئاسة الوزارة وجمع معها وزارة المعارف والداخلية بينما خلفه سعد الله الجابري في رئاسة مجلس النواب، وكان اختياره تعبيراً عن أيمان عميق بالوحدة الوطنية وعن نضج سياسي حققه السوريون، وقد حُسن هذا الاختيار ضمن المزايا التي تمتع بها الرئيس شكري القوتلي في تكوين صورته كرجل دولة من طراز متقدم .

وكانت طبيعة المسؤولية الوزارية تجعل الأستاذ فارس الخوري مسئولاً عن الأوقاف و الشؤون الإسلامية فلما حاول أحد الأعضاء إثارة هذه المفارقة تصدى له الأستاذ عبد الحميد طباع نائب الكتلة الإسلامية في المجلس بالقول إننا نؤمن الأستاذ فارس الخوري على أوقافنا بأكثر مما نؤمن أنفسنا..

قضية فلسطين وشعبها

كان الأستاذ فارس الخوري شأنه في هذا شأن أقرانه من الزعماء السوريين حريصاً كل الحرص على التفاني في خدمة فلسطين وحرية شعبها، ويُذكر له إسهامه البارز في المؤتمر البرلماني العربي الذي انعقد في القاهرة ١٩٣٨، وتصديه للحركة الصهيونية ببيان ناصع. وإذا كان سعد الله الجابري من الذين وقعوا بروتوكول الإسكندرية للجامعة العربية في أكتوبر ١٩٤٤ فإن الأستاذ فارس الخوري كان من الذين وقعوا ميثاق الجامعة في ١٩٤٥ .

إعلان الحرب على دول المحور

يُذكر أيضاً أنه كان ممن أقتنعوا السوريين بالاشتراك في إعلان الحرب على دول المحور كي يكون من حق سوريا الانضمام إلى جمعية الأمم، وقد وافقه السوريون على هذا القرار الذي كان كما نعرف سبباً في اغتيال أحمد ماهر باشا في ١٩٤٥ ..

ترأس الوفد السوري في تأسيس الأمم المتحدة

وفي ١٩٤٥ ترأس الأستاذ فارس الخوري الوفد السوري إلى مؤتمر سان فرانسيسكو الذي استهدف تأسيس منظمة دولية لفترة ما بعد الحرب هي الأمم المتحدة بينما مثل مصر إبراهيم عبد الهادي باشا وعبد الحميد بدوي باشا ، و مثل السعودية الأمير (الملك فيما بعد) فيصل بن عبد العزيز . وقد ظهرت موهبة الأستاذ فارس الخوري في الاجتماعات التي شهدت تأسيس الأمم المتحدة وعرفه وزراء الخارجية الدوليون ومنهم الوزير الروسي الشهير مولوتوف ، ووزير

الخارجية الأمريكية الأقل شهرة ستاتينيوس كما أن جامعة جنوب كاليفورنيا كرّمته بالدكتوراه الفخرية.

دوره في عرض المشكلة السورية على مجلس الأمن

أما دوره في عرض مشكلة سوريا ولبنان على مجلس الأمن ، فقد جاء بمحض المصادفة ، ذلك أنه لم يعد من اجتماعات الأمم المتحدة إلى بلده مباشرة وإنما بقي بعض الوقت في الولايات المتحدة الأمريكية، فلما نشأت الأزمة بين سوريا وفرنسا بسبب طلب فرنسا لبعض الامتيازات الثقافية والاقتصادية والعسكرية التي لم توافق عليها سوريا دفع الفرنسيون بالطيران الفرنسي لقصف البرلمان السوري في ٢٩ مايو ١٩٤٥ في تصرف بربري وهي الحادثة التي أظهرت ذكاء سعد الله الجابري الذي فض البرلمان فلم يصب القذف هدفه، وإن كان قد أصاب الحامية المكلفة بحراسة البرلمان فقتلهم .

وقد تقدمت سوريا بشكواها للأمم المتحدة وترأس وفدنا فارس الخوري، وقد أضاف ذكاؤه ودبلوماسيته وقدرته على الجدل بالقانون إلى قدرات الوفد السوري الذي استطاع الحصول على قرار الأمم المتحدة بإنهاء الوجود الفرنسي في سوريا إنهاء كاملاً.

جلسة مجلس الأمن

وفي يناير ١٩٤٦ عقدت جلسة مجلس الأمن التي ناقشت قضية الجلاء من سوريا ولبنان وأبلى الأستاذ فارس الخوري بالاشتراك مع زميله حميد فرنجية ممثل لبنان بلاء حسناً وقد أصرا على ضرورة جلاء الجيشين الفرنسي والإنجليزي من سوريا ولبنان في وقت واحد وهو ما حدث بالفعل.

قصة جلوسه على مقعد المندوب الفرنسي

وفي تلك الفترة حدثت قصته المشهورة مع المندوب الفرنسي في مجلس الأمن وفيها ما يعبر عن ذكائه عندما قام بالجلوس على المقعد الخاص بالمندوب الفرنسي، الذي فوجئ به يحتل مقعده، فطلب منه الانتقال إلى المقعد الخاص بسورية، لأن هذا المقعد مخصص له، وأشار له إلى المكان المخصص للمندوب السوري، إلا أن فارس الخوري تجاهل ما يقوله المندوب الفرنسي، وأخرج ساعته من جيب سترته وراح يتأمل فيها، بينما المندوب الفرنسي يلح في طلبه، حتى كاد أن يستشيط غضباً، فما كان من فارس الخوري إلا أن أجابه بلغة فرنسية واضحة وصوت جهير سمعه جميع من في القاعة: "بلدي يا سيادة المندوب احتملت احتلالكم لها خمسة وعشرين عاماً، وأنت لم تحتل جلوسي على مقعدك ٢٥ دقيقة".

سوريا عضواً في مجلس الأمن

كان السوريون من الذكاء بحيث أسندوا إلى الأستاذ فارس الخوري تمثيل سوريا في المنصة الدولية واختاروا المفكر العربي قسطنطين زريق وكيلا له، وقد حاز الخوري ثقة الدول الأعضاء في الأمم المتحد فانتخبت سوريا عضواً في مجلس الأمن لعامي ٤٧ - ١٩٤٨ وهي كما نعرف

عضوية غير دائمة ، و من الجدير بالذكر أن سوريا انتُخبت بأغلبية ٤٥ صوتا من أصل الأصوات الذي كان ٥٣ صوتا في ذلك الوقت،

رئاسته لمجلس الأمن

بعد ان انتخبت سوريا لعضوية مجلس الأمن الدولي أصبح الأستاذ فارس الخوري عضوا في مجلس الأمن الدولي وترأس هذا المجلس في ١٩٤٧ في أول مرة يصل فيها عربي إلى رئاسة المجلس فلما انتهت عضوية سوريا في مجلس الأمن ، عاد الأستاذ فارس الخوري إلى سوريا حيث كان قد انتخب لرئاسة البرلمان السوري كالعادة حتى وهو عضو في مجلس الأمن.

معاونة فلسطين ومصر

وبالطبع فقد وقف الأستاذ فارس الخوري مع قضية فلسطين بكل ما يملك، كما كانت مشاعره وتعبيراته عوناً للوفد المصري الذي عرض القضية المصرية برئاسة النقراشي باشا. بعد أن وقع انقلاب حسني الزعيم وما تلاه من انقلابات بقي الأستاذ فارس الخوري قريبا من مواقع المسؤولية متوليا رئاسة الوفد السوري إلى الأمم المتحدة.

وفي ١٩٥٤ بدأت حقبة الربيع الديمقراطي في سوريا بعد الانقلابات العسكرية ودُعي هاشم الأتاسي لرئاسة الجمهورية فقبل ثم كُلف الرئيس الأتاسي الأستاذ فارس الخوري بتشكيل الوزارة لكنها لم تستمر إلا مائة يوم ما بين ٣ نوفمبر ١٩٥٤ و ١٣ فبراير ١٩٥٥ وقد خلفه الرئيس صبري العسلي في رئاسة الوزارة.

علاقته بالرئيس عبد الناصر

يُذكر أن السبب الأول والأخير لإصابة الخوري بالإحباط والاكنتئاب منذ هذه الوزارة وحتى وفاته أنه حاول دون جدوى أن يُثني الرئيس عبد الناصر عن إنفاذ أحكام الإعدام في قادة الإخوان المسلمين في مصر، وقد عرض كل ما يُمكن القيام به من وساطة ورجاء وتذلل دون جدوى، وكان يظن أن المصريين الذين عرفوا دوره في الدفاع عن قضيتهم في الأمم المتحدة سيُكرمون وقادته ويستجيبون لرجائه لكنه لم يدرك أن العهد غير العهد وأن مصر دخلت نفقا مظلماً دخلته سوريا هي الأخرى بعدها على يد جمال عبد الناصر نفسه.

و لم تكن مصادفة أن الأستاذ فارس الخوري كان من آخر رؤساء وزراء سوريا قبل صبري العسلي الذي تنازل عن رئاسته للوزارة لعبد الناصر على نحو ما تنازل شكري القوتلي لعبد الناصر عن رئاسة الجمهورية! لكنها كانت تعبيرا عن نهاية عهد رجال الدولة المجاهدين المتّزنين وبداية عهد رجال الدولة الممتازين الذين انخدعوا وسرعان ما اكتشفوا انخداعهم.

ومن الإنصاف أن نُشير أن وحدة مصر وسوريا تمت دون أن يؤخذ رأي الأستاذ فارس الخوري ودون أن يكون قادرا على أن يُصرّح به، وتمت الاحتفاليات والمهرجانات وهو بعيد كل البعد عنها.

لكن ذكاء المجتمع الفكري في مصر وسوريا كان قادرا على أن يُثبت وجوده رغم كل شيء فلما تأسست جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية وبدأ الترشيح لها وكان الترشيح بالطبع مفتوحا لأبناء الجمهورية العربية المتحدة في مصر وسوريا كان اسم الأستاذ فارس الخوري بين المرشحين لجائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية ففاز بها كأستاذ الجيل أحمد لطفي السيد وكان هو السوري الوحيد الذي فاز بإحدى جوائز الدولة التقديرية مع أن هذه الجوائز منحت عن أعوام ١٩٥٨ و١٩٥٩ و١٩٦٠ قبل أن يحدث الانفصال في سبتمبر ١٩٦١ .

محاويلته تخفيف وطأة الانقلابات العسكرية

بقي أن نقول إن الأستاذ فارس الخوري كان صاحب فضل في تخفيف وطأة الانقلابات العسكرية بأقصى ما يمكن لمثله أن يُخففها، ونحن نعرف أنه عقب أول الانقلابات السورية كان هو الذي تمكن من الحصول من رئيس الجمهورية شكري القوتلي ورئيس الوزراء خالد العظم على استقالتيهما وهما معتقلان في المستشفى العسكري كي يُنجيهما من بطش العسكر الذي لا حدود له في مثل هذه الحالات، ويذكر التاريخ أن الأستاذ فارس الخوري قال لحسني الزعيم : "سامحك الله فقد فتحت بابا يصعب على التاريخ إغلاقه" وهو ما حدث بالفعل.

موهبة الخطابية و الشعرية

كان الأستاذ فارس الخوري خطيبا من الخطباء المطبوعين كما كان شاعرا من الشعراء المعبرين وبهذا استوفى ما كانت تتطلبه الزعامات الثلاث الزعامة السياسية والزعامة الأدبية والزعامة الاجتماعية، وقد حقق في هذه الزعامات الثلاث ما لم يجتمع لغيره من معاصريه بذات القدر.

قصيدته عن الحرب الروسية اليابانية

ومن قصائد الأستاذ فارس الخوري في عهد شبابه قصيدة عن الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) يُقال إنها تقع في ٥٠٠ بيت.

قصيدته عن شهداء ٦ مايو

أما أشهر أعماله الشعرية فقصيدة طويلة عن شهداء ٦ مايو، من أقرانه الذين تعرضوا للظلم الساحق على يدي العسكري الانقلابي التركي جمال باشا السفاح وفيها يقول :

الحظ قدّمهم عني وأخّرني	حتى أرى دول التاميز والسيين
تُسدي الوعود بتحقيق العهود لنا	عن كل حق بالاستقلالِ مضمون
لا بد أن يُرجعوا للشام وحدتها	من بعد ما فصلوها عن فلسطين
من الفرات إلى الأردن رابطة	مثل التي بين صنينٍ وقيسون
وفيها يقول أيضا :	
أبكي ومعذرةً عيني إذا ذرقتُ	على الغطاريف منا والأساطين
على الشيوخ على رهط الفتوة بلّ	على الليوث على الغرّ الميامين

ثناء الأستاذ العقاد عليه ومديحه له

كان الأستاذ عباس محمود العقاد يُحبُّ الأستاذ فارس الخوري ويُقدِّره، ويؤثر عنه أنه قال إن عبقريته النيابية تماثل عبقرية لويد جورج وسعد زغلول، ومما قاله الأستاذ العقاد في مديحه:

" نكتب عن عبقرية البيان حين نكتب عن فارس الخوري الأستاذ الجليل، مندوب شقيقتنا سورية في هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن.... وكل ما قرأناه من كلام الأستاذ الجليل، أو ما قرأناه عنه يدل على هذه العبقرية في أرفع طراز عُرف به خطيب من خطباء هذا الزمان.... ومن أسعى إلى هذا الخطيب المطبوع وهو يتكلم علم أن أداة البيان قد تمت له حساً ولفظاً كما تمت له بدهاة ومعنى... ومن تمام ملكات التعبير أنه يقدر على المنظوم اقتداره على المنثور".

جريدة المصري تحييه

وقدمت له جريدة المصري تحيتها في تقييمها السنوي لنهاية ١٩٤٨ :

".... اليوم ينتهي عام ١٩٤٨ وتنتهي بانتهائه عضوية بعض الدول في مجلس الأمن وتبدأ عضوية دول غيرها... وإذا كان علينا أن نودّع دولة من هذه الدول التي تنتهي عضويتها لا نجد غير سوريا... نودعها في شخص ذلك الرجل الذي مثلها، ومثل العرب أجمعين، وهو دولة فارس الخوري بك البطل العربي الذي يبلغ من العمر ٧٦ سنة، والذي كانت وفود العالم تنتظر إليه على اعتبار أنه مثلٌ يُضرب للنشاط الذي لا يكلّ والشجاعة التي لا يؤثّر فيها شيء... إن دولة الخوري بك حقق المعجزات، وسلك طوال عمره طريقاً واحداً لم يجد عنه، طريق الإنسانية الحقة، الإنسانية التي تتلخص في حق كل بشر أن يعيش حراً محتفظاً بكرامته... وإذا سألت في دوائر هيئة الأمم المتحدة عن الرجل الذي يحبه الجميع ويفديه الجميع، ويهتم برأيه الجميع، فإن الجواب على سؤالك هو فارس الخوري".

ذريته

بقيت ملحوظة مهمة وهي أن هذا الزعيم النائر الأستاذ فارس الخوري هو جد الشاعرة والأديبة القاصة كوليت الخوري التي تُعد الآن من رموز الحركة الثقافية العربية بإسهاماتها المبكرة وبدأها في الإنتاج الثقافي المتميز ، وقد كان من حسن حظي اني كتبت المدخل الخاص عنها في قاموس الأدب العربي .

الفصل ٣٤ فيصل الأتاسي الذي هو سوار الذهب السوري

ترتبط باسم العقيد فيصل الاتاسي (١٩١٧ - ١٩٩٨) ثلاثة إنجازات وطنية مهمة لم تقدر في زمنها حق قدرها ، وإنجاز تكتيكي مهم ، أول الإنجازات الوطنية أنه واحد من أصحاب الادوار الكبرى في أفضل الانقلابات السورية وهو الانقلاب الخامس الذي خلص سوريا من حكم أديب الشيشكلي وأعاد الديمقراطية لسوريا فيما يعرف بربيع الديموقراطية ١٩٥٤ وقد شاركه في قيادة هذا الانقلاب الذي لم يتول قادته السلطة وانما اعادوها للشعب : امين أبو عساف وكاظم الزيتوني. وقد ضمت قيادة هذا الانقلاب الضابط مصطفى حمدون و ضابطين آخرين من العائلة الأتاسية [وهو ما يجعل بعض الكتابات تطلق على هذا الانقلاب اسم انقلاب الضباط الأتاسيين] ، وهما العقيد زياد الاتاسي المولود ١٩١٩ والمتخرج في الكلية الحربية في ١٩٣٨ والذي أصبح عميدا للعائلة الاتاسية منذ ٢٠٠٠ والفريق لؤي الاتاسي ١٩٢٦- ٢٠٠٣ الذي اصبح رئيسا للجمهورية في ١٩٦٣

احترام الحياة المدنية

كان العقيد فيصل الاتاسي أيضا صاحب الفضل الخفي والسياسي العظيم الذي لا يتحدث الآن عنه أحد بالطبع ، وهو فضل احترام الشعب و الإرادة الشعبية ذلك أنه استقال من الجيش ورشح نفسه ليكون نائبا عن حمص فلما أخفق في الانتخابات ابتعد عن السياسة.

شهادة نذير فنصة

قال الاستاذ نذير فنصة في كتابه "النكبات والمغامرات" :

" إن العقيد فيصل الاتاسي كان هو الضابط الأول الذي احترم التشريع الدستوري والتزم به للوصول إلى إرادته و ضرب بذلك المثل على أن العسكري يستطيع أن يعمل في الحقل السياسي، وأن يرشح نفسه ويبلغ الوزارة أو الرئاسة، عن طريق الشعب، وبالطرق الدستورية الشرعية، لا عن طريق القوة والانقلاب وسفك الدماء"

فضله في إجهاض الثورة المضادة

بنجاح انقلاب فبراير ١٩٥٤ هرب العقيد اديب الشيشكلي تاركا ما وصف بأنه استقالته لرئيس المجلس النيابي ، و بناء عليه قرر الدكتور مأمون الكزبري، رئيس المجلس النيابي، أن يتولى السلطة ريثما يتم انتخاب رئيس جديد، وقد كان الدستور يمنح رئيس المجلس النيابي سلطات رئيس الجمهورية في حالة خلو المنصب ، فأعلن الدكتور مأمون الكزبري ذلك أمام النواب، وغادر إلى القصر الرئاسي ليمارس الرئاسة ، وما أن علم العقيد فيصل الأتاسي بذلك حتى أمر الطائرات التي كانت تحت قيادته بإلقاء منشورات من سماء دمشق محذرا و متوعدا الكزبري و شوكت شقير وغيرهما ممن أرادوا الاستيلاء على السلطة في خضم الأحداث.

إنهاء محاولة الكزيري تولي السلطة

أعلن العقيد فيصل الأتاسي من إذاعة حلب أنه تقرر عدم الاعتراف بعهد الشيشكلي وكل مؤسساته الحكومية، ومن ثم فإنه هاجم المستغلين للوضع هجوما عنيفا فاضطر من نسميهم قادة الثورة المضادة للإذعان.

الإنجاز التكتيكي المتفرد

يتمثل الإنجاز التكتيكي لهذا الانقلاب في ان العقيد فيصل الأتاسي وزملاءه قاموا بهذا الانقلاب واتموه من حلب ودير الزور من دون ان يستولوا على العاصمة ولا على القيادة المركزية بل انهم لم يستخدموا إذاعة دمشق وانما استخدموا إذاعة حلب .

الرؤساء الأتاسيون

من الجدير بالذكر أنه ينتمي الى عائلة الأتاسي ثلاثة من الرؤساء السوريين من ذوي التوجهات المختلفة ، اما الأول فهو الرئيس السوري المنتخب الأول الزعيم ورجل الدولة هاشم الأتاسي (١٨٧٥ - ١٩٦٠)، وأما الثاني فهو الرئيس السوري الفريق لؤي الأتاسي ١٩٢٦ - ٢٠٠٣ الذي يصغر الأول بنصف قرن ، وأما الثالث فيصغر الثاني بثلاث سنوات فقط وهو الرئيس الدكتور الطبيب نور الدين الأتاسي (١٩٢٩ - ١٩٩٢) الذي قام الرئيس حافظ الأسد بحركة التصحيح ضده، وأودعه السجن ٢٢ عاما متصلة حتى ما قبل وفاته بشهور قليلة حيث كان السرطان قد استشرى في جسده .

نشأته و تكوينه

كان العقيد فيصل الأتاسي أحد القادة العسكريين السوريين البارزين في جيله . ولد في حمص عام ١٩١٧ ، ودرس في الكلية الحربية وتخرج منها عام ١٩٣٨ ، وهو العام الذي تخرج فيه الرئيسان السادات وعبد الناصر في مصر في دفعتين متتاليتين ، وتدرج في المراكز العسكرية على نحو طبيعي .

لمعانه في الدنادشة و فلسطين وما بعدها

في عام ١٩٤٥ كان العقيد فيصل الأتاسي من أبطال معركة تكلخ (تل كلخ) التي حاصر فيها الدنادشة (ومعهم قوات من المتبرعين من غير الدنادشة) برئاسة علي عبد الكريم الدندشي ثكنة للقوات الفرنسية. واستطاعت هذه المفزرة السورية إجلاء الفرنسيين عن الموقع بعد عدة أيام ورفعوا العلم العربي عليها، فكانت فاتحة الانتصارات للثورة الوطنية.

كان العقيد فيصل الأتاسي كذلك من قادة الجيش السوري في حرب فلسطين ، وفي اغسطس ١٩٤٩ أصبح فيصل الأتاسي رئيس شؤون الجيش، وعام ١٩٥٠ ترقى أمرا لحامية اللاذقية ، وفي عهد أديب الشيشكلي أصبح العقيد فيصل الأتاسي أمرا لحامية حلب، ثاني المدن السورية.

مؤتمر حمص و الميثاق الوطني

بعد مؤتمر حمص في ٤ يوليو ١٩٥٣ والذي تعاهد فيه الوطنيون السوريون على الميثاق الوطني بادر العقيد فيصل الاتاسي الي التنسيق مع زميله أمين أبو عساف لتنظيم انقلاب يخلص البلاد من طغيان الحكم الانفرادي الذي يمارسه الشيشكلي. وبدأ فيصل الاتاسي وأبو عساف بالتخطيط للانقلاب فزما الضابط كاظم الزيتوني وهكذا أمن الثلاثة سيطرتهم على حاميات ثلاث مناطق: منطقة دير الزور، وأمرها أبو عساف، منطقة حلب، الواقعة تحت سيطرة العقيد فيصل الاتاسي، ومنطقة اللاذقية، وفيها الضابط كاظم الزيتوني مستعد لاعتقال رئيسه عبد الجواد رسلان والأخذ بزمام الأمور، بينما بقيت أغلب قوات دمشق على إخلاصها للشيشكلي وتحت سيطرته.

خطة الانقلاب

في ٢٥ فبراير ١٩٥٤ تم قطع جميع الاتصالات بين المناطق العسكرية وتأمين خلو الجو من المعارضين والموالين للشيشكلي، واذاع الضباط المنقلبون بياناً أعلنوا فيه تمردهم وقد كان التوقيع على البيان باسم القادة الثلاثة: قادة المنطقة الشرقية (أبو عساف) والشمالية (الاتاسي) والغربية (الزيتوني). تم اعتقال القائد عمر تمر خان، ومحافظ حلب كمال نورالله، والموالين لحكم الشيشكلي، وتأمين مباني الوزارة والبريد والإذاعة.

وبعد أن تمت السيطرة على الوضع استدعى العقيد الاتاسي قناصل الدول العربية والأجنبية وانهى اليهم سبب الانقلاب ومطالبه وأعلن خروجه على حكم الشيشكلي وعدم اعترافه بسلطة دمشق. وبدأ العسكريون بالانضمام للمنقلابين، وبدأت إذاعة "راديو سوريا الحرة" تعلن عن انضمامهم واحداً تلو الآخر، عبر إذاعة البرقيات الواردة من حاميات حمص وحوران والبحرية مؤيدة للانقلاب وقادته، وكان هذا هو الأسلوب المتبع والمتاح في ذلك الوقت ، وساندهم من الجبهة الرائد أمين الحافظ من أعضاء حزب البعث الاشتراكي، و كذلك فعل قائد حامية الساحل الغربي عبد الجواد رسلان، وانضم إليهم قائد المنطقة الوسطى العقيد محمود شوكت. في الوقت ذاته قامت الانتفاضات الشعبية مطالبة باستقالة الشيشكلي، فاضطر الشيشكلي إلى ترك الحكم ومغادرة البلاد.

إعادة الرئيس هاشم الاتاسي للرئاسة

قرر قادة الانقلاب اسناد السلطة الشرعية إلى صاحبها المنتخب وهو الرئيس هاشم الاتاسي ، فعاد الرئيس هاشم الاتاسي إلى الحكم، ورُدَّ إليه سكنه في القصر الجمهوري. و تم الإفراج عن المعتقلين السياسيين.

مقارنة مع مصر

نستطيع أن نلاحظ دون جهد كبير أن انقلاب ١٩٥٤ في سوريا الذي أعاد الديمقراطية قد حدث في نفس التوقيت الذي ضعفت فيه سطوة الرئيس عبد الناصر بعد اضطراره الى التراجع عن انقلابه الأول على الرئيس محمد نجيب (فبراير ١٩٥٤) و عن توليه فيه رئاسة الوزارة للمرة

الأولى بدلا من الرئيس نجيب ، وهو الانقلاب الداخلي الذي قاد من حيث لم يتوقع أصحابه إلى حدوث ما عرف بأزمة مارس ١٩٥٤ التي مكنت المصريين من إعادة الرئيس نجيب للسلطة ولرئاسة الوزارة ، وإعادة فتح القنوات الديمقراطية والاستمرار المبتهج بما ظنه حسنو النية عودة حقيقية لآليات الديمقراطية منخدين بما حدث في سوريا من ربيع ديموقراطي أزاح الشيشكلي ، ومن دون أن ينتبه الساسة المصريون إلى ماكانت الأيام تخفيه عنهم من التخطيط المحكم المؤدي إلى تغييب تام للديموقراطية ، وهو الأمر الذي لم يلبث أن تحقق بسواده كله، ريثما أعاد الرئيس جمال عبد الناصر ترتيب أوراقه، وانهى في نوفمبر ١٩٥٤ وجود الديمقراطية ، كما أنهى وجود الرئيس محمد نجيب في الرئاسة، واعتقله، كما أنهى الوجود الفعلي للأحزاب و الاخوان و كل الكيانات والمشروعات الديمقراطية فيما أعقب حادث المنشية.

فضله في عودة الديمقراطية

وهكذا فإن الدور الناجح للعقيد فيصل الأتاسي ورفاقه في ربيع الديمقراطية في سوريا ١٩٥٤ لم يتكرر في مصر، بل على العكس أدى إلى أثنين الأول هو تخدير القوى المدنية والثاني هو استفزاز وحرص القيادة المصرية العسكرية الجديدة على نزع كل قدرة فاعلة من أية قوة مدنية ومن أية جماعة من الضباط ذوي توجهات وطنية أو معرفية في سوريا ، وهكذا تحول الربيع السوري ليؤدي للنظام الناصري وظيفه كاللحاق او الطعم محذرا ومحصنا ذلك النظام من ترك زمام الأمور للحرية .

استقالته من الجيش

بعد نجاح الانقلاب استقال العقيد فيصل الأتاسي من مناصبه في الجيش وشرح نفسه نائباً عن حمص، ذلك ان الدستور كان يفرض على المرشحين النيابيين أن يكونوا مدنيين لا عسكريين، وأخفق الأتاسي في الانتخابات فاعتزل السياسة في هدوء .

وفاته

توفي العقيد فيصل الأتاسي في ١٥ مارس ١٩٩٨

الفصل ٣٥: كميل شمعون أبرز نموذج للشريك المخالف في المعادلة اللبنانية

شخصية فريدة وعنيدة

كان الرئيس كميل شمعون مفكرا واضح الرؤية مهما كان الاختلاف مع رؤيته وكان من السياسيين القادرين على الكتابة والتأليف ومن كتبه المهمة: مراحل الاستقلال، أزمة لبنان، أزمة في الشرق الأوسط، مذكرات وذكريات. وفي جميع أحواله تبقّى للرئيس كميل شمعون (رغم ما هو معروف من عداوة الرئيسين عبد الناصر والسادات له) صورة ذات ملامح جيدة: رجلا قادرا على الحزم والحسم، صاحب كلمة وصاحب تحالفات متغيرة، مُتمسك بوجوده، معتزّ بذاته، معتدّ بقراراته.

نبدأ بالمفارقات فنقول إن الرئيس كميل شمعون (١٩٠٠ - ١٩٨٧) كان مارونيا والعادة في المارونيين أنهم فرنسيو الهوي والارتباط السياسي لكن الرئيس شمعون من دون الموارنة جميعا كان بريطاني الهوي، وبسبب هذا الوضع الاستثنائي الذي صدر هو نفسه صورته به فإنه أدخل نفسه وأدخل لبنان وأدخل العرب في مُشكلات صغيرة متعددة كان يُمكن لها أن تنتهي قبل أن تبدأ لولا قوة شخصية هذا الرجل الوطني العنيد، ومع أن مشاعر العرب والعروبة تقود تلقائيا إلى التحفّظ على شخصيته وسلوكه وتاريخه فإن التاريخ بحكم الحرص على الموضوعية كثيرا ما يبحث للشريك المخالف عن الصواب في وجهة نظره حتى إذا كان من الظاهر أنها لن توجد.

ثاني رئيس لبنان بعد استقلاله

كان الرئيس كميل شمعون ثاني رئيس للبنان بعد استقلاله فيما بين ١٩٥٢ و١٩٥٨ بعد الرئيس المؤسس الرئيس بشارة الخوري (١٨٩٠ - ١٩٦٤) الذي كان قد بدأ رئاسته وهو يحظى بقبول واسع المدى وبخاصة أنه كان مع الرئيس رياض الصلح قد اعتبرا بمنزلة مؤسسي الاستقلال اللبناني والدستور اللبناني والميثاق الوطني، لكن الرئيس كميل شمعون الذي جاء تطبيقا لمبدأ المُحاصصة وعاش على هذا المبدأ طيلة حياته، ظل مثار قلق وإزعاج لجيرانه الذين لم يكونوا قادرين على أن يصلوا في علاقاتهم الغربية إلى ما وصل إليه من الود الظاهر جدا والدفء الشديد، وهكذا كان وجوده مُزعجا إلى أبعد حدود الإزعاج للرئيس جمال عبد الناصر ولقادة البعث وغير البعث في سوريا وللعرش الهاشمي في الأردن والعراق، وإن كان لأسباب لا تخفي على أحد قد بقي في سلام مع السعوديين.

شغل الرئيس كميل شمعون منصب رئيس الجمهورية ما بين ٢٣ سبتمبر ١٩٥٢ (أي بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بشهرين) وحتى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٨ (أي أنه حضر سبعة شهور من عهد الوحدة) حين أصبحت له حدود مشتركة مع الرئيس جمال عبد الناصر وما يُمثله الرئيس جمال عبد الناصر، وكانت هذه الشهور هي أصعب ما مر على وجدان لبنان.

فشل محاولته تمديد رئاسته

كان التقليد المُتفق عليه في لبنان أن تكون الرئاسة فترة واحدة، لكن الرئيس كميل شمعون أراد أن يُواصل عمله رئيساً، ولما كانت لبنان في ذلك الوقت تتمتع بهامش كبير من حرية كبيرة جداً فإن الاعتراضات العلنية الصريحة سرعان ما واجهته، بل إنها في النهاية لم تُمكنه من أن يُحقق هذا الهدف على الرغم من كل التأييد الغربي الذي حصل عليه، وقد كان من حُسن حظ لبنان أن وجد الجنرال فؤاد شهاب (١٩٠٢ - ١٩٧٣) في ذلك الجيل فكان حلاً جيداً للمشكلة، لأنه أفتع العسكريين العرب وأشياهم (وعلي رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر) بأن لبنان قد تعسّرت قيادتها !! مثل مصر وسوريا والعراق، وأن وزارته ا قد تتعسكر إلى حد ما، فقد كان فؤاد شهاب هو قائد الجيش في ذلك الوقت.

توفي وهو وزير للمالية

لكن الرئيس كميل شمعون لم يتوقف عن مُمارسة السياسة بعد أن أصبح رئيساً سابقاً وإنما أصبح يُمارسها بأعنف مما كان يُمارسها وهو رئيس، وقد عاش عمراً طويلاً (٨٧ عاماً وشهوراً) مكّنه من أن يحضر الحرب الأهلية اللبنانية وأن يكون من أقطابها، ثم أن يكون من السياسيين الباقين على الحياة بعدها وأن يشهد وفاة خصميه عبد الناصر والسادات واحداً بعد الآخر. وعلي الرغم من أن كثيراً من أنداده وأنداد أبنائه قد تمّ اغتيالهم فإنه ظل على قيد الحياة حتى مات بالشيخوخة، وقد تُوفي وهو وزير للمالية! أي وهو قابض على قرارات الليرات كما عاش قابضاً على دعاوي الشعارات.

من الآباء المؤسسين

بدأ الرئيس كميل شمعون حياته السياسية وزيراً في ١٩٣٨ لنفس الوزارة التي توفي وهو يشغلها فلا يعجبنيّ أحد من انقضاء ٤٩ عاماً بين أول وآخر عهده بوزارة من الوزارات فهذا رقم من الأرقام القياسية العربية، فلما أعلن استقلال لبنان وتشكّلت أولي وزاراته وهي وزارة الرئيس رياض الصلح أصبح الرئيس كميل شمعون وزيراً للداخلية والبريد والبرق (سبتمبر ١٩٤٣ - يوليو ١٩٤٤) ضمن الزعماء الستة الذين تشكّلت بهم وزارة الرئيس رياض الصلح.

العودة للوزارة قبل الرئاسة

في ١٤ ديسمبر ١٩٤٦ شارك الرئيس كميل شمعون في وزارة الرئيس رياض الصلح الثالثة وبقي فيها حتى ٧ يونيو ١٩٤٧ وزيراً للمال، وفي ذلك اليوم عاد وزيراً للداخلية لكنه جمع معها الصحة والإسعاف العام بدلاً من البريد والبرق وبقي في هذه الوزارة حتى ١٩ مايو ١٩٤٨ ثم ابتعد عن الوزارات أربع سنوات ثم أصبح رئيساً للجمهورية (١٩٥٢ - ١٩٥٨).

في السبعينات والثمانينات

في أثناء حقبة السبعينات والثمانينات والحرب الأهلية اشترك الرئيس كميل شمعون في وزارة رشيد كرامي (١٩٧٥/٧/١) وزيراً للداخلية والبريد والبرق والهاتف والموارد المالية والكهربائية

وفي أثناء ذلك عُيّن وزيراً للدفاع الوطني في ١٥/٦/١٩٧٥ وفي اليوم التالي أي ١٦/٦/١٩٧٥ عُيّن نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للدفاع الوطني وللخارجية والتربية الوطنية والتعليم العام وهو ما احتفظ به حتى ١٥/٩/١٩٧٦ كما احتفظ بمنصبه نائبا لرئيس الوزراء ووزير الدفاع حتى ٩/١٢/١٩٧٦ وانقطع عن الوزارة لأكثر من ٧ سنوات. وعاد الرئيس كميل شمعون في الثمانينات في ٣٠ أبريل ١٩٨٤ ليكون وزيرا للمال والتعاونيات والإسكان في حكومة الرئيس رشيد كرامي التي تشكلت في عهد الرئيس أمين الجميل المولود ١٩٤٢ والذي هو أصغر من أبنائه، وبقي في هذا المنصب حتى توفي ٧ أغسطس ١٩٨٧.

الانحياز البريطاني

ربما كان من المهم أن نُجيب عن السؤال المنطقي عن السبب في الانحياز البريطاني للرئيس كميل شمعون ومن الإجابات الطريفة أن نقول إن هذا الانحياز حدث، أو تأكد فيما يبدو، عندما عمل الرئيس كميل شمعون سفيرا لبلاده (كان اسم السفير في ذلك الوقت الوزير المفوض) في لندن ١٩٤٤ واستمر في هذا المنصب لأكثر من عامين عاد بعدهما متشبعا تماما بالروح البريطانية والدعامة البريطانية. أُتيح للرئيس كميل شمعون أيضا أن يكون مُمثل لبنان في الأمم المتحدة في نيويورك ١٩٤٨. لم يقف وجود الرئيس كميل شمعون في الحياة السياسية عند الوزارات التي تولاها، وإنما انتخب نائبا في البرلمان ثماني مرات (١٩٣٤ و ١٩٣٧ و ١٩٤٣ و ١٩٤٧ و ١٩٥١ و ١٩٦٠ و ١٩٦٨ و ١٩٧٢).

حضوره الحزبي النافذ : الجبهة الوطنية

عقد الرئيس كميل شمعون كثيرا من التحالفات، وأسس كثيرا من الحركات والتجمعات، لكن أهم هذه التحالفات هي الجبهة الوطنية التي أسسها في ١٩٧٦ والتي كانت عملا عظيما، وظل موقفها نابعا منه ومن آرائه في الحرب الأهلية اللبنانية.

تأسيسه الحلف الثلاثي بعد هزيمة ١٩٦٧

قبل هذا وعقب هزيمة ١٩٦٧ أسس الرئيس كميل شمعون ما سمّاه بالحلف الثلاثي مع ريمون إدّه (١٩١٣ - ٢٠٠٠) عميد الكتلة الوطنية، والشيخ بيار الجميل (١٩٠٥ - ١٩٨٤) رئيس حزب الكتائب القريب منه في السن والعمر. وقد كان ريمون إدّه على الرغم من علاقته بالرئيس عبد الناصر هو السياسي الوحيد في ١٩٦٩ الذي عارض اتفاقية القاهرة التي أعطت الحق للفلسطينيين في القيام بعمليات عسكرية ضد إسرائيل انطلاقا من جنوب لبنان.

تأسيس حزب الوطنيين الأحرار

أسس الرئيس كميل شمعون كذلك حزب الوطنيين الأحرار وقد خلفه فيه بعد وفاته نجله الأصغر داني كميل شمعون (١٩٣٤ - ١٩٩٠) الذي اغتيل مع زوجته وطفليه، وأدين سمير جعجع بقتله وحُكم عليه بالمؤبد. ثم خلفه نجله الأكبر دوري كميل شمعون. (1931)

الفصل ٣٦ : لؤي الاتاسي الرئيس السوري الذي حاولوا اغتياله فعاش ٤٠ عاما

ثاني رئيس لسوريا بعد الانفصال

الفريق لؤي الاتاسي (١٩٢٦ - ٢٠٠٣) هو ثاني رئيس (غير مؤقت) لسوريا بعد انفصالها عن مصر، أما الرئيس الأول (غير المؤقت) بعد الانفصال فهو الزعيم الوطني ناظم القدسي ١٩٠٦-١٩٩٨، وقد سبق هذين رئيس مؤقت جمع رئاستي الجمهورية والوزارة وهو الدكتور مأمون الكزبري الذي أجرى الانتخابات واكتفى برئاسة البرلمان، والشائع أن هذين الرئيسين كانا مع الوحدة، لكن حركة التاريخ تقول بأن الشائع عكس الواقع، وعكس الوقائع، فقد أدى الرئيس ناظم القدسي الدور الذي كرس الانفصال وعودة سوريا إلى ما كانت عليه قبل الوحدة، ولو أنه كان مع الوحدة حقا لفعل مثل الزعيم رشدي الكيخيا ١٨٩٩-١٩٨٧ ورفض أن يغني للانفصال على حد تعبير لؤي الذي وصفته به الكيخيا أكثر من مرة.

مكانته في انقلاب ١٩٦٣

أما الرئيس لؤي الاتاسي فإنه رأس المجلس الوطني لقيادة الثورة وذلك بعد أن سمي انقلاب مارس ١٩٦٣ نفسه ثورة على نحو ما هو معتاد في الانقلابات العسكرية العربية منذ ١٩٥٢ اقتداء بالتجربة المصرية، وكان هذا المجلس مكرسا للانفصال بأكثر ممن جاءوا للحكم بعد انقلاب عبد الكريم النحلاوي في سبتمبر ١٩٦١.

الاختلاف في الوصف

قدم لؤي الاتاسي ومجموعة ٨ مارس ١٩٦٣ أنفسهم على أنهم وحدويون وناصريون، ولا تزال بعض الأدبيات توافقهم على دعواهم هذه، مع أن من الثابت أن الناصريين السوريين بقيادة جاسم علوان ١٩٢٨-٢٠١٨ قاموا بالانقلاب عليهم في ٢٧ يوليو ١٩٦٣ في انقلاب لم يكن من حظه النجاح حيث تصدى لهم أمين الحافظ ١٩٢١-٢٠٠٩ الذي كان يشغل منصب وزير الداخلية في نظام لؤي الاتاسي، ورأى أمين الحافظ أن من حقه أن يكون هو رجل الدولة ورئيس الدولة، و استولى على مقدرات الأمور بذكاء خاطف، فأصبح منتصرا ومستفيدا بعد أن كاد أن يكون ضحية، فلما قبض على زمام الرئاسة بيديه بدأ في صراحة شديدة يعادي الناصريين ويتخلص من وجودهم، مما أدى إلى خلاف بينه وبين رجل الجيش الأول الفريق محمد صوفي (١٩٢٧ - ٢٠١٨) لكن أمين الحافظ كرس السيطرة والنجاح بعد أن كان قد تمكن بالفعل من كل مفاصل الدولة.

من الجدير بالذكر ان الفريق لؤي الاتاسي تخرج في الكلية العسكرية ١٩٤٨ أي في سن الثانية والعشرين وكذلك تخرج الفريق محمد الصوفي في ١٩٤٨ في سن الواحدة والعشرين، على حين تخرج الرئيس أمين الحافظ في ١٩٤٦ في سن الخامسة والعشرين.

بالطبع فقد شمل الانقلاب "الناصرى" الذي لم يكتب له النجاح محاولة اغتيال فاشلة للوئى الاتاسى، وبنجاته من الاغتيال أثر لؤى الاتاسى السلامة، وابتعد عن السياسة، وبقي رئيسا سوريا سابقا طيلة الفترة من ١٩٦٣ وحتى وفاته في ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٣ بعد أكثر من أربعين عاما (أى أكثر من نصف عمره) في المعاش المبكر كرئيس سابق، تاليا في طول هذه المدة لكل من الرئيس الجزائرى بن بىلا (١٩١٦ - ٢٠٠٨) الذي ظل رئيسا سابقا ٤٧ عاما ولخلفه الرئيس امين الحافظ (١٩٢١ - ٢٠٠٩) الذي قدر له من طول العمر أن يعيش حتى ٢٠٠٩ وان يكون رئيسا سابقا لمدة ٤٣ عاماً.

دوره في انقلاب الضباط الأتاسيين ١٩٥٤

فيما قبل ما سمي بالحركة التصحيحية في ١٩٦٣ كان لؤى الاتاسى معروفا عن حق بميله إلى الوحدة مع مصر، وفيما قبل الوحدة مع مصر في ١٩٥٨ ١٩٦٣ فإنه قام بدور تاريخى مرموق ومشرف فيما سمي بانقلاب فبراير ١٩٥٤ أو الانقلاب السورى الخامس الذي أنهى حكم العقيد أديب الشيشكلي ومغامراته، وفتح الباب لعودة الديموقراطية او ما سمي بربيع الديموقراطية إلى سوريا، وهو الربيع الذي استمر منذ ذلك الحين وإلى أن قامت الوحدة مع مصر في ١٩٥٨. ومن الجدير بالذكر أن لؤى الاتاسى كان قائداً للشرطة العسكرية في حلب في ذلك الوقت الذي شارك فيه في انقلاب ١٩٥٤. وهكذا فإن مجمل تجربة الرئيس لؤى الاتاسى فيما قبل ١٩٥٨ لم يكن باعثاً على أي اطمئنان ناصرى لها ولا لصاحبها، حتى وإن لم ينتبه المراقبون لهذا الموقف الناصرى الحاسم من الفريق لؤى الاتاسى.

الاتاسى اسم مرتبط بالرئاسة

يرتبط بذكر الرئيس لؤى الاتاسى معنيان يرتبطان باسمه ولقبه، أما الأول فيرتبط بلقبه إذ أنه ثاني رئيس يحمل لقب الأتاسى من ثلاثة رؤساء من نفس العائلة، اما الأول فهو الرئيس السورى المنتخب الأول الزعيم ورجل الدولة هاشم الاتاسى (١٨٧٥ - ١٩٦٠)، وأما الثالث فهو الرئيس الدكتور الطبيب نور الدين الأتاسى (١٩٢٩ - ١٩٩٢) الذي قام الرئيس حافظ الأسد بحركة التصحيح ضده، وأودعه السجن ٢٢ عاما متصلة حتى ما قبل وفاته بشهور قليلة حيث كان السرطان قد استشرى في جسده.

اما ما يرتبط باسم لؤى فهو أن المصريين في ذلك الوقت سموا كثيرا من مواليدهم لؤى إعجابا بأناقة وخفة وجاذبية ذلك الاسم العربى الأصيل، الذي أصبح يتكرر بعد ذلك، وذلك على الرغم من أن من النادر أن تجد مصريا ولد قبل ١٩٦٣ يحمل اسم لؤى، وكان هذا بالطبع استمرارا لتقليد انتشار أسماء فريدة وناريمان وجيهان ومحمد نجيب وجمال.

وفاته

توفي الفريق لؤى الاتاسى في عهد الرئيس بشار الأسد في ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٣ عن ٧٧ عاماً.

الفصل ٣٧ : لطف الحفار الثائر السوري المتوهج بالوطنية

كان الرئيس لطف الحفار (١٨٨٥ - ١٩٦٨) واحدا من اثنين من الكفاءات الاقتصادية الذين لمعوا في الحقبة الليبرالية السورية و وصلوا إلى الوزارة ورياستها ، أما الأكثر شهرة فهو الرئيس خالد العظم. وقبل هذا، فإنه كان من السياسيين السوريين الوطنيين المجتهدين الذين بذلوا حياتهم من أجل حرية سوريا وتنميتها وسلامتها متنقلا بين هيئاتها السياسية والحزبية.

مولده ونشأته

ولد الرئيس لطف الحفار في حي الشاغور في دمشق، و بدأت مساهمته السياسية بالمشاركة الفاعلة في تأسيس "جمعية النهضة العربية" من أجل التحرر من العثمانيين في ١٩٠٦ وهو في العشرين من عمره ، ونشر مقالاته في جريدتي "العرب" و "لسان الحال". عاد الرئيس لطف الحفار إلى ممارسة السياسة بعد أن لمع اسمه في التجارة وفي غرفة تجارة دمشق (١٩٢٢) التي أصبح نائبا لرئيسها، وتولى تأسيس أول صحافة اقتصادية عربية.

من أوائل المهتمين بدراسة القضايا الجمركية

و من دلائل تفوق السوريين أن لطف الحفار عني في هذه الفترة المبكرة بدراسة القضايا الجمركية بين سوريا ولبنان ، وكان بهذا من طلائع الساسة العرب الذين يُمكن وصفهم بأنهم الخبراء الميدانيون في قضايا التجارة الخارجية الوثيقة الصلة بالاقتصاد السياسي ، أي الذين اكتسبوا خبراتهم الاستراتيجية بهذا الجانب من السياسة من خلال ممارستهم للتجارة والتجارة الخارجية و التعريفات والتعامل مع الجمارك والضرائب والسوق الحر والتبادل التجاري والاستيراد والتصدير. وقد ترأس عددا من المؤتمرات الاقتصادية وعرفه الإنجليز والفرنسيون من آرائه في الاتفاقات الجمركية بين سوريا وفلسطين ولبنان، حيث كانت هذه الاتفاقات مجالاً للتفاوض بين مناطق نفوذ إنجلترا وفرنسا. وهكذا كان لطف الحفار من رواد ما عرف بعد ذلك في العالم بمنظمة الجات واتفاقيات الجات .

تنظيم تعاون المجتمع المدني بالمجتمع السياسي

تولى الرئيس لطف الحفار تنظيم علاقة المجتمع المدني من التجار وأرباب الأعمال بالمجتمع السياسي والقضايا الوطنية على المستويين العلني والسري المتصل بالتبرّعات والإسهامات التي مولت حركات الشباب.

من مؤسسي حزب الشعب

كان الرئيس لطف الحفار من مؤسسي حزب الشعب الذي كان أسسه وترأسه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في منتصف العشرينيات ، وقد شارك مع هذا الحزب في الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ لكنه حين أعلن المفوض الفرنسي السامي الجنرال جو فنيل مقولته المشهورة "السلم لمن

يريد السلم والحرب لمن يريد الحرب" كان من الذين آثروا السلم فانشقّ عن حزب الشعب واشترك في حكومة الرئيس أحمد نامي ضمن ثلاثة من الوزراء الذين أصبحوا بعد ذلك رؤساء للوزارة وهم الرؤساء لطفي الحفار وفارس الخوري وحسني البرازي ، بينما بقي في الحزب الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذي كان يدعم الثورة صراحة وبراها ضرورية.

مناصبه الوزارية

وبهذا بدأ عهد الرئيس الحفار بالمناصب الوزارية مبكراً في وزارة أحمد نامي في ٥ مايو ١٩٢٦ وهي الوزارة التي اشترك فيها فارس الخوري وحسني البرازي، لكن ثلاثتهم اعتقلوا بعد أربعين يوماً، ونفتهم السلطة الفرنسية إلى الحسكة ثم إلى لبنان ولم يُفرج عنهم إلا في أوائل ١٩٢٨ .

إيثاره الانتقال إلى حزب الكتلة الوطنية

انتقل الرئيس لطفي الحفار إلى عضوية الكتلة الوطنية (١٩٢٨) وشارك في الجمعية التأسيسية التي وضعت الدستور ١٩٢٨ ، فكان عضواً منتخبا فيها. ومارس العمل البرلماني وفاز في الانتخابات البرلمانية خمس مرات .

تزويد بيوت دمشق بمياه عين الفيحة

أثبت الحفار نجاحاً مبكراً في تنفيذ مشروع تزويد بيوت دمشق بمياه عين الفيحة، وهو المشروع الذي شارك في إنجازه زميله فارس الخوري وغرفة تجارة دمشق، وتم تشييده (١٩٣٢) بديلاً عن مياه نهر بردى الملوثة، وكان هذا المشروع قد بدأ على يد العثمانيين (١٩٠٦) في عهد الوالي ناظم باشا، وعند تشييد هذا المشروع (١٩٣٢) أسندت إدارته إلى الرئيس لطفي الحفار الذي بقي محتفظاً بالمسئولية عنه إلى أن قامت الوحدة مع مصر.

رئاسته للوزارة

في ١٩٣٨ تولى الرئيس لطفي الحفار وزارة المالية في وزارة جميل مردم بك الأولى، ثم كُلف بخلافة جميل مردم. وبهذا فإنه تولى رئاسة الوزارة في مرحلة مبكرة من تاريخ سوريا وقد تولاها لأقل من شهر بل لأقل من ثلاثة أسابيع ما بين ٢٣ فبراير ١٩٣٩ و١٣ مارس ١٩٣٩ خلفاً لجميل مردم بك في وزارته الأولى التي طال عهدها ما بين ديسمبر ١٩٣٦ وفبراير ١٩٣٩، أما الذي خلفه في رئاسة الوزارة فكان نصوح البخاري.

اتهامه في قضية مقتل الشهبندر

ثم جاءت أصعب فترات حياة الرئيس لطفي الحفار حين اتهم مع سعد الله الجابري وجميل مردم (وثلاثتهم من رؤساء الوزارة) وكذلك الرئيس شكري القوتلي، بقتل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، مما اضطرهم للهرب وكان اتهامهم مؤامرة شاركت فيها السلطات، وانتهت بالحكم ببراءتهم في جلسة ٧ فبراير ١٩٤٤ فعادوا إلى سوريا. وفيما بعد رئاسة الوزارة كان هو وزير الداخلية في وزارتي سعد الله الجابري وفارس الخوري وهما الوزارتان القويتان في عهد الرئيس شكري القوتلي الأول (١٩٤٣) وبعد ذلك أصبح نائباً لرئيس الوزراء في وزارة جميل مردم.

أحد مؤسسي الحزب الوطني

لما تحوّلت الكتلة إلى الحزب الوطني ١٩٤٦ كان الرئيس لطفي الحفار أحد مؤسسي ذلك الحزب واختير نائبا لرئيس الحزب ثم رئيسا للحزب (١٩٤٧)

الجامعة العربية وفلسطين

شارك الحفار في عضوية مؤتمر بلودان التي دعت إلى الجامعة العربية في ٨ يونيو ١٩٤٦ وتولى رئاسة اللجنة المكلفة بدراسة الوضع ، وكان هو ممثل سوريا في مؤتمر الجامعة العربية حول فلسطين في نهاية (١٩٤٨).

ترشحه لرئاسة الجمهورية

كان الرئيس الحفار مرشحا لرئاسة الجمهورية افي ١٩٥٥ ، لكنه انسحب لمصلحة الرئيس القوتلي الذي فاز بهذا المنصب بادئا رئاسته الثانية التي انتهت مع إعلان الوحدة مع مصر .

موقفه من الانقلابات

كان موقف الرئيس لطفي الحفار من الانقلابات العسكرية واضحا ومشرفا ، فقد اعترض على انقلاب الزعيم حسني الزعيم ، فما كان من الزعيم إلا أن حدّد إقامته أربعين يوما. و فيما بعد سنوات كشفت محاكمات بغداد في ١٩٥٨ (بعد ثورة عبد الكريم قاسم) قائمة بأسماء السياسيين السوريين الذين انضموا سرا إلى الانقلاب على المنقلب الأول حسني الزعيم ، وأنه كان منهم. وتذهب بعض المصادر إلى القول بأن الذي نظم جميع هؤلاء الزعماء للانقلاب على حسني الزعيم هو السفير العراقي في دمشق الذي اختاره نوري السعيد وهو موسى الشابندر، كما تُشير هذه المصادر إلى أن طائرة عسكرية تقل نوري السعيد قد حطت في مطار المزة العسكري وهي في طريقها إلى لندن، وكان في استقبال الرئيس نوري السعيد أركان سفارته ومجموعة من الصحفيين والسياسيين، وقد تحدّث إليهم الرئيس نوري السعيد وبشّرهم بقرب تغيير الأوضاع في سوريا.. وهو ما حدث بعد أربعة أيام ، حتى إن إعدام الزعيم حسني الزعيم نفسه تم في مطار مزة العسكري.

اعتقاله في انقلاب ٢٨ مارس ١٩٦٢

وفيما بعد الانفصال عن مصر حدثت مجموعة من الانقلابات كان منها انقلاب ٢٨ مارس ١٩٦٢ الذي لم يستمر إلا أياما قليلة لكن هذه الأيام شهدت اعتقالات رؤساء الجمهورية والوزارة والبرلمان ، ومع هؤلاء الرؤساء ناظم القدسي و لطفي الحفار و خالد العظم ورشدي الكخيا وأودع هؤلاء سجن المزة . وقد آثر الحفار الابتعاد بعد تجربة اعتقاله في ١٩٦٢ .

مذكراته

نشر لطفي الحفار مذكراته تحت عنوان: "مذكرات لطفي الحفار" في جزأين.

وفاته

توفي الرئيس لطفي الحفار في ٤ فبراير ١٩٦٨ ودفن في جبل قاسيون.

الفصل ٣٨ : مأمون الكزبري الذي فشل في خلافة الشيشكلي و نجح في خلافة عبد الناصر

كان الرئيس مأمون الكزبري (١٩١٤ - ١٩٩٨) سياسيا سوريا بارزا قاد بلاده بحكمة وهدوء (وربما بصمت حكيم) في مرحلتين مفصليتين ، وكان لعلمه وحكمته وكياسته فضل في تجنب سوريا الانشقاق الذي كفيلا بانتكاسات خطيرة ، مع أنه كان أيضا أول من بدأ التفكير في توظيف النصوص الدستورية من أجل تأجيل عودة الشرعية أو ما نسميه ببداية تيار الثورة المضادة .

محاولته تولي الرئاسة خلفا للرئيس الشيشكلي

لما نجح الانقلاب السوري الخامس في فبراير ١٩٥٤ (الذي صدر بيانه باسم القادة الثلاثة فيصل الاتاسي و أمين أبو عساف و كاظم الزيتوني) قرر العقيد اديب الشيشكلي الهروب تاركا ما وصف بأنه استقالته لرئيس المجلس النيابي الدكتور مأمون الكزبري الذي قرر، أن يتولى السلطة ريثما يتم انتخاب رئيس جديد، وفقا للدستور، وقد أعلن ذلك أمام النواب، وغادر إلى القصر الرئاسي ليمارس الرئاسة ، وما أن علم العقيد فيصل الاتاسي بذلك وهو لا يزال في حلب حتى أمر الطائرات التي كانت تحت قيادته بإلقاء منشورات من سماء دمشق تتوعد الكزبري و شوكت شقير وغيرهما ممن أرادوا الاستيلاء على السلطة في خضم الأحداث . و هكذا فان الرئيس مأمون الكزبري تولي الرئاسة السورية بصفة مؤقتة لمدة يومين على اقصى تقدير ما بين ٢٦ فبراير ١٩٥٤ و ٢٨ فبراير ١٩٥٤ فيما بين خلع الشيشكلي وقبل عودة الرئيس هاشم الاتاسي .

توليه الرئاسة خلفا للرئيس عبد الناصر

ثم إن الرئيس مأمون الكزبري تولي رئاسة سوريا أيضا بصفة مؤقتة عقب الانفصال وذلك تشبيها للانقلاب على جمال عبد الناصر بالانقلاب على اديب الشيشكلي ، واستمرت هذه الفترة ما بين ٢٩ سبتمبر ١٩٦١ وحتى ٢٠ نوفمبر ١٩٦١ فقط وجمع معها في نفس الفترة رئاسة الوزارة. ولهذا فانه يكفي أن يذكر اسم الكزبري فتجد الحساسية المرضية للناصريين إذ أنه الخلف المباشر للرئيس عبد الناصر في الرئاسة السورية ورياسة الوزارة معها مع كل ما كان يتطلبه هذا و ما يمثله هذا من قدرة سياسي هادئ على أن يحل بدون ضجيج في هذا الموقع الذي كان قد تحول إلى صيغة من صيغ الربوبية التي استعصت على الآليات الكهنوتية و اللاهوتية حتى إن المشير عبد الحكيم عامر نفسه لم يشغله على هذا النحو الصريح .

دوره الحاسم والجوهري عقب الانفصال

و هكذا فإنه عقب الانفصال عن مصر كلف الانقلابيون (فيما سمي بمجلس قيادة الثورة)الدكتور مأمون الكزبري برئاسة الدولة والوزارة الانتقالية وإجراء انتخابات نيابية جديدة، فشكل الوزارة يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٦١، وهو اليوم التالي للانقلاب مباشرة حين كان المصريون لا يزالون في صدمتهم من وقوع الانقلاب ، وحين كان الرئيس جمال عبد الناصر لا يزال يخطب

خطابه الشهير الذي قوطع فيه بالتصفيق مرتين على قرارين متناقضين ١٨٠ درجة ، وشغل الدكتور مأمون الكزبري في الوزارة التي شكلها منصبه وزير الخارجية ووزير الدفاع بالإضافة إلى رئاسته للجمهورية و الوزارة اللتين دامتا حتى نوفمبر ١٩٦١ .

دوره في عودة الحياة النيابية وانتخابه لرئاسة البرلمان

نجحت وزارة الدكتور مأمون الكزبري في إجراء انتخابات تشريعية في ديسمبر ١٩٦١ كانت الأولى في سوريا منذ ١٩٥٤ ، وانتخب هو نفسه أيضاً رئيساً للمجلس النيابي الجديد .

نشأته و تكوينه العلمي

ولد الدكتور مأمون الكزبري في دمشق عام ١٩١٤ في عائلة دمشقية عريقة، و درس الحقوق في الجامعة اليسوعية (جامعة القديس يوسف) ببيروت، وتخرج فيها عام ١٩٣٦، ثم واصل دراسته في فرنسا في جامعة ليون، ونال درجة الدكتوراه في القانون منها. وعمل بالمحاماة في دمشق ثم أصبح أستاذاً في كلية الحقوق بالجامعة السورية (جامعة دمشق فيما بعد).

انتماؤه السياسي العسكري

انضم الدكتور مأمون الكزبري إلى حركة التحرير العربي التي أنشأها أديب الشيشكلي في منتصف عام ١٩٥٣ وقد انتخب نائباً في البرلمان عن دمشق عام ١٩٥٣ ثم انتخب رئيساً للجمعية التأسيسية التي وضعت الدستور في عهد الشيشكلي الذي عينه أيضاً أميناً عاماً للحركة التي أسسها كما أصبح رئيساً للمجلس النيابي .

مناصبه الوزارية بعد ربيع الديمقراطية

اختير الدكتور مأمون الكزبري وزيراً للعدل في وزارة صبري العسلي عام ١٩٥٥ ثم وزيراً للمعارف في وزارة محمد سعيد الغزي. ثم أصبح رئيساً للجامعة السورية (دمشق) عام ١٩٥٦ .

في اثناء الوحدة وبعد انقلاب ١٩٦٢

عاش الدكتور مأمون الكزبري بعيداً عن الحياة السياسية خلال عهد الوحدة مع مصر ١٩٥٨-١٩٦١ واكتفى بأن يشغل منصب رئيس نقابة المحامين. وقد اعتقل لفترة قصيرة عقب الانقلاب الثاني لعبد الكريم النحلاوي الثاني في عام ١٩٦٢ . فلما فشل الانقلاب بقي رئيساً للمجلس النيابي حتى سبتمبر ١٩٦٢ بينما كان ناظماً للقدس رئيساً للجمهورية و بشير العظمة رئيساً للوزراء . ثم غادر الدكتور مأمون الكزبري سوريا بعد انقلاب البعث في مارس ١٩٦٣ وقيام السلطات بالتنسيق على معارضتها وسياسي العهد السابق. وقد انتقل في البداية إلى فرنسا ثم إلى المغرب حيث عمل أستاذاً للحقوق في جامعاتها على نحو ما كان الدكتور أمجد الطرابلسي أستاذاً في الأدب في الجامعة المغربية ، ثم انتقل إلى لبنان وبقي فيه حتى وفاته.

وفاته

توفي الدكتور مأمون الكزبري في بيروت ٢ مايو ١٩٩٨

الفصل ٣٩: محسن البرازي أول مفكر عربي لكل الأنظمة مثل توماس مور

أبدأ بالإشارة إلى أن الصالونات السياسية تستخدم تعبيراً مختلفاً للدلالة على هذا المعنى فنقول صالح لكل المقاسات وكأنها تصف الملابس المطاطية التي تصلح لكل الأحجام ولا تنقيد بمقاس واحد، كبعض أنواع الجوارب، أما في الحياة المسرحية والفنية فالأكثر شيوعاً هو تعبير رجل لكل العصور وهو اسم مسرحية للكاتب روبرت بولت عن حياة السير توماس مور، وقد تحولت إلى فيلم عرض في ١٩٦٦ ففاز بست جوائز أوسكار منها جائزة أفضل فيلم وأفضل ممثل الذي هو بول سكوفيلد ومن الطريف أن أورسن ويلز الذي حصل هو الآخر على الأوسكار (عن عمل آخر) كان من أبطال هذا الفيلم. ومن العجيب ان حياة محسن البرازي السياسية شبيهة الى حد ما بحياة السير توماس مور، فمن الطريف أنه وهو الحاصل على الدكتوراه من السوربون في سن مُبكر 1929 (والذي عمل أستاذاً للقانون في جامعة دمشق وبدأ مناصبه الوزارية كوزير للمعارف) كان يُؤلف كتابه عن الشرع الدستوري حين شارك في دعم الانقلاب العسكري الذي قام به حسني الزعيم فترك الشرع الدستوري وانضم للمنقلب الأول بل أصبح رئيس وزرائه.

وهكذا عُرف الدكتور محسن البرازي في السياسة العربية بأنه أبرز سياسي عمل مع انقلاب حسني الزعيم من بين الساسة السوريين الذين كانوا موجودين في الوزارة قبل الانقلاب، ليس هذا فحسب بل إنه مارس في هذه الفترة القصيرة أدواراً يصعب على أي إنسان أن يجمع بينها في عدة شهور، وهكذا أصبح رجلاً لكل العصور.

التمييز بين حسني ومحسن البرازي

يجدر بنا أن نشير ألى من أسرته رئيس وزراء سابق عليه هو حسني البرازي ١٨٩٥-١٩٧٥، هو الأطول عمراً، وهو الذي وصل إلى رئاسة الوزراء والوزارة قبل محسن، ولنتذكر أن أسبقية الرئيس حسني على الرئيس محسن في كل هذا تأتي متوافقة مع أسبقية حرف الحاء على حرف الميم في ترتيب الحروف الأبجدية، ومع هذا فإن نجم الدكتور محسن كان أسرع صعوداً وأسبق اختفاءً. ويجدر بنا أيضاً أن نشير إلى أن والدة العقيد أديب الشيشكلي قائد الانقلابين الثالث والرابع كانت أيضاً من هذه العائلة.

نشأته وحياته السياسية

ولد الدكتور محسن البرازي في حماة في بداية القرن العشرين ١٩٠٢ وأُتيح له أن يدرس القانون في فرنسا فحصل على شهادة القانون من جامعة ليون ١٩٣٠ كما حصل على الدكتوراه من جامعة السوربون.

عمل الدكتور محسن البرازي محامياً وأستاذاً للقانون الدولي في جامعة دمشق. وفي ١٩٣٣ اشترك الدكتور محسن البرازي مع الرئيس صبري العسلي (رئيس الوزراء السوري فيما بعد)

والمفكرين العربيين قسطنطين زريق وزكي الإسكوزي في تأسيس جماعة سموها "عصبة العمل القومي"، فيما عرف بمؤتمر قرنايل 1933، وكانت جماعة مناوئة للاستعمار وداعية للتعاون الاقتصادي العربي.

صعوده الوثائق

أصبح الرئيس محسن البرازي وزيرا للمعارف في وزارة الرئيس خالد العظم الأولى (ابريل ١٩٤١ - سبتمبر ١٩٤١) وتقرّب من الرئيس شكري القوتلي في أثناء فترة رئاسته الأولى فعينه مساعدا له ما بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٦ وتولى كتابة خطب الرئيس شكري القوتلي في تلك الفترة، كما كان مستشارا قانونيا له.

ثنائية محسن البرازي وحسني الزعيم

في مارس ١٩٤٩ استولى قائد الجيش حسني الزعيم على السلطة مُطيحا بنظام الرئيس شكري القوتلي فكانت المفاجأة الوحيدة أن التكنوقراطي السوري الوحيد الذي قبل التعامل مع نظام الانقلاب العسكري كان هو الدكتور محسن البرازي (وذلك على نحو ما كان اكرم الحوراني مشاركا في كتابة بيان الانقلاب) وأصبح محسن البرازي مستشارا مُقرّبا للزعيم على نحو ما كان مستشارا للرئيس القوتلي. وسرعان ما عيّنه حسني الزعيم رئيسا للوزراء في ٢٥ يونيو ١٩٤٩ .

إنجازات وزارته

أنجز الدكتور محسن البرازي لنظام الانقلاب العسكري الأول الذي عمل معه عدة مهمات. كان أبرزها أنه عقد الاتفاق مع رياض الصلح رئيس وزراء لبنان وتم بهذا الاتفاق تسليم الزعيم اللبناني أنطون سعادة (١٩٠٤ - ١٩٤٩) حيث أعدم بعد محاكمة سريعة في ٨ يوليو ١٩٤٩ وكان هذا مقابل دعم لبنان لنظام الرئيس الزعيم والموافقة على تعاون اقتصادي طويل الأمد، وانعقدت لهذا الغرض قمة ثنائية بين رئيسي البلدين..

ومن الجدير بالذكر أن هذا التصرف جلب سخط مجموعة الضباط المنتمين إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي على حسني الزعيم مما دفعهم فيما روي الى إسقاط حكمه والانقلاب عليه وإعدامه وإعدام الدكتور محسن البرازي معه .

ثانيهما أنه كانت له علاقاته العربية المميزة في مصر والسعودية وهي علاقات نمت بحكم قربه من الرئيس القوتلي ، وقد وظّف هذه العلاقات لخدمة الزعيم حسني الزعيم وصورته وصورة انقلابه العسكري وهو على سبيل المثال مهندس الوحدة المصرية الأولى التي تحدثنا عنها في إطار حديثنا عن حسن الزعيم .

الثالثة وهي الأخطر أنه كان أول مسئول عربي كبير يجري مفاوضات سرية مع إسرائيل بعد حرب ١٩٤٨ بهدف عقد معاهدة سلام ، بل إنه بحث عقد لقاء قمة بين بن جوريون وحسني الزعيم، كما كانت له اتصالاته بموسى شاريت وزير الخارجية الإسرائيلي المعروف.

التحول المطلوب أمريكيا

يتردد أنه على يد الدكتور محسن البرازي حدث التحول في الموقف السوري من ترك المحور الهاشمي وسوريا الكبرى والهلال الخصيب إلى محور مصر والسعودية أو على نحو ما يصفه اليساريون التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على حساب بريطانيا التي كانت مع فكرة محور الهلال الخصيب.

قصة أسعد طلس: قصة جانبية موازية

كان عديل العميد سامي الحناوي الذي هو الأستاذ محمد أسعد طلس (1913 - 1979) يشغل منصب الأمين العام لوزارة الخارجية فتقدم بطلب تعويض من الوزارة عن سرقة بيته في طهران أثناء عمله وزيرا مفاوضا لكن الخارجية الإيرانية كشفت أنه باع أثاث بيته لإيرانيين حددت أسماؤهم فما كان من الدكتور محسن البرازي إلا أن نقل طلس (الذي هو عديل الحناوي) من الخارجية للتعليم، فأجج هذا حقد طلس على محسن البرازي.

انقلاب سامي الحناوي

قبل أن يتم الدكتور محسن البرازي شهرين في رئاسة الوزراء قام انقلاب سامي الحناوي واقتيد الزعيم حسني الزعيم و الرئيس محسن البرازي إلى الإعدام في الساعات الأولى من فجر يوم ١٤ أغسطس ١٩٤٩ (أي بعد خمسين يوما من صعوده إلى رئاسة الوزارة) للمحاكمة والإعدام، وقيل إن اختيار توقيت إعدامهما في فجر قصد به ان يكون مشيرا إلى قرار الثأر لأنطون سعادة.

أعدمه العسكر أمام ابنه (شهادة نذير فنصة ومحمد معروف)

وكان من قسوة العسكر أنهم جعلوا خالد ابن الدكتور محسن البرازي يشهد عيانا بيان إعدام والده بالرصاص وقد روى نذير فنصة عديل حسني الزعيم الذي اعتقل صبيحة الانقلاب أن الجنود صفعوا الدكتور محسن البرازي على وجهه وهو لا يزال يرتدي البيجاما التي كان نائما بها، فوقع مغشيا عليه أمام ابنه خالد الذي ظل وهو رجل كبير ناجح كلما التقى بالأستاذ نذير فنصة يبكي متذكرا ذلك اليوم. و ذكر الأستاذ فنصة أن الدكتور محسن البرازي كان قد تزوج فتاة فرنسية أنجب منها ابنه خالد ثم طلقها بناء على رغبة الأسرة وتزوج مودة الجابري وأنجب منها هادي وبانة وجمانة. وفي كتاب العقيد محمد معروف: أيام عشتها 1949 - 1969 كثير من التفاصيل عن ذلك اليوم، لخص بعضها الأستاذ الأرنؤوط في مقالاته تحت عنوان "من الأرشيف الشخصي لمحسن البرازي".

ابن عمه يأخذ بثأره

في ٣١ أكتوبر ١٩٥٠ قُتل قائد الانقلاب الثاني سامي الحناوي في بيروت على يد محمد البرازي (الشهير بحرشو) ابن عم محسن البرازي ثارا له . وعاش حرشو البرازي حتى 23 ديسمبر 2015 حيث توفي في كاليفورنيا بأمريكا.

الفصل ٤٠ : محمد سعيد الغزي رئيس الوزراء السوري الذي أحرق مذكراته و قرر الصمت

الرئيس محمد سعيد الغزي ١٨٩٣ - ١٩٦٧ رئيس وزراء سوري بارز، كان مُرشحاً لرئاسة الجمهورية لكنه لم يُنَابر في سبيل نيل مثل هذا الهدف الذي لا يجهد الاسوياء من طبقته أنفسهم ولا يذلونها في سبيل الحصول عليه .

وقد تولى الرئيس محمد سعيد الغزي رئاسة الوزارة السورية مرتين : الأولى ما بين ١٩ يونيو ١٩٥٤ و ٣ نوفمبر ١٩٥٤ والثانية ما بين ١٣ سبتمبر ١٩٥٥ و ١٤ يونيو ١٩٥٦ وقد كانت رياسته لهاتين الوزارتين من حيث الزمان متضمنة في المدة الممتدة لرياسة الرئيس جمال عبد الناصر للوزارة في مصر ، قبل توليه رئاسة الجمهورية في يونيو ١٩٥٦ ، وهو آخر سياسي سوري يصل إلى هذا المنصب قبل الوحدة مع مصر فقد كان رئيس الوزراء التالي له صبري العسلي قد تولى رئاسة الوزارة من قبله .

أول خريجي الحقوق السورية

يذكر لمحمد سعيد الغزي أنه هو أول خريجي مدرسة الحقوق (معهد الحقوق) السورية بعدما كان بدأ دراسة الطب في إسطنبول.

ينتمي الرئيس سعيد الغزي إلى بني عامر الذين أقاموا في غزة ، ومن تم أخذوا هذا الاسم المنسوب الى غزة الصامدة ، ثم انتقلوا إلى دمشق وكان بيئتهم يُجاور الجامع الأموي الكبير، بل كان لهم باب خاص يدخلون إلى الجامع منه، وقد كان لهذه الأسرة شأن كبير في المجتمع الدمشقي، وقد تزوج جده حفيدة الشيخ النابلسي المُتصوِّف الشهير ، وكان والده عبد الوهاب الغزي قد انتقل من البيت الكبير المجاور للمسجد الاموي إلى بيت خاص في حي "المناخلية".

اصغر البرلمانيين سنا

فاز الرئيس محمد سعيد الغزي في انتخابات ١٩٢٨ (التي أُجريت في يومي ١٠ و ٢٤ أبريل ١٩٢٨) وهكذا شارك في وضع دستور ١٩٢٨، كما كان أصغر أعضاء البرلمان الفائزين سنا، بما يتناظر مع عبد الرحمن باشا عزام الذي كان أصغر أعضاء برلمان ١٩٢٤ المصري سنا. ومع أن هذا المجلس لم يُعمر إلا عدة شهور فإنه وضع اسم الرئيس محمد سعيد الغزي مع الزعماء المرشحين دوماً للمكانة البرلمانية والسياسية المتقدمة ، و لهذا فإنه فاز أيضا في انتخابات ١٩٤٣ التي جاءت بشكري القوتلي رئيساً للجمهورية وبفارس الخوري رئيساً للبرلمان.

اختياره نقيباً للمحامين

على الصعيد المهني نجح الرئيس سعيد الغزي في مهنة المحاماة نجاحاً متصلاً كما نجح في أن يكون نقيباً بارزاً للمحامين.

انتمائه لحزب الكتلة

و على الصعيد السياسي ربطته الصداقة بجماعة سياسيي حزب الكتلة : شكري القوتلي وسعد الله الجابري وجميل مردم وصبري العسلي.

مناصبه الوزارية

أما على صعيد العمل الوزاري فقد كان أول مناصب الرئيس محمد سعيد الغزي في وزارة الرئيس محمد علي العابد تم أصبح بمثابة وزير العدل التقليدي في وزارة جميل مردم بك و وزارات الكتلة الوطنية على مدى الفترة ١٩٣٧ - ١٩٤٥ بما يتوازي مع الوزير الوفدي محمد صبري أبو علم نقيب المحامين الذي ولد معه في نفس العام (١٨٩٣) وهكذا كان وزيرا العدل في مصر وسوريا محاميين بل نقيبين للمحامين .

شهد الخسوم لوزارة محمد سعيد الغزي التي أجرت الانتخابات (١٩٥٤) بالنزاهة المطلقة وهو ما أدى إلى فوز حزب البعث العربي الاشتراكي بسبعة عشر مقعدا لأول مرة في تاريخه.

توافقه مع الكتلة الشرقية و استقالته بسبب تداعيات ثورة الجزائر

أرسي محمد سعيد الغزي العلاقات السورية مع الاتحاد السوفييتي و بعض دول الكتلة الشرقية (رومانيا وتشيكوسلوفاكيا) والصين.

ارتبطت استقالته من رئاسة الوزارة في ١٩٥٦ بأحداث اقتحام الطلبة لوزارة الاقتصاد فيما عُرف بالاحتجاج على بيع القمح لفرنسا دعما لثورة الجزائر .

ابنته روت تاريخه بينما احرق هو نفسه مذكراته

كان من حظ الرئيس سعيد الغزي أن حفظت ابنته ناديا المحامية تاريخه وتراثه وإن كانت قد روت أنه هو نفسه أحرق مذكراته.

اعتزاله الصامت

نجح محمد سعيد الغزي في أن يتخذ موقفا صامتا من قضايا الوحدة والانفصال والانقلابات فلم يكتبو بما اکتوى به أنداده ممن آثروا المعارضة أو حتى التعليق.

جنازته

توفي محمد سعيد الغزي في ١٩٦٧ و كان من حظه أن شُيعت جنازته في دمشق في مشهد شعبي مؤثر عبر عما كان يحظى به من احترام خصومه وأنصاره على حد سواء.

الفصل ٤١ : معروف الدواليبي رجل الدولة الإخواني الأحمر

الدكتور معروف الدواليبي (١٩٠٩-٢٠٠٤) نموذج متميز من الساسة السوريين في عصر الليبرالية كان حين وصل إلى رئاسة الوزارة أصغر رؤساء الوزارة بفارق يسير عن أقرانه لكن المعنى الذي نريد أن نشير إليه بهذه الجزئية أنه كان واعداً، وأن زعامته كانت تستمد كثيراً من ألقها وتوجهها من عناصر شخصية صاحبها الذي كان ذا تميّز حقيقي، فقد جمع بين الأدب والقانون والسياسة كما كان صاحب قبول وجاذبية .

زميل العلامة الزرقا في الدراسة المزدوجة

ولد الدكتور معروف الدواليبي في ٢٩ مارس ١٩٠٩ و بدأ حياته العلمية مع زميله العلامة الشيخ مصطفى الزرقا ١٩٠٤ - ١٩٩٩ معتمداً بالعمامة الحلبية المشهورة لكنه تحول إلى الزي الحديث والتزم به بعد عودته من دراسته في فرنسا، وكان قد بدأ بدراسة الشريعة ثم درس الحقوق والآداب في الجامعة السورية ونال شهادتيهما معاً بتفوق، وكذلك فعل زميله الشيخ مصطفى الزرقا ، وكان هذا النظام متبعاً في سوريا في ذلك الوقت كما كانت مصر قد بدأت بتطبيقه وكان أشهر من تخرج تبعاً له من المصريين مفكر مناظر لهما في القيمة والمولد وهو الدكتور محمد مندور (١٩٠٧- ١٩٦٥) الذي حصل على الشهادتين معاً طبقاً لتوجه علمي لم يُقدّر له أن يستمر.

دراسته في السريون

وقد أهله تفوقه للبعثة إلى فرنسا (١٩٣٨) وقد تزوج من فرنسية في أثناء دراسته في باريس و حصل على الدكتوراه في القانون بعد أن أتم دراسته في القانون الروماني وتاريخ القانون و الحقوق الكنسية وكانت رسالته عن الاجتهاد في الإسلام. وبعد عودته من بعثته التي استغرقت كل سنوات الحرب العالمية الثانية (بكل مآسيها) عمل أستاذاً في كلية الحقوق بجامعة دمشق ، ورئيساً لقسم تاريخ القانون في كلية الحقوق كما عمل أستاذاً في كلية الشريعة .

ما بين الإخوان و حزب الشعب

من الشائع أن الدكتور معروف الدواليبي كان من الإخوان المسلمين لكنه على المستوى الحزبي كان عضواً في حزب الشعب ، وبهذه الصفة دخل الوزارة والبرلمان ووصل إلى مناصبه الوزارية والبرلمانية. ومن الجدير بالذكر أنه كان واحداً من أربعة من العلماء الأجلاء الذين رشحهم أبناء التوجهات العلمية الإسلامية والسياسية للانتخابات البرلمانية التي أجريت ١٩٤٧ وقد فاز ثلاثة منهم كان هو أولهم ، والمجمعي العظيم الأستاذ محمد المبارك في دمشق ، والأستاذ محمد الشقفة في حماة بينما لم يفز القاضي أنيس الملوحي في حمص.

مواجهة مع الوكالة اليهودية

كان الدكتور معروف الدواليبي في تعامله المبكر مع الفرنسيين واعيا لأثر الوكالة اليهودية وعلاقتها القوية مع رئيس الوزراء الفرنسي (١٩٣٦)، وإحاحها في التراجع عن استقلال سوريا. وقد بدأت ملامح زعامة الدكتور معروف الدواليبي في الظهور حين كان في باريس وانتُخب رئيساً للجنة الطلاب العرب في فرنسا.

وقد حافظ الدكتور معروف الدواليبي على هذه المكانة بل واستثمرها في تكوين علاقات ذكية بالمجتمع المدني الفرنسي والمجتمع السياسي الفرنسي، وكان من حظه أنه اتصل بجماعة الرئيس ديغول الذي كان يُقاوم خضوع حكومة فيشي للاحتلال الألماني.

تهريب الحاج أمين الحسيني

وقد مكنته هذه الصلة من أن يشترك في أكثر من خطوة من خطوات تهريب الزعيم الفلسطيني الحاج أمين الحسيني بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية واستهداف الولايات المتحدة الأمريكية والحلفاء للمفتي العظيم ، ومما هو جدير بالذكر أن الرئيس ديغول لم يستجب لضغوط الحلفاء عليه لتسليم الحاج أمين الحسيني، بل غض الطرف وربما ساعده على الهروب من أوروبا كلها إلى حتى عاد إلى مصر.

تعاون السلطان محمد الخامس وديغول

وتذكر بعض الروايات أن الدكتور معروف الدواليبي دفع أحد كبار رجال الأعمال المغربية في باريس وهو عبد الهادي ديوري إلى أن يوصي السلطان محمد الخامس ملك المغرب بأن يطلب من الرئيس ديغول (عند زيارته باريس للتهنئة) حماية الحسيني من التسليم لبريطانيا، وأن الرئيس ديغول استجاب لطلب الملك محمد الخامس.

ويروى أن المسيو بونو المفوض السامي في سوريا ولبنان دعا السفراء العرب إلى منزله في باريس (محمود فخري باشا سفير مصر ود. عدنان الأتاسي سفير سوريا وأحمد الداعوق سفير لبنان) وفاجأهم بوجود أمين الحسيني مدعوا وأنه أصبح حراً وأن بوسعه التنقل، وقد أوفدت الجامعة العربية الزعيمين رياض الصلح رئيس وزراء لبنان وحמיד فرنجية وزير الخارجية إلى باريس لتهنئة الحسيني الذي بدأ يتنقل بجواز سفر فرنسي باسم الدكتور منصور وبقي في باريس حتى تمكّن الدكتور معروف الدواليبي من تهريبه إلى القاهرة على طائرة أمريكية (!) وقد حدث هذا بينما اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا الرئيس ديغول بتهريبه على طائرة فرنسية. وقد أكسب هذا الموقف الرئيس ديغول كثيراً من الاحترام والثقة في الأوساط العربية كما خُفّف بعض الشيء من أثر مرارة العداوة البالغة التي نشأت بسبب قصف فرنسا لبرلمان السوري بالمدافع في ٢٩ مايو ١٩٤٥.

تمثيل سوريا في الاستفتاء على مستقبل إسكندرون

قرب نهاية الثلاثينيات كان الدكتور معروف الدواليبي هو ممثل سوريا في الاستفتاء الشعبي على مستقبل لواء إسكندرون وقد اختارته الكتلة الوطنية لهذه المهمة، ومع أن الاستفتاء الشعبي انتهى بالموافقة بنسبة ٨٠٪ على بقاء اللواء بسوريا فإن الفرنسيين اتفقوا مع الأتراك على إلحاقه بتركيا.

من النواب الحلبيين

بدأ الدكتور معروف الدواليبي نشاطه السياسي على المستوى الوطني متأخرا بعض الشيء بسبب غيابه في طلب العلم إذ أنه انتخب نائبا عن حلب في مجلس النواب ١٩٤٧ وبهذا انضم إلى سلسلة الزعماء والنواب الحلبيين المتميزين الرؤساء سعد الله الجابري وناظم القدسي ورشدي الكخيا . وقد احتفظ الدكتور معروف الدواليبي بمقعد حلب في مجلس النواب السوري في كل الانتخابات البرلمانية منذ ١٩٤٧ وحتى ١٩٦٣ وتولى الرئاسة رئاسة النواب (١٩٥١) والوزراء (١٩٥١، ١٩٦١-١٩٦٣)

في ١٩٤٨ حينما انقسمت الكتلة الوطنية إلى حزبين : الشعب (في حلب) والوطني (في دمشق) كان الدكتور معروف الدواليبي أحد الأركان الأساسية لحزب الشعب (الجديد) مع رشدي الكخيا الذي خلف سعد الله الجابري في زعامة الشمال (حلب) بعد وفاته ١٩٤٧ وناظم القدسي. وحين بدأ عصر الانقلابات العسكرية ظهر معدنه فعلى حين تعاون الزعيم أكرم الحوراني مع الرئيس حسني الزعيم في إدارة الأمور بعد أول الانقلابات العسكرية بل إنه هو الذي كتب بيان الانقلاب، وسجله بصوته فإن حزب الشعب بقيادة الرؤساء رشدي الكخيا وناظم القدسي و معروف الدواليبي رفض هذا التعاون وأكد على تمسكه بالمبادئ الديمقراطية ورفضه اعتداء القوات المسلحة على الدستور واغتصابها للسلطة

تأييده الاتحاد مع العراق

ومع ميل السوريين إلى الاتحاد مع إخوانهم العرب كان الدكتور معروف الدواليبي في طليعة من عبّروا عن الرغبة في الاتحاد مع العراق وكان هذا هو توجه حزب الشعب كما كان توجه الحزب الوطني الذي آلت زعامته في ذلك الوقت إلى الزعيم نبيه العظمة. وقد نجح الحزبان "الشعب والوطني" في حشد الرأي العام السوري للخلاص من انقلاب حسني الزعيم وهو ما أنجزه سامي الحناوي بانقلابه . لكن القوى المناوئة عمدت إلى تحريض العقيد أديب الشيشكلي للقيام بانقلاب ثالث ، وقد قام العقيد أديب الشيشكلي بانقلابه مدعوما أيضا من الحوراني وحزبه الذي أيد انقلاب الرئيس حسني الزعيم من قبل .

بداية مناصبه الوزارية

نعرف أن العقيد أديب الشيشكلي حافظ على وجود صورة الدولة التقليدية غير العسكرية متمثلة في شخص الرئيس هاشم الأتاسي رئيس الجمهورية، كما التزم بعدم المساس بالشخصيات الحزبية، ولهذا كلف الرئيس هاشم الأتاسي الرئيس خالد العظم بتشكيل وزارة ضمت الدكتور معروف الدواليبي والزعيم الحوراني معا: فكان الدكتور معروف الدواليبي للاقتصاد الوطني والحوراني للدفاع ، وكان العقيد أديب الشيشكلي يستهدف بهذا توازنا يُساعده في الوجود في الصدارة السياسية دون أن يتورط في مواجهات عسكرية.

هكذا اختير الدكتور معروف الدواليبي وزيرا للاقتصاد الوطني في ١٩٥٠ (في الوقت الذي كانت فيه الدعوة إلى وزارة للاقتصاد توتي ثمارها ، ففي مصر ضمت وزارة الوفد الأخيرة في يناير ١٩٥٠ وزيرا للاقتصاد الوطني) ، ثم أصبح نائبا لرئيس مجلس النواب السوري ١٩٥١

صعود نجمه بسبب تصريحه المهدهد بالانحياز للسوفييت

وقد شهد عهد هذه الوزارة أبرز موقف صعد فيه نجم الدكتور معروف الدواليبي سياسيا بفضل شجاعته في التعبير عما كان يجول في نفوس العرب من الضيق بالموقف الأمريكي والغربي من قضية فلسطين، فقد حضر الدكتور معروف الدواليبي اجتماع رؤساء الوفود العربية في ١٣ أبريل ١٩٥٠ في الدورة ١٢ للجامعة العربية وهو الاجتماع الذي كان مُخصّصا لإقرار مشروع الضمان الجماعي العربي .

وفي أثناء ذلك المؤتمر صرّح الدكتور معروف الدواليبي لزهير الكزبري مراسل جريدة المصري (الوفدية) في دمشق بأنه إذا استمر ضغط الوزارة الأمريكية على البلاد العربية فإنه يرجو اجراء استفتاء في العالم العربي يظهر فيه العرب أنهم يُفضلون ألف مرة أن يُصبحوا جمهورية سوفياتية على أن يكونوا "طعمة لليهود"، وقد أبرزت صحيفة المصري هذا التصريح في صفحتها الأولى، وأحدث دوبا هائلا في المجتمع الدولي وبخاصة أن الحكم في ذلك الوقت كله لحكومة وفدية برئاسة النحاس باشا وقد رحبت الدوائر الوفدية بالتصريح ورأت فيه ما يدعمها في مفاوضاتها مع البريطانيين.

وقد سلك رئيس الوزراء السوري خالد العظم مسلكا حكيما تجاه تصريح الدكتور معروف الدواليبي فلم يمكّن الأمريكيين من تصوير التصريح على أنه تعبير عن رأي فردي.

الدبلوماسية الغربية تصدر التصريح الثلاثي ردا عليه في مايو ١٩٥٠

ومع أن الصحافة الغربية وصفت الدكتور معروف الدواليبي بناء على هذا التصريح بوصف الشيخ الأحمر فإن الدوائر الدبلوماسية الغربية في الدول الثلاث انتبهت إلى خطورة هذا التوجه واهتمت بدراسته في اجتماع وزاري ثلاثي صدر عنه تصريح ٢٦ مايو ١٩٥٠ المعروف بالتصريح الثلاثي الذي أعلن عن معارضة هذه الدول لقيام سباق تسلح بين الدول العربية وإسرائيل، كما نبه إلى ضرورة الحيلولة دون توثيق علاقات الدول العربية بالدول الشيوعية وعلى

رأسها الاتحاد السوفييتي واستمرار بيع السلاح للدول العربية شريطة تعهد هذه الدول العربية بعدم استعماله ضد الكيان اليهودي، والتزام هذه الدول الثلاث بضمان الحدود وخطوط الهدنة. ويستطيع الباحث في التاريخ العربي المعاصر أن يلحظ مدى القوة التي اكتسبها الوضع التفاوضي العربي بفضل تصريح الدكتور معروف الدواليبي وجودة صياغته و ذكاء توقيته فقد عبّر بأمانة عن مشاعر العرب، واستند في تعبيره إلى مكانة الدكتور معروف الدواليبي والوزارة التي كان هو نفسه عضوا فيها كحكومة منتخبة، مع أنه لم يكن وزيرا للخارجية وإنما للاقتصاد ومع أن رئيس الوزارة الرئيس خالد العظم كان موجودا في الوقت ذاته على رأس الوفد السوري في الاجتماعات العربية.

ومن المؤسف أن الوضع العربي بسبب غياب الديمقراطية وبسبب حالة الافتراق بين الشعوب وسلطاتها الحاكمة افتقد الإفادة من مثل هذه القدرة الفادرة على تحقيق مكاسب عربية في قضية فلسطين بعيدا عما دُبّر لهذه القضية من مؤامرات شاركت فيها العسكرية العربية بالسلبية أو بالمعارك الخاسرة .

فوزه على مرشح الشيشكلي وخلافته للكخيا في رئاسة مجلس النواب

ثم بدأ صراع جديد لحزب الشعب مع الإدارة الأمريكية اضطر معه رشدي الكخيا زعيم حزب الشعب أن يعلن استقالته من مجلس النواب احتجاجا على تصرفات العقيد أديب الشيشكلي المدعوم من الإدارة الأمريكية، ومع أن استقالة الكخيا من رئاسة النواب كانت كافية لتصعيد الاحتجاج إلى مستويات أقوى فإن الدكتور معروف الدواليبي خاض انتخابات رئاسة مجلس النواب في ٢٣ يونيو ١٩٥١ خلفا للرئيس رشدي الكخيا في مواجهة مع مرشح العقيد أديب الشيشكلي وهو النائب عبد الباقي نظام الدين، وحصل الدكتور معروف الدواليبي على ٥٧ صوتا بينما فاز مرشح العقيد أديب الشيشكلي ب ٣٧ صوتا وهكذا تأكدت الزعامة لحزب الشعب والقوى الوطنية في ذات الوقت الذي تأكد فيه أيضا احتجاج الكخيا على الممارسة السلطوية للرئيس أديب الشيشكلي التي تجاوزت الحدود.

تأييد حقوق العرب و المغرب العربي

وفي ذلك الوقت لعب الدكتور معروف الدواليبي من موقعه في مجلس النواب دورا وطنيا كبيرا تزعم من خلاله الرأي العام في تأييد الحقوق العربية ومنها حقوق المغرب العربي في الاستقلال. ومع الوقت أصبح الدكتور معروف الدواليبي بمثابة مركز من مراكز البؤر المهمة المناهضة لسلطة العسكريين. وقد واصل الدكتور معروف الدواليبي حملته من أجل الدفاع عن السلطان محمد الخامس الحاكم الشرعي للمغرب على مدى كل الفترات التي أتيج له فيها الحديث المؤثر .

تشكيله الوزارة كان سببا مباشرا لانقلاب الشيشكلي الثاني

تطور الأمر بأن كُلف الرئيس هاشم الأتاسي الدكتور معروف الدواليبي بتشكيل الوزارة فيما فهمه العقيد أديب الشيشكلي والعسكريون على أنه تحدّد شديد لسلطتهم وتدخلهم، وأبدى العقيد أديب

الشيشكلي اعترضه على تكليف الدكتور معروف الدواليبي برئاسة الوزراء بينما هو يقود حملة على فرنسا التي هي في رأي العقيد أديب الشيشكلي المصدر الأول لتزويد سوريا بالسلاح. ويُذكر التاريخ للدكتور معروف الدواليبي أنه كان حريصا على تشكيل وزارته رغم اعتراض العقيد أديب الشيشكلي ، وقد شكّل وزارته وتولى وزارة الدفاع بنفسه كما كلف الدكتور منير العجلاني (مستقل) بوزارة العدل وأحمد قنبر (من حزب الشعب) بالداخلية . وأصدر الرئيس هاشم الأتاسي مراسيم تشكيل وزارة الدكتور معروف الدواليبي في ٢٨ نوفمبر ١٩٥١، فاجتمع العقيد أديب الشيشكلي رئيس الأركان برئيس الجمهورية في حضور رئيس الوزراء وأبدى اعتراضه العلني على إسناد الدكتور معروف الدواليبي وزارة الدفاع لنفسه وطالب صراحة بتشكيل وزارة جديدة تتفق مع رغبات الجيش.

وكان هذا الاجتماع بمثابة الذروة التي كشفت عن ميول العقيد أديب الشيشكلي السلطوية إذ أنه في صباح اليوم التالي ٢٩ نوفمبر ١٩٥١ اعتقل الدكتور معروف الدواليبي وأعضاء وزارته كما اعتقل الزعيم رشدي الكخيا زعيم حزب الشعب ووضعهم جميعا في سجن المزة وأعلن بيان الانقلاب الشيشكلي الثاني وهو ما يُعرف عند المؤرخين بالانقلاب السوري الرابع تمييزا له عن انقلاب الشيشكلي الأول في ديسمبر ١٩٤٩، وكان هذا الانقلاب انقلابا سافرا إذا ما قورن بالانقلاب الثالث الذي قاده العقيد أديب الشيشكلي نفسه والذي كان انقلابا مهذبا مستترا.

استقالة الرئيس هاشم الأتاسي

وعلى نحو ما هي العادة المرذولة في ممارسة السياسة عند من يصوغون خطابات العسكريين فقد سارع خطاب العقيد أديب الشيشكلي بإلقاء تهمة العمل على الإطاحة بالدولة واستقلالها.. وحاول العقيد أديب الشيشكلي أن يحصل من الدكتور معروف الدواليبي على استقالة الوزارة فرفض ، ولكنه قدمها إلى الرئيس الأتاسي الذي قدم هو الآخر استقالته من منصبه، ومن ثم اضطر العقيد أديب الشيشكلي إلى أن يشكل مجلسا عسكريا لتولي أمور الدولة على نحو ما تقول تقنيات وكتالوجات الانقلابات العسكرية .

هكذا فإن الدكتور معروف الدواليبي أصبح رئيسا للوزارة ووزيرا للدفاع ليومين أو ثلاثة في نهاية نوفمبر ١٩٥١ ، وقد عدّ توليه وزارة الدفاع مع رئاسة الوزارة بمثابة السبب المباشر لقيام العقيد أديب الشيشكلي بانقلابه الثاني الذي اضطر معه الرئيس الأتاسي لترك رئاسة الجمهورية فتولاها الرئيس فوزي السلو ثم العقيد أديب الشيشكلي بنفسه .

وبدأ العقيد أديب الشيشكلي يُمارس السلطة بطريقة سافرة، وبالاستحواذ على المؤسسات كلها في يده، حتى إنه رشح نفسه لرئاسة الجمهورية وتولاها وبقي فيها حتى أثار الرحيل في ٢٥ فبراير ١٩٥٤ لتعود الديمقراطية لسوريا بالتزامن مع عودة الديمقراطية المؤقتة (الأولى) في مصر حين نجحت حركة الجماهير في أن تجبر الرئيس جمال عبد الناصر على التراجع عن محاولته الأولى في إبعاد وإقالة محمد نجيب وأن تجبره على إعادة مناخ حرية التعبير .

عودة ربيع الديمقراطية

فلما عاد ربيع الديمقراطية بعد أنهى الانقلاب الخامس عهد العقيد أديب الشيشكلي ١٩٥٤ أعيد الرئيس هاشم الأتاسي للرياسة لاستكمال مُدته، وشكلت وزارة برئاسة صبري العسلي الأمين العام للحزب الوطني .

عودته لمنصب وزير الدفاع

وكان من الطبيعي تكريسا للحياة السياسية السليمة أن يُسند منصب وزير الدفاع إلى الدكتور معروف الدواليبي مرة أخرى . وهكذا عاد الدكتور معروف الدواليبي للمناصب الوزارية ووزيرا للدفاع الوطني ١٩٥٤ في وزارة الرئيس صبري العسلي.

اختياره رئيسا للوزراء عقب الانفصال

بعد انقلاب النحلاوي وإعلان الانفصال السوري كان الدكتور معروف الدواليبي هو السياسي الذي وقع عليه الاختيار ليكون رئيسا لوزراء سوريا بعد الانفصال عن مصر في ١٩٦١ وقد ظل يشغل هذا المنصب حتى ١٩٦٢ . والواقع أنه بعد الانفصال عن مصر في سبتمبر ١٩٦١ مثلت كوادر حزب الشعب(الذي كان قد شمله الحل مع قيام الوحدة) الحاضنة الشعبية للانفصال وتجلّى هذا في انتخاب الرئيس ناظم القدسي (وهو القطب الثاني في الحزب) لمنصب رئاسة الجمهورية خلفا للرئيس جمال عبد الناصر وتكليف الدكتور معروف الدواليبي برئاسة الوزارة (خلفا لجمال عبد الناصر أيضا).

اتهامه للرئيس عبد الناصر بنقل السلاح السوري للقاهرة

في تلك الفترة كان الدكتور معروف الدواليبي نفسه بذكائه هو الذي عبر أو أذاع الفكرة الشائعة حتى الآن (على استحياء) والقائلة بأن ترسانة الأسلحة السورية نقلت إلى القاهرة وكذلك الطائرات التي كانت سوريا قد اشترتها قبل الوحدة وأن هذا النقل لم يكن من قبيل الاستحواذ فحسب، ولكنه كان بهدف تقليل فرصة نجاح أي انقلاب عسكري سوري على حكم الرئيس عبد الناصر ، ومع هذا فقد قام النحلاوي و زملاؤه بالانقلاب بدون حاجة ماسة إلى سلاح متقدم.

تقريره لتمسك الولايات المتحدة بصيغة الوحدة ورفضها الاعتراف بالانفصال

كان الدكتور معروف الدواليبي أيضا هو الذي كشف و رسّخ الفكرة (الحقيقية) القائلة بأن أمريكا لم تعترف بالانفصال السوري عن دولة الوحدة برئاسة عبد الناصر لأنها كانت ترى في عبد الناصر ضمانا لاستقرار حدود إسرائيل على حين أن الجيش السوري لو ترك وأمره في ذلك الوقت لأشعل هذه الحدود، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد لمست التزاما جادا من الرئيس عبد الناصر بعدم التصعيد بل المضي في تيريد القضية الفلسطينية وهكذا بنى الدواليبي استراتيجية على فكرة إدخال السوفييت في القضية. ومن الطريف الذي أخفاه الإعلام الناصري أن الاتحاد السوفييتي كان قد اعترف بالنظام الجديد في سوريا (الانفصال) على حين لم تعترف الولايات المتحدة.

دعوته السفير السوفييتي في بيروت لمقابلته

دعا الدكتور معروف الدواليبي السفير السوفييتي إلى مقابلته، وأبدى رغبته في تعاون سوفييتي غير محدود مع تمسك سوريا بحريتها. ومن الجدير بالذكر هنا أن الدكتور معروف الدواليبي في ظل عدم اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالانفصال (و من ثم عدم وجود سفير أمريكي في دمشق) استدعى السفير الأمريكي في بيروت وأنهى إليه بتفصيلات ما أبلغه إلى الاتحاد السوفييتي، وفي ذلك الوقت كان الاتحاد السوفييتي ينتهج سياسة ردود الفعل النشطة فأبلغ السوريين بعد ٤٨ ساعة من لقاء الدكتور معروف الدواليبي بالسفير السوفييتي موافقة الاتحاد السوفييتي على تزويد سوريا بكل ما تحتاجه من السلاح بل إن القيادة الروسية طلبت من الرئيس عبد الكريم قاسم أن يحول إلى الوزارة السورية ٤٠٠ دبابة من الدبابات التي كانت روسيا قد زودت بها بغداد. ومع أن تفصيلات المداولات السوفييتية والأمريكية فيما بعد وقوع حدوث الانفصال لم تُذع بالكامل حتى الآن فإننا نستطيع أن ندرك أن وجود سياسي مقنن و جري مثل الدكتور معروف الدواليبي في الوزارة السورية التي أعقبت الانفصال قد أذى صورة الرئيس عبد الناصر ومخططاته على نحو لم يُحسب له من قبل، ولو أنه تُحسب له لكان موقفه من مواجهة الانفصال أشد صلابة مما كان عليه حين أثر الاستكانة إلى التطمينات الأمريكية والغربية من دون أن يحسب حسابا للفهم السوفييتي النشط في ذلك الوقت وعلاقته بالواقع السوري وتداعياته وصولا إلى هزيمة ١٩٦٧.. وهو ما لم يبدأ في الاتضاح للمتقف العربي إلا بعد ثورات الربيع العربي في ٢٠١١.

البعث يتسلم الحكم

على كل الأحوال فقد جاء البعث إلى الحكم وكان لا بد للرئيسين الدواليبي والقديسي باعتبارهما من حزب الشعب (الذي هو المنافس و المناوئ الأكبر للبعث وصعوده) من أن يتركها مجال السياسة نهائيا كما تركها الرئيسان القوتلي والعسلي وغيرهما من الحزب الوطني وكما تركها كل المستقلين من كتلة الرئيس خالد العظم بل والرئيس خالد العظم نفسه. وبحلول مارس ١٩٦٣ انتهت تماما مرحلة الوجود الليبيرالي في سوريا لتدخل سوريا إلى مرحلة البعث المُتَعَسِكر الذي لا يزال حتى يومنا هذا في السلطة. فلما تأكدت سيطرة البعث على مقاليد الأمور وأدرك الدكتور معروف الدواليبي ألا مستقبل آمنا له في سوريا أثر أن يعيش في المملكة العربية السعودية وقد عينه الملك فيصل مستشارا في الديوان السعودي وبقي يحتفظ بهذا المنصب في عهد الملك خالد والملك فهد.

المرحلة السعودية من حياته

أنجز الدكتور معروف الدواليبي كثيرا من المهام للسعودية في ميدان علاقاتها بالدول الإسلامية في المجتمع الدولي. فقد ترأس منظمة مؤتمر العالم الإسلامي كما ترأس مؤتمر العالم الإسلامي في كراتشي عام ١٩٧٥، وهو المؤتمر الذي سجل لدى الأمم المتحدة كمراقب، كما كان عضوا مراقبا في مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي. كما كان رئيسا لمنظمة (الإسلام والغرب) الدولية، ومركزها جنيف بسويسرا، منذ سنة ١٩٧٩ وهي سنة تأسيسها، حتى أواخر عام ١٩٨٤. واختير

أيضا نائب رئيس المؤتمر الإسلامي الشعبي في بغداد، و رئيسا لمجلس أمناء ذلك المؤتمر سنة ١٩٨٤. وعضوا في الندوات العلمية الدولية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام، في الرياض، ثم في باريس، ثم في الفاتيكان، ثم في مجلس الكنائس العالمي في جنيف، ثم في مجلس وزراء الوحدة الأوربية في ستراسبورغ منذ عام ١٩٧٣ حتى أواخر عام ١٩٧٤. وكان عضوا في مؤتمر رسالة المسجد الدولي في مكة المكرمة عام ١٩٧٥ ثم عضوا في المجلس الأعلى العالمي الدولي للمساجد في مكة المكرمة منذ ١٩٧٥ حتى وفاته.

شارك الدكتور معروف الدواليبي في عدد كبير من المؤتمرات السياسية والعلمية، وفي كثير من الندوات، وألقى فيها العديد من المحاضرات، وكان حضوره فيها مشهوداً ومتميزاً.

من هذه المؤتمرات:

- كان رئيس وفد سورية الحكومي إلى حلقة الدراسات العربية والاجتماعية الدولية ١٩٥٠.
- مثل جامعة دمشق في مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامي الدولي ١٩٥١ في باريس
- عضو المؤتمر العام الأول لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ١٩٦٥.
- رئيس وفد سوريا في المؤتمر الأول للشعوب الأفريقية والآسيوية في نيودلهي ١٩٥٥.
- عضو في الوفد السوري الحكومي إلى المؤتمر الدولي لدول عدم الانحياز في (باندونج) باندونيسيا ١٩٥٥.

من مؤلفاته الفكرية الأصيلة :

- الإسلام أمام الاشتراكية والرأسمالية (بالعربية والإنجليزية)
- نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية.
- المرأة في الإسلام: كلفته به منظمة اليونسكو و طبعته ضمن مجلد عن "الإسلام".
- الاجتهاد في الحقوق الإسلامية (باللغة الفرنسية).
- القومية العربية في حقيقتها.
- نظرات إسلامية .

من مؤلفاته التعليمية والجامعية :

- المدخل إلى السنّة وعلومها.
- المدخل إلى علم أصول الفقه.
- دراسات تاريخية: عن مهد العرب وحضاراتهم الإنسانية.
- المدخل إلى التاريخ العام للقانون.
- الوجيز في الحقوق الرومانية، جزءان.
- قلعة طروادة التاريخية.
- نظريات النقد الأدبي عند العرب.

من بحوثه الأصلية وتحقيقاته ومذكراته :

- من هم الأريسيون؟
- أكنوبة الأرض الموعودة لبني إسرائيل من الفرات إلى النيل.
- أمريكا وإسرائيل.
- العرب والسيد المسيح في عهد دولة الأباجرة العرب.
- من هم (الفلسطينيين) في التاريخ العربي ، و معنى الكلمة في الكنعانية القديمة
- الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام)
- موقف الإسلام من العلم وأثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية.
- الإسلام والمشكلات الإنسانية
- الدولة والسلطة في الإسلام
- التصور العام للشريعة في الإسلام : مقارنة بالشرائع القديمة والحديثة

قصة عثوره على سفر أشعيا

روى الدكتور معروف الدواليبي قصة عثوره ١٩٥٣ على سفر أشعيا فذكر أنه اكتشفه في إحدى المغاور في جبال الأردن (التي تبلغ مغاويرها نحو ٦٠٠ مغارة) وهي الأمكنة التي كان يختفي فيها المؤمنون ضمن مخطوطات دينية ، وقد وجده بكامله ، بينما المنشور في التوراة المطبوعة جزء منه فحسب .

مذكراته

نشرت مذكرات الدكتور معروف الدواليبي بإعداد الدكتور عبد القدوس أبو صالح، وتحرير الدكتور محمد علي الهاشمي، مكتبة العبيكان ، الرياض في ٢٦٣ صفحة. وقد نشرت المذكرات في قسمين : السوري والسعودي ، وقد انتقد الأستاذ غسان الإمام مذكرات الدواليبي في مقال في الشرق الأوسط في ٥ يوليو ٢٠٠١ وكذلك فعل الأستاذ سمير عطا الله وأمين عام دار الملك عبد العزيز آل سعود وغيرهما. وقد حرص كتاب سعوديون على التقليل من دوره أو مما نسبه إلى نفسه من دور في عهد الملك فيصل ووصل الأمر ببعض من انتقدوه إلى أن وصفوه بالسطحية والمبالغة الذاتية وانعدام الدقة ومع ما تُقدّمه هذه الاتهامات السعودية من أسانيد فإن جوهر روايات الدكتور معروف الدواليبي يبقى في كبر من الأحيان مُتسقاً مع الحقائق المجردة.

شهادة الشيخ علي الطنطاوي

وصفه زميله في كلية الحقوق، وصديقه، ورفيق دربه الشيخ علي الطنطاوي(١٩٠٩ - ١٩٩٩) : "..... وما صنع، مما هو أقرب إلى الأساطير منه إلى الواقع، ومذكراته من أغنى الذكريات بالمعلومات وعنده من الأخبار، ما هو عند الناس سرٌّ من الأسرار"

وفاته

توفي الدكتور معروف الدواليبي في ١٥ يناير ٢٠٠٤ ودفن في المدينة المنورة في البقيع.

الفصل ٤٢ : ميشيل عفلق المفكر العربي الذي اخترع الخلاطات الحزبية

لا تستقيم الكتابة عن سوريا الحديثة بدون الكتابة عن الأستاذ ميشيل عفلق ١٩١٠ - ١٩٨٩ ، وهي كتابة خطيرة وصعبة و مخيفة لأن المعتاد في حديث الناس عن سوريا أن يلعنوا بعضهم البعض ويلعنوا الأستاذ ميشيل عفلق مع بعضهم البعض .

دور تاريخي

ومن الصعب أن تجد من يقدر دور الأستاذ ميشيل عفلق من دون انتقاد كلي أو جزئي ، ظاهر أو خفي ، فالكل مجمع على انتقاده وانتقاد مراحل عمله ونشاطه السياسي، لكنني على خلاف هؤلاء جميعا أرى في الأستاذ ميشيل عفلق (رغم كل الشكوى من البعث وممارساته) إيجابيات كثيرة نادرة لم توجد في أحد غيره في العصر الذي عاش فيه، وكانت هذه الإيجابيات سببا لنجاحه النظري والعملية أيضاً، ولخلود اسمه، على نحو لم يُنتج لأي من معاصريه بمن فيهم الرؤساء والساسة والقادة والأبطال والطُغاة والطواغيت، وسأبدأ في الحديث عن بعض هذه الإيجابيات الموضوعية على نحو تاريخي يتوافق في الوقت ذاته مع المراحل التاريخية في التطور السياسي الذي شارك فيه الأستاذ ميشيل عفلق .

ميله المحمود إلى الاندماج

أبرز هذه الإيجابيات هي ميل الأستاذ ميشيل عفلق إلى الاندماج والاتحاد، ولم يحدث في تاريخ الحركة الحزبية العربية كلها أن حدث هذا التوجه بالصورة التي أنجزها عفلق ، فهو كما نعرف بدأ يُفكر بمفرده ، ثم اندمج مع صلاح البيطار فكونا حركة الاحياء العربي في ١٩٤٠ وهي نفسها الحركة التي سميت بعد ذلك بحركة البعث العربي، وكان زكي الأرسوزي (١٨٩٩ - ١٩٦٨) قد سبق إلى استخدام هذا المصطلح (البعثي) وفي ١٩٤٧ (أي بعد ٧ سنوات من تأسيس حركته) اندمج البعث العربي أو اندمج عفلق والبيطار مع منظمة زكي الأرسوزي فتكون حزب البعث العربي .

اتحاده مع الحوراني

وبعد خمس سنوات أخرى أي في ١٩٥٢ اندمج حزب البعث العربي مع الحزب العربي الاشتراكي الذي اسسه أكرم الحوراني واصبح الأستاذ ميشيل عفلق نفسه رئيسا لحزب البعث العربي الاشتراكي في ١٩٥٤ .

ميشيل عفلق والاندماج الخطير

وفي ١٩٥٨ أسهم الأستاذ ميشيل عفلق بنفسه وحزبه وبعثه في اندماج سوريا كلها في مصر ، ومن ثم اندماجه هو نفسه في الرئيس عبد الناصر، وكان هذا هو الاندماج الخطر الذي يناظر الاندماج النووي في أثره المدمر ، ذلك أن الرئيس عبد الناصر بجاذبيته وديكتاتوريته وزعامته

وعسكره وقوة مصر المعنوية والمادية أجبر الأستاذ ميشيل عفلق على تحويل الاندماج إلى ذوبان، أي أن يحل عفلق حزب البعث ويدخل ذاتها كجزئيات منفصلة بدون شحنة كهربية ولا تكافؤ أو كأفراد منفصلين عن بعضهم البعض في تنظيم الرئيس عبد الناصر المبكر الذي كان اسمه الاتحاد القومي.

ومع أن هذه الخطوة كانت كفيلاً بالكثير من الإيجابيات فإن شأنها شأن كل الأفكار الطوباوية التي تبناها الرئيس عبد الناصر اقترنت بأداء مذهري و دعائي ، وسرعان ما تحولت ممارستها إلى نوع من الإيجابيات السلبية، وكانت سبباً في التعاسة التي تعانيها سوريا الحبيبة منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا وإلى ما بعد يومنا هذا.

الأثار الخطرة لقبوله التكتيكي بالعسكرة

ترتب على قبول ميشيل عفلق التكتيكي بالناصرية وبالوحدة الاندماجية وبحل الحزب ثلاث اتجاهات مدمرة في سوريا.

الاتجاه الأول: هو تعويض السيطرة البعثية الفكرية بالتوجه نحو تمايز حزبي تنظيمي و سلطوي قاتل يعتبر الانسان البعثي من طبقة أعلى من بقية السوريين و العرب على نحو ما كان الرئيس عبد الناصر يعتبر جماعة الطغمة العسكرية طبقة أعلى من السياسيين.

الاتجاه الثاني: هو حرص البعث على الوصول السلطة أولاً وعلى الانفراد بها ثانياً وأن يكون هذا الانفراد على الطريقة الناصرية الإقصائية المريحة المستريحة التي تتطلب تأميناً شرساً تقوم به أجهزة مخابرات رهيبة ومذابح وسجون واعتقالات ونفي.

الاتجاه الثالث: هو التشرذم السياسي والتنشيطي الذي لا يقيم وزناً لفكر إلا بقدر ما يستغل الفكر في الترويج للشخص أو القرار.

وقد بدأ هذا التمادي القسري يتبلور بوضوح في عداة نهج الرئيس عبد الناصرو بخاصة منذ ما بعد الانفصال بعام أو عامين ١٩٦٢ / ١٩٦٣ حيث تنامت في سوريا روح خطرة أسيرة للجدل والحزبية والشكلية والإنكشارية التي قادت إلى تكوين دوائر متصلة ومترامية ومتشابكة ومتكررة من التخوين والاستقطاب.

ميشيل عفلق ضحية للناصرية

وبالطبع فقد كان الأستاذ ميشيل عفلق نفسه أول ضحايا هذا التطور الذي أحدثته الناصرية ومن بعدها النصيرية في الكيان السوري حتى أنه هو نفسه أجبر (بقوة السلاح بالطبع) على الاستقالة من منصبه كزعيم للبعث في ١٩٦٥ وتأكد هذا تماماً في ١٩٦٦ بل إنه أصبح مضطراً إلى الهرب إلى بيروت ثم إلى بغداد حيث عاش بقية عمره ، وأدرك عصر صعود الرئيس صدام وعاش هذا العصر أشبه ما يكون بالرمز بلا رمزية، وبالزعيم بلا زعامة، وبالمنظر بلا نظرية .

نهاية مستورة

ثم أتيح له أن يموت في باريس التي عاش فيها شباب فكرته وقد مات وهو يعالج على نفقة الوزارة العراقية في عهد مجدها أو في مجد ذروتها في ١٩٨٩ قبل أن تقع حرب الخليج وتتوالى الكوارث على العراق

اجتثاث البعث

وكان من الطبيعي في العقلية الأمريكية الباحثة عن شرعية لتصرفاتها أن تصور اجتثاث البعث على أنه هدف استراتيجي، وبلغ الأمر في هذا التوجه إلى ضرورة هدم قبر الأستاذ ميشيل عفلق في نوفمبر ٢٠٠٣ على يد قوات الاحتلال الأمريكي، وألا يسمح بتهديب شاهد قبره إلى الأردن في العام التالي مارس ٢٠٠٤.

هل أخطأ أم أصاب؟

هل كان من الممكن أن يبقى الأستاذ ميشيل عفلق في صورة أفضل لو لم يحدث لسوريا ذلك الاندفاع المحبب إلى الطعم الوجودي أو الوباء الناصري؟ بالطبع فإن الإجابة مفهومة لكن الأهم من الإجابة هو ما كان على الأستاذ ميشيل عفلق أن يستوعبه من تجربة القوى السياسية المناظرة له وما واجهته على يد الرئيس عبد الناصر، فهو بطريقة أو بأخرى كان قريباً من الشيوعيين المصريين الذين أودعوا السجن في عام الوحدة نفسه وهو كان يعرف تجربة مصر الفتاة والحزب الاشتراكي والحزب الوطني الجديد التي لم تكن كلها تمثل أي خطورة على الناصرية وهو بالطبع كان مستوعباً لمصير الإخوان المسلمين بل لمصير الوفد والأحزاب التقليدية المصرية الكبيرة نسبياً من قبيل الأحرار الدستوريين والسعديين أو الصغيرة من قبيل الكتلة الوفدية. وإلا فما جدوى الثقافة والقراءة والفكر؟

اندفاعه في المهرجان الناصري

لكن الغرور أو الثقة غير المبررة بالواقع الدعائي جعلت الأستاذ ميشيل عفلق لا ينتبه إلى هذا كله ويندفع في المهرجان الناصري الذي كان من الواضح لكل دارس أنه سيكون مهرجاناً لقتل من يشاركون فيه سواء كان القتل معنوياً أو مادياً بمعنى القتل نفسه. وهو ما حدث بالفعل. لكننا مع هذا لا نستطيع أن نقول إن عفلق معذور بل على العكس فإنه بعقله وفهمه لم يكن يجهل الخطايا ولا الأخطاء الناصرية، لكنه فيما آلت إليه صورته الآن بدا وكأنه كان هو نفسه محبباً لهذه الأخطاء من قبل الرئيس عبد الناصر، وهكذا جمعت بينهما الأخطاء في الفكر والتنظير على نحو ما .

الفصل ٤٣ : ناظم القدسي الزعيم الوحدوي الذي رأس سوريا بعد الانفصال

تتمثل شهرة الرئيس ناظم القدسي عند المصريين في أنه كان رئيس الجمهورية المدني الذي رأس سوريا بعد الانفصال بعد فترة مؤقتة تولى فيها الدكتور مأمون الكزبري رئاسة الجمهورية و رئاسة الوزارة معا عقب بالانفصال الذي قاده العقيد عبد الكريم النحلاوي وقد تولى رئاسة الجمهورية ما بين ١٤ ديسمبر ١٩٦١ ، أي بعد الانفصال بشهر ونصف وحتى استيلاء البعث على السلطة في ٨ مارس ١٩٦٣ . وقد كان الرئيس ناظم القدسي من أبرز زعماء سوريا الذي أصابتهم لجنة الناصرية ومُعبّاتهما كما أصابتهم لجنة الاتهامات المحيطة بها وبالعداء لها .

مولده ونشأته

ولد الرئيس ناظم القدسي في مدينة حلب ١٩٠٦ وتلقّى تعليماً متميّزاً في مدينته ثم درس الثانوية في دمشق و في الجامعة الأمريكية في بيروت وفي جنيف. وبدأ حياته السياسية منتمياً إلى حزب الكتلة الوطنية بقيادة هاشم الأتاسي لكنه فيما صور به مسيرته بدأ يختلف مع قيادة الكتلة الوطنية حين أعلنت الاتفاقات عن ضم لواء إسكندرون إلى تركيا في ١٩٣٩، و من ثم فإنه قرّر أن ينضم إلى تحالف سياسي في حلب يقوده الزعيم رشدي الكخيا (١٨٩٩ - ١٩٨٧) زعيم حزب الشعب السوري فيما بعد، وقد فاز الرجلان في الانتخابات البرلمانية في ١٩٤٣ .

أول سفير سوري في أمريكا

في عهد رئاسة الرئيس شكري القوتلي لسوريا في ١٩٤٣ عيّن الرئيس ناظم القدسي كأول سفير لسوريا في الولايات المتحدة الأمريكية، وقدم أوراقه للرئيس روزفلت في مارس ١٩٤٥ .

تأسيس حزب الشعب

في سرعة متوقعة أصبح حزب الشعب أبرز حزب مُعارض للكتلة الوطنية (الحزب الأصلي) التي تحوّل اسمها إلى الحزب الوطني، وفي الأوساط السياسية عرف حزب الشعب على أنه حزب الحلبيين، وصوره اليسار على أنه حزب الهاشميين أي المتعاونين مع النظام الحاكم في العراق، وكان العرش العراقي كما هو معروف هاشمياً يرتبط بأواصر العائلة مع الهاشميين في الأردن كما يرتبط بالمعسكر البريطاني ارتباط تحالف يقوده رئيس الوزراء نوري السعيد .

فوزه في انتخابات ١٩٤٧

فاز الرئيس ناظم القدسي في الانتخابات البرلمانية في ١٩٤٧ وكان قد أعلن عن مُعارضته لطريقة انتخاب الرئيس شكري القوتلي رئيساً للجمهورية .

رفضه التعاون مع حسني الزعيم واعتقاله

لما وقع انقلاب الزعيم حسني الزعيم في مارس ١٩٤٩ طلب قائد الانقلاب من الرئيس ناظم القدسي تشكيل الوزارة لكن الرئيس القدسي رفض، منتقداً وصول الزعيم للسلطة بانقلاب، فاعتقله

الزعيم حسني الزعيم وأغلق مكاتب حزب الشعب، ثم أطلق سراحه ووضعه تحت الإقامة الجبرية في حلب. وواصل الرئيس ناظم القدسي انتقاد سياسات الزعيم حسني الزعيم وبخاصة مع موقفه الذي اندفع إليه بإغلاق الحدود مع العراق والأردن، والإيحاء بأنه سيُحارب هاتين الدولتين العربيتين لأنهما عميلتان لبريطانيا !

مساندته لانقلاب سامي الحناوي

كان من الطبيعي أن يُساند الرئيس ناظم القدسي انقلاب العميد سامي الحناوي شأنه في هذا شأن كثير من السياسيين السوريين الذين كانوا قد اقتنعوا من الواقع المتسارع ان الخلاص من حسني الزعيم يُعدّ هدفا جوهريا حتى لو أسقطه عسكريون مثله، ويبدو أنهم كانوا على حق، ذلك أن العسكريين التاليين للزعيم حسني الزعيم لم يصلوا إلى مُستواه في الحماس والاندفاع والتهور، فضلا عن هذا فإن العميد سامي الحناوي نفسه كان صديقا لحزب الشعب كما كان على النقيض من الزعيم حسني الزعيم صديقا للهاشميين في العراق والأردن .

وهكذا رأس الرئيس ناظم القدسي عقب الانقلاب لجنة سياسية لإدارة البلاد حتى شكّل الرئيس هاشم الأتاسي ما سُمّي بحكومة إدارة الأزمة (١٧ أغسطس ١٩٤٩) وهي الوزارة التي بقيت حتى تم إعلان نتيجة الانتخابات وفوز الرئيس هاشم الأتاسي برياسة الجمهورية.

العسكريون يسقطون وزارته بعد ٣ أيام من تشكيلها

كأف الرئيس الأتاسي ناظم القدسي بأن يتولى رئاسة الوزارة فشكّلها، وقد شغل في هذه الوزارة منصب وزير الخارجية بنفسه، فيما شغل الزعيم رشدي الكخيا منصب وزير الداخلية، وشغل أعضاء في حزب الشعب بقية المناصب الوزارية. لكن العسكريين صوتوا ضد وزارته فأسقطوها بعد ثلاثة أيام (أو أربعة) من تشكيلها وأعلن هؤلاء بوضوح سبب اعتراضهم بأن الوزارة لم تضمّ أحدا من الضباط، فضلا عن أنها تُعارض تدخل العسكريين في السياسة، وهكذا ظهر بوضوح أن الباب الذي فتحه حسني الزعيم لم يُغلقه سامي الحناوي ولن يُغلقه أحد، وبهذا بدأ عهد الانقلاب الثالث الذي قاده العقيد أديب الشيشكلي في ديسمبر ١٩٤٩ .

عودته لرئاسة الوزارة بعد خالد العظم

وفي عهد الانقلاب الثالث كان العقيد الشيشكلي قد فضّل مبدأ الازدواجية وأن يحكم بطريقة غير مباشرة، وهكذا تم تكليف الرئيس خالد العظم رئيسا للوزراء من ٢٧ ديسمبر ١٩٤٩ وحتى ٤ يونيو ١٩٥٠، حيث عادت الأمور تُلقب برئاسة الوزراء في يد ناظم القدسي الذي شكّل وزارته الثانية في يونيو ١٩٥٠، وهي وزارة طويلة العمر نسبيا لأنها بقيت ١٠ شهور حتى نهاية مارس ١٩٥١ (٢٧ مارس ١٩٥١) حيث عاد الرئيس خالد العظم لرئاسة الوزارة حتى أغسطس ١٩٥١ .

الانقلاب الثاني للعقيد الشيشكلي

ثم جاء العهد الذي تولى فيه العقيد أديب الشيشكلي السلطة بنفسه فيما يُعرف بانقلاب العقيد الشيشكلي الثاني في نوفمبر ١٩٥١، حيث عُيّن الرئيس محمد فوزي السلو رئيسا مؤقتا للجمهورية

وأودع الرئيس ناظم القدسي السجن ، وزعم العقيد الشيشكلي أن القدسي يُريد إعادة الملكية العميلة لبريطانيا وبعد فترة قصيرة أطلق سراحه في يناير ١٩٥٢ ، على أن يبقى تحت الإقامة الجبرية .

إسهامه في إعادة ربيع الديمقراطية وهو محدد الإقامة

و بالرغم من هذه الإقامة الجبرية فإن الرئيس ناظم القدسي كان من الذين تمكنوا من أن يساعدوا في الانقلاب على العقيد الشيشكلي والتخلص منه في فبراير ١٩٥٤ . وعندما بدأ ربيع الديمقراطية في سوريا ١٩٥٤ أصبح الرئيس ناظم القدسي عضوا في البرلمان ، بل انتُخب كناطق باسم البرلمان، لكن الدعاية العسكرية المشوّهة لتقارب سوريا مع العراق والوحدة مع العراق ظلت تُواجهه وكأن العلاقة مع العراق جريمة . وكان الرئيس ناظم القدسي قد سارع بإخلاص وجدية إلى محادثات مع الأمير عبد الإله في بغداد لإقامة وحدة بين سوريا والعراق، وتكرّرت زيارته لبغداد لهذا الغرض ، لكنه صرح بأنه لم يكن على استعداد للقبول بأيّة وحدة طبيعية ولا القبول بوحدة فيديرالية تتوحد فيها شؤون الدفاع والحرب، وهكذا كانت جهود الرئيس ناظم القدسي وأمثاله تتحطم من حيث لا يعلمون سر تحطّمها .

تأخره في إنقاذ سوريا من فك الناصرية

حاول الرئيس ناظم القدسي أن يُنقذ سوريا من الوقوع في فك الناصرية ، لكن الوقت كان قد تأخر، فقد كانت دعايات الانتماء للمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفييتي توفر معالم الحلم في نهضة سريعة ، وكان الانضمام للرئيس جمال عبد الناصر يبدو و كأنه سوف يذهب بسوريا إلى هذا الحلم بطريقة مباشرة وقصيرة، وكان الإعلام العربي يُهاجم حلف بغداد والغرب بضراوة لا نظير لها، وشملت الاتهامات للرئيس ناظم القدسي الذي صورته الصحافة الناصرية عميلا للغرب، وهكذا أثر الرئيس ناظم القدسي الانسحاب من الحياة السياسية، في الوقت الذي بدأت فيه أسهم صيري العسلي وأكرم الحوراني في الارتفاع، وإن كانا سرعان ما تحوّلوا إلى خصوم للرئيس جمال عبد الناصر بعد أن كانا أشد مؤيديه حين قامت الوحدة مع مصر في فبراير ١٩٥٨ .

دوره بعد الانفصال

عاد الرئيس ناظم القدسي فاستقرّ في مدينة حلب إلى أن حدث الانفصال عن مصر فاختر كما ذكرنا ليكون رئيسا لسوريا (١٩٦١ - ١٩٦٣) خلفا للرئيس المؤقت مأمون الكزيري الذي خلف الرئيس جمال عبد الناصر، وفي ١٩٦٢ فاز الرئيس ناظم القدسي أيضا بعضوية البرلمان .

فقدانه الدور في عهد البعث

لكن الرئيس ناظم القدسي بالطبع فقد كل مكانه المنتخبة مع استيلاء حزب البعث نهائيا على الحكم في مارس ١٩٦٣ ، وعاش الرئيس ناظم القدسي بقية حياته يُعاني من الإحباط من الساسة،

وفاته

توفي الرئيس ناظم القدسي في عمان ١٩٩٨، فكان من آخر من رحلوا من قادة و ساسة سوريا الذين كانوا قد شهدوا عصرها الديمقراطي .

الفصل ٤٤ : نصوحي البخاري العسكري السوري القادر على الحياد

لم يكن أحمد نصوح البخاري (وهو المعروف أيضا بنصوح البخاري ، وتكتب أيضا نصوحي البخاري) سياسيا محترفاً، ولم يخض بحار الانتماء إلى الحزبية، أو الجماعات الوطنية السورية وهي بحار متلازمة قوية التأثير والجدب، ومع هذا فإنه رغم طابعه العسكري ورغم ماضيه العسكري استطاع أن يستحوذ على ثقة الرفقاء وأن يكون بمثابة رئيس الوزراء القادر على التوفيق وعلى حيازة التوافق بين الساسة السوريين في مطلع الحرب العالمية الثانية.

شقيقه ووالده

نصوح البخاري ١٨٨١ - ١٩٦٢ هو شقيق الشهيد جلال البخاري الذي حوكم في عالية وأعدم على يد الانقلابيين الاتراك في بيروت يوم ٦ مايو ١٩١٦ مع الشهداء الوطنيين المطالبين باستقلال سورية ، وهما ابن العلامة سليم البخاري رئيس علماء دمشق الذي حوكم أمام الديوان العرفي العثماني في عاليه ونُفي إلى بروسيا. وكان عضواً مؤسساً للجمعية الخيرية بدمشق، التي أسسها الشيخ طاهر الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر، ودعت للإصلاح السياسي و لإعادة العمل بالدستور العثماني الذي كان معطلاً آنذاك. وإذا فقد كان نصوح البخاري واحداً من أبرز أبناء أبرز العلماء.

قيمه التاريخية

تتمثل قيمة نصوح البخاري أنه حين رأس الوزارة المستقلة وجمع معها وزارات الدفاع الوطني والداخلية حائزاً على ثقة رئيس الجمهورية الذي كان في الوقت نفسه زعيماً لحزب الأغلبية لم يتورط في أي إجراء عسكري تحت شعار الحفاظ على هيبة الدولة أو الأمن أو الاستقرار، وإنما عالج الأمور كما لو أنه مدني وليس عسكرياً ، وهكذا كانت الشهور الثلاثة التي قضاها رئيساً للوزراء ما بين ابريل ١٩٣٩ ويوليو ١٩٣٩ بمثابة تنويج للعمل الوطني الهادف إلى إبراز حقوق الشعب قبل حقوق السياسيين، وقبل حقوق الأحزاب. كما أنه لم يورط السوريين في نزاع حول نازحي لواء الاسكندرون بعد أن اتفقت القوى الدولية على تبعيته لتركيا بعد أن كان جزءاً من سوريا منذ عهد الرئيس أحمد نامي ، وفي مقابل هذا فقد تأكد انتماء ذلك الجزء من الشمال السوري (متمثلاً في اللاذقية وجبل العلويين) للوحدة السورية، وكان الحفاظ على مثل هذا الوضع (قبل أن تنتبه القوى الاستعمارية إلى معاودة إشعال نيران نزعات التفطيت المماثل) يتطلب وجود سياسيين ناضجين لا يندفعون إلى مواجهات كفيلة بفقدان سوريا نفسها.

نشأته وتكوينه العسكري

ولد أحمد نصوحي البخاري في دمشق وفيها تلقى تعليمه ثم تخرج أحمد نصوحي البخاري من المدرسة الحربية العثمانية في إسطنبول، ثم تخرج أيضاً من مدرسة أركان الحرب العثمانية في

إسطنبول ، ونال منها رتبة رئيس، اشترك كقائد في حرب البلقان الأولى والحرب العالمية الأولى ووقع في الأسر مدة تسعة أشهر في سيبيريا، ثم استطاع الهرب والعودة إلى تركيا في مطلع عام ١٩١٦، واشترك في حرب القفقاس برتبة عقيد كما اشترك في مواجهة البريطانيين في غزة، ثم تولى قيادة الفرقة السابعة حتى تم انسحاب الأتراك من سورية.

في عهد المملكة السورية

تولى أحمد نصوحي البخاري قيادة فيلق حلب ورئاسة ديوان الشورى الحربي الثاني برتبة زعيم كما عُين البخاري مُعتدماً في مصر أوائل ١٩٢٠ ومن ثم مديراً عاماً للشؤون الحربية في أواخر العام نفسه في حكومة " حقي العظم " واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٢١، في العام ١٩٢٢ عين مديراً للمعارف في حكومة دمشق، ووزيراً للمعارف في حكومة أحمد نامي " الثانية عام ١٩٢٦، ثم وزيراً للزراعة والتجارة في نفس الوزارة .

الوزارات التي تولاها بعد رئاسته للوزارة

تولى البخاري عدة وزارات فيما بعد تركه لرئاسة الوزراء ، من بينها منصب وزير المعارف والدفاع الوطني في حكومة سعد الله الجابري ١٩ أغسطس ١٩٤٣ .

في البرلمان

انتخب أحمد نصوحي البخاري نائباً عن دمشق عام ١٩٤٣ .

الدور الرائد لزوجته السيدة رفيقة العظم

كان نصوحي البخاري فاعلاً في الحراك العلمي والثقافي في دمشق، وداعماً للحركة النسوية التي تزعمتها زوجته السيدة رفيقة بنت ممدوح بك العظم والتي تعد رائدة حركة تحرير المرأة ، بمشاركة زوجات عدد من السياسيين والبرلمانيين الآخرين متخذات من "جمعية نقطة الحليب" بداية ذكية لبدء نشاط اجتماعي مؤثر
كان نصوحي البخاري أيضاً داعماً للنشاط الاجتماعي والثقافي لكثير من الجمعيات والمنتديات التي كانت دمشق قد بدأت تذخر بها.

المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري

كان الوزير نصوحي البخاري هو من تولى تنظيم المهرجان الألفي للفيلسوف العربي أبي العلاء المعري في صيف عام ١٩٤٤ بصفته وزيراً للمعارف، وقد تم هذا المهرجان بحضور رئيس الجمهورية السورية ومشاركة الأساتذة طه حسين، ومحمد كرد علي، ومهدي الجواهري، بدوي الجبل..... وقد افتتح البخاري المهرجان بكلمةً بليغة كان مطلعها:

"ولو أني حُببْتُ الخُلدَ فرداً لما أحببت بالخلد انفراداً

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلاد ."

وفاته

توفي نصوحي البخاري في دمشق في ١ يوليو ١٩٦٢ .

الفصل ٤٥ : نور الدين الاتاسي الرئيس السوري الذي سجنه وزير دفاعه حتى الموت

يظل اسم الدكتور نور الدين الاتاسي ١٩٢٩-١٩٩٢ قابلاً لأن يوضع مع صورته في شبابه [حين كان رئيساً لسوريا و من دون أي نص مصاحب للصورة] في لوحة مذهب ذات خلفية سوداء وشريط أسود مائل في ركنها العلوي الأيسر مع تعليق الصورة باطارها الأسود المذهب علي الحائط القائم في مواجهة مكتب أي رئيس مدني يأمن لحكم العسكر ويترك لهم الحرية في التآمر والعمل على الانقلاب ظنا منه أن الحق يمكن أن ينتصر بالشعب وحده و بدون قوة مجهزة لمثل هذا الصراع .

رمز للرئيس المدني المظلوم

تولى هذا السياسي السوري رئاسة سوريا قرابة خمس سنوات من فبراير ١٩٦٦ وحتى نوفمبر ١٩٧٠، و من الغريب أنه في عهد ما بعد الانفصال و قبل الأسد (١٩٦١-١٩٧١ أي ما بين الناصرية والنصيرية) كان هو صاحب أطول مدة في الرئاسة قبل أن يحطمها الأسد الأب والأسد الابن بطول بقائهما ، و قد جمع الدكتور نور الدين الاتاسي مع الرئاسة أكبر منصيين سياسيين وتنفيذيين وهما منصب رئيس الوزراء ، والأمين العام للحزب الحاكم. لكنه مع كل هذه السلطة والنفوذ لم يكن يملك السلاح إذ كان السلاح في يد حافظ الأسد ومصطفى طلاس وهما اللذان قاما بالانقلاب العسكري عليه وعلى النظام كله عقب وفاة الرئيس عبد الناصر مباشرة ، وبسبب ما اعلن عن تداعيات معركة أيلول الأسود .

وقد تناولنا القصة بالتفصيل في حيننا عن صلاح جديد الذي كان بمثابة زعيم المجموعة البعثية التي كان الدكتور نور الدين الاتاسي ينتمي اليها .

٢٢ عاما في السجن

أودع هذا الرئيس الفخم صاحب الاسم الضخم و الماضي الفدائي والصمود المستمر والبطولة المساندة لثورة الجزائر والتاريخ السياسي و الحزبي الحافل في السجن قرابة ٢٢ عاما متصلة فلما شارف على الموت بسبب انتشار السرطان في جسده أفرج عنه ليعالج في باريس فتوفي بعد أسبوع واحد .

وعلى الرغم من سطوة نظام الرئيس الأسد في ذلك الوقت ١٩٩٢ التي كانت قد بلغت أوجها فقد خرجت للرئيس نور الدين الاتاسي جنازة مهيبية في مسقط رأسه ذكّرت الرأي العام من بعيد بما كان يروى عن جنازة النحاس باشاء، وكانت سببا مباشرا في نُصح أجهزة المخابرات العالمية منذ ذلك الحين بمنع جنازات الرموز السياسية من قبيل جنازة الرئيس محمد مرسي على سبيل المثال.

عائلته

ينتمي الدكتور نور الدين الأتاسي لأسرة من مدينة حمص يرجع نسبهم إلى الأشراف، وكانت عائلته جديرة بأن تتولى الملك على أفضل وجه بل إنها العائلة السورية (والعربية) الوحيدة التي جاء منها ثلاثة رؤساء للجمهورية السورية، مع اختلاف مُددهم وخلفياتهم ومصائرهم .
اسمه الكامل : أحمد نور الدين بن محمد على بن فؤاد الأتاسي الحسيني و كان متزوجاً من السيدة سلمى الحسيني وله ولدان: السيدة آية الأتاسي ، والكاتب المعارض محمد على الأتاسي.

دراسته ونشاطه الطلابي

ولد الدكتور نور الدين الأتاسي في ٢ يناير ١٩٢٩ ودرس الطب في جامعة دمشق حتى تخرج فيها في العام ١٩٥٥ وبهذا فإنه بسبب كفايته السياسية و صل الى رئاسة الدولة السورية بعد عشر سنوات من تخرجه كطبيب ، وقد كان نشاطه معروفاً في مرحلة طلب العلم ، حيث انتمى منذ شبابه إلى حزب البعث العربي ، وكان على رأس تنظيم الحزب في جامعة دمشق خلال الخمسينات، وقاد كثيراً من التحركات الطلابية والمظاهرات خلال فترة الانقلابات.
تعرض الدكتور نور الدين الأتاسي للسجن ١٩٥٢ في عهد الانقلاب الثاني للعقيد أديب الشيشكلي حيث أمضى عاماً كاملاً في سجن تدمر الصحراوي وتعرض لتعذيب شديد.

تطوعه في الثورة الجزائرية

وبعد انتهاء عهد الشيشكلي عاد الدكتور نور الدين الأتاسي لممارسة السياسة على نطاق واسع ومن خلال مواقع متقدمة أهلته لها ثقافته وقدراته ، فضلاً عن نشاطه في سوريا فقد شارك كمتطوع في الثورة الجزائرية في عام ١٩٥٨ على رأس مجموعة من الأطباء السوريين. بعد ذلك عاد إلى مدينته حمص ليزاول مهنته كطبيب جراح في المشفى الوطني.

الوزارة فالرئاسة

عُيِّنَ الدكتور نور الدين الأتاسي وزيراً بعد وصول حزب البعث إلى السلطة فيما عرف بالحركة التصحيحية في مارس ١٩٦٣، التي أنهت الأمل في عودة الوحدة مع النظام الناصري ، ثم أصبح نائباً لرئيس الوزراء عام ١٩٦٤، ثم عضواً في مجلس رئاسة الدولة عام ١٩٦٥. أصبح الدكتور نور الدين الأتاسي رئيساً للدولة وانتُخب أميناً عاماً لحزب البعث بعد الانقلاب البعثي الذي أطاح بالرئيس أمين الحافظ.. وقد تولى الرئاسة ما بين ٢٣ فبراير ١٩٦٦ (و يقال من ٢٥) وحتى ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ وجمع معها رئاسة الوزارة ما بين ٢٩ أكتوبر ١٩٦٨ وحتى ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ وكانت السلطة الفعلية في يد الأمين العام المساعد لحزب البعث صلاح جديد.

جيله

كان الدكتور نور الدين الأتاسي شأنه شأن الرؤساء والزعماء السوريين الذين جاءوا بعد نجاح حركة البعث في ١٩٦٣ يصغر الرئيس عبد الناصر فأمين الحافظ من مواليد ١٩٢١ ولؤي الأتاسي وكذلك صلاح جديد من مواليد ١٩٢٦ أما هو فكان من مواليد ١٩٢٩.

نشاطه البارز في عامه الأخير

كان هذا الرئيس هو الذي شهد الاحتفالات الليبية عقب قيام القذافي بانقلابه العسكري في ١٩٦٩ ، و لا تزال صور هذه الاحتفالات موجودة بغزارة في أفلام سينمائية يتجدد عرضها في وسائل التواصل الاجتماعي . وقد حضر كل هذه الاحتفالات جنبا الى جنب مع الرئيس عبد الناصر والرئيس هواري بومدين .
وتم في عهده توقيع اتفاق إنشاء سد الفرات مع السوفييت وبوشر في تنفيذه في ذلك العهد أيضاً.

خلافه القاتل مع حافظ الأسد

اختلف الدكتور نور الدين الأتاسي والأمين العام المساعد لحزب البعث صلاح جديد مع وزير الدفاع آنذاك حافظ الأسد، و بلغ الخلاف ذروته في أثناء أحداث أيلول الأسود في الأردن سبتمبر ١٩٦٩ حيث قرر الدكتور نور الدين الأتاسي إرسال قوات سورية لمساندة الفلسطينيين في الأردن، ونشأ خلاف حول إرسال هذه القوات ثم تطور هذا الخلاف في ظل المعادلة السياسية الجديدة التي نشأت بالوفاة المفاجئة للرئيس عبد الناصر.

انقلاب الأسد

استقال الدكتور نور الدين الأتاسي من كافة مناصبه في أكتوبر ١٩٧٠ احتجاجاً على تدخل الجيش في السياسية وعلى ممارسات رفعت الأسد شقيق وزير الدفاع حافظ الأسد، وعلى إثر هذه الاستقالة التي نشأ عنها خلو المناصب الثلاث الرئيسية في الدولة تم توجيه الدعوة لعقد المؤتمر العاشر الاستثنائي للحزب ، و قرر هذا المؤتمر فصل كل من وزير الدفاع حافظ الأسد ورئيس الأركان مصطفى طلاس من مناصبهم، لكنهما كانا جاهزين بانقلاب عسكري سُمي بالحركة التصحيحية في ١٦ أكتوبر ١٩٧٠ حيث وضع الدكتور نور الدين الأتاسي والزعيم صلاح جديد في سجن المزة العسكري.

أمضى الدكتور نور الدين الأتاسي كما ذكرنا ٢٢ عاماً في السجن في زنزانة ضيقة ومن دون محاكمة وأصيب في النهاية بمرض السرطان، ولم تُقدّم له السلطة العلاج المناسب، وأدخل إلى مشفى تشرين العسكري لمدة ٤ أشهر قبل أن يُطلق سراحه بعد أن تقشّى المرض في جسده حيث لم يعد هناك من أمل في شفائه.

وفاته

سافر الدكتور نور الدين الأتاسي عقب إطلاق سراحه فوراً للعلاج في باريس ، ولكنه توفي بعد أسبوع من وصوله في ٢ ديسمبر ١٩٩٢ . ودُفن في مدينته حمص .

الفصل ٤٦ هاشم الأتاسي الرئيس الذي قتلته دولة الوحدة وسارت في جنازته

كان الرئيس هاشم الأتاسي (١٨٧٥ - ١٩٦٠) مؤهلاً لأن يكون ملكاً دستورياً للدولة السورية وكانت عائلته جديرة بأن تتولى الملك على أفضل وجه بل إنها العائلة السورية الوحيدة التي جاء منها ثلاثة رؤساء للجمهورية السورية، وهي كذلك العائلة العربية الوحيدة التي تميزت بهذه الميزة حيث توالى هاشم الأتاسي، ولؤي الأتاسي ونور الدين الأتاسي مع اختلاف مُددهم وخلفياتهم ومصائرهم ، لكن هذه الفكرة فيما يبدو لم تمر أبداً في خاطر الرئيس هاشم الأتاسي ولا أُنذاه ولا أعدائه ولو أنها مرت لثم وأدها مبكراً فقد كان السوريون متشبعين بما يُسمى في فرنسا بروح الجمهورية، وهي ليست روحاً مقدسة لكنها في الواقع روح حضارية تعامل بالتقديس الجبري وبخاصة عندما يعتنقها السياسيون الوطنيون .

انتماؤه لبيت علم

كان الرئيس هاشم الأتاسي هو الزعيم السوري الوحيد الذي سار أقطاب دولة الوحدة المصريين في جنازته (١٩٦٠) وعلى رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر نفسه، وكان هذا مظهراً جيداً من مظاهر العناية بالبروتوكول في دولة الوحدة فهذا الرئيس الجمهورية يُشيع جثمان رئيس جمهورية سابق وهو ما لم يحدث في مصر إلا من رئيس جمهورية سابق شيع جنازتي خليفته في الرئاسة نعني بهذا الرئيس محمد نجيب الذي شارك في تشييع جنازتي عبد الناصر والسادات . لكن الجدير بالذكر في أمر تشييع الرئيس عبد الناصر لجنازة الرئيس هاشم الأتاسي أن الرئيس هاشم الأتاسي كان على أسوأ العلاقات الممكنة مع فكرة الوحدة تحت قيادة عبد الناصر، ومع أن رؤساء آخرين انخدعوا، ومع أن رؤساء آخرين اعترضوا بصمت فإن الرئيس هاشم الأتاسي كان صريحاً منذ البداية، بل وصل الأمر إلى أن ابنه (سواء كان هذا بموافقة أو علمه أو بعدم موافقته أو عدم علمه) كان حسب اتهام دولة الوحدة ضالعا في انقلاب على الوحدة ، ولهذا السبب سجن وحكم علنه بالإعدام ثم خفف الحكم من باب التكريم أو الاحترام لمكانة والده ، وهو ما يعني ببساطة شديدة أن دولة الوحدة لم تكتف بقتل الرئيس هاشم الأتاسي معنوياً بل شارفت على قتله مادياً أيضاً على الرغم من تقدم العمر بالرجل .

أطول الساسة المعاصرين له عمراً

كان الرئيس هاشم الأتاسي أطول الساسة السوريين المعاصرين له عمراً شأنه في هذا شأن معاصره ومناظره زعيم الأمة المصرية النحاس باشا (١٨٧٩ - ١٩٦٥) وقد ولد النحاس بعده بأربع سنوات ومات بعده بخمس سنوات . أما السياسي المصري الذي ولد مع الرئيس هاشم الأتاسي في العام نفسه فهو إسماعيل صدقي باشا الذي توفي ١٩٥٠ أي قبل الأتاسي بعشر سنوات .

جمع الرئيس هاشم الأتاسي بين الخبرات التركية والعربية والأوروبية وكان قادرا على أن يحقق أفضل المواقع الوظيفية في هذه الحضارات الثلاث ، و مع هذا فإنه كان ميالا إلى فكرة وحدة سوريا والعراق ومن قبلها وحدة الأقطار الشامية (أو السورية) الأربعة.

عائلته

ذكرنا أن الرئيس هاشم الأتاسي ينتمي إلى بيت علم من البيوت الكبيرة في حمص، وقد كان والده الشيخ خالد الأتاسي مفتي حمص، ومن الطريف أن والد سعد الله الجابري كان مفتي حلب،

تكوينه

وقد تلقى هاشم تعلما مدنيا متميزا انتهى به إلى الدراسة في الكلية الملكية في إسطنبول وتخرج فيها وهو في العشرين من عمره ١٨٩٥، وأصبح موظفا عثمانيا طيلة الفترة الباقية من عمر الدولة العثمانية وفي هذه السنوات العشرين عمل بالوظيفة في ولاية بيروت، وقد أكسبته هذه السنوات قدرة على العمل الجاد الملتزم الذي جعله يحظى باحترام كل الفرقاء على نحو لم يحظ به زعيم سوري آخر.

وحين أعلنت الحرب العالمية الأولى كُلف بأن يكون هو محافظ حمص وحماة وبعليك ويافا والأناضول، ومع أن هذه الوظيفة كانت صورية فإنها تدل على مكانته في ذلك العهد.

المطالبة بالاستقلال

بعد أن انتهت الحرب العالمية الأولى وبدأت الشعوب تطالب بالاستقلال كان الرئيس هاشم الأتاسي في مقدمة الزعماء السوريين المطالبين بالاستقلال، وأصبح بعد مداوات واجتماعات رئيسا للمؤتمر السوري العام (يونيو ١٩١٨) الذي يعتبر بمثابة أول برلمان سوري وأصبح وكيلاه في هذا المؤتمر هما إبراهيم هنانو (١٨٦٩-١٩٣٥) الذي يكبره بست سنوات وسعد الله الجابري (١٨٩٣-١٩٤٧) الذي يصغره ب ١٨ عاما ، ولم يكن هذا المؤتمر السوري العام (البرلمان) مخصصا للسوريين وحدهم لكنه كان قد تشكل حسب المعنى الاصطلاحي التاريخي الذي يضم أقطار الشام الأربعة : سوريا ولبنان وفلسطين والأردن.

في عهد الملكية وزييرا و رئيسا للوزراء

لما بدأ عهد الملك فيصل ملكا على سوريا (في ٨ مارس ١٩١٨) بايعه المؤتمر السوري العام وكان الرئيس هاشم الأتاسي أقرب الساسة إليه، وترأس لجنة وضع الدستور في ٨ مارس ١٩٢٠ وأقر هذا الدستور في يونيو ١٩٢٠ وذلك كله قبل أن تتشكل لجنة وضع الدستور المصري المعروف بأنه دستور ١٩٢٣.

هكذا بدأت مملكة سوريا (١٩١٨-١٩٢٠) بملك هو الملك فيصل الأول الذي هو ابن الشريف حسين وبرئيس وزراء هو الركابي وبرئيس برلمان هو هاشم الأتاسي فلما استقال الركابي عن رئاسة الوزراء أصبح هاشم الأتاسي رئيسا للوزراء في مايو ١٩٢٠، وكانت هذه هي الوزارة التي أنذرتها فرنسا بالإنذار الشهير المعروف باسم إنذار جورو وقد أقيمت الوزارة في ١٣ يونيو ١٩٢٠،

وأعلنت حالة الطوارئ بعد يومين أي في ١٥ يونيو ثم أعلن حل الجيش السوري في ٢٠ يونيو.. ولم يكتف جورو بهذا بل زعم أنه لم يصله ما يدل على قبول الوزارة للإنذار وتمادي في زحفه من بيروت إلى دمشق فوعدت موقعة ميسلون الشهيرة في ٢٤ يوليو ودخل الفرنسيون إلى دمشق في ٢٥ يوليو ١٩٢٠ وتشكلت حكومة جديدة موالية لفرنسا، ونفي الملك بعد ثلاثة أيام، وانتهى عهد الملكية في سوريا بعد ٢٦ شهراً فقط من حكم الملك فيصل وشهرين فقط من رئاسة الأتاسي للوزارة.

فرضت فرنسا نفسها على سوريا فيما عُرف بالانتداب الفرنسي فكان الأتاسي على رأس أبناء وطنه في المطالبة بالاستقلال، وقد بلور جهده في هذه المطالبة في تأسيس ما عُرف على أنه حزب الكتلة الوطنية الذي ظل بمثابة الحزب الفاعل في السياسة السورية منذ تأسيسه ثم بعد أن تغير اسمه بعد انقسامه ليكون الحزب الوطني وحتى الانقلاب البعثي الانفصالي في مارس ١٩٦٣. وقد استطاع الأتاسي تكوين "الكتلة الوطنية" في مواجهة مع "حزب الشعب" بقيادة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر.

الثورة السورية الكبرى

بدأت الثورة السورية الكبرى على الانتداب الفرنسي في تاريخ لاحق لثورة ١٩١٩ في مصر فأفادت من تجاربها المتعددة في التعامل مع الغربيين، وقد كان الأتاسي متحفظاً على تسليح الثورة لأنه كان يؤمن بأن الحق مع السوريين وأن الحق الذي يملكونه كفيلاً لهم بالحصول على الاستقلال دون أن يكلفوا أنفسهم شطط العنف.

تولى وضع الدستور

وقد انتخب الأتاسي رئيساً للكتلة، فلما قبلت فرنسا بإجراء انتخابات لتأسيس جمعية تأسيس لوضع دستور البلاد ١٩٢٨ رأس الأتاسي هذه الجمعية، وتولى وضع الدستور الثاني وكان بهذا السياسي الوحيد الذي وضع دستورين ١٩٢٠ و١٩٢٨.

الاعتقال ثم معاهدة ١٩٣٦

في ١٩٣٠ اعتقله الفرنسيون بسبب تنامي احتجاجات الشعب على الفرنسيين، ونفوه إلى جزيرة إرواد وهي جزيرة بالقرب من طرطوس، نفي إليها أيضاً سعد الله الجابري . في ١٩٣٢ أُجريت انتخابات نيابية لا يعتبرها السوريون نزيهة تماماً لكن الأتاسي فاز فيها على الرغم من تمكن السلطة الفرنسية من إسقاط إبراهيم هنانو في حلب، ومهدت هذه الانتخابات لوصول قيادات جديدة فأصبح محمد علي العابد ١٨٦٧-١٩٣٩ رئيساً للجمهورية، وخالد العظم رئيساً للوزراء، وصبحي بركات ١٨٨٣-١٩٣٩ رئيساً للمجلس النيابي الذي كان الأتاسي مرشحاً لرئاسته لكنه لم يفز بها.

في ١٩٣٥ وفي حفل تأبين إبراهيم هنانو في الجامعة السورية أعلن الزعيم السوري فارس الخوري (١٨٧٧ - ١٩٦٢) "الميثاق الوطني" فتعامل الفرنسيون بتعنت مع حزب الكتلة الوطنية

وأغلقت مكاتبه في دمشق وحلب، وانتشر الجيش الفرنسي في المدن الرئيسية لكن الوعي العربي كان قد بلغ حدا من اليقظة اندلعت معه المظاهرات المؤيدة لسوريا في مصر وفلسطين والأردن والعراق ولبنان فضلا عن أن بريطانيا لم تكن متواطئة مع فرنسا في هذا التجاوز في حق الشعب السوري، كما أن رغبة الحلفاء في تأمين الجبهات قبل الحرب المتوقعة التي كانت نذرها قد بدت في الأفق (الحرب العالمية الثانية) جعلت الفرنسيين يتفاوضون مع الرئيس هاشم الأتاسي الذي غادر سوريا إلى باريس في مارس ١٩٣٦ واستمرت هذه المفاوضات ستة أشهر انتهت بنشر مسودة الاتفاق على المعاهدة في ٢٢ أكتوبر ١٩٣٦.

استقباله الشعبي بعد المعاهدة

وقد عاد الرئيس هاشم الأتاسي والوفد السوري عبر القطار إلى حلب ونظمت له الكتلة الوطنية استقبالا حافلا شارك فيه المفوض السامي الفرنسي دي مارتيل، وانتشرت مظاهر البهجة الشعبية بهذه المعاهدة.

وبناء على هذه المعاهدة أجريت ثاني انتخابات تشهدها سوريا ، ففاز حزب الكتلة الذي يرأسه الرئيس هاشم الأتاسي بأغلبية ساحقة تأثرت بها الكتلة من التزوير الذي شهدته انتخابات ١٩٣٢ التي أسقط فيها الزعيم إبراهيم هنانو نفسه في حلب.

عودة التدخل الفرنسي الثقيل

وفي ديسمبر ١٩٣٦ اكتمل التراب الوطني السوري بعودة دولة جبل العلويين وجبل الدروز إلى الأرض السورية، وأظهر أهل اللاذقية رغبتهم الذكية في أن يذوبوا في الأغلبية السورية والوطن السوري والنظام السوري وبدأ البرلمان الجديد أعماله في ديسمبر ١٩٣٦ مؤكدا على استقرار الحكم الوطني على النحو الذي كان قد استقر به في مصر بزعامة النحاس باشا رغم وجود الملك فاروق تحت مجلس الوصاية، وانتخب الرئيس هاشم الأتاسي رئيسا للجمهورية بعد استقالة الرئيس محمد علي العابد وكان هذا أمرا طبيعيا بفضل ما أحرزته الكتلة من أغلبية ساحقة ، و بهذا أصبح ثاني رئيس للجمهورية ودام عهده من ديسمبر ١٩٣٦ وحتى يوليو ١٩٣٩ وتشكلت أولى حكومات العهد الجديد برئاسة جميل مردم ١٨٩٣-١٩٦٠ .

لكن المعارضة القديمة المتمثلة في حزب الشعب بقيادة عبد الرحمن الشهبندر عادت لمناوأة حكم الأتاسي الذي اضطر إلى الاستقالة ملقيا باللائمة على فرنسا التي سلمت لواء إسكندرون إلى الجيوش التركية بعد ما كانت ساعدته على إعلان دولة مستقلة.

عودة العسكرية و ديجول يزور الأتاسي في حمص

مع استقالة هاشم الأتاسي ١٩٣٩ عاد التدخل الفرنسي الثقيل، فألغى الدستور وأسندت الأمور للعسكر وتحولت الوزارات من وزارات سياسية إلى وزارات إدارية ، لكن الحظ السوري تمثل في رفض الفرنسيين لحكومة فيشي وإعلان حكومة فرنسا الحرة برئاسة شارل ديجول وهي الوزارة التي كانت مدعومة من البريطانيين. وقام ديجول بزيارة الرئيس هاشم الأتاسي في حمص

ودعاه للعودة للسياسة ووعده باعتراف فرنسا بسوريا المستقلة كاملة الاستقلال، ومن الطريف أن الأتاسي عبر لديجول صراحة عن أن سوريا لا يمكن لها الوثوق بفرنسا بعد كل تجاربها معها. وهنا برزت زعامة سعد الله الجابري الذي واصل خط الرئيس هاشم الأتاسي واستطاع توظيف الصراع الدولي لخدمة قضية بلاده، وعادت الحياة الدستورية إلى سوريا في ١٩٤٣، وأثر الرئيس هاشم الأتاسي ألا يترشح للرئاسة وأن يزكي شكري القوتلي الزعيم الدمشقي البارز، وهكذا تجاوز الأتاسي دور الرئاسة إلى دور صناعة الرؤساء مع بقائه زعيما للكتلة الوطنية. ومن الطريف أنه بعد أربع سنوات وفي ١٩٤٧ حدثت أزمات حكومية حادة فاقترح القوتلي على الأتاسي أن يقبل منصب رئيس الوزراء حلا للموقف لكن الأتاسي اشترط الحد من صلاحيات رئيس الجمهورية، ولم يتم الاتفاق.

مواقفه و مكانته في عهد الانقلابات العسكرية

جاء عام ١٩٤٩ الذي بدأت فيه الانقلابات العسكرية الثلاثة المتعاقبة التي كانت أول الانقلابات العسكرية المستمرة في السياسة المعاصرة، نلاحظ أن كلمتي العسكرية والمستمرة تقصد استثناء انقلابات بكر صدقي و رشيد عالي الكيلاني في العراق وانقلاب الوزير في اليمن ١٩٤٨. قاد حسني الزعيم الانقلاب الأول في مارس ١٩٤٩ وترأس حكومة عسكرية، لكنه أُطيح به بعد ٤ شهور على يد الانقلاب الثاني في أغسطس ١٩٤٩ والذي كان بقيادة سامي الحناوي و قد أظهر هذا الانقلاب وجهها ديموقراطية حيث دعا الأتاسي إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية تجري الانتخابات، على أن تشارك جميع الأطراف في هذه الانتخابات، وهكذا اشترك حزب البعث العربي الاشتراكي في الوزارة وأصبح زعيمه ميشيل عفلق وزيرا للزراعة. إلى هذه الوزارة يرجع الفضل في إقرار حق المرأة في التصويت، وهو ما حدث بالفعل في انتخابات نوفمبر ١٩٤٩ أي قبل مصر بسبع سنوات.

رئاسته الثانية والتوجهات العروبية

وبناء على هذه الانتخابات تكونت جمعية تأسيسية انتخب الرئيس هاشم الأتاسي لرئاستها ومن ثم رشح لرئاسة البلاد وتولى رئاسة الجمهورية مرة أخرى ديسمبر ١٩٤٩ - ديسمبر ١٩٥١، ليشغل ترتيب الرئيس الثامن كما شغل الترتيب الثاني، وكان توليه في هذه المرة بإجماع الأعضاء، كما أنه تحالف مع حزب الشعب معارضه التقليدي وعين رئيسه الجديد ناظم القدسي رئيسا للوزراء.

شهدت الرئاسة الثانية للأتاسي توجهات عروبية مهمة تجلت في بدء التباحث حول الاتحاد مع العراق وسافر الأتاسي بنفسه إلى بغداد والتقى بالملك فيصل الثاني.. وكانت هذه التوجهات سببا مباشرا ومعلنا للانقلاب الثالث الذي قاده أديب الشيشكلي وهو أشد الانقلابات السورية عداء للوحدة العربية و أشدها تأثرا بالاستراتيجية الأمريكية، ومن الواضح أن هذا الانقلاب كان بمثابة خط أحمر أمام أي وحدة عربية مُخلصة كالوحدة الطبيعية بين سوريا والعراق بحدودهما المشتركة

وبينئهما المتوافقتين في ذلك العصر، ولم يكن هناك ما يُبرر قيام أديب الشيشكلي بهذا الانقلاب ، إلا ما نفهمه الآن من الأصابع الأمريكية التي تمكنت (ببراعة شديدة ودون إعلان واضح) من تحريك العسكريين العرب لإجهاض كل نجاح عروبي

وقد وصل الأمر في معاداة الشيشكلي للوحدة مع العراق إلى أن قال إن هذه الوحدة تُمثل استيلاء بغداد على دمشق، وقد شهد هذا الانقلاب اعتقالات كثيرة شملت سامي الحناوي نفسه كما شملت أقطاب حزب الشعب، واحتفظ الشيشكلي بمنصبه في قيادة الجيش، وطلب تعيين فوزي سلو وزيراً للدفاع بيد أن معروف الدواليبي رفض، وهكذا قام الشيشكلي بانقلاب ثانٍ ١٩٥١ ، واعتقل الجميع رئيس الوزراء والوزراء ورجال الدولة وأعضاء حزب الشعب.. وحل البرلمان أيضاً.

استقالته من رئاسة الجمهورية في ديسمبر ١٩٥١

استقال الأتاسي من رئاسة الجمهورية في ديسمبر ١٩٥١ لكنه لم يُقدم الاستقالة للشيشكلي لأنه لم يكن يعترف بحكمه، وبدأ في قيادة معارضة مستترة ضد الشيشكلي وأدى هذا إلى حدوث انتفاضة وطنية في حلب ، ويُحسب للشيشكلي أنه اكتفى بوضع الأتاسي تحت الإقامة الجبرية لكنه لم يسجنه احتراماً لتاريخه.

ربيع الديمقراطية وعودته للرئاسة

في مارس ١٩٥٤ ، عاد الأتاسي إلى ممارسة مهام منصبه كرئيس للجمهورية ليشغل ترتيب الرئيس الحادي عشر ، وهو ما واكب أيضاً عودة الرئيس محمد نجيب إلى رئاسة الوزارة في مارس ١٩٥٤ بعد أن كان تركها في فبراير ١٩٥٤ ، وكذلك عاد الوزراء والنواب والسفراء وبذل الأتاسي كل جهده في القضاء على آثار الاستبداد الذي مارسه الشيشكلي.

حاول الأتاسي أن ينجو بسوريا من التيارات المتلاطمة التي كانت قد بدأت تجتاحها، لكن هذه التيارات كانت مندفعة بما فيه الكفاية إلى ما حدث لسوريا من القلاقل التي تجلبها للأوطان كثرة متفقيها ومنظريها والمتمذهبين فيها، وتشغلهم قلاقلهم عن الانتباه للتربص الغربي بالوطن من خلال العسكر. وفي تلك الفترة عاد للظهور ميل الأتاسي إلى التحالف مع بغداد بديلاً عن الفكرة البراقة الخاصة بالتحالف مع الرئيس عبد الناصر، فقد كان يرى مثل هذا الطريق أكثر أماناً لسوريا، ومن الإنصاف أن نقول إنه كان مُحققاً في هذه الرؤية لكن نزق السياسيين السوريين والعسكريين السوريين كان قد بلغ درجات قصوى.

إيفاده فارس الخوري لعبد الناصر بلا جدوى

في هذه الفترة كان الرئيس عبد الناصر يُمارس التدرج في الديكتاتورية بما تجلبه من التصفيق والإعجاب، ومن الطريف أن نذكر أن الأتاسي اختار صاحب شخصية عظيمة وهو رئيس الوزراء المسيحي المفكر فارس الخوري ودفعه وشجعه على لقاء عبد الناصر في القاهرة للتوسط كيلا يُعدم الإخوان المسلمين دون جدوى، وللتوسط كي يُخفف من تدخله في الشؤون العربية دون جدوى.

ووصل الأمر بالأتاسي أن قال لرئيس الوزراء صبري العسلي تعبيره المشهور إنك سُنحول سوريا إلى قمر صناعي في مدار مصر.

ذكاؤه في التعامل مع العسكريين

بقي الرئيس هاشم الأتاسي رئيساً حتى انتهت ما اعتبرت مدة ولايته الثانية في سبتمبر ١٩٥٥ فعاد إلى مدينته حمص واعتزل الحياة السياسية في السنوات الباقية من عمره لكن السياسة لم تعتزله ففي العام التالي أدين ابنه عدنان الأتاسي بالتحالف مع العراق وهو ما يعني أنه ضد عبد الناصر وحُكم على عدنان بالإعدام بتهمة الخيانة العظمى، وخُفف الحكم إلى المؤبد احتراماً لتاريخ والده بينما كانت المحاكمة نفسها انتقاماً عسكرياً من موقفه المعارض للعسكريين في تجاوزاتهم السياسية والتنفيذية طيلة فترتيه الرئاستين الثانية والثالثة اللتين تحمل فيهما الكثير من أجل الحفاظ على سوريا موحدة بعيداً عن مهاترات الانفصاليين ونزق المراهقين من الساسة.

ومن الإنصاف أن نشير إلى ذكاء الرئيس هاشم الأتاسي في التعامل مع العسكريين الذين حكموا على ابنه بالإعدام ذلك انه رفض أن يزور ابنه في السجن!

مكائنه في عهد الوحدة

قامت الوحدة في مصر في ١٩٥٨، فكان رأيه في عبد الناصر هو نفس رأيه فيه قبل قيام الوحدة، وكان أكثر من نبه العرب للحذر من أخطاء العسكريين قبل أن يراها الناس بفضاعتها وقسوتها. ومع أنه أثر الهدوء الذي يتناسب مع سنه لكن روحه ظلت تتطلع إلى الأفضل لبلاده حتى أكرمه الله بحسن الخاتمة فلما توفي في ٦ ديسمبر ١٩٦٠ كانت جنازته أكبر الجنازات في تاريخ سوريا حتى ذلك الحين وقد سار فيها جمال عبد الناصر وكبار رجال الدولة.

وبعد وفاته وصل من عائلته اثنان لرئاسة الجمهورية : الفريق لؤي الأتاسي (١٩٢٦ - ٢٠٠٣) الذي رأس الجمهورية ما بين ٢٣ مارس ١٩٦٣ و ٢٧ يوليو ١٩٦٣ أي لمدة الشهور الأربعة الأولى من عمر الانقلاب البعثي المعروف باسم حركة ٨ مارس ١٩٦٣ والدكتور نور الدين الأتاسي (١٩٢٩ - ١٩٩٦) الطبيب الذي رأس سوريا ما بين ٢٥ فبراير ١٩٦٦ و ١٧ نوفمبر ١٩٧٠ أي لمدة أربع سنوات وتسعة شهور، وهي تعتبر أطول مدة في ذلك العهد حتى استولى حافظ الأسد على السلطة على مرحلتين .

حفيده نشر سيرة حياته

من الطريف في قصة حياة الرئيس هاشم الأتاسي أن حفيده هو الذي نشر سيرة حياته "ذلك الرجل الذي تولى رئاسة سوريا ثلاث مرات" (٣٦ - ١٩٣٦) (٤٩ - ١٩٥١) (٥٤ - ١٩٥٥) ووضع فيها دستورين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ وتولى رئاسة وزراء الجمهورية السورية أربعة شهور (١٩٤٩) وتولى رئاسة وزارة المملكة السورية ثمانين يوماً (١٩٢٠).

كان حين توفي من أقدم رؤساء الوزراء على قيد الحياة فقد كان يومها قد مضى عليه كرئيس وزراء سابق أربعين عاماً.

الفصل ٤٧ : يوسف الحكيم الوزير السوري الذي عاش مائة عام وكتب تاريخها

يوسف الحكيم ١٨٧٩-١٩٧٩ سياسي وطني سوري رزق طول العمر ، و هو قبل هذا مُثقف و قاض ووزير و نائب بيد أن ما بقي منه ، وله ، أهم من هذا كله ، وهو أنه مؤرخ مسجل لتعاقب الأحداث و إليه يعود بعض الفضل في كتابة جزيئات كثيرة من التاريخ السوري المعاصر ، و تتمثل أهمية مذكراته فيما يمكن الاعتماد عليها فيه من بعض المعلومات والوثائق التاريخية التي وثقها مؤلفها الذي تولى مناصب القضاء والإدارة والسياسة، وكان حريصا على ألا ينتسب لأي حزب ولهذا فإنه كان شأن التكنوقراطيين المتحفظين بعيدا تماما عن الأذى المترتب على تبدل الحكومات .

كان يوسف الحكيم قد تدرج في الوظائف في ظل الدولة العثمانية و عين قاضيا في ١٩٠٤ ولما مارس السياسة وتركها عاد إلى العمل بالقضاء حيث عمل في محكمة التمييز كرئيس ثانٍ واحتفظ بهذا المنصب حتى ١٩٤٨ (وهو سن التقاعد)

صداقته للرئيس أحمد نامي

عرف يوسف الحكيم في الميدان السياسي بأنه كان صديقا للرئيس السوري البارز أحمد نامي ١٨٧٨-١٩٦٣ زوج ابنة السلطان عبد الحميد ، الذي كان هو الآخر طويل العمر لكنه لم يصل بعمره إلى مائة عام ، وقد عمل وزيرا للعدل في وزارات صديقه الثلاث أي على مدى الفترة من مايو ١٩٢٦ وحتى فبراير ١٩٢٨، لكنه كان قد تولى الوزارة قبل هذا حينًا ختير وزيرا للنافعة في ثلاث وزارات متتابعة رأسها كل من على رضا الركابي و هاشم الأتاسي و علاء الدين الدروبي (٨مارس ١٩٢٠ - ٦ سبتمبر ١٩٢٠)

كان لوجود يوسف الحكيم بشخصيته الهادئة المُتعلِّلة إلى جوار الرئيس أحمد نامي أثر في تحقيق ما حقَّقه ذلك الرئيس من إنجازات لكيان سوريا في ظل سطوة الفرنسيين وقسوتهم و عنفوان غطرتهم بعد انتصارهم في الحرب العالمية الأولى وقبل محنتهم في الحرب العالمية الثانية، وفي تلك الفترة كان الوجود الفرنسي في الشام بمثابة محنة بالغة الأثر والتأثير السلبي حتى في شخصيات العرب الشوام جميعا.

نشأته و عائلته

ولد يوسف الحكيم في اللاذقية ١٨٧٩ (أي في العام الذي شهد مولد زعيم الأمة مصطفى النحاس باشا كما شهد مولد الزعيم السوري عبد الرحمن الشهبندر) .

أبوه هو الطبيب يعقوب الحكيم، فكان اسمه كالنبي يوسف عليه السلام ، أما والدته فهي السيدة حنة بنت جرجس حبيش، من تجار التبغ ومن أصحاب كروم الزيتون في قرية بسنادة. بدأ الحكيم دراسته على يد مدرس خاص ، ثم انتقل إلى المدرسة الانجيلية الأميركية في اللاذقية فتابع تعليمه

في المكتب الإعدادي الحكومي حيث دَرَس المرحلة الإعدادية (ما يناظر الثانوية في زماننا) وتخرج سنة ١٨٩٩ .

في العمل الحكومي

بعد تخرج يوسف الحكيم في المكتب الإعدادي الحكومي (وهو ما يناظر الثانوية في زماننا) عمل مُدرساً بالمكتب الإعدادي لمادة اللغة التركية، براتب مائتي قرش (ليرتين عثمانيتين شهرياً) وبعدها عُيِّن موظفاً في ديوان العدلية حتى يوليو ١٩٠٤ عندما تم نقله إلى وظيفة ملازم في المحكمة. وفي ٢٢ ديسمبر ١٩٠٩ تم تعيينه عضواً في محكمة لواء القدس الشريف ثم نقل إلى يافا في ٩ يناير ١٩١٠، ليصبح عضواً في المحكمة البدائية الحائزة أيضاً على صلاحية محكمة الاستئناف بالنسبة إلى محاكم الأقضية وصلاحية محكمة الجنايات في اللواء. وفي ١٩١٢ نقل يوسف الحكيم للعمل في طرابلس الشام ومنها إلى بيروت وبقي فيها ست سنوات.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، عُيِّن يوسف الحكيم رئيساً للجنة ترجمة القوانين من التركية إلى اللغة العربية بأمر من جمال باشا الحاكم العسكرية لولاية سورية، حيث ترجم مايزيد عن عشرين قانوناً ونظاماً.

وفي العام ١٩١٦ تم تعيينه قائم مقام قضاء الكورة وهو القضاء الشمالي من جبل لبنان القريب من مدينة طرابلس، ثم قائم مقام قضاء البترون وهو القضاء اللبناني الشمالي المنتهي بحدود متصرفية طرابلس .

في ١٩١٨ تم تعيين يوسف الحكيم مديراً لرسائل حكومة جبل لبنان، مسؤولاً عن مراسلة جميع الولايات العثمانية ومخاطبتها وإبداء الرأي أحوال متصرفية جبل لبنان ومطالبها.

في الوظائف السياسية

عند انتهاء الحرب العالمية الأولى وانتهاء الدولة العثمانية، كان يوسف الحكيم ممن بايعوا الأمير فيصل بن الحسين حاكماً عربياً على سورية ورشَّح نفسه للانتخابات البرلمانية الأولى في البلاد، ليصبح عضواً في المؤتمر السوري العام الذي توج فيصل ملكاً على سورية يوم ٨ مارس ١٩٢٠. وفي أول جلسة لهذا المؤتمر، تم انتخاب يوسف الحكيم نائباً لرئيسه هاشم الأتاسي.

في ٩ مارس ١٩٢٠ عهد الملك فيصل إلى علي رضا باشا الركابي بتأليف وزارة جديدة وتم اختيار يوسف الحكيم وزيراً لأموال النافعة (وهو منصب يشمل وزارة التجارة والزراعة والأشغال العامة) وبقي في هذا المنصب على الرغم من تغيير ثلاث وزارات، رأسها كل من علي رضا الركابي و هاشم الأتاسي ثم علاء الدين الدروبي، والأخيرة هي الوزارة التي شكَّلت في أعقاب هزيمة الجيش السوري في معركة ميسلون يوم ٢٤ يوليو ١٩٢٠.

في أثناء الاحتلال الفرنسي لسورية وبعد خلع الملك فيصل الأول تم تعيين يوسف الحكيم نائباً عاماً لوزارة العدل بمدينة اللاذقية ثم رئيساً أولاً لمحكمة التمييز بدولة الاتحاد السوري سنة ١٩٢٣ .

وفي أثناء الثورة السورية الكبرى، سُمي يوسف الحكيم وزيراً للعدلية في حكومة صديقه أحمد نامي من ٢ مايو ١٩٢٦ وحتى فبراير ١٩٢٨ كما ذكرنا من قبل. في تلك الفترة بذل جُهداً في مساعدة أحمد نامي في العمل على إعادة لواء إسكندرون إلى سوريا وهو ما كان قد تحقّق على يد أحمد نامي (١٩٢٨) ثم تغير الأمر بعد ذلك.

تقييم الأستاذ يوسف مرزوق لمذكراته

طبعت دار " النهار" اللبنانية ذكريات "يوسف الحكيم" في أربعة أجزاء، سورية والعهد العثماني، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، سورية والعهد الفيصلي، سورية والانتداب الفرنسي. أنقل هنا مع كثير من التصرف بعض ما وصفت به هذه المذكرات وفي مقدمته ما كتبه الأستاذ ياسر مرزوق في ٨ يوليو ٢٠١٢ في محاولة لتلخيص محتوياتها.

الجزء الأول وتحت عنوان " سوريا والعهد العثماني "

يتضمن موجزاً عن آخر أدوار الدولة العثمانية، وتفصيلاً عن التنظيم الإداري الذي تم في أيام السلطان عبد الحميد الثاني، وعن حوادث ما بعد الدستور الذي أعلن سنة ١٩٠٨، يضاف إليها مذكرات يوسف الحكيم المسجلة في حينها عن سورية عامة وعن اللاذقية وطرابلس وفلسطين خاصة.

الجزء الثاني " بيروت ولبنان زمن آل عثمان "

تبعاً لما جادت به وظيفة الكاتب في حينه " رئاسة القلم التركي لحكومة جبل لبنان المستقل إدارياً " من تجارب ومعلومات شملت أحداث الحرب العالمية الأولى التي انتهت عام ١٩١٨ بجلاء الترك ودولتهم العثمانية نهائياً عن سوريا ولبنان، كما شمل موجزاً عن تاريخ لبنان منذ ١٥١٦ مع تفصيل عن نظامه الخاص وحكامه وحياة شعبه في ميداني السياسة والاجتماع، كما تضمن هذا الجزء سرداً لحوادث الإرهاب في عهد جمال باشا قائد الجيش المطلق الصلاحية في كامل المنطقة السورية الممتدة من حدود الأناضول شمالاً حتى حدود مصر جنوباً مع شبه الجزيرة العربية، و تضمنت استعراض نظام المتصرفين الذين عينتهم الدولة العثمانية. وفي هذا الجزء تتبع يوسف الحكيم تاريخ أسرٍ بكاملها وانقراض بعضها واستمرار الآخر لابعاً قوياً على الساحة اللبنانية وحتى الإقليمية.

الجزء الثالث " سوريا وفجر الاستقلال "

عن فترة الاستقلال السوري المعروف بالعهد الفيصلي، وفيه نودي بالأمير الشريف فيصل ملكاً على سوريا وجهود السوريين المتواصلة لنيل استقلالهم استقلالاً تاماً مروراً بدخول الجيش الفرنسي دمشق حرباً بعد معركة ميسلون والتي بدأ في إثرها الانتداب على سوريا. ويبدأ يوسف الحكيم هذا الجزء بسردٍ لإرهاصات الثورة العربية الكبرى موضحاً أسبابها ليصل إلى إعلان الشريف حسين الجهاد المقدس على الترك " أعداء العرب ومغتصبي الخلافة " حسب تعبيره والاستيلاء على مكة والطائف ثم المدينة المنورة، ليصار إلى إعلان الحسين ملكاً على البلاد

العربية، ويتوجه ابنه فيصل، بمرافقة الجيش البريطاني لدخول دمشق... ويروي يوسف الحكيم صوراً مؤثرة لانسحاب الجيش التركي والتعرض الذي واجهته شرادمه أثناء تراجعها من هجمات الوطنيين في كل من تدمر والبقاع ونواحي حماة وتكليفهم أشد تنكيل، ثاراً لدماء الشهداء المسفوكة بأمر جمال باشا.

الجزء الرابع : عهد الانتداب الفرنسي

وانتهائه، بعد خمسة وعشرين عاماً باستقلال كلٍ منهما استقلالاً تاماً على أساس حكمٍ جمهوري. بدءاً من دخول الأمير فيصل دمشق مروراً بانعقاد المؤتمر السوري عام ١٩٢٠ الذي نادى بفيصل ملكاً على سوريا، في حفلٍ حضره جميع قناصل الدول ثم الاحتلال الفرنسي لغرب سوريا وتقسيمه ثلاث حكومات : حكومة لبنان الكبير، وحكومة العلويين وحكومة لواء إسكندرون، ليصل الحكيم إلى إنذار غورو الشهير وملحمة احتلال الداخل السوري، وتجزئته أيضاً إلى دويلات، من ثم إعادة توحيد البلاد واندلاع الثورة السورية الكبرى، مستعرضاً لحكومات صبحي بركات، أحمد نامي، حكومة الشيخ تاج الدين الحسني، ثم إعلان النظام الجمهوري وانتخاب محمد علي العابد رئيساً للجمهورية، لبدأ عهد التفاهم بين فرنسا والكتلة الوطنية، وقضية لواء إسكندرون، حكومة المديرين، اغتيال الدكتور الشهبندر، سوريا أثناء الحرب العالمية الثانية...

الجزء الخامس من المذكرات

وقد نبهنا الأستاذ يوسف مرزوق في مقاله إلى مصير جزء لم ينشر من المذكرات هو الجزء الخامس تحت عنوان " سوريا المستقلة " يتحدث عن الانقلابات والتطورات في الحياة السياسية السورية حتى انقلاب ٨ آذار عام ١٩٦٣ وتسلم حزب البعث للسلطة في سوريا ناقلاً رأي الأستاذ يوسف الحكيم نفسه :

" يبدو أن الظرف السياسي في العام التالي لاستلام البعث السلطة في سوريا عام صدور الكتاب لم يسمح بصدور الجزء الخامس، فيختم الحكيم الجزء الرابع بالعبارة التالية " أما الجزء الخامس وهو الأخير من ذكرياتي، فسوف يقدم للنشر في أول فرصة مناسبة، بعون الله تعالى "

الفصل ٤٨ يوسف العظمة وزير الدفاع العربي الوحيد الذي استشهد في معركة

الشهيد يوسف العظمة (١٨٨٤ - ١٩٢٠) هو بطل سوريا الأسطوري في العصر الحديث، كان وزيرا للحربية في عهد المملكة السورية التي حكمت ما بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ بقيادة الملك فيصل الأول، وكان هو وزير الحربية ورئيس الأركان في هذه الدولة الوليدة التي تأمر عليها الفرنسيون فعسفوا بها وفرضوا الانتداب على أرض سوريا ، لكن الشهيد يوسف العظمة كان من الذين قاوموا هذا الانتداب بأرواحهم، وقاد مقاومة السوريين العسكريين رغم عدم تكافؤ القوى وخاض في مواجهة الفرنسيين معركة ميسلون الشهيرة التي تغنى بها شعراء الحماسة والوطنية والعروبة كان الشهيد يوسف العظمة عسكريا مثقفا وكان يُتقن عددا من اللغات بحكم النشأة والتعلم المتصل، فكان منها العربية والتركية والفرنسية والألمانية.

مولده ودراسته

ولد الشهيد يوسف العظمة في حي الشاغور في دمشق ١٨٨٤ لعائلة دمشقية أصيلة ، وكان والده موظفا في مالية دمشق ، لكنه توفي ١٨٩٠ حين كان الشهيد يوسف في السادسة من عمره فكفله شقيقه الأكبر عبد العزيز. درس الشهيد يوسف العظمة دراسة مدنية في المرحلة الابتدائية وتحول مبكرا إلى الدراسة العسكرية فدرس في المدرسة الرشيدية العسكرية التي كانت قائمة في جامع يلبغا وهو في التاسعة من عمره وانتقل إلى المدرسة العسكرية الإعدادية وهو في الثالثة عشرة من عمره، وعندما أصبح في السادسة عشرة من عمره (١٩٠٠) انتقل للدراسة في المدرسة الإعدادية العسكرية (وهي تناظر المدارس الثانوية في النظام المصري) في إسطنبول فأحرز شهادتها في ذلك العام وانتقل إلى المدرسة الحربية السلطانية في الأستانة وتخرج فيها ١٩٠٣ برتبة ملازم ثان، وتدرّج في سلك العسكرية فنال رتبة ملازم أول بعد سنتين، وانتقل إلى مدرسة أركان الحرب فدرس فيها ونال رتبة يوزباشي أركان الحرب ١٩٠٧ كما نال وسام المعارف الذهبي. وبعد عام واحد ١٩٠٨ أصبح الشهيد يوسف العظمة مدربا مساعدا للتعبئة بمدرسة الأركان في قصر يلدز ، وفي العام التالي درس في مدرسة أركان الحرب العليا في ألمانيا ١٩٠٩ ، وعين ملحقا عسكريا في المفوضية العثمانية في القاهرة ومعاوننا للمفوض السامي العثماني. وفي ١٩١٢ عاد الشهيد يوسف العظمة إلى الأستانة واشترك ١٩١٣ في حروب البلقان .

إسهاماته في الحرب العالمية الأولى

أما في الحرب العالمية الأولى فقد كانت له إسهامات مرموقة فقد بدأ رئيسا لأركان حرب الفرقة ٢٠ ثم الفرقة ٢٥ العاملة في بلغاريا ثم في النمسا وفي رومانيا، ولما كانت الدولة العثمانية متحالفة مع ألمانيا فقد ضمّه المارشال ماكرون قائد القوات الألمانية المحاربة إلى هيئة أركان الحرب الألمانية ممثلا للجيش العثماني.

ثم أعيد الشهيد يوسف العظمة إلى الأستانة ليكون مرافقا لوزير الحربية العثماني أنور باشا وهو يتفقد الجيوش العثمانية في الأناضول وسوريا والعراق، وعين رئيسا لأركان حرب القوات المرابطة في القوقاز ثم رئيسا لأركان الجيش الأول في إسطنبول.

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى ونهاية الدولة العثمانية غادر إسطنبول، فاستعان به الملك فيصل الأول من قبل تأسيس المملكة السورية مرافقا له، ثم عين معتمدا لأركان الحرب العامة في سوريا برتبة قائمقام، وذلك قبل أن يتولى أكبر إنجاز حققه في حياته وهو تأسيس الجيش السوري، وقد نجح في تأسيسه من عشرة آلاف مقاتل على طريقة عسكرية محترفة، وهو الجيش الذي صمم الفرنسيون بعد معركة ميسلون على حله وتصفيته.

إنذار فرنسا الشهير للملك فيصل

في يونيو ١٩٢٠ وجّه الفرنسيون إنذارهم للشهير للملك فيصل، وجمع الملك فيصل وزراءه، وكانت وجهة نظر الملك أن يقبل الإنذار، لكن الشهيد يوسف العظمة وزير الحربية رفض، وحاول هو و الدكتور عبد الرحمن شهبندر وزير الخارجية إقناع الملك دون جدوى.

المعركة

ومع أن الملك بدأ الخطوات التنفيذية للاستجابة للفرنسيين، بما في ذلك حل الجيش وسحبه وأرسل بهذا إلى الجنرال غورو فإن الجنرال غورو بدأ الزحف تجاه دمشق في ٢٤ يوليو ١٩٢٠، متذرا كالعادة بسبب مختلق، كان في هذه الحالة أن برقية الملك فيصل بالموافقة على الإنذار لم تصله إلا بعد انتهاء المدة. وهكذا تأكد للسوريين أن النية لا تقف عند حد قبول الإنذار أو التوافق، وإنما تتعدى هذا إلى احتلال كامل، وهكذا كان على الوطنيين وفي مقدمتهم الشهيد يوسف العظمة أن يقاوموا ما استطاعوا ليحفظوا شرفهم وشرف وطنهم في مواجهة هذا الاعتداء السافر، وهكذا أدرك البطل الشهيد يوسف العظمة أن واجبه الأول هو أن يبدأ عهدا من مقاومة المحتل مهما كانت نتيجة المعركة في صالح جبروت العدو وقوته، ولولا هذا الوعي من الشهيد يوسف العظمة بالشرف والوطنية والتاريخ والمستقبل لانتهد إلى الأبد رجولة الجيش السوري وقد سجّل التاريخ أن غورو خاض الحرب بتسعة آلاف جندي مزودين بالطائرات والدبابات والرشاشات في مواجهة ثلاثة آلاف من المتطوعين السوريين الذين كونوا الجيش السوري المحارب الذي قاده الشهيد يوسف العظمة يوم ٢٤ يوليو ١٩٢٠ الذي هو أمجد أيام سوريا في تاريخها الحديث.

استشهاده

أبلى الشهيد يوسف العظمة في ذلك اليوم بلاء حسنا وحارب بنفسه إلى آخر طلقة كانت في بندقيته حتى استشهد، فكان بهذا أول وزير حربية عربي يستشهد وهو يخوض معركة فاصلة.

دفن الشهيد يوسف العظمة في مقابر الشهداء في ميسلون على بعد ٢٨ كم شمال غرب دمشق، وخلّد الشعر بطولته بقصائد كثيرة لا تزال تحتل مكانتها في مقدمة أصدق شعر الحماسة العربي في العصر الحديث الذي تمثل فيها.

المحتويات

٧	الفصل الأول
٧	كلمات السر الكفيلة بفهم الانقلابات العسكرية السورية الأولى
٧	الخلاف المصري الهاشمي
٧	الإعلام المصري و حرب فلسطين
٧	نوري السعيد
٧	القطيعة السيكلوجية مع العراق
٨	علاقة النظام السعودي بالأمريكيين
٨	كيف استقبلت السياسة انقلاب حسني الزعيم
٨	كيف برر الشيشكلي انقلابه الأول
٨	تولييه رئاسة الأركان العامة
٩	تبرير انقلاب الشيشكلي الثاني
٩	تخويف عبد الناصر برأس الذئب الطائر
١٠	عادت الديموقراطية الى سوريا حتى لا تعود الى مصر
١٠	استفادة عبد الناصر من تجربة الشيشكلي
١٠	تفوق الرئيس عبد الناصر
١١	الفصل الثاني
١١	المصفوفة الكفيلة بفهم تاريخ السلطة في سوريا منذ الانفصال
١١	التأييد يسبق التحفظ
١٢	المعنى الواضح
١٢	الفارق بين الرئيس الأتاسي والرئيس القوتلي
١٣	المرحلة الأولى ما بين سبتمبر ١٩٦١ ومارس ١٩٦٣ حيث بقي الارتباط العاطفي
١٣	العداء أكثر فائدة من الإخلاص
١٤	المرحلة الثانية ما بين مارس ١٩٦٣ و يوليو ١٩٦٣
١٥	المرحلة الثالثة ما بين يوليو ١٩٦٣ و فبراير ١٩٦٦
١٥	المرحلة الرابعة
١٥	المرحلة الخامسة والاخيرة
١٦	الباب الثاني : السياسة السوريون
١٦	الفصل الثالث : أحمد نامي
١٦	الرئيس السوري زوج ابنة السلطان عبد الحميد
١٦	الاختيارات الأربعة للفرنسيين
١٦	الشركسي الوحيد بين رؤساء سوريا
١٧	أصوله ونشأته
١٧	مؤرخه هو الوزير يوسف الحكيم
١٧	برنامج وزارتي
١٧	نجاحه في إقناع الفرنسيين بإقالة مدير الأمن العام
١٨	كانت إسكندرون سورية في عهده
١٨	قتل الأمير الجزائري و إخماد للثورة السورية
١٨	كيف ترك الرئيس أحمد نامي الرئاسة وهو الذي كان على وفاق مع الفرنسيين؟
١٨	الشيخ الحسني يتقدم ونامي يراجع
١٩	محاولة تنويجه ملكا لسوريا
١٩	المرشحون للقب الملك السوري
١٩	دعمه لترشيح العابد رئيسا للجمهورية
١٩	قبل عرضا بالعودة للرئاسة في ١٩٤١
١٩	تركيبة وزارته الثلاث
٢٠	القبض على نصف وزرائه وسجنهم
٢٠	وزارته الثالثة و الأطول عمرا

٢٠	ضمت من وزرائه القدامى
٢٠	أما وزراؤه الجدد فهم
٢١	معاناته من الفرنسيين
٢١	مواجهته الحصيفة لتسلط الجنرال أليب
٢١	استقالة المفوض الفرنسي دي جوفيل
٢١	مناقسة واثق العظم
٢١	اعتقال محافظ حمص فوزي المالكي
٢١	وفاته
٢٢	الفصل الرابع : أديب الشيشكلي
٢٢	العقيد السوري الذي رسم لمصر سيناريو تضييع أوطان العرب
٢٢	تأثيره في أداء الرئيس عبد الناصر
٢٣	نشأته
٢٣	دوره الوطني المبكر وحيث الإنقاذ
٢٤	أجاد تقديم نفسه وطنيا مستقلا
٢٤	أثر بطولاته في فلسطين
٢٤	لم يستجب تماما للأمر يكبين
٢٥	كيف برر الشيشكلي انقلابه
٢٥	ديستور ١٩٥٠
٢٦	اهتمامه بالسلطة والزعامة وليس بالزعامة وحدها
٢٦	توجهاته الاقتصادية
٢٧	التنمية المستقلة
٢٧	زعامة العنف
٢٧	قمعه لثورة الدروز الموحدين
٢٧	مناورة الاستقالة
٢٨	ابنته تصحح وقائع تاريخه المروي
٢٨	ابنته تلقي بمسئولية مذابح الدروز على شوكت شقير
٢٨	تاريخ قدره قلعي لحقيقته
٢٩	الفصل الخامس : أكرم الحوراني
٢٩	المفكر العربي الذي وضع الكاب على رؤوس السوريين
٢٩	نشأته
٢٩	تكوينه الجامعي
٣٠	الحزب السوري القومي الاجتماعي
٣٠	مؤازرة ثورة العراق
٣٠	توثق صلته بالضباط
٣١	صعود مكانته في السياسة السورية
٣١	يناظر علي ماهر
٣١	وصوله للوزارة
٣١	أول من حارب الإخوان
٣١	الحزب العربي الاشتراكي
٣٢	تأييده حسني الزعيم و هروبه من الشيشكلي
٣٢	الاندماج مع البعث
٣٢	تحمسه للوحدة في ١٩٥٨
٣٢	نقد سياسة الرئيس عبد الناصر في لبنان
٣٣	نقد سياسة الرئيس عبد الناصر تجاه الثورة الجزائرية
٣٣	هروبه الى لبنان
٣٣	تأييده الانفصال
٣٤	موقف مفاجئ من حركة مارس عام ١٩٦٣
٣٤	مذكراته
٣٤	صورة الرئيس عبد الناصر في مذكراته
٣٧	وفاته
٣٨	الفصل السادس : أمين الحافظ
٣٨	الرئيس الذي حرص عبد الناصر على ربط اسمه بكوهين
٣٨	نشأته وتكوينه
٣٨	دوره في التحول الجزري في يوليو ١٩٦٣
٣٨	عصر الرئيس أمين الحافظ
٣٩	انقلاب صلاح جديد

٣٩	الناصريون يختزلون مرحلته في قصة الجاسوس إيلي كوهين.....
٤٠	العزف على أنغام الإسرائيليين.....
٤١	حماسيات الأستاذ محمد جلال كشك.....
٤١	صورة الرئيس أمين الحافظ في أدبيات السوريين.....
٤٢	الفصل السابع: أنطون سعادة
٤٢	المفكر القومي الذي خسره الإسلام وخسرته المسيحية
٤٢	النسخة اللبنانية من الشيخ حسن البنا.....
٤٢	علامة فارقة رغم إعدامه.....
٤٢	دوره التاريخي.....
٤٣	الحاجة إلى مقارنة مختلفة لفكره.....
٤٣	معنى الدين الذي يُجمع عليه كثير من المسلمين.....
٤٣	كتابه «نشوء الأمم».....
٤٣	حرب فلسطين.....
٤٤	الفارق بين حزب أنطون سعادة وبين حزب البعث العربي.....
٤٤	نجاحه.....
٤٤	ما ورثه من والده خليل سعادة.....
٤٤	رئيس الجامعة الأمريكية كان أول المبلغين عنه.....
٤٥	الفصل الثامن : بشارة الخوري
٤٥	الرئيس الذي يشترك في اسمه مع الأخطل الصغير
٤٥	نشأته.....
٤٦	حياته السياسية.....
٤٦	نهاية عهد بشارة الخوري.....
٤٧	رئاسة الوزارة في عهده.....
٤٧	أهم الصعوبات السياسية التي واجهته.....
٤٨	باتريك سيل و مذكرات فريد شهاب.....
٤٩	الفصل ٩ : بشير العظمة
٤٩	مكانته الوطنية.....
٤٩	سعيه لإعادة الوحدة.....
٤٩	نشأته و تكوينه.....
٥٠	توليه الوزارة.....
٥٠	اختياره لرئاسة الوزارة.....
٥٠	ثقافته واستيعابه.....
٥١	فشله في إعادة الوحدة.....
٥١	مذكراته.....
٥١	وفاته.....
٥٢	الفصل ١٠ : تاج الدين الحسني
٥٢	القاضي الذي اختارته فرنسا لرئاسة سوريا
٥٢	إنجازه في ضم جبل الدروز والعلويين.....
٥٢	كان صديقا لديجول.....
٥٢	نشأته.....
٥٣	مع الملك فيصل الأول.....
٥٣	فشله في تشكيل وزارة ١٩٢٥.....
٥٣	توليه الرئاسة في فبراير ١٩٢٨.....
٥٣	استقرار ، و استصدار للعفو.....
٥٤	إعلان الدستور و انتخابات ١٩٣٢.....
٥٤	الإضراب الستيني.....
٥٤	عودته إلى الرئاسة مرة أخرى.....
٥٥	هل مات مسموما؟.....
٥٥	رئاساته.....
٥٥	تولى رئاسة الدولة السورية ثلاث مرات.....
٥٥	وقد تولى رئاسة الوزارة ثلاث مرات.....
٥٦	الفصل ١١ : جميل الألشي
٥٦	العربي العثماني الملكي الفرنسي
٥٦	اغتيال رئيس الوزراء وتشكيل وزارة جديدة.....
٥٦	ابتعاده عن السياسة.....
٥٧	عودته مع الرئيس الحسني.....

٥٧	تولييه رئاسة الوزارة للمرة الثانية
٥٧	خلافه مع الفرنسيين
٥٨	الفصل ١٢ : جميل مردم بك
٥٨	الذي ظهر مع عبد الناصر والقوتلي في شرفة إعلان الوحدة
٥٨	دائب الحركة
٥٨	النشأة والتكوين
٥٨	عائلته
٥٩	در استان متوازيتان في باريس
٥٩	الأمين العام المساعد للمؤتمر العربي : حكم بالإعدام
٥٩	مؤتمر الصلح في فرساي
٥٩	الثورة العربية
٥٩	تأسيس حزب الشعب مع الشهيد
٦٠	الانتقال لحزب الكتلة الوطنية
٦٠	زيارة للنحاس
٦٠	اتم الصلح بين ملكي السعودية واليمن
٦٠	معاهدة ١٩٢٦
٦٠	رئاسة الوزارة في عهد الاتاسي
٦١	استقالته
٦١	محنته في اتهامه بقتل الشهيد
٦١	مكانته في عهد القوتلي
٦١	تأسيس سفارتي سوريا في مصر والسعودية
٦١	رأس ثلاث وزارات في عهد القوتلي
٦٢	الانتخاب أصبح مباشراً أي على درجة واحدة
٦٢	حرب فلسطين
٦٢	رئاسة لجنة فلسطين في الجامعة العربية
٦٢	رفضه الترشح للرئاسة
٦٢	وفاته
٦٣	الفصل ١٣ : حسن الحكيم
٦٣	رئيس الوزراء السوري الذي استحق لقب القوي الأمين
٦٣	شهادة الأستاذ علي الطنطاوي
٦٣	التمييز بين حسن الحكيم ويوسف الحكيم
٦٣	نشأته
٦٤	تولييه الوزارة في الأردن
٦٤	السجن والنفي
٦٤	الأمين العام لحزب الشعب
٦٤	الهروب من حكم بالإعدام
٦٤	عمله في فلسطين
٦٤	العودة بعد العفو
٦٤	رئاسته للوزارة السورية
٦٥	في عهد الانقلابات
٦٥	طبيعة وزارة الحكيم
٦٥	خلافه مع الشيشكلي : رفض تولى الجيش مهمة شرطية
٦٥	مؤلفاته و تكريمه
٦٦	الفصل الرابع عشر : حسني البرازي
٦٦	صحفي رأس الوزارة واستوعب تحويل مجرى نهر الأردن
٦٦	مولده ونشأته
٦٦	مناصبه الوزارية
٦٧	حسني البرازي والصحافة
٦٧	تحفظه على الوحدة مع مصر والحكم بإعدامه
٦٧	حسني البرازي والمشروع الأمريكي
٦٧	خطط للانقلاب على حسني الزعيم
٦٧	شمس الدين العجلاني كتب تاريخه
٦٨	الفصل ١٥ : حسني الزعيم
٦٨	الضابط الذي أنجز في ٥ شهور ما أتجزه المصريون في ٥٩ عاماً
٦٨	أول انقلاب ناجح
٦٨	البدايات

٦٩	الحكم عليه بعشر سنوات مع الأشغال الشاقة لتأييده النازي
٦٩	عودته للخدمة العسكرية
٦٩	الرئيس القوتلي (بلا قصد) يمهد للانقلاب الطريق
٧٠	بوادر انقلابيه كانت منبئة عن نفسها
٧٠	اختلاق المبرر
٧٠	تورط أكرم الحوراني في الانقلاب
٧٠	مبادرة فارس الخوري
٧١	التفويض
٧١	الاعترافات
٧١	الوحدة مع مصر
٧٢	الحسم المظهري و الإداري
٧٢	نجاحاته الغزيرة و السريعة
٧٢	نجاحه في المعضلة الكبرى : التسليح
٧٣	موقفه من الصراع الدولي
٧٣	موقفه الكاشف من الكيان الصهيوني
٧٤	الديكتاتورية تعلن عن نفسها
٧٤	الشراسة و الأكراد
٧٤	الدروز و المحاصصة
٧٤	جمع عدااء الجميع في النهاية
٧٤	سهولة الانقلاب عليه
٧٥	مزاعم محاكمته
٧٥	إخفاء جثته
٧٦	مصر تعلن الحداد
٧٦	بقي بمثابة المثل الملهم لقادة الانقلابات
٧٦	الأستاذ نذير فنصة و تجميل صورة الزعيم
٧٧	الفصل ١٦ خالد العظم
٧٧	المليونير الأحمر
٧٧	رمز الأرستقراطية
٧٨	رئاسته في عهد حكومة فيشي
٧٨	نجاحاته المحسوبة
٧٨	قبوله عضوية وزارة سعد الله الجابري
٧٨	معارضته لتعديل الدستور
٧٩	إبرامه صفقتي سلاح مع فرنسا ومع الاتحاد السوفيتي
٧٩	وزارته الثالثة
٧٩	إنقاذ الليرة السورية
٧٩	تبرير الجيش للانقلاب
٧٩	القبض عليه وإنقاذه
٨٠	حسن الحظ مع الانقلاب الثاني
٨٠	صعوبات مع الانقلاب الثالث
٨٠	اتفاقية لتدريب الجيش السوري في مصر
٨٠	وزارته الخامسة تنهي الوحدة الاقتصادية مع لبنان
٨٠	استقالته
٨١	قاطع الحياة السياسية في العهد الشيشكلي الثاني
٨١	زعيمًا للأغلبية
٨١	القوتلي يفوز عليه في انتخابات الرئاسة
٨١	شراء الأسلحة من الكتلة الشرقية
٨٢	معارضته الوحدة مع مصر
٨٢	منفى اختياري
٨٢	عودته عقب الانفصال
٨٢	انقلاب مارس ١٩٦٢ يسجنه
٨٢	عداوة عبد الناصر و البعث
٨٢	وفاته
٨٣	الفصل ١٧ : رشدي الكخيا
٨٣	الزعيم السوري الذي رفض أن يقبل للانفصال
٨٣	مولده
٨٣	توجهاته السياسية

٨٣	حزب الشعب
٨٤	موقفه من انقلابات سوريا
٨٤	رئيسا للبرلمان السوري ، ورئيسا للجمعية التأسيسية
٨٤	اقتراء الناصرية عليه
٨٤	وفاته
٨٥	الفصل ١٨ : رشيد كرامي
٨٥	أبرز سياسة لبنان في عصر الرخاء والأمان
٨٥	والده وعائلته
٨٥	تعلمه في القاهرة
٨٥	بداياته
٨٥	عضوية البرلمان حتى اغتياله
٨٦	دوره في اخراج إسرائيل من لبنان
٨٦	المناصب الوزارية التي تولاها
٨٦	رئاسته للوزارة في عهد شمعون
٨٦	تعاونته مع فؤاد شهاب
٨٦	تعاونته مع شارل حلو
٨٧	غيابه في بداية عصر سليمان فرنجية
٨٧	قصة استشاده
٨٧	تكشف الحقائق
٨٨	رأي ابن أخيه فيصل عمر كرامي
٨٩	الفصل ١٩ : رياض الصلح
٨٩	الذي استنفذ للبنان كيانه من الذوبان
٨٩	اعترافنا بفضل كتاب باتريك سيل
٨٩	مولد زعيم
٨٩	تنازلات غير معهودة في أخريات حياته
٩٠	اللبنانيون اجتمعوا على قلبه
٩٠	تكوين لبنان
٩٠	الخيوط الفاصلة بين القوميات
٩٠	بداية النضال
٩١	مجمل حياته
٩١	أصوله
٩١	الفهم السياسي
٩١	سعادة الأب بالمملكة السورية
٩٢	هرابه عقب الانتداب
٩٢	المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف
٩٢	حاز ثقة الزعيم النحاس باشا
٩٢	الجهاد في المحافل الدولية
٩٣	منافسة بين إميل إده و بشارة الخوري
٩٣	مؤتمر الساحل
٩٣	ديجول يحارب استقلال لبنان
٩٤	التحالف مع الرئيس الأسعد
٩٤	تبلور الزعامات
٩٤	الطريق للاستقلال
٩٥	مواجهة فرنسا
٩٥	فرنسا تعتقل الزعماء
٩٥	بطولة الرئيس صبري حمادة
٩٦	أفراح الإفراج
٩٦	مكانة رياض الصلح بين أقرانه
٩٧	في الوزارة والبرلمان
٩٧	سيادة لبنان قبل مطامع الإسرائيليين
٩٧	علاقته الوثيقة بالزعماء الفلسطينيين
٩٧	قبل اعتداءات ١٩٤٨ كان بإمكان العرب أن يجلسوا مع اليهود
٩٨	اللجنة التنفيذية لحزب الاتحاد السوري
٩٨	مع الأستاذ محمد رشيد رضا
٩٨	وعيه المبكر بخطط اليهود
٩٨	انتباهه لخطورة خطط وايزمان

٩٨	أدرك بداية الانقلابات العسكرية
٩٩	حسني الزعيم يسلم أنطون سعادة للبنان
٩٩	يقظة مدير الأمن اللبناني
١٠٠	رواية باتريك سبيل عن مذكرات فريد شهاب
١٠٠	نفور الصلح و الخوري من انقلاب حسني الزعيم
١٠١	اغتيال رياض الصلح
١٠١	ذريته
١٠١	تكريمه
١٠٢	الفصل ٢٠ : سامي الحناوي
١٠٢	الرئيس الذي لم ينل من انقلابه الا اغتياله
١٠٢	نشأته
١٠٢	انقلابه
١٠٢	اقتراحات المدنيين
١٠٢	تسليم السلطة للرئيس هاشم الأتاسي الرئيس الأسبق
١٠٢	الوزارة الجديدة
١٠٣	تطهير الجهاز الحكومي
١٠٣	انتخاب جمعية تأسيسية لوضع دستور جديد للبلاد
١٠٣	النجاحات الاقتصادية
١٠٣	الانقلاب الثالث بقيادة أديب الشيشكلي
١٠٣	الثأر منه لإعدامه محسن البرازي
١٠٣	جنازته
١٠٣	التعريف ببعديله الذي رسم صورته التاريخية
١٠٤	الفصل ٢١ : سعد الله الجابري
١٠٤	الزعيم السوري الدوغري
١٠٤	نشأة متميزة
١٠٤	قيمة مفاوضاته ومبادراته
١٠٥	الاتصال بالحياة العامة
١٠٥	ثورة ١٩١٩ في سوريا
١٠٥	معاهدة ١٩٣٦ السورية
١٠٦	في المحيط الدولي
١٠٦	التحالف مع مع ديغول وحكومة فرنسا الحرة
١٠٦	رجل الدولة
١٠٧	عضوية البرلمان
١٠٧	وفاته
١٠٧	رثاء عمر أبو ريشة له رغم اختلافهما
١٠٨	أبو ريشة يتحدث عما كان بينهما من جفاء
١٠٨	مرثية بدوي الجبل له
١٠٨	من كسعد؟
١٠٩	رثاء شاعر العاصي بدر الدين الحامد لسعد الله الجابري
١١٠	الفصل ٢٢ سلطان باشا الأطرش
١١٠	أسطورة المقاومة في العصر الحديث
١١٠	نشأته وعائلته
١١٠	الباشوية التي حصل عليها ورفضه العرض الفرنسي
١١١	محاولته نجدة يوسف العظمة
١١١	ثورة الدروز ١٩٢٥ وبدء ثورة الشهبندر
١١٢	ثورات حماة ودمشق والغوطة
١١٢	الفرنسيون يشددون الخناق عليه
١١٢	العودة بعد العفو عنه
١١٢	احتجاجات ١٩٤٥
١١٢	حرب فلسطين و الانقلابات
١١٣	تأييده الوحدة مع مصر
١١٣	دور شقيقه علي الأطرش في النضال
١١٣	مذكرات منصور الأطرش نجل سلطان باشا
١١٣	تشبيح جنازته
١١٤	الفصل ٢٣ : شارل حلو
١١٤	الرئيس الذي بلغ لبنان ذروة مجده في عهده

١١٤	مكانته بين رؤساء لبنان
١١٤	التاريخ المنحاز لا يعطيه حقه
١١٥	انتعاش الاقتصاد اللبناني
١١٥	تولى الوزارة مع كل أسلافه من الرؤساء
١١٥	تاريخه مع السياسة
١١٥	كان مشاركا في تأسيس حركة الكتائب
١١٥	فوزه الساحق بالرئاسة
١١٦	الفصل ٢٤ : شكري القوتلي
١١٦	الرئيس الذي دخل بسوريا في جبل الجليل
١١٦	كان يتوهم أنه قادر على أن يتغلب على العسكر
١١٧	نفي و مات بلا وداع
١١٧	كان من دون أن يدري سببا من أسباب معاناة سوريا
١١٧	بداياته السياسية
١١٨	مر مبكرا بتجربة النفي
١١٨	ثورة ١٩٢٥
١١٨	حزب الاستقلال
١١٩	الكتلة الوطنية
١١٩	نادي بعودة الملكية إلى سوريا
١١٩	صعوده لرئاسة الكتلة الوطنية
١١٩	النيابة عن مردم في رئاسة مجلس الوزراء
١٢٠	المنفى الاختياري في سويسرا ثم رئاسة الجمهورية
١٢٠	توثيق العلاقة مع النحاس باشا والساسة المصريين
١٢٠	تأسيس الجامعة العربية
١٢١	إعلان الحرب على ألمانيا واليابان
١٢١	الجابري يعلن فض البرلمان فتستشيط فرنسا غضبا
١٢١	إنهاء الانتداب الفرنسي
١٢١	تنامي المشكلات الاقتصادية
١٢٢	إعدام سلمان المرشد
١٢٢	نشأة حزب منافس للكتلة وازهار نقابات العمال
١٢٢	انتخابات ١٩٤٧
١٢٣	تعديل الدستور السوري
١٢٣	فترته الرئاسية الثانية
١٢٣	إشكاليات حالة الحرب مع الكيان الصهيوني
١٢٣	بزوغ البعث
١٢٤	أول الانقلابات العسكرية السورية
١٢٤	لم يتخذ إجراءات وقائية ضد الانقلاب العسكري
١٢٤	الانتهاكات تواجهه وهو في المنفى
١٢٤	ترجع شعبية حزب الرئيس القوتلي
١٢٥	نجاح القوتلي بالرغم من الدعايات المضادة
١٢٥	معارضته لحلف بغداد
١٢٥	إقناع الملك حسين بالابتعاد عن حلف بغداد
١٢٥	توقيع اتفاقيات الأسلحة الشرفية
١٢٥	توقيع اتفاقيات الدفاع المشترك مع مصر ولبنان
١٢٦	أول زيارة لرئيس عربي إلى الاتحاد السوفيتي
١٢٦	رفض عرض الولايات المتحدة الأمر بكية السلام مع إسرائيل
١٢٦	النجاحات الداخلية للرئيس القوتلي : استيعاب حركة البعث
١٢٦	الميثاق الوطني
١٢٧	تشكيل حكومة وحدة وطنية
١٢٧	الاندفاع السوري نحو الاندماج مع مصر
١٢٧	التطور المتسارع في حركة الوحدة مع مصر
١٢٨	مكانة الرئيس القوتلي في ظل النظام الناصري
١٢٨	النفي إلى بيروت والوفاء فيها
١٢٩	الفصل ٢٥ : صائب سلام
١٢٩	السياسي الذي عاش ٩٥ عاما من الشباب
١٢٩	مقارنته برشيد كرامي
١٢٩	الرابع بين الأقطاب المؤسسين

١٣٠	علاقاته النكبة
١٣٠	زيارته للرئيس عبد الناصر عقب الهزيمة
١٣٠	شمعون وعده بزيارة عبد الناصر
١٣٠	أراؤه الصريحة
١٣٠	تباعده عن مصر
١٣١	انتقاده لحاشية عبد الناصر
١٣١	رئاسته للوزارة
١٣١	أول عهده بالوزارة
١٣١	تأسيسه شركة طيران الشرق الأوسط
١٣١	عضويته في البرلمان
١٣١	ذريته
١٣١	وفاته
١٣٢	الفصل ٢٦ : صبري العسلي
١٣٢	الزعيم الذي احترق بحبه لعبد الناصر مرة، وبمعارضته مرتين
١٣٢	تضحيات قسرية
١٣٢	نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة
١٣٢	نشأته
١٣٣	تمثيله للسعوديين في مؤتمر أريحا ١٩٢٨
١٣٣	لمعانه في حزب الكتلة السورية
١٣٣	نجاحه المتكرر في الانتخابات البرلمانية
١٣٤	مناصبه الوزارية
١٣٤	توليه وزارة الداخلية و اعتقاله لميشيل عفلق
١٣٤	دوره في ربيع الديموقراطية
١٣٥	تعاقبه على رئاسة الوزارة مع محمد سعيد الغزي
١٣٥	موقفه من اغتيال عدنان المالكي
١٣٥	أصبح بمثابة الناصري الأول
١٣٦	اتهامات في العهد الناصري
١٣٦	انقلابه على عبد الناصر في ١٩٦٠
١٣٦	تأييده للانفصال
١٣٦	يمثل النموذج البارز لتحويلات لأغلبية السورية
١٣٦	الاعتزال الطويل والوفاة
١٣٧	الفصل ٢٧ : صلاح الدين البيطار
١٣٧	مفكر دخل دولا ب السلطة فأفقدته بريفة
١٣٧	رفض العمل مع نظام الأسد فاغتالته المخابرات
١٣٧	مقارنته بميشيل عفلق
١٣٨	ثنائية صلاح الدين البيطار وميشيل عفلق
١٣٨	حقق انتصار البعث على الناصرية
١٣٨	نشأته
١٣٨	الوزارة تنتبه لهما
١٣٩	مجلة الطلبة ومقهى الطاحونة الحمراء
١٣٩	حزب "الإحياء العربي"
١٣٩	أميناً عاماً للبعث
١٣٩	معارضته لشكري القوتلي
١٣٩	توقيعه على وثيقة الانفصال
١٤٠	أيد الانفصال ثم استنكره
١٤٠	رئاسته للوزارة
١٤٠	لقاؤه الأخير بالرئيس الأسد
١٤٠	اغتياله
١٤٠	مكانته القلقة في ادبيات الناصرية
١٤١	الفصل ٢٨ : صلاح جديد
١٤١	الحلقة الوسطى بين الرئيسين عبد الناصر و حافظ الأسد
١٤١	الاسم الغائب عن اللوحة
١٤١	ورط الرئيس عبد الناصر فيما سماه الحلف التقدمي
١٤١	حاجة الرئيس عبد الناصر إليه
١٤٢	الاختلاف الدامي
١٤٢	و ربما أنه هو من ورط عبد الناصر في هزيمة ١٩٦٧

١٤٢	رفضه قبول الدعم العربي في مؤتمر الخرطوم
١٤٢	أبرز من نجح في تعبئة العقول الشبابية
١٤٢	تفوقه في العسكرية والسياسة
١٤٢	أر هق عبد الناصر حتى أماته و انتهى نفوذه هو بعده مباشرة
١٤٣	تعيين سامي الدروبي سفيراً سوريا في مصر
١٤٣	أول من أساء معاملة الفلسطينيين
١٤٣	الجدل المعرفي
١٤٣	النفوذ
١٤٣	نشأته
١٤٤	مشاركته في انقلاب الضباط الاتاسيين
١٤٤	اللجنة العسكرية
١٤٤	عودته للجيش السوري بعد الانفصال
١٤٥	سهولة انقلاب ١٩٦٦
١٤٥	ونسي أن الدبابه هي التي مكنته من الوصول إلى القيادة
١٤٥	أيلول الأسود
١٤٥	نهائيه المروعة والفظيعة
١٤٦	الفصل ٢٩ عبد الرحمن الشهبندر
١٤٦	الطبيب المفكر الذي سميت باسمه ثورة
١٤٦	نشأته وأسرته
١٤٦	تلمذته للشيخ طاهر الجزائري
١٤٦	طبيباً للجامعة الأمريكية
١٤٧	اتفاقه المبكر مع البريطانيين
١٤٧	تعاونه مع المبعوثين الأمريكي كراين و كينج
١٤٧	تقرير اللجنة الأمريكية
١٤٧	دوره في عهد الملك فيصل الأول
١٤٨	القبض على الشهبندر
١٤٨	تأسيسه حزب الشعب وانضمامه لثورة ١٩٢٥
١٤٨	ثورة الشهبندر في ١٩٢٥
١٤٨	هجرته إلى القاهرة
١٤٩	زعامة المعارضة لمعاهدة ١٩٣٦ و إلغاء حكم الإعدام
١٥٠	اغتياله
١٥٠	محاكمة القتلة
١٥٠	مذكراته
١٥٠	جنازته و دفنه ثم نقل رفاته من جوار صلاح الدين
١٥١	الفصل ٣٠ : عدنان المالكي
١٥١	ضابط البعث الذي بمقتله تحطمت قوة خصوم البعث
١٥١	أبرز ضابط سوري بعثي
١٥١	سمعته الوطنية المبكرة
١٥١	حرب ١٩٤٨ و نجاحاته العسكرية
١٥٢	دوره في انقلابات سوريا
١٥٢	قصة اغتياله
١٥٢	تكريم اسمه
١٥٢	اتهام الحزب السوري القومي الاجتماعي
١٥٣	محكمة برئاسة عبد الحميد السراج
١٥٣	مأزق التصديق على أحكام المحكمة
١٥٣	القوتلي بحل الحزب السوري القومي
١٥٤	الفصل ٣١ : عطا الأيوبي
١٥٤	نموذج الرئيس السوري الذي تبحت عنه دمشق
١٥٤	تكوينه الدمشقي
١٥٤	في وزارة الأمير سعيد الجزائري
١٥٤	وزيراً للداخلية
١٥٥	الوحدة بين دمشق وحلب
١٥٥	لم يشارك في عهد الرئيس نامي
١٥٥	في عهد الرئيس محمد علي العابد
١٥٦	وزارة الأيوبي بعد الإضراب الستيني والميثاق الوطني
١٥٦	تقييم عهد وزارته

١٥٦	في عهد الرئيس هاشم الاتاسي
١٥٦	تكليفه بالرئاسة في ١٩٤٣
١٥٧	اتفاق الفرنسيين مع الوطنيين وتشكيله الوزارة
١٥٧	تسليمه السلطة للرئيس القوتلي
١٥٧	تكريمه وتقاعده
١٥٨	الفصل ٣٢: فؤاد شهاب
١٥٨	الجنرال اللبناني الذي سبق المشير سوار الذهب في تجرده
١٥٨	مكانته العسكرية
١٥٨	مولده ونشأته
١٥٩	في الجيش الفرنسي
١٥٩	مناصب فؤاد شهاب تحت إمرة حكومة فرنسا
١٥٩	أول ضابط لبناني ينال رتبة اللواء
١٥٩	رئاسة الوزارة الانتقالية
١٥٩	اعتذاره عن الاستمرار وزيراً للدفاع
١٦٠	رفضه التدخل في نزاعات الشارع
١٦٠	التوافق عليه رئيساً للبنان
١٦٠	محاولته التخلي عن الرئاسة
١٦٠	تعرضه لمحاولة انقلابية
١٦٠	بدء التحسب للانقلابات العسكرية
١٦٠	رفضه القاطع لتعديل الدستور
١٦١	رفضه للرئاسة مجدداً
١٦١	موقف خلفه الرئيس سليمان فرنجية من سياساته
١٦١	وفاته
١٦٢	الفصل ٣٣: فارس الخوري
١٦٢	الذي نجح في كل شيء إلا في منع عبد الناصر من إعدام الإخوان
١٦٢	الخوريون الثلاثة
١٦٢	رئاسته للوزارة
١٦٣	كان والده نجاراً
١٦٣	ليس مشهوراً أنه أهم خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت
١٦٤	في جمعية الاتحاد والترقي
١٦٤	عضوية البرلمان العثماني
١٦٤	غيرته على الدولة العثمانية
١٦٤	تعرض للسجن على يد الحكم العسكري العثماني
١٦٤	العودة إلى دمشق
١٦٤	معهد الحقوق العربي و المجمع العلمي العربي
١٦٥	وزيراً
١٦٥	تقياً للمحامين
١٦٥	تأسيس حزب الشعب وثورة ١٩٢٥
١٦٥	تشكيل وزارة الرئيس نامي
١٦٦	انتقاله للكتلة السورية (الأغلبية)
١٦٦	نجاحه في منع إنشاء المحاكم المختلطة
١٦٦	الإضراب الستيني
١٦٦	وفد المفاوضات السوري في ١٩٣٦
١٦٧	الفوز بعضوية البرلمان
١٦٧	قضية فلسطين وشعبها
١٦٧	إعلان الحرب على دول المحور
١٦٧	ترأس الوفد السوري في تأسيس الأمم المتحدة
١٦٨	دوره في عرض المشكلة السورية على مجلس الأمن
١٦٨	جلسة مجلس الأمن
١٦٨	قصة جلوسه على مقعد المندوب الفرنسي
١٦٨	سورياً عضواً في مجلس الأمن
١٦٩	رئاسته لمجلس الأمن
١٦٩	معاونة فلسطين ومصر
١٦٩	علاقته بالرئيس عبد الناصر
١٧٠	محاولته تخفيف وطأة الانقلابات العسكرية
١٧٠	موهبة الخطابة والشعرية

١٧٠	قصيدته عن الحرب الروسية اليابانية
١٧٠	قصيدته عن شهداء ٦ مايو
١٧١	ثناء الأستاذ العقاد عليه ومدحه له
١٧١	جريدة المصري تحييه
١٧١	ذريته
١٧٢	الفصل ٣٤ فيصل الاتاسي
١٧٢	الذي هو سوار الذهب السوري
١٧٢	احترام الحياة المدنية
١٧٢	شهادة نذير فنصة
١٧٢	فضله في إجهاض الثورة المضادة
١٧٣	إنهاء محاولة الكزبري تولي السلطة
١٧٣	الإنجاز التكنيكي المتفرد
١٧٣	الرؤساء الأتاسيون
١٧٣	نشأته و تكوينه
١٧٣	لمعانه في الدنادشة و فلسطين وما بعدها
١٧٤	مؤتمر حمص و الميثاق الوطني
١٧٤	خطة الانقلاب
١٧٤	إعادة الرئيس هاشم الاتاسي للرئاسة
١٧٤	مقارنة مع مصر
١٧٥	فضله في عودة الديموقراطية
١٧٥	استقالته من الجيش
١٧٥	وفاته
١٧٦	الفصل ٣٥: كميل شمعون
١٧٦	أبرز نموذج للشريك المخالف في المعادلة اللبنانية
١٧٦	شخصية فريدة و عنيدة
١٧٦	ثاني رئيس للبنان بعد استقلاله
١٧٧	فشل محاولته تمديد رئاسته
١٧٧	توفي وهو وزير للمالية
١٧٧	من الأباء المؤسسين
١٧٧	العودة للوزارة قبل الرئاسة
١٧٧	في السبعينات و الثمانينات
١٧٨	الأنحياز البريطاني
١٧٨	حضوره الحزبي النافذ : الجبهة الوطنية
١٧٨	تأسيسه الحلف الثلاثي بعد هزيمة ١٩٦٧
١٧٨	تأسيس حزب الوطنيين الأحرار
١٧٩	الفصل ٣٦ : لوي الاتاسي
١٧٩	الرئيس السوري الذي حاولوا اغتياله فعاش ٤٠ عاما
١٧٩	ثاني رئيس لسوريا بعد الانفصال
١٧٩	مكانته في انقلاب ١٩٦٣
١٧٩	الاختلاف في الوصف
١٨٠	دوره في انقلاب الضباط الأتاسيين ١٩٥٤
١٨٠	الاتاسي اسم مرتبط بالرئاسة
١٨٠	وفاته
١٨١	الفصل ٣٧ : لطفي الحفار
١٨١	الثائر السوري المتوهج بالوطنية
١٨١	مولده ونشأته
١٨١	من أوائل المهتمين بدراسة القضايا الجمركية
١٨١	تنظيم تعاون المجتمع المدني بالمجتمع السياسي
١٨١	من مؤسسي حزب الشعب
١٨٢	مناصبه الوزارية
١٨٢	إيثاره الانتقال الى حزب الكتلة الوطنية
١٨٢	تزويد بيوت دمشق بمياه عين الفيحة
١٨٢	رئاسته للوزارة
١٨٢	اتهامه في قضية مقتل الشهبندر
١٨٣	أحد مؤسسي الحزب الوطني
١٨٣	الجامعة العربية و فلسطين

١٨٣	ترشحه لرئاسة الجمهورية
١٨٣	موقفه من الانقلابات
١٨٣	اعتقاله في انقلاب ٢٨ مارس ١٩٦٢
١٨٣	مذكراته
١٨٣	وفاته
١٨٤	الفصل ٣٨ : مأمون الكزبري
١٨٤	الذي فشل في خلافة الشيشكلي و نجح في خلافة عبد الناصر
١٨٤	محاولته تولي الرئاسة خلفا للرئيس الشيشكلي
١٨٤	توليه الرئاسة خلفا للرئيس عبد الناصر
١٨٤	دوره الحاسم والجوهري عقب الانفصال
١٨٥	دوره في عودة الحياة النيابية وانتخابه لرئاسة البرلمان
١٨٥	نشأته و تكوينه العلمي
١٨٥	انتمائه السياسي العسكري
١٨٥	مناصبه الوزارية بعد ربيع الديمقراطية
١٨٥	في اثناء الوحدة وبعد انقلاب ١٩٦٢
١٨٥	وفاته
١٨٦	الفصل ٣٩ : محسن البرازي
١٨٦	أول مفكر عربي لكل الأتظمة مثل توماس مور
١٨٦	التميز بين حسني ومحسن البرازي
١٨٦	نشأته وحياته السياسية
١٨٧	صعوده الواصل
١٨٧	ثنائية محسن البرازي وحسني الزعيم
١٨٧	إنجازات وزارته
١٨٨	التحول المطلوب أمريكيا
١٨٨	قصة أسعد طلس: قصة جانبية موازية
١٨٨	انقلاب سامي الحناوي
١٨٨	أعدمه العسكر أمام ابنه (شهادة نذير فنصة ومحمد معروف)
١٨٨	ابن عمه يأخذ بثأره
١٨٩	الفصل ٤٠ : محمد سعيد الغزي
١٨٩	رئيس الوزراء السوري الذي أحرق مذكراته و قرر الصمت
١٨٩	أول خريجي الحقوق السورية
١٨٩	اصغر البرلمانين سنا
١٨٩	اختياره نقيباً للمحامين
١٩٠	انتمائه لحزب الكتلة
١٩٠	مناصبه الوزارية
١٩٠	توافقه مع الكتلة الشرقية و استقالته بسبب تدايات ثورة الجزائر
١٩٠	ابنته روت تاريخه بينما احرق هو نفسه مذكراته
١٩٠	اعتزاله الصامت
١٩٠	جنازته
١٩١	الفصل ٤١ : معروف الدواليبي
١٩١	رجل الدولة الإخواني الأحمر
١٩١	زميل العلامة الزرقا في الدراسة المزدوجة
١٩١	دراسته في السربون
١٩١	ما بين الإخوان و حزب الشعب
١٩٢	مواجهة مع الوكالة اليهودية
١٩٢	تهريب الحاج أمين الحسيني
١٩٢	تعاون السلطان محمد الخامس و ديوجول
١٩٣	تمثيل سوريا في الاستفتاء على مستقبل إسكندرون
١٩٣	من النواب الحلبيين
١٩٣	تأييده الاتحاد مع العراق
١٩٤	بداية مناصبه الوزارية
١٩٤	صعود نجمه بسبب تصريجه المهدد بالانحياز للسوفييت
١٩٤	الدبلوماسية الغربية تصدر التصريح الثلاثي ردا عليه في مايو ١٩٥٠
١٩٥	فوزه على مرشح الشيشكلي وخلافته للكخبيا في رئاسة مجلس النواب
١٩٥	تأييد حقوق العرب و المغرب العربي
١٩٥	تشكيله الوزارة كان سببا مباشرا لانقلاب الشيشكلي الثاني

١٩٦	استقالة الرئيس هاشم الاتاسي
١٩٧	عودة ربيع الديموقراطية
١٩٧	عودته لمنصب وزير الدفاع
١٩٧	اختياره رئيساً للوزراء عقب الانفصال
١٩٧	اتهامه للرئيس عبد الناصر بنقل السلاح السوري للقاهرة
١٩٧	تبريره لتمسك الولايات المتحدة بصيغة الوحدة ورفضها الاعتراف بالانفصال
١٩٨	دعوته السفير السوفيتي في بيروت لمقابلته
١٩٨	البعث يتسلم الحكم
١٩٨	المرحلة السعودية من حياته
١٩٩	من هذه المؤتمرات:
١٩٩	من مؤلفاته الفكرية الأصيلة:
١٩٩	من مؤلفاته التعليمية والجامعية:
٢٠٠	من بحوثه الأصيلة وتحقيقاته ومذكراته:
٢٠٠	قصة عثوره على سفر أشعيا
٢٠٠	مذكراته
٢٠٠	شهادة الشيخ علي الطنطاوي
٢٠٠	وفاته
٢٠١	الفصل ٤٢ : ميشيل عفلق
٢٠١	المفكر العربي الذي اخترع الخلاطات الحزبية
٢٠١	دور تاريخي
٢٠١	ميله المحمود إلى الاندماج
٢٠١	اتحاده مع الحوراني
٢٠١	ميشيل عفلق والاندماج الخطير
٢٠٢	الأثار الخطرة لقبوله التكتيكي بالعسكرة
٢٠٢	ميشيل عفلق ضحية للناصرية
٢٠٣	نهاية مستورة
٢٠٣	اجتثاث البعث
٢٠٣	هل أخطأ أم أصاب؟
٢٠٣	اندفاعه في المهرجان الناصري
٢٠٤	الفصل ٤٣ : ناظم القدسي
٢٠٤	الزعيم الوندوي الذي رأس سوريا بعد الانفصال
٢٠٤	مولده ونشأته
٢٠٤	أول سفير سوري في أمريكا
٢٠٤	تأسيس حزب الشعب
٢٠٤	فوزه في انتخابات ١٩٤٧
٢٠٤	رفضه التعاون مع حسني الزعيم واعتقاله
٢٠٥	مساندته لانقلاب سامي الحناوي
٢٠٥	العسكريون يسقطون وزارته بعد ٣ أيام من تشكيلها
٢٠٥	عودته لرئاسة الوزارة بعد خالد العظم
٢٠٥	الانقلاب الثاني للعقيد الشيشكلي
٢٠٦	إسهامه في إعادة ربيع الديموقراطية وهو محدد الإقامة
٢٠٦	تأخره في إنقاذ سوريا من فك الناصرية
٢٠٦	دوره بعد الانفصال
٢٠٦	فقدانه الدور في عهد البعث
٢٠٦	وفاته
٢٠٧	الفصل ٤٤ : نصوح البخاري
٢٠٧	العسكري السوري القادر على الحياد
٢٠٧	شقيقه ووالده
٢٠٧	قيمه التاريخية
٢٠٧	نشأته وتكوينه العسكري
٢٠٨	في عهد المملكة السورية
٢٠٨	الوزارات التي تولاها بعد رئاسته للوزارة
٢٠٨	في البرلمان
٢٠٨	الدور الرائد لزوجته السيدة رفيقة العظم
٢٠٨	المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري
٢٠٨	وفاته

٢٠٩	الفصل ٤٥ : نور الدين الاتاسي.....
٢٠٩	الرئيس السوري الذي سجنه وزير دفاعه حتى الموت.....
٢٠٩	رمز للرئيس المدني المظلوم.....
٢٠٩	٢٢ عاما في السجن.....
٢١٠	عائلته.....
٢١٠	دراسته ونشاطه الطلابي.....
٢١٠	تطوعه في الثورة الجزائرية.....
٢١٠	الوزارة فالرئاسة.....
٢١٠	جيله.....
٢١١	نشاطه البارز في عامه الأخير.....
٢١١	خلافه القاتل مع حافظ الأسد.....
٢١١	انقلاب الأسد.....
٢١١	وفاته.....
٢١٢	الفصل ٤٦ هاشم الاتاسي.....
٢١٢	الرئيس الذي قتلته دولة الوحدة وسارت في جنازته.....
٢١٢	انتماؤه لبيت علم.....
٢١٢	أطول الساسة المعاصرين له عمرا.....
٢١٣	عائلته.....
٢١٣	تكوينه.....
٢١٣	المطالبة بالاستقلال.....
٢١٣	في عهد الملكية وزييرا و رئيسا للوزراء.....
٢١٤	الثورة السورية الكبرى.....
٢١٤	تولى وضع الدستور.....
٢١٤	الاعتقال ثم معاهدة ١٩٣٦.....
٢١٥	استقباله الشعبي بعد المعاهدة.....
٢١٥	عودة التدخل الفرنسي الثقيل.....
٢١٥	عودة العسكرية و ديجول يزور الاتاسي في حمص.....
٢١٦	مواقفه و مكانته في عهد الانقلابات العسكرية.....
٢١٦	رئاسته الثانية و التوجهات العربية.....
٢١٧	استقالته من رئاسة الجمهورية في ديسمبر ١٩٥١.....
٢١٧	ربيع الديموقراطية و عودته للرئاسة.....
٢١٧	إيفاده فارس الخوري لعبد الناصر بلا جدوى.....
٢١٨	ذكاؤه في التعامل مع العسكريين.....
٢١٨	مكانته في عهد الوحدة.....
٢١٨	حفيده نشر سيرة حياته.....
٢١٩	الفصل ٤٧ : يوسف الحكيم.....
٢١٩	الوزير السوري الذي عاش مائة عام وكتب تاريخها.....
٢١٩	صداقته للرئيس أحمد نامي.....
٢١٩	نشأته و عائلته.....
٢٢٠	في العمل الحكومي.....
٢٢٠	في الوظائف السياسية.....
٢٢١	تقييم الأستاذ يوسف مرزوق لمذكراته.....
٢٢١	الجزء الأول و تحت عنوان " سوريا والعهد العثماني ".....
٢٢١	الجزء الثاني " بيروت و لبنان زمن آل عثمان ".....
٢٢١	الجزء الثالث " سوريا و فجر الاستقلال ".....
٢٢٢	الجزء الرابع : عهد الانتداب الفرنسي.....
٢٢٢	الجزء الخامس من المذكرات.....
٢٢٣	الفصل ٤٨ يوسف العظمة.....
٢٢٣	وزير الدفاع العربي الوحيد الذي استشهد في معركة.....
٢٢٣	مولده ودراسته.....
٢٢٣	إسهاماته في الحرب العالمية الأولى.....
٢٢٤	إنذار فرنسا الشهير للملك فيصل.....
٢٢٤	المعركة.....
٢٢٤	استشهاده.....

Prof. Mohamed El Gawady

ISIN : 0000 0001 2122 604X

Syria and Lebanon

Before The Nasserism and The Nusayriya

1918-1971





يجمع هذا الكتاب بين أسلوبين من أساليب الكتابة فهو في جوهره كتاب رأي مكتمل متبلور يعبر عن مضمونه في مواقف متعددة بنعومة وحسم، كما لو أنه مشروط الليزر الحاد الذي يقطع الأنسجة الصلبة بتكثيف الضوء المحدد في الموضوع المعين سلفاً، أما في صورته المعروضة التي يتناولها القراء بين دفتي هذا الكتاب المطبوع فهو اقرب ما يكون إلى الروح الموسوعية التي تعبر باللفظ المركز عن كثير من الحقائق مع التعويل على قدرة اللفظ الموسوعي على التعبير، من دون استطراد إلا إلى ما يتطلبه شرح السبب في الاستثناء من القاعدة ، ومن دون تفصيل إلا إلى ما يتطلبه التفريع من الأحكام، ومن دون استشهاد إلا إلى ما يتطلبه بناء الدليل على الرؤية التي لم يسبق اكتشافها من قبل .. وهو مع هذا ملتزم بكل ما يتطلبه منهج الموسوعية من ترتيب أبجدي و استعراض كرونولوجي وتجهيز للإحالات والإشارات والمصادر والمراجع.

